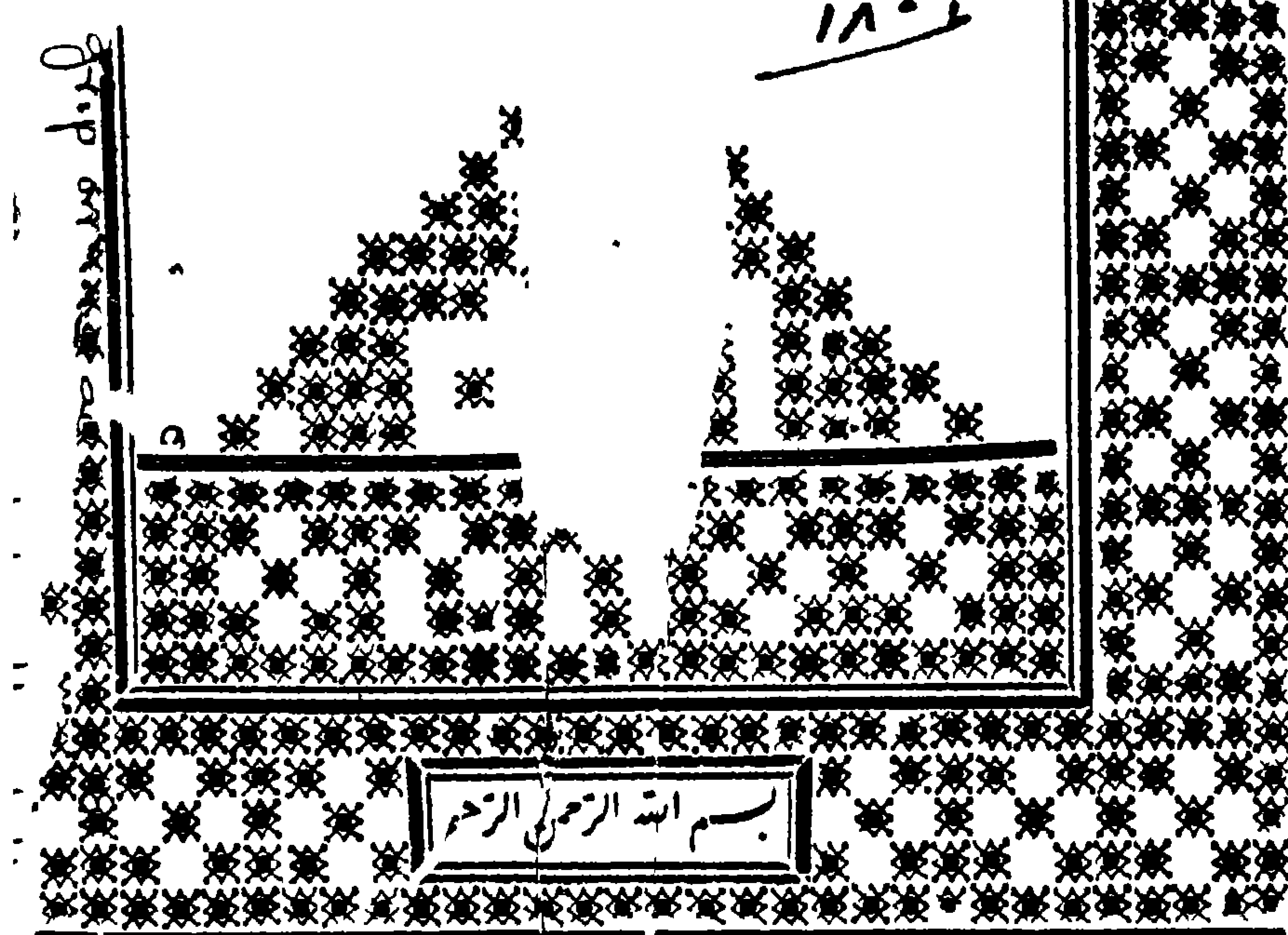
٨٩

كتاب اليواقيت والجوا ... ن عقائد الاكابر
ال ... للامام العارف الر ... عبدالوهاب
الشعراني ... والمسلمين
ببركاته ... ض ... ـا
من نفحاته
... آمين

● (على الهوامش بكتاب الكبر ... الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر
لصاحب اليواقيت والجواهر ... ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور) ●

● (طبعة ... ميمنية) ●
طبعها اصحابها (مصطفى البابي الحلبي وأخويه) بمصر

١١٧



الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الانبياء والمرسلين أجمعين *(أما بعد)* فيقول العبد الفقير الى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن علي عفا الله عنه هذا كتاب ألفته في علم العقائد سميته باليواقيت والجواهر في بيان عقائد الا... المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لان المدار في العقا... الطائفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما أهل نظر واستدلال واما أهل كشف وعيان وقد ألف كل... كتبا لاهل دائرته فربما طعن من لا وصله في الشرع بعضان كلام احدى الدائرتين مخالف للا... في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالاخرى وهذا أمر لم أر أ... فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما اوليته والتزمته فان منازع الكلام دقيقة... الامام الشافعي رضي الله عنه لابي اسحق المزني عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلأن يقال لك... لك من أن يقال كفرت وأنا أسأل بالله العظيم كل من نظر في هذا الكتاب من العلماء ان يصلح كل... الخطأ والتحريف أو يضرب عليه ان لم يفتح له بجواب نصيحة للمسلمين واعلم أني لا آذن لاحد... هذا الكتاب نسخة الا بعد أن يطالع عليه علماء الاسلام السالمين من الحسد ويجيزوه ويضعوا... فان عمري الآن قد ضاق عن كمال تحريره وأوصي كل من عجز عن الوصول الى تعقل كلام... أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل و... أهل الكشف مبنية على أمور تشهد وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها هذا ميزانهم... مالم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف... سالكي طريقهم * ثم اعلم يا أخي اني طالعت من ... أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل وما رأ... عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربي العارفين الشيخ محيي الدين بن العر... فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من الفتوحات و... ما دون كلام غيره من الصوفية لكن ... سلام و... اضم لأفهمها فذكرتم لينظر فيها علماء ...

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والتسليم على
سيدنا محمد وعلى سائر
الانبياء والمرسلين وعلى
آلهم وصحبهم أجمعين
(وبعد) فهذا كتاب نفيس
...من كتابي المسمى
...لانوار القدسية
...ت اختصرته من
...ت المكية خاص
...علماء الاكابر وليس
...منه الا الظاهر قد
...على علوم وأسرار
...لا يكاد يخطر علمها
...اطر فيه قبل
...وقد (سميته)
...كبريت الاحمر في بيان
...علوم الشيخ الاكبر ومرادي
بالكبريت الاحمر اكسير
الذهب ومرادي بالشيخ
الاكبر محيي الدين بن العربي
رضي الله تعالى عنه أعني
أن مرتبة علوم هذا الكتاب
بالنسبة لغيره من كلام
الصوفية كمرتبة اكسير
الذهب بالنسبة للذهب
...سنشير الى ذلك بما نقلناه
الشيخ رحمه الله في أبواب
...عاته والكبريت
...تحدث به ولا يرى
...)يا أخي أنني
...حب القوم
...دت

فلا تفعل يا أخي أن تذكر كرتم الكوفي أعتقد صحتها أو رضاها في . قد تقدم كما يقع فيه المتهورون في أعراض الناس فيقولون لولا أنه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره في مؤلفه معاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين وأعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم فان في الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى فليتأمل ويحرر ونحو ذلك اظهارا للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله يقول لا يخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لانه اما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما أن يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى * وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشرع مدسوس عليه قال لانه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لان الشارع أمنه على شريعته انتهى فلهذا تتبعت المسائل التي أشاعها الحسدة عنه وأجبت عنها لان كتبه المروية لنا عنه بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلماء فمن شك في قول أضفته اليه وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر في محله من الاصل الذي أضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا مني واعلم يا أخي ان المراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الاشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي منصور الماتريدي وغيره رضي الله تعالى عنهم وقد كان الماتريدي اماما عظيما في السنة كالشيخ أبي الحسن الأشعري ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة فان أتباع الماتريدي ما وراء النهر سيحون فقط وأما أتباع الشيخ أبي الحسن الاشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الاشعري مطلقا كما أشار الى ذلك في شرح المقاصد وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسائل كمسئلة الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان أنا مؤمن ان شاء الله تعالى ونحو ذلك انتهى وكان سفيان الثوري يقول أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي * ثم اعلم يا أخي ان من كان تابعا لأهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين وقد حبب لي أن أقدم بين يدي هذا الكتاب مقدمة نفيسة تتعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى التي صدر بها في الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه في شيء من عقائد الكتاب فان الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة وتشتمل أيضا على أربعة فصول

(الفصل الاول) في ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان أن ما وجد في كتبه مخالفا لظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفي بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب يرجع الى عبارته رضي الله عنه

*(الفصل الثاني) في تأويل بعض كلمات نسبت الى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه جهل أكثر الناس معانيها وفي ذكر شيء مما ابتلي به أهل الله سلفا وخلفا في كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم أو تنفيرا لهم عن الركون الى الناس وذلك لان الله تعالى لا يصطفي عبدا قط وهو يركن الى سواه الا باذنه

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس منهم وحاصله ان ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الا بتوقيف منهم غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين كما أشار الى ذلك القشيري في رسالته

من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم فان نظر فيه مجتهد في الشريعة ازداد علما الى علمه واطلع على أسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر القرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقرئ فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوي فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى بتنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علم علوم الاولياء فان علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف مطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه الى ذلك في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات بقوله وليس عندنا بحمد الله تعالى

(الفصل الرابع) [illegible] على ذلك فاقول وبالله التوفيق

(بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرأة من سوء الاعتقاد)

اعلم وفقك الله يا أخي أنه ينبغي لكل مؤمن أن يصحح عقيدته ليتأدى بها ما عليه وحسن الاختتام فإنه صحة شهوده فيها عند الله تعالى وإن كان غير ذلك يتبين له فسادها بالتجربة منها وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية أيضا علم عليه السلام أن العالم كله يوم يقيمهم الله تعالى بين يديه ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الاهوال حتى يؤدى كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار ولهذا يدبر الشيطان إذا سمع الاذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى في سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له في الخير البتة فإذا كان العدو لا بد أن يشهد لك كما أشهدته على نفسك لأن المشهد الحق يعطى ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وأحرى أن تشهد أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخوانى ويا أحبابى رضى الله عنا وعنكم أشهدكم انى أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع انى أقول بقولى وجازما بقلبى ان الله تعالى اله واحد لا ثانى له منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر اليه في وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئى بالقلوب والابصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده كما أن العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يقله مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لانه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحى الذى لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه فان القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسماء اخترع اللوح والقلم الاعلى وأجراه كاتبا بعلمه في خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق الذى خلق أنزل الارواح في الاشباح أمناء وجعل هذه الاشباح المنزلة اليها الارواح في الارض خلفاء وسخر لهم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وكيف لا يعلم شيأ هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الانشاء بعلمه أتقن الاشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل النظر والاتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسموات لم تتعلق قدرته تعالى بايجاد شئ حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حى كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات تتصف بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا

[illegible] ونحو ذلك من الكتاب والسنة فيه وبقوله في الباب الخامس والستين وثلثمائة واعلم أن جميع ما أتكلم فيه في مجالسى وتصانيفى انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فانى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله في باب الاسرار والنفث في الروع من وحى القدوس لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام وبقوله في الباب السادس والستين وثلثمائة واعلم ان جميع ما أكتبه في تأليفى ليس هو عن روية وفكر وانما هو عن نفث في روعى على يد ملك الالهام وبقوله في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه في هذا الكتاب انما هو من املاء الهى والقاء ربانى أو نفث روحانى في روع كيانى كل ذلك بحكم الارث للانبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال وبقوله في الباب التاسع والثمانين من الفتوحات والباب الثامن والاربعين وثلثمائة منها واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكر وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان

[illegible] ولا جهل ولا عرض ولا فرح ولا ترح ولا سمع ولا بصر [illegible] ولا أرض ولا تركيب
ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا
متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شيء من المتضادات والمختلفات والمتماثلات الا وهو
مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا راد لأمره ولا معقب
لحكمه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل
من يشاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرده الله تعالى لهم
أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله ايجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه
فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه
الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل
جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الارادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه
من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا
أن يشاء الله وانه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في
الورى من العالم الأسفل والأعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع
كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء في الماء
لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا
سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه
التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة
ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن ارادته من غير قلب ولا
جنان كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج
الاركان كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان
جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع
العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى
فعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف
بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس
المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله
عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض
عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة
تحت أسماء آلائه ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان أو شقيا لما كان في ذلك من شان
لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه وقال
تعالى هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وانفاذ مشيئتي في
ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الافكار ولا الضمائر الا بوهب الهي وجود رحماني لمن
اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك في حضرة اشهاده فعلم حين أعلم ان الالوهية أعطت هذا التقسيم
وانها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بنفسه الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين * وكما أشهدت الله وملائكته وجميع
خلقه واياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهده تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسي
بالايمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله
الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه

[illegible] ختلفوا على الصلاة
بالصلاة الوسطى بينها لمذ
طلاق ونكاح وصحة الصلاة
تقديمها وتأخيرها ونحوه
في الباب الثاني من
الفتوحات اعلم ان العارفين
انما كانوا لا يتقيدون
بالكلام على ما يرد اليه
فقط لانهم قد جمعوا كنة
على باب الحضرة الالهية
مراقبين لما يبرز منها فمهما
برز لها أمر بادروا لامتثاله
والقوة على حسب ما حد لها
فقد تلقى الشيء الى ما ليس
من جنسه امتثالا للامر بها
ويقوله في الباب السابع
والاربعين اعلم ان علومنا
وعلوم أصحابنا ليست من
طريق الفكر وانما هي
من الفيض الالهي
انتهى والله أعلم وأنا أسأل
بالله العظيم كل ناظر في
هذا الكتاب أن يصلح
ما رآه فيه من الزيغ
والتحريف ولا يقول على
الله عليه وسلم والله في عون
العبد ما كان العبد في عون
أخيه اذا علمت ذلك فأقول
وبالله التوفيق (قال)
الشيخ رحمه الله في الباب
الثالث من الفتوحات في
قوله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغي له ان الشعر محل
الاجمال واللغز والرمز
والتورية أي ما رمزنا لمحمد
صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا
ولا خاطبناه بشيء ونحن
نريد شيئا آخر ولا أجملنا له

اليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف فى حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت قالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وأنى مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فمما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت ان سؤال فاتنى القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين فى النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين فى العذاب الأليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التى أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان انه المنعم الحسان آمين آمين انتهت العقيدة ولنشرع فى الاربعة فصول فنقول وبالله التوفيق

(الفصل الاول) فى بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه * كان رضى الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم انه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج فى البرارى على وجهه الى أن نزل فى قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التى نقلت عنه ولم يزل سائحا فى الارض يقيم فى كل بلد بحسب الاذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان آخر اقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضى الله عنه * وكان رضى الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتى قوله وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرنى بذلك سيدى الشيخ أبو الطاهر المغربى نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لى نسخة الفتوحات التى قابلها على نسخة الشيخ التى بخطه فى مدينة قونية فلم أر فيها شيأ مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات * وقد دس الزنادقة تحت وسادة الامام أحمد بن حنبل فى مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته * وكذلك دسوا على شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس كتابا فى الرد على أبى حنيفة وتكفيره ودفعوه الى أبى بكر الخياط اليمنى البغوى فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب اليه الشيخ مجد الدين ان كان بلغك هذا الكتاب فاحرقه فانه افتراء من الاعداء وأنا من أعظم المعتقدين فى الامام أبى حنيفة وذكرت مناقبه فى مجلد * وكذلك دسوا على الامام الغزالى عدة مسائل فى كتاب الاحياء وظفر القاضى عياض بنسخة من تلك النسخ وأمر باحراقها * وكذلك دسوا على أنا فى كتابى المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد فى مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا برئ منها كما بينت ذلك فى خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت اليهم النسخة التى عليها خطوطهم * وكان ممن انتدب لنصرتى الشيخ الامام ناصر الدين اللقانى المالكى رضى الله تعالى عنه ثم ان بعض الحسدة أشاع فى مصر ومكة ان علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس فى ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب الينا انا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات

وما عدا هذين المقامين فزلات * وقال فيه الحق الذى لا يصح عندنا ولا فى طريقنا لان الكمل ينظرون كل شئ بعينه ومن هنا قالوا الكامل يبكى بالعيون (وقال) فى قوله تعالى لا تدركه الابصار أى الابصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أى لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم ومنعهم عن حمل تجليه الاقدس على ما تعطيه الالوهية * وقال فى قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل فتلقيه على الامة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله وقل رب زدنى علما أى بتفصيل ما أجمل من المعانى فى التوحيد والاحكام لا زدنى أحكاما كما توهمه بعضهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اتركونى ما تركتكم فاعلم ذلك (وقال) أيضا فى الباب الثانى منها اعلم يا أخى أنه لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت فى أقرب مدة ولكنها موارد تتوالى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فاما يقبل الجهل ولما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها واذا صفا القلب حصل من العلم فى اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته

فلان * وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكى فسح الله تعالى فى أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبته بخطى على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت فى مؤلفاته شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وادين الله تعالى بالاعتقاد فى صحة كلامه وولايته فلا ينبغى أن يصدق فى شئ مما ينسب الى على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه فى آخر نسخة العهود وعقب اجازته التى كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الامام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رحمه الله تعالى * اذا علمت ذلك فيحتمل ان الحسدة دسوا على الشيخ فى كتبه كما دسوا فى كتبى أنا فانه أمر قد شاهدته عن أهل عصرى فى حقى فالله يغفر لنا ولهم آمين * وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب كتاب القاموس فى اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم انه بلغ فى علم الشرع بعنوا الحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد فى الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب فى حياته وبعد وفاته الى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسائل فى درج وأرسلها الى العلماء ببلاد الاسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربى وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل * قال الفيروزابادى فلا أدرى أوجد ابن الخياط تلك المسائل فى كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده * قال والذى أقوله وأحققه وادين الله تعالى به ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء فى طرف من مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصى عنه الانواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتغترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى أنى ما أنصفته

وما على اذا ما قلت معتقدى * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
ان الذى قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلى زدت نقصانا

قال وأما كتبه رضى الله عنه فهى البحار الزواخر التى ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها ما واظب أحد على مطالعتها الا وتصدر لحل المشكلات فى الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد فى كتب غيره أبدا * قال وأما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر * قال وقد سئلت مرة سؤالا صورته ما تقول فى الكتب المنسوبة الى الشيخ محيي الدين بن العربى كالفصوص والفتوحات هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هى من الكتب المسموعة المقروءة أم لا * فاجبت نعم هى من الكتب المسموعة المقروءة وقد قرأها عليه الحافظ البرزلى وغيره * ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشى الفتوحات المكية بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق فلقد كان الشيخ والله فى زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده ووقعوا فى عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذى استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع فى أخطر الامور

على نحت القوافى من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى * وكان الشيخ سراج الدين المخزومى شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شئ من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة

فى أزمنة متطاولة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضى ما لا يتصور له نهاية وكذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدنى علما وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس اعلم ان آدم عليه السلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعانى تلك الاسماء التى حملها آدم وهى المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم * وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه الا أن يكون المثنى هو الله عز وجل كيحيى وعيسى فى قول الله فى حق يحيى عليه السلام وسلام عليه وقول عيسى عليه السلام والسلام على فعلم أن من حصل الذات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر وأيضا فالحضرة الغيبية التى لم تكن لهم فكان لنا التضعيف فنحن الاخوان وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق والعامل منا أيضا أجر خمسين ممن يعمل بعملهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم (وقال) فى الباب السادس أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد انه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولى ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة فى ذلك الوقت والامر عندنا ليس

[illegible]
القرآن يقول من [illegible]
عليهم من مواطن الحقيقة * وكذا أورد ابن [illegible] يقول لذا الشاب [illegible]
أوليائه * وقال الشيخ مجد الدين بن الشيرازي اللغوي وقد رأيت الجزء الشيخ كتب [illegible]
صاحب [illegible] ورأيت فيها أخرجها أيضا أن رتبة سني جمع مؤلفاته من حيث كتابا و كان
عندنا وأرجح ما [illegible] تفسيره الكبير في مجلد وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما فاستطفه الله لحضرته ومنها تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين ومنها
كتاب الرياض الفردوسية في بيان الأحاديث القدسية فهل يحل لمسلم أن يقول لا يجوز مطالعة كتب
الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك الا كفر وتعصب وعناد * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ كمال الدين الزملكاني
رحمه الله وكان من أجل علماء الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده
كيف وجدت الشيخ محيي الدين فقال وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له قال وقد أنشدني
الشيخ بلفظه من جملة أبيات

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

* وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء مصر وقال من أراد أن ينظر الى كلام أهل
العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله * وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن
قول الشيخ محيي الدين في كتابه الفصوص انه ما صنفه الا باذن من الحضرة النبوية فقال الحافظ ما أظن ان
مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا مع ان الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفته
الصوفية هو وابن تيمية * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محيي الدين
كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ولا يقدح فيه الا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال
الانبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم * وكان الشيخ مؤيد
الدين الجندي يقول ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين وكذلك كان
يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه انه الكامل المحقق صاحب
الكمالات والكرامات مع ان هؤلاء الاشياخ كانوا من أشد الناس انكارا على من يخالف ظاهر الشريعة
* وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما * وسئل الامام
محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا انه يحرم
على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام
لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق قال في شرح المهذب ثم اذا أول فليؤول كلامهم الى
سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ما ذاك الا تعنت انتهى * وممن أثنى عليه أيضا الامام ابن أسعد
اليافعي وصرح بولايته العظمى كما نقل قلته عن شيخ الاسلام زكريا في شرح الروض وكان اليافعي يمنع
من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين ويقول ان حكم انكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم الموت نفخته
على جبل زبيد ازالته عن مكانه بنفخته أطلوا ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله وان كان لم يسلم من
التكفير الموجب الخلود في النار انتهى * وممن أثنى عليه أيضا من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال
السيوطي وترجمه بأنه مربي العارفين كما ان الجنيد مربي المريدين وقال ان الشيخ محيي الدين [illegible]
التنزلات والانتقال الى الوجود وعين الشهود وصاحب الشهود الناطق بلسان الحق العرفي [illegible]
والعلي الى الوجود ذكره انتهى * قلت ونقل الشيخ سراج الدين [illegible]
الدين وقال كنت [illegible] لا أحد من أمثالنا الانكار على ما [illegible]
[illegible]

[illegible] من شبابه [illegible] من نظر
[illegible] * وخلق
الف السنين احساس
الانسان آخر جنس
موجود من العالم
الكبير وآخر صنف من
المولدات قال وأن كل الله
تعالى خلق الموجودات من
الجمادات والنباتات
والحيوانات بعد انتهاء
خلق العالم الطبيعي باحدى
وسبعين ألف سنة ثم خلق
الله تعالى الدنيا بعد ان
انتهى من مدة خلق العالم
الطبيعي باربع وخمسين
ألف سنة ثم خلق الآخرة
أعني الجنة والنار بعد الدنيا
بتسعة آلاف سنة وانما
سميت آخرة لتأخر خلقها
عن خلق الدنيا هذه المدة
وسميت الدنيا الاولى لانها
خلقت قبلها ولم يجعل الله
تعالى للجنة والنار أمدا
ينتهي اليه بقاؤهما فلهما
الدوام قال وخلق الله تعالى
طينة آدم بعد أن مضى من
عمر الدنيا سبع عشرة
ألف سنة ومن عمر الآخرة
التي لا نهاية لها في الدوام
ثمانية آلاف سنة والله أعلم
فذلك * وقال في الباب
التاسع كان الجان تسكن
الارض قبل آدم بستين ألف
سنة وأول من سعى من
الجن [illegible] وأول من
[illegible] فلما
[illegible] باب

الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه في الأمصار وقرئت متناً وشرحاً في غالب البلاد ورويناها بالقراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالاسناد وتغالى الناس قديماً وحديثاً في شرائها ونسخها والتبرك بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الأخلاق * وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم في بحر علمه كلا شيء وهل ينكر على الشيخ الا جاهل أو معاند * وقال الفيروزآبادي رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين ثم ان الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها * قال وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين الخوبجي الشافعي يخدمه خدمة العبيد وأما قاضي القضاة المالكي فوهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزآبادي في ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما أنكر على الشيخ الا بعض الفقهاء الفج الذين لا حظ لهم في شرب المحققين وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بأنه امام أهل التحقيق والتوحيد وانه في العلوم الظاهرة فريد وحيد * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ما وقع انكار من بعضهم على الشيخ الا رفقاً بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفاً أن يفهموا من كلام الشيخ أمراً لا يوافق الشرع فيضلوا ولو أنهم صحبوا الفقراء لعرفوا اصطلاحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة * قال شيخ الاسلام المخزومي وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة المقدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار وقد أقام بين أظهرهم نحواً من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى * وقال الفيروزآبادي قد كان الشيخ محيي الدين بحراً لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم في كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بخزائن مكة الى الآن أصدق شاهد على ما قلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيها الفتوحات المكية كتبها عن ظهر قلب جواباً لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك * قال وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التي تسير بها الركبان في الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية * فمن جملة ما ترجمه به الامام السبكي كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وان الفضل في زمانه رمى بمقاليده اليه وقال لا أعرف الا اياه * ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سئل عنه اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فانه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلة وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الاشارات ثم انه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سألوا من يسلك بهم الى ايضاحه وذلك ان كلام الشيخ رضي الله عنه مختصر رموز وروابط واشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولو أنهم نظروا الى كلماته بدلائلها وتعليقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لعلموا الثمرات المرادة ولم يباين اعتقادهم اعتقاده * قال ولقد كذبوا وافتروا

[illegible] الطائر الاسد وهو الآن في الجدي يعني على أيام الشيخ محيي الدين فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلي وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة ابراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى (قلت) وسيأتي في الباب التسعين والثمانمائة قول الشيخ ولقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم ان تاريخ اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقريباً من علم تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع فاذا كان هذا عمر الاهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم * وقال في الباب الثالث عشر لم يتقدم خلق العرش من الملائكة أحد سوى الملائكة المهيمين في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الاعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر في العماء والقلم أول ملائكة التدوين والتسطير وأطال في ذكر المخلوقات الاول على الترتيب * وقال في الباب الرابع عشر جملة الاقطاب المكملين في الامم السابقة من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطباً أشهدنهم الحق تعالى في مشهد أقدس في

من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه فى العقائد وغيرها وأكثر من النظر فى اسرار كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عز وجل اذلم أكتب فى ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقينى قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومى رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام توفى شيخنا سراج الدين البلقينى وذلك فى عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام فى حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم الائمة وممن سبح فى بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * قال المخزومى فقوى بذلك نفسى وكثر اعتقادى فى الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤس أهل السنة والجماعة قال المخزومى ولقد بلغنا ان الشيخ تقى الدين السبكى تكلم فى شرحه للمنهاج فى حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فان وجدها فى بعض النسخ فليضرب عليها كما هو فى نسخة المؤلف قال مع ان السبكى قد صنف كتابا فى الرد على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلية فى الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيأ فى الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه فى الجامع الاموى وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبى لعلو مراتبهم * وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح وأطال المخزومى فى الثناء على الشيخ محيي الدين * ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقى الدين السبكى أو عن الشيخ سراج الدين البلقينى أنهما بقيا على انكارهما على الشيخ محيي الدين الى ان ماتا فهو مخطئ انتهى * قال ولما بلغ شيخنا السراج البلقينى ان الشيخ بدر الدين السبكى شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ فى موضعين من كتاب الفصوص أرسل له كتابا من جملته يا قاضى القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على أولياء الله وان كنت ولا بد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والا فدع * وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطئ وقد أنكر قوم عليه فوقعوا فى المهالك * وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال مالكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته انتهى قال شيخ الاسلام المخزومى وأما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان يقول ابن عربى زنديق فكذب وزور فقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسى صاحب الفوائد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا فى درس الشيخ عز الدين فى باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم هذه اللفظة عربية أو عجمية فقال بعض العلماء فارسية معربة أصلها زن دين وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال شخص من الطلبة مثل من فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربى ولم ينطق الشيخ عز الدين بشئ قال الخادم فلما قدمت له عشاءه وكان صائما سألته عن القطب من هو فقال لا أرى القطب فى زماننا هذا الا الشيخ محيي الدين بن العربى وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال مالك فقلت يا سيدى متحيرا قال ذلك مجلس الفقهاء ما وسعنى فيه غير السكوت قال المخزومى فهذا هو الذى رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله الشيخ المخزومى فى كتابه المسمى بكشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين *(قلت)* وقد صنف شيخنا الجلال السيوطى كتابا فى الرد عن الشيخ محيي الدين سماه تنبيه الغبى فى تبرئة ابن العربى وكتابا آخر سماه قمع المعارض فى نصرة ابن الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعى بمصر فراجعهما

(الفصل الثانى) فى تأويل كلمات أضيفت الى الشيخ محيي الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم ليكون للشيخ اسوة بهم * اعلم رحمك الله انه لا يجوز الانكار على القوم الا بعد معرفة مصطلحهم فى ألفاظهم ثم اذا رأينا بعد ذلك كلامهم مخالفا للشريعة رميناه وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب كتاب القاموس فى اللغة لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادى الرأى لعلو مراتبهم فى الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشئ يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض

تحضرة برزخية وأنا بعد ينتفرطبة وهم المفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشفا والماحق والعانب والمفوز وشعر الملك وعنصر الحياة والشرب والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والرائى والواسع والبحر والملصق والهادى والمصلح والباقى انتهى قال وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانسانى الى يوم القيامة والله أعلم * وقال فان الوحى المتضمن التشريع قد أغلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام اذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحى جديد فعلم أنه ما بقى للاولياء الا وحى الالهام على لسان ملك مغيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الالهام من غير شهود للملك اذ لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه الا الانبياء وأما الولى فان سمع صوتا لا يرى صاحبه وان رأى الملك لا يسمع له كلاما اذ لا تشريع فى وحى الاولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثانى والعشرين والله أعلم * وقال فى الباب الخامس عشر الابدال السبعة للاقاليم السبعة انما هم مستمدون من روحانية الانبياء الكائنين فى السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم

الاسلام ومستغباته انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرح بها في كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهمه بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم تذكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما شاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ماوجدت قال لم أفهم من كلامهم شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء * وكان شيخ الاسلام المخزومي يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان يسلك طريقهم ويرى أفعالهم وأقوالهم مخالفة الكتاب والسنة وأما بالاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار عليهم ولا سيما وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهجم بالانكار ان يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها خصوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها و يعتقد أن الاولياء يرثون الانبياء في جميع معجزاتهم الا ما استثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها التبحر في علم الاصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو ادات وذات الذات ومعرفة حضرات الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات وبين الاحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم انتهى وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضي الله عنه وقدمها الى سيدي الشيخ مدين ليكتب له عليها اجازة فكتب له على ظاهرها ما أحسن ما قال بعضهم

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ثم أرسلها الى الحافظ فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم أذعن لاهل الطريق وصحب سيدي مدين الى أن مات * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول مما يدلك على أن أهل الطريق قعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء من ذلك على يد أحد ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى * وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي يقول لا ينبغي لاحد من أهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فان علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر * وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالانوار الساطعة الى يوم التلاق ومن تعرض لتغليطه أو تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بفوات لسانه انتهى وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحياء عن بعض العارفين أنه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لاهله كما أن من لم يتشاغل في علم الشريعة يخاف عليه الزيغ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا اله الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد أن الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثبات لك اذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفي وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليأجره الله على ذلك وحاشى الشيخ أن يصرح بفساد قول لا اله الا الله هذا لا يقوله عاقل لانه ما

الصلاة والسلام قال وأما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون فذكل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الانبياء وكذلك تتنزل العلوم عليهم في أيام الاسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء * وقال في الباب السادس عشر ما دخل التلبيس على السوفسطائية الا من تشكيك ابليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم فلما أظهر لهم ابليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بانه ما ثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الاغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما أدخل عليهم ابليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل الحس غالطا جملة واحدة وانما الحاكم على الحس هو الذي يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو بمر في نفسه بدليل ذوق غيره العسل و وجدانه الحلاوة ولو أن صاحب المرة صاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ان الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطئ و يصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا في الباب الرابع والثلاثين فراجعه * وقال في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم انما لم يذكر العلو والسفل لان هذه الجهات الاربع المذكورة

من القرآن العظيم فافهم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه ما ثم الا موجود الا الله * فالجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه أنه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار اليه حديث * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * ومن كانت حقيقته كذلك فهو الى العدم أقرب اذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا تخلص لأحد الطرفين فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما قال ذلك عند ما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يجعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا أطعته كما في قوله تعالى اذكروني أذكركم وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني باجابته دعائي كما قال تعالى لا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوه والا فليس أحد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى * ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات بان فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين والفتوحات من أواخر مؤلفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين * قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال أبو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وايمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يقول بجواز اباحة المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو وافق فيه مولانا عبد الله بن عباس والامام أحمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر ان الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الائمة مردود * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول الولي أفضل من الرسول * والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك وانما قال اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل والذي أقول به ان ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم وبقي مسائل كثيرة نسبت للشيخ وسيأتي بيان انها افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها ان شاء الله تعالى وفي المثل السائر * وربما المداري في طريق المخالف * والله أعلم وقد قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون * وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة ما صورته ومما أنعم الله به علي ان أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي اسوة بالانبياء والاولياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم في مستدركه وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام لا يفقد نبي حرمته الا في بلده * وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى الخولاني كيف تجد قومك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة اذن وايم الله ما كان رجل حليم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وأخرج ابن عساكر مرفوعا أزهد الناس في الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين وكان أبو الدرداء يقول أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه ان كان في حسبه شيء عيروه وان كان عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى قال الجلال السيوطي رحمه الله واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو من السفلة اذ الاشراف لم تزل تبتلى بالاطراف فكان لآدم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان

هي التي يأتي الشيطان منها الى الانسان فان جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف والبرهان [illegible] خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وان جاءك من يمينك التي هو الجهة الموصوفة بالقوة ليضعف يقينك وايمانك بالقاء الشبه في أدلتك فكن موسوي المقام وتذكر قصته مع السحرة حتى آمنوا وان جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فان الخلف للمعطلة أو المشركين كما ان اليمين للضعف والأمام للتشكيك في الحواس ومن هنا دخل الناس على السوفسطائية كما سيأتي بسطه قريبا * وقال في الباب السابع عشر ليس في نظر الله تعالى الى وجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة متعددة في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا ادراك الحق للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فتنوعت الاحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لا انه لم تكن علمها فانما أوجد الله الاعيان الالهية لانها على حالتها بما كنها وأزمانها في العلم الالهي وأما الاعيان فيكشف لها من أحوالها شيئا فشيئا على التوالي والتتابع الى ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه المسئلة فان قليلا من عثر عليها لطفها انها متعلقة بسر القدر وقال في الباب الثامن عشر لا يعطي ثمرة

الاوده لوث واضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الاولى بختنصر وفي الثانية الدجال وكان لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل وكان لابن عمر عدو يبهته كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته قال ما شأني فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الازرق كان يؤذيه أشد الاذى ويقول انه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة ويشكونه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه لا يحسن ان يصلي * وأما الائمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك ما قاساه الامام الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس وما قاساه البخاري حين أخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وأحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشيعه واذا النون المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ورموا سمنون المحب أحد رجال القشيري بالعظائم وأرشوا امرأة من البغايا فادعت عليه انه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة وأخرجوا سهل بن عبد الله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤس الاشهاد فصار يقرره في قعر بيته الى ان مات وكان من أشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط وكان اذا سمع أحدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من اجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والايمان بها على علم الله فيها ولما أرادوا اخراجه قال لا أخرج الا ان جعلتم في عنقي حبلا ومررتم بي في أسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وأخرجوه فالتفت اليهم وقال يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم تلك من بلخ صوفي أبدا مع انها كانت أكثر بلاد الله صوفية وأخرجوا الامام يوسف ابن الحسين الرازي وقام عليه زهاد الري وصوفيوها وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الامام أبا بكر النابلسي مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقه من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا ان يفتتنوا به وكذلك سلخوا النسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك أنهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة محبة وقبول فضعها الناقي أطباق النعل ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيد فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا الى السلطان وقالوا انا بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله وان لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة وأخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الى الذي يسلخه ويتبسم ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه الله من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه

التهجد وفضل ما انفقت على أجنبيه كل ليلة الاسرى كانت خمر الجنة كلها فان كانت خمر الجنة كلها من فوائده فاذا استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك * وقال في الباب العشرين حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدم توقعه فلا أمان لهم بطريق الاخبار من الله تعالى بقوله لا يفتر عنهم وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والعشرين في قوله وكل شئ أحصيناه في امام مبين اعلم أن قوله أحصيناه يدل على انه تعالى ما أودع فيه الا علوما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر انما قال وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لاحد حصر أمهات هذه العلوم فقال نعم هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها الا الله تعالى * وقال في الباب الرابع والعشرين أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد ربه دعاء لا أمرا محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه وكان من الاوتاد وما سمعنا بهذا الاصطلاح عن أحد سواه وهو أدب عظيم وان كان هو في الحقيقة أمرا الا ان الحد شمله فليتامل * وقال في الباب الخامس والعشرين كنت لا أقول بالباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى ألبسها من يد الخضر عليه السلام فجاء بابها اليكعبة (قلت) ذكر الحافظ ابن حجر أن حديث لبس

ثم حصل له اللطف ذكره ابن أيمن في رسالته ورموا الشيخ تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر واللواط وأنه يلبس في الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه وأنكروا على سيدي ابراهيم الجعبري وسيدي حسين الجاكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب الطبقات وانما ذكرنا لك يا أخي محن هذه الائمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لك لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لا سيما الشيخ محيي الدين لان هؤلاء الائمة ثناؤهم عندنا كالمسك الاذفر فكما لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح ما قيل في كمال الشيخ محيي الدين والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم * اعلم رحمك الله ان أصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روي في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق أتدري يوم يوم فقال أبو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتني عن يوم المقادير * وروي أيضا أنه قال له يوما يا أبا بكر أتدري ما أريد أن أقول فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه اعلم ان أهل الله لم يضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيأ لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا قال ومن أعجب الاشياء في هذه الطريق بل لا يوجد الا فيها انه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف منهم لا بد من ذلك الا أهل هذه الطريق خاصة فان المريد الصادق اذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لا يقدر على دفعه فكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك هذا شأن المريد الصادق وأما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح له قبل اخلاصه في الارادة وطلبه لها أحد من القوم ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالامام أحمد بن سريج حضر يوما مجلس الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا أدري ما يقول ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم أو في تأليفهم لا غير ثم قال ولا يخفى ان أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما ينشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأطال في ذلك ثم قال وأشد الناس عداوة لاصحاب علوم الوهب الالهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الراغبين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم وان الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخاص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه

وكلامهم

انلر فتمنصل ور وانه نقات كما أوضحت ذلك في مختصر الفتوحات والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين انما أمر صلى الله عليه وسلم بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان في ذلك تنبيه لهم على أن المصلي من شأنه أن يكون ماشيا في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فان لكل آية منزلا ينزله القارئ والقاعد لا يلبس النعلين قال وانما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لان الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي مناجاته في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل اليها موسى عليه السلام فلو صلح له دخولها لامر كذلك بخلع النعلين فان حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه أدبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع انما قال أردنا لان تحت هذا اللفظ أمرين أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله ووجه الى العبد به أضاف

وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى اذا جاؤا بشئ يغمض عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون فى أهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لاسيما ان لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ان أحدا لا ينال علما الا على يد معلم وصدقوا فى ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه باعلام ربانى أنزله فى قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان مالم يعلم وقال فى عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم وأخطؤا فى اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد فى الدنيا وآثروها على الآخرة وعلى ما يقرب الى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم اذ هو المعلم الحقيقى للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذى لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كماله فان الذين قالوا أولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم يريدوا نفى علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشياء كليات وجزئيات علما واحدا فلا يحتاج فى علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا التنزيه عن توقف علمه على التفصيل فاخطؤا فى التعبير فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف وأطال فى ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لاهل الله فى دعواهم العلم من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك الا من العلم اللدنى الذى آتاه الله تعالى له من طريق الالهام اذ الفكر لا يصل الى ذلك * وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامى يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علومنا عن الحى الذى لا يموت * وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا من أصحابه يقول فى حكاية أخبرنى بها فلان بن فلان يقول لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يعنى لا تحدثوا الا بفتوحكم الجديد الذى فتح الله تعالى به على قلوبكم فى كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهى حى لا يموت وليس له محل فى كل عصر الا قلوب الرجال انتهى وسيأتى بسط ذلك أيضا فى آخر المبحث السابع والاربعين * قال شيخ الاسلام سراج الدين المخزومى رضى الله عنه فى رمز الاشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن افشاء أسرار الربوبية من غير ذوق فيقع فى افشائه أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم الثانى أن فى ذلك اشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا فى العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مشاهدة وذوقا الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه الا كل جواد فى العلوم صنديد فى علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازى يقول ما أذن لى فى تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنى عشرة ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذى يخوض فيه القوم * وقد قال الامام الشافعى للربيع الجيزى اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت انتهى وسئل الاستاذ على بن وفا رضى الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التى تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وان لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل أليس الذى أطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع اضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا أن

العيب الى نفسه قال ولو أن الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى يعنى الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما لم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فقل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه فى ضمير واحد فقال فى خطبة رويناها عنه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى فافهم * وقال فى قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار انما لم يقل تعالى وبالنهار ليحقق لنا انه يريد اننا فى منام فى حال يقظتنا المعتادة أى أنتم فى منام مادمتم فى هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة لما أمامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء فى قوله والنهار واكتفى بالليل (وقال) فى قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار هو من العبور لا من الاعتبار فمعنى الآية لا تقفوا على ظاهر الصور بل اعبروا من ظاهر تلك الصورة الى باطنها المراد منها كما أن الذى يراه الانسان فى حال نومه ماهو مراد لنفسه وانما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حال النوم الى معناها المراد بها فى عالم اليقظة اذا استيقظ من نومه وكذلك حال الانسان فى الدنيا ماهو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل انما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له فى الدنيا حالة اليقظة وأطال فى ذلك

يقول نعم هو تعالى عليم حكيم قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخر تربو على هذه المصلحة قلت وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق تعالى لم يترك اظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة للابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها وأطال في ذلك ثم قال وحسبك جوابا أن من دون المعارف والاسرار لم يدونها للجمهور بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها لنهاه عنها * وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا وكذلك لا يجوز لاحد أن ينقل كلامنا الالمن يؤمن به فمن نقله الى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع أهل الغفلة والجدل بل تعدوا حدود القوم وأظهروا كلامهم لغير أهله فكانوا كمن نقل المصحف الى أرض العدو الذي لا يؤمن به مع ان الله تعالى نهاه عن ذلك فمكنوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسن معوجة فطائفة تستهزئ به وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه في الضلال والطغيان والانكار على أهل الاسلام وأطال في ذلك * ثم قال وهل دون المجتهدون رضي الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والامراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا فكان المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذي يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجرهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجرهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين في رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعاني بما رزقهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم وتشرق ارض قلوبهم بنور رشدهم وتحببا وتزهدا يتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم في نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين دواء امراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى في جميع الامور المشروعة فان لكل مقام حضورا وأدبا يخصه * فان قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدون فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم في ذلك كتابا واحدا * فالجواب انهم لم يضعوا في امراض القلوب كتبا لانها لم تكن ظاهرة على أهل زمانهم ولو أنها كانت ظهرت في زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها برسائل مستقلة كما فعل من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لانها من الكبائر بخلاف الزمن الذي بعدهم ظهر فيه الرياء والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دون الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فانما لم يدون المجتهدون في طريق القوم كتبا لانهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك اذا حصل لهم زيغ فلولا قواعد الشريعة التي مهدها المجتهدون ما عرف أحد موازين الاعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الائمة المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الامة فافهم فعلم أن لائمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه فانه كما كان في الكلام في علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الثاني الموجب للعمل واشراقه في مظاهر المرشدين فكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين واشراقها في مظاهر الهادين بالحق * فان قيل فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب والسنة فقط أليس ذلك كان يكفيهم كما كفى غيرهم * فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الائمة المجتهدين ومقلديهم فانهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الاحكام والوقائع كما هو مشاهد فان ترددت يا أخي استنباط العارفين لزمك ان ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك فكما لا يجوز لك الاعتراض على كلام الائمة المجتهدين لكونهم

واحد تو يختلف بالمتعلق وهو للمنوى فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فان حقيقة النية انما هو القصد للفعل أو تركه وكون الفعل حسنا أو قبيحا أو خيرا أو شرا ما هو من أثر النية فهو أمر عارض عرض بميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء فان منزلته أنه ينزل ويسيح في الارض وكون الارض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من حيث مزاج البقعة أو طيبها أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وان نوى شرا أثمر شرا انتهى وسيأتي في الباب الثامن والستين ماله تعلق بالنية والله أعلم * وقال فيه العارف يأكل في هذه الدار الحلوى والعسل والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس * وقال في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعلى الله قصد السبيل الحق تعالى ينزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعي وانما المراد أن العلم الالهي اذا تعلق أزلا بما قيد بمهاد تنا

لم يجهروا من شعائر الشريعة فكذلك لا يجوز لنا الاعتراض على العارفين المتقشفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخذ بالظاهر والباطنة فكما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر فكذلك العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الاعمال الباطنة فالاجتهاد واقع في الدولتين ولا يخص باحداهما عن الاخرى حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعني ناقصة * فان قيل فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذى لا يعرفه غيرهم الا بتوقيف منهم كأمر وجل لم يظهر وامعارفهم للناس ان كانت حقا كما يزعمون و يتكلمون بها على رؤس الاشهاد كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم فان في اخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس وأعني الريبة وفتح الباب برمى الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية * فالجواب انما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمتهم وشفقة عليهم كما عرف كلام الشيخ محيي الدين أوائل الفصل وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقررون علم التوحيد الا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم و يقولون أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وماذلك الا لفقد مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام ولا يجوز لأحد أن يعتقد في هذه السادة أنهم ما يخفون كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها ان لا تذكر الامشافهة ولا توضع في الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله ان لم يدونوه دونوا علمهم ورمزوه مصلحة الناس وغيرة على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين وأنشدوا في ذلك

ألا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب في الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الاعادى
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى الفساد

أى كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه يقول نعم ما فعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في أنفسهم و يضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريد ان يطالع في رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى وكان سيدى على بن وفا رضى الله عنه اذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كانسان دخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى في بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هنالك حذرا منهم أليس يدل اختفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على انه عليم حكيم أوهو بضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيق جسده وأكل لحمه وكان هو الملقى بنفسه الى التهلكة وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين في رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها فأمره ان لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ولا يخفيه عمن يؤمن به فكما لم يدل اخفاء النبي صلى الله عليه وسلم قراءته عن الملحدين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح في صحتها كذلك لا يدل اخفاء العارفين كلامهم عن الملحدين بغير علم على بطلانه ومخالفته الشريعة فافهم لكن ان هيأ الله تعالى للعارف أسباب ظهور شأنه وقهر على قهر المنكرين عليه بالحال أو بالخاص آثر الهم بالحج الواضحة حتى صاروا يقرونه بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ اظهار معارفه على رؤس الاشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤس الكفار حين هيأ له أسباب الظهور وتمكن في أمره وصارت له أنصار يحفظونه من الاذى فعلم ان

كما لا يجبر على فعل شئ من هذا الا من جعل له الاختيار فكان الطريق الموصلة الى ذا الامر الذى تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا فى ذلك * وقال فيه سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق الجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض وأطال فى ذلك وقال فيه انما كان الحيوان الذى يمشى على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذى عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته باصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما رد الى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفا مسكينا لان أصله حكم عليه لما قرب منه ثم اذا شفى واستوى قائما و بعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله فى حال صحته كحاله فى مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم * وقال فى الباب الرابع والثلاثين اعلم ان لله عبادا خرق لهم العادة فى ادراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع و بصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفى فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلم علم الاولين والآخرين فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا لا يبعد

العارفين فى ذلك الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الى الآن فى طلبك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف فى الغار أكثر من ثلاثة أيام فقد بان لك أنه ليس للانسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم الان علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيئ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والانصار * فان قيل فلم لم يترك هذا العارف اظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له * فالجواب أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فحيثما سلكوا كما مر عن الامام أحمد بن حنبل آنفا فكما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الامر من الله تعالى باظهار ما معه من الحق فكذلك ورثته قال سيدى على بن وفا ويقال لهذا المعترض أيضا على القوم فى رمزهم معارفهم أرأيت لو أنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم أينبغى له أن يوافقهم على جنونهم فيجن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الانسان الكائن بين الذئاب الضوارى اذا لم يرضوه أن يقيم بينهم الا أن يمشى على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوى كعويهم أينبغى له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع أنه يمكنه الفرار منهم والاقامة على طريقة الانسانية لا والله لا ينبغى للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضى أهل الشر فالله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فنعوذ بالله أن نرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله * وكان بعض العارفين رحمه الله يقول ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهى لاصحابهم عربية هذا كله فى حق المتمكنين من الاولياء أما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح * وقد بلغنا ان عصفورا راود عصفورة فى قبة سليمان بن داود فابت عليه فقال لها قد بلغ بى من حبك ما لو قلت لى اقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الى سليمان فارسل خلفه وقال ما حملك أن تقول ما لم تقدر عليه فقال مهلا يا نبى الله انى عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والتحقيق فاعجب ذلك سليمان انتهى وفى ذلك عذر عظيم للعشاق فى طريق أهل الله عز وجل كسيدى عمر بن الفارض واضرابه رضى الله عنهم أجمعين وفى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وان كان الذى وقع من موسى انما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فان فى هذه القصة اقامة عذر لمن أنكر وان أنكر عليه لكن من شأن أهل الطريق أن لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بينى وبينك ولو أن أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور المبين فلا تظن يا أخى أنهم عاجزون عن اقامة الحجة وتنسبهم الى العامية * وايضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدى على بن وفا فى كتابه الوصايا ان فى القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للاولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم ان اقتضى الشرع منك انكار شئ من كلامهم أو من أحوالهم فلك انكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان يتشبه بهم فى ذلك من ليس هو فى مقامهم والا فالموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعانى التى أبداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة فى ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كى لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا وقال خشيت ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به فى ظاهر الشرع أيضا فالقول الولى وما فعلته عن أمرى ليس مسوغا لمثل هذه الاعمال فى الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول فعلم أن الانكار ما وقع من موسى أولا الا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا ان يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل فى خواص أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعلم موسى عند ذلك ان لله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم الموهوبة وانه ليس لاحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وان كان المعترض أعلى درجة فافهم ولا يخفى ان جملة

أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث * وقال انما أنزل القرآن كله فى ليلة القدر اشارة الى أنه به تعرف مقادير الاشياء وأوزانها قال وكان نزوله فى الثلث الآخر منها * وقال فى الباب السادس والثلاثين فى قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم أن المخاطب بهذا علماء الامة لقوله ورثة الانبياء وما قال ورثة نبى خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الانبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم * وقال فى الباب الاربعين انما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون قولهم رب موسى وهرون لانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياى عنوا فزادوا رب موسى وهرون أى الذى يدعو اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال قال وكان فى خوف موسى من عصاه حين ظهرت فى صورة حية اعلام للسحرة أن ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لان أحد الا يخاف من فعله هو لعلمه بانه لا حقيقة له من خارج قال وكان صورة تلقف عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هى فى نفس الامر كما يبطل الخصم بالحق حجة بحججه فيظهر بطلانها ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة

العلوم ثلاثة علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار * فعلم العقل هو كل علم ضرورى بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل بشرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم * وأما علم الاحوال فلا سبيل اليه الا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظرى فلا يأتنفه اذا جاءه من غير معصوم الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي ان لا يقبله ميزان العقول من حيث افكارها بل تمجه غالبا * وأما علم الاسرار فهو العلم الذى فوق طور العقل ولذلك يتسارع الى صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام الذى يختص به النبي والولي وعلامته أنه اذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الافهام دركه وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التى لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر ان يوصل ذلك العلم الى الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل * وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول من شأن العارفين أنهم ان كانوا في سلطان الحال أجابوا بالنصوص وان كانوا في المقام أجابوك بظواهر الادلة لهم بحسب أوقاتهم فقد بان لك ان علوم الاسرار لا تنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة أو الالهام الصحيح وما شاكل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفائدة في قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن من أمتى محدثون فهو عمر ذكره الشيخ محيي الدين في رسالته التى كتبها الى الشيخ فخر الدين الرازى وهى نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر ان الانكار لم يقع في الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبي هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم يعني مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أني ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى يتنزل الامر بينهن لرجمتموني أو لقلتم انى كافر * ونقل الامام الغزالى في الاحياء وغيره عن الامام زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنه أنه كان يقول

يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالى والمراد بهذا العلم الذى يستحلون به دمه هو العلم اللدنى الذى هو علم الاسرار لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم لان ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى فتأمل في هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى هداك

(الفصل الرابع) في بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها من يريد التبحر في علم الكلام

* اعلم رحمك الله ان علماء الاسلام ماصنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة في هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطلب علماء الاسلام اقامة الادلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمتهم ورجاء رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التى ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصر الواحد واحد من هؤلاء وأطال الشيخ محيي الدين في صدر الفتوحات من الكلام في ذلك * ثم قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول الى أدلة العقول مجردة عن الشرع فان القرآن دليل قطعى سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى انه منزه عن أن يشبه شيء من المخلوقات أو يشبه هو شيئا منها بقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع

صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفتها عصا موسى عليه السلام ولو كان الامر على ما توهمه بعضهم لقال تعالى تلقف عصيهم وحبالهم قال فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي وحاصل ما توهمه بعضهم ان الذى جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة الا أنه أقوى منهم سحرا وأطال في ذلك ثم قال والسحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الاول والفجر الثانى وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون له عدم فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائى انتهى وأشار الى ذلك أيضا في الباب السادس عشر من الاصل (قلت) وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط * وقال في الباب الحادى والاربعين يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية يا عبدى الليل لى لا للقرآن يتلى ان لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل كله لى وما طلبتك اذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عن المشاهد فآية تذهب بك الى جنتي وما أعددت فيها

البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ونحوها من الآيات وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى في الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الاحاطة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى انه بكل شيء محيط وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شيء قدير وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى أحاط بكل شيء علما وأثبت كونه مريدا الخير والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأثبت كونه تعالى سميعا لخلقه بقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى والله بما تعملون بصير وبقوله ألم يعلم بأن الله يرى وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وأثبت كونه حيا بقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله محمد رسول الله وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثا بقوله تعالى وخاتم النبيين وأثبت ان كل ما سواه مخلقه بقوله تعالى الله خالق كل شيء وأثبت الجن بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأثبت ان الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأثبت حشر الاجساد بقوله تعالى اذا بعثر ما في القبور والى أمثال ذلك مما هو مذكور من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الايمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في كتابه العزيز قل فأتوا بسورة مثله فان القرآن كان معجزته صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين فعلم أنه لا ينبغي لمؤمن أن ينسى حدوده التي كلفه بها في هذه الدار ويستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين في بلاده وبدفع شبه يمكن أن لا تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة أقطع وأردع وفي الحديث الصحيح أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا حضروا انما هو الجهاد بالسيف ان عاندوا في الحق قال وهذا هو جل اشتغال الناس اليوم فقطعوا اعمارهم في الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل لصاحب الكلام في مثل ذلك أنه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف رضي الله تعالى عنهم ما وضعوا كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا في عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم بقصدهم قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم ان احتاج انسان الى رد خصم حدث في بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه لكن بالأمور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمي مثلا فانه لا يقبل دليل الشرع على ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذي يقدح في الشريعة فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه فلا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده بالنظر العقلي فنداويه بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك في هذه المسئلة وحقق النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن العظيم كما مر فانه متواتر قطعي معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخي الى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة قل هو الله أحد ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى الله أحد أثبت الوجود للأحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفى الجسمية لم يلد ولم يولد نفى الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد نفى الصاحبة والشريك أفيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي ان ذلك من الجهل العظيم وياليت شعري من يطلب معرفة الله

أولع العذاب فأين أنا اذا كنت مشغولا بما فيها وآية تذهب بك الى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر الا لتجمع بقلبك علي وأما استنباط الأحكام فلها وقت آخر ومقام رفيع وأرفع وألطف ذلك * وقال في الباب الثالث والاربعين في حديث استفت قلبك وان أفتاك المفتون في هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فانهم اذا بحثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت أخت بشر الحافي لما سألت الامام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة اذا مرت في الليل وقال لها الامام أحمد من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي فيه ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رابها فكانت تدع ذلك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فانه صلى الله عليه وسلم انما أعطانا ذلك الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس خالصا لا يعلمه الا الله اللهم الا أن يكون أحدنا مقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع * وقال في الباب الخامس والاربعين الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة الى الله وبين ستر المقام فيدعو الى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى لا يعرفهم العامة الا بأنهم [illegible] (تمت) وكان [illegible] تعالى

تعالى من حيث الدليل ... قبل النظر وفى حال النظر هل هو مؤمن أم لا وهل كان يعتقد ان الشيء الموجود وان محمدا عبده ورسوله أم لا وهل كان يصلى و يصوم أم لا فان كان يعتقد الهنا كلمة ... العوام فليتركهم على ماهم عليه ولا يكفر أحدا منهم وان كان لا يعتقد هذا الامر الا بعد النظر فى علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محيى الدين رضى الله عنه يقول ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الآن خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن أنه ينكر عليهم أمرا هو حق فى نفس الامر فان أهل الاسلام ماداموا فى دائرة الاسلام لا يعتقدون الاحقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج عن الاسلام انتهى (وقال) فى الباب الثلاثين من الفتوحات من شأن أهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذى تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يؤثر ذلك فى سعادتها أم لا هذا حظهم من البحث فى علم الكلام فعلم ان عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التى تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التى فطر الله الموحدين عليها اما بتلقين الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد فى ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الائمة وهم على صواب فى عقائدهم مالم يتطرق أحدهم الى التأويل فان التأويل قد لا يكون مراد الشارع وان تطرق أحدهم الى التأويل للآيات والاخبار فقد خرج عن حكم العامة فى ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة فتأمل فى ذلك فانه نفيس * وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول تصور التقليد فى مسائل الايمان عسر جدا فقل أن ترى واحدا مقلدا فى الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فان كلامهم فى الاسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو ان يسمع الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شيء يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة ادراك هؤلاء تحسينا لظنه بهم وتكبيرا لشأنهم عن الخطأ فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل سقط هو غير ان التقليد معرض لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف الاستدلال فان فيه حفظه عن ذلك انتهى ونقل الشيخ أبو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسى أجل أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله قال لما حضرت الشيخ أبا الحسن الاشعرى الوفاة فى دارى ببغداد قال لى اجمع أصحابى فجمعتهم فقال لنا اشهدوا على انى لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبى الحسن الاشعرى أنه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه ايمان انتهى * وقال الشيخ تاج الدين بن السبكى التحقيق الدافع للتشنيع على الاشعرى فى هذه المسئلة ان المقلد ان كان آخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفى ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذا لقول الغير بغير حجة لكن جزما فيكفى ايمان المقلد عند الاشعرى وغيره قال الجلال المحلى وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازانى وغيره التحقيق فى مسئلة ذم

بلا تكدر رضى الله تعالى عنهم وهو قال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة ابراهيم عليهما السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى به حتى فجأه الوحى و جاءته الرسالة فكذلك الولى الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى القرآن و يكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى بعد ذلك الى ارشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله أعلم * وقال فى الباب السابع والاربعين تنبغى للمحقق أن لا يذكر الله تعالى الا بالاذكار الواردة فى القرآن حتى يكون فى ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا فى لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد التلاوة كان له أجر الذكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال فى ذلك ثم قال فى حديث الصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اعلم أنه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذى هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة فالحق يحب الصلاة

ولا يصحب الصوم الا ... قال ... الصلاة ... والصوم لا ينتج ... فانهم ... لا تكمل ... الترقى فى العلم

الخوض فى علم الكلام أن النظر فى ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية فى حق المتأهلين له فيكفى قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين مما يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع فى الشبه المضلة فليس له الخوض فيه قال الجلال المحلى وهذا محمل نهى الامام الشافعى وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيى الدين بن العربى يقول محل النهى عن الخوض فى علم الكلام انما هو فى حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر اذ الفكر كثير الخطأ فى الالهيات أما من يتكلم فى التوحيد ولوازمه من طريق الكشف فلا يدخل فى نهى السلف لان صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الأمور من حيث ما هى عليه فى نفسها فلا يخطئ انتهى (قلت) ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكرى لاسيما ما كان من كلام الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فقد قال فى الباب السادس والستين والثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به فى مجالسى وتآليفى انما هو من حضرة القرآن العظيم فانى أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط فى علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى فى مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه * وقال فى الكلام على الاذان من الفتوحات اعلم انى لم أقرر بحمد الله تعالى فى كتبى هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة فى شئ من تصانيفى * وقال فى الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما أكتبه فى تصانيفى ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث فى روعى من ملك الالهام وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندى بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطا * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد فى جميع ما نقوله الا على ما يلقيه الله تعالى فى قلوبنا الا على ما تحتمله الالفاظ * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه انما هو عن املاء الهى والقاء ربانى أو نفث روحانى فى روع كيانى كل ذلك لى بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث فى الروع منحط عن رتبة وحى الكلام ووحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من العلماء الاعلام * وقال فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هى من الفيض الالهى * وقال فى الباب السادس والاربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجلى الهى والعلم قد يحصل لنا بنقل الخبر الصادق وبالنظر الصحيح * وقال فى الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار منى ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن من الفتوحات اعلم ان العارفين رضى الله تعالى عنهم لا يتقيدون فى تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشئ الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطا من حيث هو والله أعلم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والسبعين اعلم ان العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية اذ العلم النظرى لا يحصل الا أن يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضرورى على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعى ولا برهان * وقال فى الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان العقائد الصحيحة هى كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق اذا جاءه من غير ذلك الوجه الذى تقيد به فاذن الكامل من بحث عن منزع الاعتقاد ونظر فى كل قول من أين انتحله قائله وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الانسان اذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل الامر ورجع الى نفسه

لانى العمل فلا يترقون بالاعمال كما لا يترقى فى العلم والعمل ولو أن الملائكة كانت ترقى فى العلم ما قبلت الى بادمن آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما بالاسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك (وقال) فى الباب الثامن والاربعين فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أى أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ الينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وانما المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون كالقرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا أنا جعلنا له أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا وأطال فى تفسير الآية * ثم قال ومعنى طاعة أولى الامر أى فيما اذا أمرونا بما هو مباح فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فاطعناهم أجرنا فى ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لاولى الامر أن يشرعوا شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل فى أولى الامر أطيعوا مثل ما قال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * وقال فيه انما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله واسجد واقترب وبحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بان الحق تعالى واستقل

واستقل بالنظر فللعلماء في ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر في الدليل حتى
يعرف الحق ولكل منهما وجه انتهى * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم علوم بالله تعالى
تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجري على لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حاله فيحميه حاله و يعذر
كالسكران واذا صحا ذهبت الحماية * وقال في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر في كتب
الملل الباطلة والنحل الزائغة لاحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أي
وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم في ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح انتهى * وقال
في الباب الخامس والسبعين ومائتين من الفتوحات يجب على كل عارف ستر ما تعطف الحق تعالى به على قلبه
من علوم الاسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ
أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار لا يسع الصديقين
الا أن ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة * قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور
ونحن بواسطة اظهارنا المعارف والاسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الاذى وصرنا كرسول كذبه
قومه وما آمن معه الا قليل واعدى عدولنا المقلدون لافكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل
هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم ويا ليتهم اذلم يصدقونا جعلونا كاهل الكتاب لا يكذبونا
فيما لم يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين
وأربعمائة انما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لانها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير
مالوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل
ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم
كلام أهل الله و يدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين
وأربعمائة من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى
يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه و يفرح بزوالها من يده وأما مع ميله الى الدنيا فلا سبيل له الى فهم
الغوامض أبدا انتهى * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة من الفتوحات من أراد الدخول الى فهم
غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه و يقدم بين يديه شرع
ربه و يقول لعقله ان نازعه انما أنت عبد مثلي فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى الى نفسه من آيات الصفات
مثلا لعجزك أنت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولو انك ألزمت نفسك الانصاف
لالزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك
* وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في
العلم الرسمي بل بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك و بين
مضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر الهي بصورة علم الهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك
* ثم قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف
الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك
أهل الله ولحق بالاخسرين أعمالا انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائتين من الفتوحات اعلم
ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان
الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر
عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فان ظهر بامر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم
أقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا كاهل بدر اذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في
الدنيا وانما سقطت عنهم في الدار الآخرة على ان العبد لو قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص
في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل أسقطت عنك الحدود فالحاكم

في نسبة الفوقية اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده و بقوله يخافون ربهم من فوقهم كتبة الغنية اليه سؤله فان الساجد يطلب
السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو اذا رفع وجهه في حال الدعاء و يديه وقد جعل الله السجود حال قرب من الله اليه مثلما لم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى سماء الدنيا فهو معنا أينما كنا في حال كونه في العماء في حال كونه مستويا على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الارض في حال كونه أقرب الى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم * وقال في الباب التاسع والاربعين اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات أن المتوجه على ايجادهم أسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهي فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء الا في نفوسهم فلذلك تكبروا وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر فلذلك خرجوا اذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لهم أن يعرفوا الكبرياء طعما وأطال في ذلك * وقال
فيما اذا جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لان السور تحتوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم

الذى يقيم عليه هذا الطلوع التعزير وما يجوز ٭ وقال من هذا يتضمن اهل ان نعم من يحمى
المعهود فيقيس به مثلا فلا يستطيع ان يحرك بما هو ا انتهى ٭ وقال فى الباب الثالث والستين وثلاثمائة
اعلم ان عين الشريعة هى عين الحقيقة لان الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى فالعليا لاهل الكشف والسفلى
لاهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ما قاله أهل الكشف لم يجدوه فى دائرة فكرهم قالوا هذا خارج
عن الشريعة فاهل الفكر ينكرون على أهل الكشف وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر
فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان علوم الفكر أحد طرفى الشريعة فكذلك علوم أهل
الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع بين الطرفين عز والغرق أهل الظاهر بينهما والا فما
لموسى كف عن الخضر آخر الامر فلولا ان موسى فهم ان الخضر على حق لانكر عليه آخرا كما انكر عليه
أولا انتهى ٭ وقال فى الباب الاحد وعشرين وخمسمائة من الفتوحات اعلم ان قطاع الطريق فى سفر
المعقولات هى الشبه التى تطرق الناظر بعقله وقطاع طريق السفر فى المشروعات هى التأويلات ولا يخلو
المسافر من ان يكون فى احدى هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد
انتهى سيره انتهى ٭ وقال فى الباب الثانى والسبعين اعلم ان موازين الاولياء المكملين لا تخطئ
الشريعة أبدا فهم محفوظون من مخالفة الشريعة وان كانت العامة تنسبهم الى المخالفة فما هى مخالفة فى
نفس الامر وانما هى مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن هو دونهم فى الدرجة ثم ان ذلك لا يقدح فى علم
أهل الله تعالى وأطال فى ذلك ثم قال والموازين ثلاثة ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد
المطلق وما عدا هؤلاء الثلاثة فهى آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها ٭ وقال فى الباب السادس
والستين وماتين اياك ان تجد مسئلة استدل لها صاحبها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها
الاستدلال لهذه المسئلة ببادئ الرأى بل تربص فى ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى ان يقبل جميع ما فسره به
المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك فى غيره وأطال فى ذلك ٭ ثم قال لكن لا يخفى ان من شرط من
يفسر القرآن ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد أن من فسر القرآن برأيه فقد كفر انتهى ٭ وقال
فى مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسئلة قالها فيلسوف أو معتزلى مثلا وتقول هذا مذهب
الفلاسفة أو المعتزلة فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى ان
تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها أو أحد من
علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ٭ وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة
بالحكم والتبرى من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت عليه من خبايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح
موافق للشرائع فلا تبادر يا أخى الى الرد فى مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تجد النظر
فقد يكون ذلك حقا موافقا للشريعة لكون الشارع قال تلك المسئلة أو واحد من علماء الشريعة وأما قولك
ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من فيلسوف أو طالعها فى كتب الفلاسفة فيمنع ذهولك عن كونها من الحق
الذى وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب أما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من الفلاسفة
أو طالعها فى كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا أقمت عندك بذلك بينة عادلة وأما الجهل فكونك لم تفرق
فى تلك المسئلة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم والصدق وانخرطت فى سلك أهل
الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن طريق أهل الحق بالجملة الكاملة فيجب
يا أخى ما انتبه الفيلسوف أو المعتزلى مثلا ثم تربص واعتمد على تعسف قليلا قليلا حتى يتضح لك معناه أحسن
من أن تقول يوم القيامة يا ربنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ٭ وقال فى الباب السادس والعشرين
وماتين من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة اقتصر نعت هذا الاسم وانما هو لفظ اخص العلم المتعلق
بالالهيات فان معنى الفيلسوف هو محب الحكمة وسوفيا باللسان اليونانى هو الحكمة وكل عاقل بلا شك
محب الحكمة غير ان أهل الافكار خطؤهم فى الالهيات أكثر من اصابتهم سواء كان معتزليا أو فيلسوفا

انما الرحمة بالبسملة بشرى للمؤمنين
سورة مستقلة تحتاج الى
بسملة قال ان بسملة سورة
النمل مكانها حتى لا
ينقص القرآن عن مائة
واربع عشرة بسملة ولذلك
جاءت بسملة النمل محذوفة
الالف كما جاءت فى أوائل
السور ليعلم أن المقصود بها
هو المقصود بها أوائل السور
بدليل أنهم لم يعملوا بذلك
فى باسم الله مجراها ومرساها
واقرأ باسم ربك (قلت) وقد
ذكر الشيخ أيضا فى الباب
الحادى والثلثمائة ما نصه
الاوجه عندى ان سورة
الانفال وبراءة سورة
واحدة ولذلك تركت
البسملة بينهما وان كان
لتركها وجه وهو عدم
المناسبة بين الرحمة والتبرى
ولكن ما لهذا الوجه تلك
القوة بل هو وجه ضعيف
وذلك ان البسملة موجودة
فى كل سورة أولها ويل
وأين الرحمة من الويل
انتهى ٭ وذكر أيضا فى الباب
السابع والعشرين
وثلثمائة ما نصه اخبرنى الوارد
والشاهد يشهد بصدقه
من بعد أن جعلنى فى ذلك
على بينة من ربى ان
اختصاص البسملة فى أول
كل سورة اعلام وتتويج
الرحمة الالهية فى منشور
تلك السورة وأن الرحمة
تنال كل مذكور فيها من
المسلمين فانها علامة الله
على كل سورة انها منه
كعلامة السلطان على مناشيره والحكم بالتنويع فانه جمع القبول به ليعلم أنه من عند الله هذا الخبر الوارد ... وكل

وكان من أصناف أهل النظر انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في كتاب لواقح الأنوار لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرأيت الخطأ انما دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك انهم أخذوا العلم عن ادريس عليه السلام فلما رفع الى السماء اختلفوا في فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا فأحل هذا ما حرم هذا أو بالعكس انتهى * وقال في مقدمة الفتوحات مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى ان من أخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الأدلة وذلك لما يتطرق اليها اذا كان ساذجا فطنا من الحيرة والدخيل في أدلته وايراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه الهلاك وأطال في ذلك قال وتأمل كلام العقلاء تجدهم اذا نظروا وما توفوا في نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الأمر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به ويقدح فيه فيرون ان ذلك الأول كان خطأ وانهم ما استوفوا أركان دليلهم وانهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لا تردد فيه اذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما نتج من العقل فانه مدخول يقبل الشبه والتردد ومن هنا كان دليل الأشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الأشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال ثم انهم كلهم يتصفون باسم الأشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الأستاذ والأستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون انهم أشعرية كما يقع لأهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان أهل النظر لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وأن التقليد المعصوم فيما أخبر به ملحق بالعلم وأقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الأمم السالفة ان أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وانما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره * وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين اعلم انه لا يصح من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يخونه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيئا انتهى * وقال في صدر الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الأمور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا بأحكام الدنيا فان تعلق حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الأمر كما وصل الي فأنا مؤمن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد الا ما صح من طريق القطع اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهنالك يعتقد النص ويترك دليل العقل ويجب على المؤمن ان يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الأمر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الايمان * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول علوم النظر أوهام اذا قرنت بعلوم الالهام * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول اياك أن تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط ويكفرون من خالفهم وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لأقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره في الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم * انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ولنشرع في ذكر مباحث علم الكلام ونذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص يقبلها فان لكل شيء ظهرا

الشرائع لنفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر) أيضا في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن الله تعالى جعل البسملة أول كل سورة من القرآن حاكمة على كل وعيد فيها لأحد من المسلمين فآل كل وعيد الى الرحمة لأجل بسم الله الرحمن الرحيم فهي بشرى عظيمة لزوال كل صفة توجب الشقاء على أحد من عصاة الموحدين وأما سورة التوبة عند من لم يجعلها من سورة الأنفال فجعل لها اسم التوبة وهي الرجعة الالهية على العباد بالرحمة والعطف فقام اسم التوبة مقام البسملة فان الرجعة على عباده تعالى لا تكون الا بالرحمة والله أعلم * وقال في الباب الخمسين وسبب الحيرة في الله تعالى طلبنا معرفة ذاته تعالى بأحد الطريقين اما بطريق الأدلة العقلية واما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ اليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو في نفسه عليها فلم يدرك العقل بنظره الا الصفات السلوب لا غير وقد سموا ذلك معرفة وكلما زدت الحيرة زاد العلم بالله تعالى ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم وقال

يدخل اليه منه * وصدرت مباحث الكتاب بنقول المتكلمين تمهيد الفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبتها بنقولهم فلا أزال أسأل وأجيب بالنقول في ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكالات التي في ذلك المبحث ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق

(المبحث الاول في بيان ان الله تعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له)

* اعلم أيدك الله تعالى ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيأ ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتي بسطه في آخر مباحث هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء قال جمهور المتكلمين والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أي لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء اذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول الآحاد أربعة أقسام * الاول أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر الى محل وهو البارى جل وعلا * الثاني أحد يتحيز وينقسم ويفتقر الى محل وهو الجسم * الثالث أحد يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو الجوهر * الرابع أحد لا يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو العرض انتهى * وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد تعالى ان يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء اذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث نفي الحلول والاتحاد ان شاء الله تعالى * فان قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهما في الغار حين خاف من المشركين ما ظنك باثنين الله ثالثهما * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في باب الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الابهام والتساوي في مرتبة واحدة ولو انه قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما في الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الله ثالثهما أي حافظهم في الغار من الكفار والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلاثين ومائة من الفتوحات المكية وانما لم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فانه يكفر فتأمل فان الله تعالى واحد أبدا الكل كثرة وجماعة ولا يدخل معهم في الجنس لانه اذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس أربعة فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ * قال وليس عندنا في العلم الالهي أغمض من هذه المسئلة لان الكثرة حاكمة في عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه اذ لا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة من الفتوحات أيضا في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية اعلم ان الله تعالى مع الخلق أينما كانوا سواء كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم اذ صفته التي ظهرت المشاهد لا يمكن ان تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدا فمتى انتقلوا الى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى الى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم * قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا * فان قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع ان تعددها لا وجه له عقلا * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان الذي أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذي جاء من لفظ اله من قوله تعالى وما من اله الا اله واحد فهذا هو الذي أجرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم

لولا منازعة الانكار من العلماء وأولي الامر على أهل الله عز وجل لاتوا بنظير ما جاءت به الانبياء من صفات الله تعالى من تعجب وفرح وضحك ونزول ومعية ولكن نعم ما فعل العلماء في انكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته وأطال في ذلك (وقال) في الباب الحادي والخمسين من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ثم ان هذا الامر لا يكون لهم الا بعد التضييق الشديد في التورع وهنالك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم باعطائهم تلك العلامة في المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك أنهم أكلوا حراما وليس كذلك * وقال في الباب الثاني والخمسين اعلم أن نسبة الانسان الى أمه أولى من نسبته الى أبيه وذلك لانه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة * وقال في الباب الثالث والخمسين يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهي الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال في بيان كل واحد منها * وقال في الباب السابع والخمسين في قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها انه قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور يدخله

يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار ان يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الاوثان فى قولهم عن آلهتهم التى اتخذوها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا الا ليقربونا الى اله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب فى ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله ومن هنا أنكروا انه اله واحد ولوانهم كانوا أنكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين فبمن يشركون اذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا وما قالوا اجعل الآلهة الله فان الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل * قال الشيخ محيي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على أحد وما عصم اطلاق لفظ اله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولله تعالى فى ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر فى كتاب لان الكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله * فان قيل فما ألطف الاوثان وما أكثفها * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والسبعين ومائتين ان ألطف الاوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال المشركين لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية أجعل الآلهة الها واحدا فرد الله عليهم بقوله ان هذا لشئ عجاب فهو من قول الله تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان التعجب الواقع من جهة الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا أجعل الآلهة لها واحد لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية وانه اله واحد وهم يعتقدون كثرتها أى فآخر مقالة الكفار هو قولهم الها واحدا وأما قوله ان هذا لشئ عجاب فليس من قولهم * قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان المتعجب لا يتعجب الا مما ورد عليه من الامور الغريبة التى لا تعمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك * قال الشيخ رحمه الله تعالى عقلا ان الاله لا يكون بجعل جاعل فانه اله لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أتعبدون ما تنحتون لما علم فى ضرورة العقل ان الاله لا يتأثر وقد كان هذا الاله الذى اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان او حجرا يستجمر به ثم أخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويسأله فى الشدائد ويفتقر اليه ويدعوه خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم المحجوب ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقى اليها ربها او خالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل ومن عقل محبوس فى كن ومن عقل طبع على مرآته صدأ * فعلم أن العقول لو كانت تعقل بنفسها لما أنكرت توحيد موجدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول الكفار انتهى * فان قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه فى ذلك خلقه * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ان عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فان آدم عليه الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند السائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى * قلت فقوله تعالى ان هذا لشئ عجاب يحتمل أن يكون للتعجب وهو المسمى عند علماء الرسوم بالتعجب أى من شأن ذلك الامر أن يتعجب منه السامع وان لم يكن المتكلم متعجبا منه لاستحالة التعجب الحقيقى عليه فيصرف الى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون من جهة الكفار امامن جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة واما من جهة الكفار فمن كون الاله واحدا فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين * فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم العبد نفسه أو الى ظلم غيره من الخلق أو الى ظلم صفات الالوهية فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والسبعين من الفتوحات ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيأتى يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى فى الالوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يارب خذلى مظلمتى من هذا الذى جعلنى الها ووصفنى بما لا ينبغى لى فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده فى النار مع شريكه ان كان حجرا أو حيوانا غير انسان أما الانسان فلا يخلد فى النار مع عبدته الا ان رضى بما نسبا اليه من الالوهية أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو على بن أبى طالب فلا يدخلون النار مع من

هو الغالب على الانسان ويرجع العبد الى ربه فى كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال والالهام بالفجور من باب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس أمارة بالسوء من حيث ذاتها لان مرتبتها المباح الشرعى لا تتعداه وأما قوله ان النفس لأمارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وانما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز فى مجلس العزيز وهل أصابت فى هذه الاجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والخمسين فى حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قد توهم بعضهم ان هذا الطول انما هو من شدة الاهوال فى ذلك الزمان وليس كذلك فان تمام الحديث قد رفع الاشكال بقول عائشة رضى الله تعالى عنها كيف نفعل فى الصلاة فى ذلك اليوم قال أقدروا له فلولا أن الامر فى حركات الافلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التى يعلم بها الاوقات فى أيام الغيم اذ لا ظهور فى ذلك اليوم للشمس فانه فى أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث انه يستر عن رأى العين وجود الليل والنهار قال وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث

عبدهم لان هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى * فان قيل فهل لقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به مفهوم * فالجواب كما قاله فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين ومائتين أنه لا مفهوم له لان الاجتهاد فى الاصول ممنوع عند المحققين فيأثم من أخطأ فيه * فان قيل فما وجه تنكير قوله تعالى الها فى هذه الآية * فالجواب انه انما نكره لانه لم يكن موجودا ثم اذ لو كان موجودا لتعين ولو تعين لم يصح تنكيره فدل على ان من يدع مع الله الها آخر قد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحض اذ كل شئ يتخيل فيما انه شئ فهو هالك فى عين شيئيته عن نسبة الالوهية اليه لا عن شيئيته فى نفسه فان وجد الحق تعالى فيه باق اذ هو معلوم علمه الله تعالى فانه تعالى هو المعلوم المجهول انتهى * فان قلت لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذى وحد ربه وفى ذلك الثر رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك * فالجواب ما قاله فى الفتوحات فى الباب الثالث والسبعين ان الحق تعالى غنى عن توحيد عباده له فانه الواحد لنفسه ووحدانيته ماهى بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون للحق تعالى الذى هو المقدس أثر لهذا العمل فتفطنوا أيها الاخوان لهذه النكتة فانها دقيقة جدا * قال الشيخ واغناه تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم فاخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه وعباده انما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان * فان قيل عطف الملائكة وأولو العلم على شهادته لنفسه بالواو وقد يوهم الاشتراك فى الوقت ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولو العلم محدثون بلا شك * فالجواب أنه لا اشتراك الا فى الشهادة قطعا وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هى حين أظهرهم فافهم * فان قيل فلم خص فى الآية أولى العلم بالشهادة دون أولى الايمان * فالجواب أنه تعالى انما خص أولى العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق الايمان وانما هى عن تجل الهى لقلوبهم أفادهم العلم الضرورى بتلك الشهادة لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ماهى عن اخبار عن غيره حتى تكون ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن له به واخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بأن المراد باولى العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظرى وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكانه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى الذى استفادوه من التجلى لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الادلة فشهدت لى يعنى الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسى وشهد بذلك أيضا أولو العلم بالنظر العقلى الذى جعلته لهم انتهى * قلت ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال يعلم وأفرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود الخبر كما مر وذلك متوقف على مجىء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم الا اله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله قل ذلك له وحينئذ يسمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقوله لو كان عالما هو به فى نفسه من غير واسطة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أى آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شرع موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشرع محمد الآن وكذلك الحكم فى أهل الفترات يؤمرون كذلك بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذى قذفه الله فى قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذى يزن واضرابهما فهم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضرورى وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمى سعيدا ويدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا بأى طريق كان توحيده * فان قيل فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث السابق ويعلم ان محمدا رسول الله مع أنه لابد من ذلك فى طريق

في آخر الزمان فيحصل ذلك الغيم المتراكم ... بين أنا بين النهاية والحركات كما هي فتظهر الحركات التي هي بها الحق عن النهاية
ومجارى النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال ولو كان ذلك اليوم الذى هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر الصلاة بل كما ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلى الظهر المشروع ولو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة وأكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال وقد اختلف الناس فى معقول لفظة الزمان ومدلولها فاكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث بسائل عنه بحادث والعرب يريدون به الليل والنهار قال وهو مطلوبنا فى هذا الباب والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والستين انما شرط بعضهم القصد الذى هو النية فى التراب دون الماء لان الماء سر الحياة فهو يعطى الحياة بذاته سواء قصد أولم يقصد بخلاف التراب لانه كثيف لا يجرى على العضو ولا يسرى فيه بوجه القصد فافتقر القصد الخاص بخلاف الماء فانه تعالى قال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا مثل ما قال فى التراب صعيدا طيبا قال فان قالوا انما الاعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك الصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث النية من حيث ما هو عمل عبادة قالماء تابع

الفعل والعمل هو المقصود بالنية وجعلنا الشهيد السعيد الطيب والعمل به تبع فعنايج النية التي عند الشروع في الفعل كما

سعادة المؤمن * فالجواب كما قاله القصري في شرح شعب الايمان انه انما لم يأت بها في الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة في حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها القوله رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل فاذا قالها لقوله له قل فهو عين اثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله على انها قد جاءت في رواية أخرى انتهى ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عمن قال لا اله الا الله فقد ورد عنه أن من مات عليها دخل الجنة ثم ان الله تعالى أمره بان يكلفهم بالايمان بالرسول آخر الامر لما انتفى عنهم الحسد الذي كان عندهم أوائل البعثة وأدائه كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالاحكام شيأ فشيأ ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم * فان قيل فاى التوحيد أعلى توحيد من ينظر في الادلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات * فالجواب كما قاله سيدى على الخواص ان توحيد من لا ينظر في الادلة أعلى اذا كان توحيده كشفا فان كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الادلة أعلى منه والله أعلم بل سمعته يقول من توقف في توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لان كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الانسان اذا نظر في الادلة ان ينتهى أمره الى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له * فان قيل فهل يصح لعبد ان يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات الحدث أم لا يصح له الترقى عن ذلك * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب العشرين وثلثمائة أنه لا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبدا فكل عبد ينزهه عن كل ما هو عليه اذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق لا ينزه الا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى موجد يوجده قال وفى هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ما ثم الا جسم أو جوهر أو عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى * فان قيل فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلى فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثانى والسبعين ومائتين انه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته ذوقا لان الاحدية تمحق وجود العابد فكأنه تعالى يقول لا تعبدونى الا من حيث ربوبيتى فان الربوبية هي التي تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لاحد تعلق الابها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التي تمحق الاغيار فعلم ان ما سوى الله لا أحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه أهل الله تعالى في تقدير المعانى وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ما سواه تعالى كما في هذه الآية ويؤيد ما قررناه قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد أى لا يشاركه أحد في صفة الاحدية * قال الشيخ محيى الدين وأما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فوما أنا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحد بقى يكون اسما للذات علما لا صفة كالاحد فانه اذا الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى * فان قيل قد أجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجى صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم يعنى هل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه فكل حق صدق

يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية وأطال في ذلك وقد تقدم ماله تعلق بالنية أيضا في الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه * وقال فيه أجمع أهل العلم في كل ملة ونحلة على أن الزهد في الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل وأما المال الذى فيه شبهة تقدح فيه فليس له امساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وأطال في ذلك * وقال فيه انما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الاوتار لان الجمرة هي الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذى هو الحق مشهود الخلق ولو في حال الاستجمار وأطال في ذلك ثم قال أواخر الباب الذى أقول به ان الاستجمار بحجر واحد لا يجزئ لان ذلك نقيض ما سمى به الاستجمار فان الجمرة هي الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتره * وقال في الكلام على الرمى من كتاب الحج اعلم أنه لا يصح لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد اذا كان له ثلاثة حروف فان العرب لا تقول في الحجر الواحد انه جمرة اه فتأمله وحرره والله أعلم * وقال فيه عما يدل على

أن المراد برؤية الشىء حقيقة المسمى وحسنه وذاته بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة فلن أن يحمل حقائق الوجوه التي هي في حقيقته الانسان

وايس كل صدق حقا * فعلم ان المشرك صادق فى انه مشرك وماهو صادق فى ان الشركة فى الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا فى الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لاوجودله فى نفس الامر * فالجواب بما قاله الشيخ فى الباب الحادى وثلثمائة انه لايصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما يتبرأ من المشرك من حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه و بغضه والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها الان متعلق البراءة عدم انتهى * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لاتصح الشركة بالله أبدا الان شرط صحتها عدم تمييز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى فى هذا الشئ المسمى مشتركا * وقال فى الباب الثانى والسبعين لاتصح الشركة فى الوجود لانه كله فعل واحد فما الشركة مصدر تصدر عنه فتحقق يا أخى هذا التنبيه فى الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيرى وان كان يعرفه فانه يغلب عليه الجبن الذى فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا فى المخلوق وأنه يشرك بربه وما شعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود فالعبد هو الذى أشرك وما فى نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذى ان قلته لاتغلب وما سوى ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى وأطال فى ذلك (فان قيل) فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ماقاله فى الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فاما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله وأما شركه فلانه نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك وأما وجه كونه لايلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذى يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ فى تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين (الأول) أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك فى توحيد الله (الثانى) ان يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله أنه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال فى ذلك (فان قيل) من أين جاء الناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم أجابوا بالاقرار بالربوبية لله وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب الخامس والثلثمائة انهم ماادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع أنه عدم فى نفس الامر فانه لوصح شريك للحق ماصح من العباد الاقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ماصح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بانه تعالى ربهم هو عين نفى الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا للتوحيد لفظ أصلا وانما المعنى يعطيه فعلم أن الشريك منفى من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لاتصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وحدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وحدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شئ * قال ولكن لايخفى أن ماذهبت اليه الاشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين اصحاب توحيد شرعى انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وار بعمائة فى قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به اى لان الشريك عدم لاوجود له كما يدق المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذ الغفر والستر لايكون

لاتوصف بالظن وانما الظن لحقيقة الانسان وسيأتى فى كلام الشيخ رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أن المراد وجه الشئ الذى يكنى عنه بحجب الذنب فانه لا يفنى كما صرحت به الاحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فان ذلك لا يحتاج الى التنبيه عليه والله تعالى أعلم * قلت وسيأتى فى الباب الحادى والثمانين وثلثمائة ان شاء الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى أى لانه صلى الله عليه وسلم لما انقلب الى عالم الخيال و رأى صورته هنالك وهو قد نام على طهارة ولم ير أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذى نام عليه ولهذا يقول ان النوم سبب الحدث ما هو حدث قال ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبى الربيع المالقى شيخ أبى عبد الله القرشى بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة اه والله أعلم وقال فيه انما أمر العبد بالاستنشاق بالماء فى الانف لان الانف فى عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب فى دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أى أنزلك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب لان الارض قد سماها الله ذلولا على المبالغة وأذل الاذلاء من وطئه الخلائق ثم ان الكبرياء

الا

الامان له وجود والشريك عدم فما ثم من يستتر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به اى لانه لا وجود للشريك وان كان له وجود لكان المغفرة عين تتعلق بها وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع أنه لا وجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن المخلدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لا بد فيه من اضافة الفعل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة وهو أنه يجب على الانسان أن ينزه به عن الشريك لا عن الشركة فى الفعل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شىء منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد اجتمعوا معنا فى كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما خالفونا فى الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغى ان ينبغى فهو الله حقا لا اله الا هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فاخطؤا وسمينا نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم انفه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد المشركين شرعا فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل لنا علة أخرى فى برهان التمانع غير الفساد فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح ان يكون فى الوجود الهان لصح ان يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى ان يكون له مثل بخلاف الاسماء فانه يصح اجتماعها فى عين واحدة لعدم التشبيه بالكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة فى جوهر واحد ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين فى ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين او الباطنين انتهى * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى * وقد قيل للشيخ محيى الدين رحمه الله ان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذى ادركه العقل واحاط به علما ام هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به * فاجاب الشيخ فى الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذى أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله فى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذى أدركه النظر العقلى اذ الاله الذى دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته لسائر الحقائق وأطال فى ذلك فليتامل ثم قال ومن عرف

لا يندفع من الباطن الا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار فى الاستنشاق فقيل له اجعل الماء فى انفك ثم انتثر والمعنا هو علك بعبوديتك فاذا استعملته فى محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار * وقال انما أمر العبد أن يستر عورته فى الخلوة وان كان الحق تعالى لا يحجبه شىء لان حكمه تعالى فى أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف * وقال الطهارة الباطنة للاذنين تكون باستماع القول الاحسن فانه ثم حسن فأحسن فاعلاه حسنا ذكر الله فى القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فانه فيه حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأ من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله ما لا ينبغى * وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك وأطال فى ذلك * وقال فيه اعلم أن الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة

ماقررناه علم أن الاله الذى أدركه العقل لايحتاج الى تأويل شئ من صفاته التى أدركها بعقوله ولو تنزل الحق تعالى فيما لعقولنا فسمع وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد ونحو ذلك من غير تأويل انتهى * قلت فما احتاج الى تأويل الا من ظن أن الاله الذى كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التى لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها فى ذاته ومرتبة تنزل منها لعقول عباده فما عرف الخلق منه الا رتبة التنزل لا غير لان الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى * وقد قال الشيخ أيضا فى الباب الثانى والسبعين ان التنزيه سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى * وقد أنشد سيدى محمد وفا رضى الله تعالى عنه فى هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقول * قد قلب القلب منك القال والقيل
نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول
قد عشت قبلك دهرا فى مكابدة * ولى فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى * فعلم أنه ما ترقى عن الاوهام الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الاوهام فى الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لانفسهم وانما أولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعلمه عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالى ومخاطبتنا منه لنتعقل عن أمره ونهيه فاذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كأنها هباء وبقى معنا العلم وهذا نظير ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا لا نتعقله الا ان كان بصوت وحرف ولو أنه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما أن الحق تعالى اذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس فى صورة ولو أنه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقد ذكر الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ان الحق أن يناقش الموحدين و يقول لهم فبماذا وحدتمونى ولماذا وحدتمونى وما الذى اقتضى لكم توحيدى فان كنتم توحدونى فى المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتمونى فى الذات دون الصفات والافعال فما وحدتمونى لان العقول لا تبلغ اليها والخبر لم يجئكم من عندى وان كنتم وحدتمونى فى الالوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فبم وحدتمونى هل بعقولكم أو بى فكيفما كان ما وحدتمونى لان وحدانيتى ما هى بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بى فان توحيدكم اياى بى هو توحيدى وتوحيدكم بعقولكم هباء منثور كيف تحكمون على بحكم من خلقته ونصبته وان كان الذى اقتضى توحيدى هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عنى فأين التوحيد وان قلتم ان الذى اقتضى توحيدكم هو أمرى فأمرى ما هو غيرى فعلى يدى من وصل اليكم وان قلتم انه هو ما رأيتموه منى فمن ذا الذى رآه منكم وان لم تروه منى فأين التوحيد وأنتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود معقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذى ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه أنه اذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شئ خارج عن حكمه وارادته وأطال فى ذلك * ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك فى العالم وقد كان تعالى ولا شئ معه يتصف بالوجود لا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فاخبر العالم عينه على نفسه الا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له فى التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحد الخالق لم يفهم هذا الخطاب ففكر فى هذا القول فقال لا أدرى ولا أعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها وأطال فى ذلك * ثم قال فى باب الوصايا من الفتوحات اعلم انه لا يعرف التوحيد الذى يستحقه الحق الا الحق وأما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه

دون الرأس بغير نية مسلم فى المسح على العمامة مما أطلقه ابن عبد البر وغيره قال الشيخ ... وقطع صحيح للناصية والعمامة مما انعقد عليه الماء الشعر وحصل حكم الاصل فى مذهب من يقول بمسح البعض * وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال والآية تحتمل العدول عن الظاهر الاعلى مذهب من يرى أو ينقل عن العرب أن المسح لغة فى الغسل فيكون من الالفاظ المترادفة قال ومذهبنا أن الفتح فى لام أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية تنصب تقول قام زيد وعمرا وأطال فى ذلك (قلت) قوله ومذهبنا أى من حيث النحو لا من حيث الاحكام والله أعلم * وقال فيه ليس فى مقدور البشر مراقبة الله تعالى فى السر والعلن مع الانفاس فان ذلك من خصائص الملا الاعلى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا فى جميع أحواله فلا يوجد الا فى واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم واليه الاشارة بقول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقال فيه اذا وقع فى القلب خاطر غريب يقدح فى الشرع وجب على الانسان أن يجرد النظر فى ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمى الذى ينكر الشريعة فانه لا يقبل الدليل الشرعى على ابطال هذا القول فان

[illegible]
[illegible] الشاك والحسن وما أبعد كلام [illegible]
[illegible] والتفصيل [illegible] الا اثبات بان الله الذى أوجده واحد لا شريك له فى
[illegible] الوحدانية فهى قيام الوحدة بالواحد
من حيث انه لا [illegible] بالواحد وان كانت نسبة فى التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل فى نفس
العالم أن الله تعالى واحد فهو موحد وأطال فى ذلك * (خاتمة) * قال الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات
إياكم ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الارض
خطايا لا يشركون بالله شيئا فان الله يلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وانما جاز لنا هجر
أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال فى ذلك ثم قال واذا عمل أحدكم
عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله
تعالى أعلم فتأمل فى هذا المبحث وأمعن النظر فيه فانك لا تجده فى كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله
رب العالمين

(المبحث الثانى فى حدوث العالم)

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد
الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققى المتكلمين فى هذه
المسئلة ثم بنقول محققى الصوفية رضى الله تعالى عنهم فأقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلى محقق أهل
الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال
من محدث بكسرها ولا بد ان يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبى شريف
ومعنى قول الجلال المحلى فى علة الحدث أنه يعرض له التغير أى على الوجه الذى يشاهد فانا نشاهد تغير الحركة
بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فان
كثيرا من أجزاء العالم لا نشاهده كما فى باطن الارضين وما فى السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل
قال وتمام التقرير لعلة الحدوث المذكور ان يقال العالم أعيان وأعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها
بالمشاهدة فى نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفى الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء
بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو
طريان العدم فان العدم ينافى القدم وأما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث انتهى (وأما كلام أهل الطريق) فمن أكثرهم فى هذه المسئلة اطنابا سيدى الشيخ محيى
الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وها أنا أجلى عليك عرائس كلامه رضى الله تعالى عنه * فقال فى
أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذى خلق الوجود من عدم وأعدمه انتهى أى لان عدم العدم وجود
لانه موجود فى العلم الالهى ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث
بالاجماع فمن قال انه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثانى عشر ان
شاء الله تعالى فتأمل [illegible] الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة
(فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان شبهتهم وجود الارتباط المعنوى بين الرب
والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل
[illegible] الآخر (فان قيل) [illegible] الدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ
[illegible] الدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد الدلالة عليه [illegible] الحق تعالى
[illegible] لا ينتقل عن مرتبة [illegible]
[illegible] العالمين انتهى * وقال فى الباب [illegible]

[illegible] أقول به
[illegible] من أكل
لحوم الابل لكن تجديدا
[illegible] مستحقة مع
كونه لم ينتقض طهارة
الاكل [illegible] صلاته
بالوضوء المتقدم على الاكل
وهو عالم أنه لم يتوضأ من
لحوم الابل وقال وهذا
القول ما أعلم أن أحدا
قاله قبلى فالحوالة فى عين
هذا الوضوء رفع المانع فهو
أحوط قال ودليل من قال
أن أكل لحوم الابل ينقض
الطهارة ما ورد أنها شياطين
والشياطين بعداء عن الله
تعالى والصلاة محل قربة
ومناجاة فنقضوا الطهارة
به * وقال فيه الذى أقول
به منع التطهير بالنبيذ
لعدم صحة الخبر المروى
فيه ولو أن الحديث صح لم
يكن نصا فى الوضوء به فانه
صلى الله عليه وسلم قال ثمرة
طيبة وماء طهور أى قبل
الامتزاج والتغير عن وصف
الماء وذلك لان الله تعالى
ما شرع لنا الطهارة عند
فقد الماء الا بالتيمم بالتراب
خاصة * وقال فيه الاوجه
عندى أن الخف اذا تخرق
[illegible] عليه ما لم ينطلق عليه
اسم الخف وان تفاحش
خرقه قال ولا نص فى هذه
المسئلة صريح فى كتاب
ولا سنة واذا تخرق الخف
على قولنا هذا فالظاهر من
الرجل شئ مسح على
[illegible]

الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتامل مع ماقبله (فان قيل) فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده فى وجوده منه فهذا هو الباب الذى دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد فى نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية فى الوجود وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمى الازلى لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى فى حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة فى العلم الازلى لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار أزلا لم يخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى جبر بالمافى حال عدمنا وفى حال وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له وأطال فى ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذى ذكرناه زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف أى لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال أما الارتباط الجسمانى فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شئ فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوى كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم باحكامها ونسبتها واضافتها وهى التى استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا لا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الالوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهى تطلبه والذات المقدس غنى عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظنهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التى هى مرتبة للذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بان العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولابد انتهى (وقال) فى هذا الباب فى قول الامام الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان أبدع مما كان هذا كلام فى غاية التحقيق لانه ماثم لنا الارتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ماخلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس فى الامكان شئ يقبل الزيادة والنقص على خلاف ماسبق فى العلم أبدا * وقال أيضا فى باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان كل أمر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى الها وكل أمر يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فهما أمران من كلام أهل التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل ماقلتموه من كون الالوهية طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس بمضاه للعلة والمعلول لان العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الالوهية فهى عندنا نسبة عدمية لا وجودية فبالك والغلط انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول فى الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر منه شئ من محدثاته والعلة معقولة وماثم علة الا وهى معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط وارتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ماقال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وانى للعالم بالقدم وماله فى الوجود لوجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود * وقال فى الباب التاسع والستين العالم كله موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد اوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلى الوجود لان حقيقة الموجد أن يوجد مالم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لانه يوجد ما كان موجودا أزلا فان ذلك محال فاذن العالم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام * وقال فى موضع آخر من هذا

الباب

يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ اليه رحظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبدالله بن المجاهد * وقال فى المضمضة والاستنشاق فى الغسل الذى أقول به أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ فى اغتساله لا من حيث انه مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق فى غسله الا فى وضوئه فيه ومارأيت أحدا نبه على مثل هذا فى اختلافهم فى وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندى راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد فى الاغتسال من الجنابة وأطال فى ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج فى حال الصحة فلذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما امسكه بقدرته فى الرحم ثم أرسله الا ليزلق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج هذا الدم معينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال واعلم انما تعود أحد الكذب على الناس الا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغرض صحيح شرعى لا يقدح فى العدالة بل هو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال قال وأما امتناع حبيب العجمى من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصرى ليقتله

الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفى الاولية لله تعالى أى لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين الاول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاوليات المخلوقة وأطال فى ذلك * ثم قال فالحق تعالى يقال فى حقه انه مقدر الاشياء أزلا ولا يقال فى حقه موجدها أزلا فانه محال من وجهين (الاول) هو ان كونه موجدا انما هو بان يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدوم ومحال بان يتصف المعدوم بانه موجود أزلا اذ هو انما صدر عن موجد أوجده فمن المحال أن يكون العالم أزلى الوجود (الوجه الثانى) من المحال وهو أنه لا يقال فى العالم انه موجود أزلا وذلك لان معقول لفظة الازل نفى الاولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل لانه يرجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه أزلا انتهى * وقال فى كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الاشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب و بين من يقبل الاولية و بين من لا يقبلها و بين من يفتقر و بين من لا يقبل الافتقار وانما يقال انه تعالى أوجد الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود فى أعيانها ثم انها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن بغنى واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه عليها وجودى ولو كان العدم أمرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود الى وجود و يكون له عين قائمة فى الازل وذلك محال انتهى * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائة مما استند اليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى ما أضاف التكوين اليه تعالى وانما أضافه الى الذى تكون فان الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو أنه تعالى أضاف التكوين الى نفسه أو الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى أن قالوا ان الحق تعالى تجليا يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قال والحق الذى نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق به العلم القديم انتهى * فهذه نصوص الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى قوله بحدوث العالم فكذب من افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم فى الفتوحات فى نحو ثلثمائة موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع فى مثل هذا الجهل الذى يؤدى الى انكار الصانع جل وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أو ببقائه أو شك فى ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها فى الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى اثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوى والاخروى والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشر ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ برىء من هذا كله * وقد قال فى الباب الخامس والستين من الفتوحات اعلم أن سبب غلط منكرى النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش فى نفسه ما فى العالم العلوى من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط قال الشيخ والامر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه فى بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبى ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحتوى عليه حاله فى كل نفس الى حين وفاته أبدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك الا أن يشاء الله فانظر يا أخى كيف غلط الشيخ رضى الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ أنه يرد على أحد شيأ و يتدين هو به والله ان هذا البهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمى الذات علة الوجود والاشعرية تسمى تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والاربعين من الفتوحات أنه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذى هرب منه الاشعرية وشنعوا على الحكماء لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم فى سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته

فكان خوفا من اطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلا ساذجا ولكل مقام رجال (٣٥) وقال والذى أقول فيه أنه لا يجوز لاحد أن يصدق فيما يضر الناس الا أن يكون له حال يحمى من غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك يحمل حال حبيب العجمى والله أعلم *وقال فيه ينبغى لكل عالم أن لا يلقى علمه الا فى محل قابل لذلك العلم عطشان اليه فان لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملا على هذا الوجه ويحتاج الى صبر شديد *وقال فيه ينبغى أن يقيد قول من قال لا تجب النية فى التيمم بمن نشأ فى الاسلام أما الكافر اذا أسلم فانه لابد له من نية قطعا لانه لم يكن عنده شئ من القربة الى الله قبل اسلامه بل كان يرى ان ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل * وقال فيه الذى أقول به ان الطهارة بالتيمم ليست بدلا من الوضوء والغسل وانما هى طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع أن التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة قال وانما قلنا مشروعة لانها ليست بطهارة لغوية فما هى بدل وانما هى عبادة مشروعة مخصوصة مبينة لحال مخصوص شرعها الذى شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهى ناشئة عن استخراج الحكم فى تلك المسئلة من نص ورد فى الكتاب أو السنة بدخل الحكم فى هذه المسئلة فى مجمل ذلك الكلام وهو الفقيه فى الدين قال ولا يحتاج فيها الى

ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء أكان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زماني ولا تقدير زمان لان كلامنا في وجود أول ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا واذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك * ثم قال على ان من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم أنه انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقدمر ذلك أوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادي عشر ماله تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم * (خاتمة) * ان قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك ان أكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والاعمار لا تدرك حركتها لظهور رثبوتها للابصار مع انها سابحة سجابطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها القصره فان كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى أن ينتهي اليها فاجمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فتحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم أن اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أني طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لي أما تعرفني فقلت له لا فقال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق مائتي ألف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص اليه من أولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له اني رأيت شخصا في الطواف فأخبرني انه من أجدادي فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أي آدم تسأل عن آدم الاقرب أم غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لا نتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال الدنيا والآخرة فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من أشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر الدنيا لا يحصى بآلاف ألوف * وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل

قياس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذي أقول به أنه لا يشترط الطلب للماء في هذا التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لابد من الطلب وينبني ذلك على أن المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده في الاصول أو الفروع فمن قال لا يشترط طلب الماء قال لا يلزم المقلد البحث ومن قال يشترط طلب الماء قال يلزم المقلد أن يسأل المسؤل عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به أن حديث الضربة الواحدة في التيمم أثبت من حديث الضربتين قلت ذكر الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن من شرف الانسان أن الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك أبقى النص على التطهر بالتراب دون غيره مما له اسم الارض فان كل شئ فارق الارض لا يتطهر به الا ان كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به ولو فارق الارض فان الله أبقى اسم الارض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وأيضا فان الله ما قال أنه خلق الانسان من حجر ولا زرنيخ وانما قال خلقه من تراب والله أعلم * وقال في الباب التاسع والستين اعلم أن الصلاة مشتقة من المصلي وهو الذي يلي السابق في الحلبة والسابق هنا التوحيد والمصلي الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء أحد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال انتهى خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون ألف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهي اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لانهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الأرض ليصفو الهواء من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلولا مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه)

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفوني فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف فاقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصر واله الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالأصبع المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان مقدار عقدة ثم انتقل الى شيخ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم انتقل الى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل أصبع ثلاث عقد فنفد عمره هذا وهو في أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم أن يشركوا معهم في السلوك غيرهم انتهى * ثم اعلم أن المعرفة عند أئمة الأصول هي العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها (فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التي تصل العقول اليها فان الانسان اذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بد أن يستند الى اله يتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه في كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد في الوحوش والبهائم أيضا فانها ساطاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند فقدان الكلأ والماء واحساسها بالهلاك والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السماء هذا كله مركوز في جبلة الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل وهي الفطرة المذكورة في القرآن والحديث ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك في حالة السراء وانما يردون اليه في الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه (وحكي) ان رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاستدلال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى الساحل فانفلت مني اللوح حين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح كنت ترجوا السلامة من

الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ولما علم الصحابة بما يدخل الواو من الاحتمال وأن الشارع راعى الترتيب أنكروا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له قل وصوم رمضان والحج اشارة الى أن الشارع أراد الترتيب في القواعد والصلاة ثانية في القواعد قال وانما جعل الزكاة تلي الصلاة لان الزكاة تطهر قال تعالى قد أفلح من زكاها أي طهرها بالطاعات يعني النفس قال ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة الى جانبها لكونها طهارة للاموال التي يكون بها حل قوتهم وملبسهم وجعل الصوم يلي الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة الى الزكاة جعل الى جانبها فلم يبق للحج مرتبة الا المرتبة الخامسة فكان فيها (قلت) وسيأتي في الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فراجعه *وقال من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أوليته ربه في خلقه المخلوقات لا من حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الاسباب فهذه هي الصلاة لاول الوقت فاذا عبده العارف في تلك الاولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شئ انسحبت عبادة هذا العارف من هنالك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا وبين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين

حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذي ترجوت السلامة منه هو الله الذي خلقك فأسلم الرجل (فان قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهي عن الاستدلال العقلي أم لا (فالجواب) ليس في ذلك نهي عن الاستدلال العقلي وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التي غفل عنها أصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني انه رأى في كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك من اله فقال عشرة قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فمالك يا ابن حصين من اله الا الله فأسلم * ومن هذا القبيل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وأيضا فان عامة الناس في جميع أقطار الارض دعت أنفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد وأهل البوادي وأقاصي الهند والصين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعي ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبتخلصهم من أيدي الاعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفي الله شك ورأى اعرابي مرة ثعلبانا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعللهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما أتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله والخلق انما أشركوا بعد الاعتراف بالوجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أو لنفي واجب من صفاته أو لاثبات مستحيل منها أو لانكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد شومنات الهند أتى اليه راهب قد طعن في السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وأنتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ٣ وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعلم ان لك الها وكذلك القول في قوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد (فان قيل) فلاي شيء سلك أهل الاصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التي تشرئب الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة أقرب الى الخلق وأسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أمن جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التي كلها استفهامات تقرير كأنه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشيء ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله أفي الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاختالهم الشيطان عنها فابعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا أمر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس الا وجهه العزيز فان الركون الى معتقد محصل تشبيه والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال

(وقال) فيه انما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم ذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين لينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا أدري من قاله ولا اين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر وأطال في ذلك * وقال فيه مذهبنا أن للواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وايضاح ذلك أن مقام الدعوة الى الله يقتضي الاجرة فانه ما من نبي دعا الى الله الا قال ان أجري الا على الله فاثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك وسيأتي أيضا في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه * وقال فيه مذهبي أن الاذان قبل الفجر ليس

الامام أبو طاهر القزويني رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفي المكان فلا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسي وقوله ولا تمييز أي لان التمييز انما يكون بين الجنسين أحدهما يمتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا مجانس لها فلا تمتاز بشيء عن جنسها وانما يتميز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل أي محاط به ينتهي الفكر اليه بالاحاطة وفي الحديث مرفوعا كالكم في ذات الله حمقى والله تعالى أعلم * وذكر الانصاري في نكت الادلة ان القاضي أبا بكر الباقلاني أثبت لله تعالى أخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد أشار أبو اسحق الاسفرايني الى هذا المعنى وقال امام الحرمين للعقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل رب زدني علما انتهى ولعله يعني بالمزية كمال قوة وثاقب في النظر قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه وسيأتي في المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين * وأما مقالات الصوفية فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير أمر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى في العلم به وايضاح ما قلناه من أن العبد لا يعلم شيأ الا بأمر زائد على ذاته أن الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التي أعطاها الله تعالى له وهي الحواس والعقل فالانسان لا بد ان يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهنالك يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدا فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم في مقام التقليد لقواهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا قد غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس يقلد في علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخي بما أمرك الله تعالى به وبالغ في فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى لجميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك لن تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بأمور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق الخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله في تأويل الصفات فان العقل قد أجمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فالعبد منازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخي علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هي المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائتان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف

باذان حقيقة وانما هو ذكر الله عز وجل بصورة الاذان تحريضا للناس على الانتباه لذكر الله تعالى فاذا طلع الفجر فهنالك الاذان المشروع أعلاما بدخول وقت الصلاة قال ولهذا ابتدع السلف الصالح للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وانشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد في الدنيا ليعلموا الناس أن الاذان الاول ما كان الا لغرض الايقاظ للنائمين لا لدخول الوقت * وقال فيه معنى قول المؤذن قد قامت الصلاة انما قال قامت بلفظ الماضي مع أن الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء الى المسجد ينتظر الصلاة أو كان في الطريق آتيا اليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد الى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بان الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها ان كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي ليحقق الحصول فاذا حصلت بالفعل أيضا فله أجر الحصول كذلك وقد ورد ان أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة (قلت) وقد ذكر الشيخ أيضا في أواخر كتاب الحج في الكلام على نحر البدن قائمة انما قال صلى الله عليه وسلم قد قامت بلفظ الماضي قبل قيام العبد لها تنبيها على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد الى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم قال فالقيام معتبر في سائر العبادات

به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه من علمه ومن استخلافه فى الارض ولى و يعزل و يعفو و ينتقم ونحو ذلك و يحتمل أن يكون معناه ان يعرف نفسه بالافتقار فى وجوده و يحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لابد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بانفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله فى الآفاق تحذيرا للعبد ان يتخيل انه بقى فى الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فاحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العلم كله * فانظر يا أخى كثرة حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد ان يعرف الله تعالى من كل طريق للخلق اليها سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من أهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طرق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى هو يشهده ببصره القائم بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذى يخاطب الحق تعالى من سره القائم بهيا كل الخلق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لى منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يظنون انى أكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عند هذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا فى الاصول ولا فى الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيى الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلى الالهى للقلوب دائم بوجود العارف أم يكون بقلب دون قلب وفى وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلى الالهى لجميع القلوب الاسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم أسمعه كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على أعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهى معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لان فى قوتها الرؤية كما فى قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذى أمره بالتكوين فافاده التجلى علما بما رآه لا علما بانه هو الذى أعطاه الوجود فلما انصبغ فى النور التفت الى اليسار فرأى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث فى الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فانا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه انما هو من حيثما تواجهنى من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست أنا فانا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فانت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن امكانك واذا أعرضت عن امكانك جهلتنى ولم تعرفنى فانه لا دليل لك على انى الهك ربك وموجدك الا امكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك فتدعى انك أنا فتقع فى الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عنى فانه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن من أجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص فى الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسماء الالهية من أسماء الحنان والامتنان وأسماء القهر والانتقام فلولا العاصى ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبى فيه قال تعالى فى كمال كل ما سوى الله أعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ أصلا حتى النقص أعطاه خلقه وفاه اياه وقوله ثم هدى

فى صحة الصلاة لان قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعد قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فهى آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وجاء قوله فاينما تولوا فثم وجه الله محكما فى الحائر الذى جهل القبلة فيصلى حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف انتهى فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فيه ما معناه اعلم أن قبلتك فى الصلاة انما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها فى غير جهة وجهك اذا صليت داخلها فان الشارع لم يتعرض للاستدبار انما تعرض للاستقبال فقط فانا انما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا يقتضى الامر بالشئ النهى عن ضده فى كل المواضع فاذا لم تعمل بما أمرك به فقد عصيت أمره ولو كان الامر بالشئ نهيا عن ضده لكان على الانسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بعدد ما لذلك المأمور من الاضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الانسان الا بتركه ما أمره به الحق لا غير فهو ذو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى الا مثلها انتهى وهو كلام نفيس فى نفسه وان رجح جماعة من أهل الاصول خلافه فليتأمل ويحرر

والله أعلم * وقال فيه انما أمرت المرأة بتغطية رأسها فى الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور فى العالم بر ياستها

أي بين الامور التي خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقررها على اسم النقص كما أقرها الحق تعالى فافهم (فان قلت) فهل ظهرت النقائص في شيء غير الانسان أم هي خاصة بالانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتان النقص المعنوي لم يظهر في شيء من العالم كله الا في الانسان فقط وان كان في الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب أحكام كثيرة عن الله جاءهم الشرع اذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا هو الكمال الذي يليق به سبحانه وتعالى خير تعالى العقول ولو أنه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التي موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفي واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شيء منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوه عيانا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد واله منزه ومشبه يعبد فهذا هو الكمال الالهي وبقي الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان* وقال الشيخ محيي الدين والذي نقول به ان المعرفة ليس لها طريق الا المعرفة بالنفس انتهى والله تعالى أعلم وسيأتي في هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم

(خاتمة) في بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائتان العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى على قلبه الذكر يغيب عن الاكوان يهابه كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فصل كثير الحياء في قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يتأسف قط على شيء لكونه لا يرى غير الله طيارا مد الدهر تبكي عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب لا يقضي وطره قط من شيء وذلك لدوام افتقاره الى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدي الله يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته وان اختلفت الواردات بحسب المواطن وأطال في ذلك *ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة فيتميز خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده شديد في لين يعلم مكارم الاخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه يحسن السمع البراءة منه يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر الا لعارف مثله وأطال في ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة رباني ومقام العلم الهي قال وبه أقول ووافقني على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة الهي ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فانهم ان أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعمدتنا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع

والمرأة مظهر النفس في الاعتبار فامرت النفس أن تغطي جميع ياسنها في الصلاة بين يدي ربها اظهارا لذلها وانكسارها على أن مذهبي أن عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء في الستر للسوأتين فليس المراد بالستر في الصلاة من حيث كونها كلها عورة وانما ذلك حكم شرعي ورد بالستر ثم لا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة اه فليتأمل ويحرر* وقال مذهبي أن عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء في ستر العورتين وهما السوأتان فالمرأة وان أمرت بالتستر في الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة وانما ذلك حكم شرعي ورد بالتستر ولا يلزم من الامر بالتستر لشيء أن يكون ذلك عورة انتهى فليتأمل ويحرر* وقال معنى قول المصلي الله أكبر بلسان الظاهر الله أكبر أن يقيد ربي بحال من الاحوال بل هو تعالى في كل الاحوال أكبر قال وانما سميت احراما أي تكبيرة منع اشارة الى أنه تعالى لا يشاركه في مثل هذه الكبرياء كون من الاكوان وأطال في ذلك *وقال في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وقد ثبت أنه كان يقول ذلك بين تكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة انما لم يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لان الوثنية تجمع بينهما فلذلك

مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم انما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتأمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كأنه تعالى يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بادلتكم العقلية فتحرمون الايمان بها فتشقون شقاء الابد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر وما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه من شفقته ورحمته بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه فانه تعالى أعلم بنفسه واصدق في قوله والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع في وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة في الدنيا لاحد)

قال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس في الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلي وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به في الحقيقة وانما يتوقف على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى وما رب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيأ في هذه المسئلة والتي قبلها *وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها *قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا انما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسئلة من كلام محققي المتكلمين * وأما كلام محققي الصوفية من أهل الكشف فتجلى عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس ان شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لا سيما الشيخ محيي الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فاقول اعلم ان الخلق ما خبطوا خبط عشواء في آيات الصفات وكثر اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق والا لو شهدوا ذلك لم يقفوا في شئ من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحد منهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا *وايضاح ذلك أن تنظر يا أخي الى صفات الخلق كلها وتنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شئ ومن شان الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ وقوع شئ مما أراده بل هو قادر ومن شان الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه أبدا لا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وانما تدخل تحت مطلب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه هل هو متحقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا أن يتبعوه * وقال في الباب الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق أو يعرفه أحد الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير

ذكر المشرق والمغرب الذين هما ضدان لا يجتمعان أبدا قال والسبب في ذلك ان الحق اذا دعا العبد الى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه واذا أشهده خطاياه في مواطن القرب وهي في محل البعد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر أن يدعو الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تعرض له في قلبه في هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أخفاه وأدقه حيث تادب مع الله أن يبعده من خطاياه ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا يكون في ذلك الموطن ساعيا في حظ نفسه وأطال في ذلك بكلام نفيس* وقال فيه انما كان لا يجب أن يوافق المأموم امامه في النية لان النية أمر غيبي والائتمام لا يكون الا فيما يشاهد من الافعال ولذلك فصل الشارع ما أجمله في الائتمام فذكر الافعال بقوله فاذا كبر فكبروا الخ وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الامام الا في الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى *وقال الذي أقول به ان قوله وجهت وجهي الخ لا ينبغي أن يكون الا في صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في الفرائض والوقوف عندما ورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر أنه ورد في الفرائض أيضا *وقال من شأن الاديب العالم أن لا يناجي به الا بكلام مما جامع ولذلك قال لا صلاة الا بام

ألا

ألا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرونه ويتعوذون منه ويتعوذون وبه يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا نقول له زور وكيف يدعي ذلك وعندما تجلى له أنكره فما عبده تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه أي عينا فافهم (فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع أن العلم هو الذي يكشف عن حقائق الامور (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم ذلك وانما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت فما علم الحق تعالى حقيقة الا علمك لا أنت وعلمك دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلي الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمعة بارق لا يثبت آنين أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم فعلم انه ليس مشهود كل أحد من الحق الا علمه فاياك ان جريت على أسلوب الحقائق ان تقول انك علمت المعلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذي هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا مركب له العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحس بها الا على عين بصيرته الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فأحرى من خلقها (فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بأمر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون به بين المعرفتين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا في الباب الثاني من الفتوحات ان المراد بمعرفتنا له بالآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض المختصين علما لا يصح التعبير عنه أبدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب في مسئلة العلم الالهي من انه عين أو غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه في سائر شؤنه فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كامله لم تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد حمله على حال نفسه وقاسه عليها (فان قلت) فهل يصح لاحد معرفته به من حيث الدليل العقلي (فالجواب) لا يصح لاحد ذلك لان من المعلوم ان العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ما هو ناظر وباحث أبدا لان برهانه الذي يستند اليه الحس أو الضرورة أو التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو أن هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلي وانما غاية علم العقل أن يعلم انه تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة في تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التي أوجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب أيضا العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بأيدينا منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة في وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا أحاط أحد به علما وقد تقدم هذا أيضا في مبحث التوحيد انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح في بعض الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ

القرآن والام هي الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) فقد ذكر الشيخ في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ما نصه اعلم أنه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلي في الصلاة فما صلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فانه ما قال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة قال وهذا أقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة اهـ * وذكر الشيخ في الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه اعلم أن القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هي كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها أهل اللسان فاما شيوخنا في القراءة فانهم لا يعقدون القاف ويزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في الاداء الى أن وصلوا الى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك أداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فاني رأيتهم يعقدون

فى الباب الثالث من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع فى مثل ذلك أبو حامد الغزالى فهو بضرب من التكلف و بمرمى بعيد من الحقائق فاى نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا الا العلم بوجوده وألوهيته لا غير وأما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لا مناسبة بينه و بين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه و بين ربه وسائط لا تحصى انتهى (فان قيل) فعلى ما قررتموه لا يصح لاحد مراقبة ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات اننا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى أنه ليس كمثله شئ ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وهنالك يعنى عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم فى وقت ذلك الاعتقاد وأن علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة فى الاعيان لا غير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم الا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من يكيفه أحوال ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عثرت الا على صورة اعتقادك * قال ولهذا اختلفت المقالات فى تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال فى ذلك ثم قال فاذن لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام (فان قلت) فعلى ما قررتموه جميع الامور المعلومة معلولة والكيفية فى حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد فى علمه بعدم العلل فاصل الابد من الازل وقد خلت المثلات بأهل التفكر والمحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس الى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر والاول انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد * وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا هى للدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (وقال) فيه أيضا اعلم أن التنزيه وان جلت مراقبته فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه أين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع فى الشرع لم يوجد فى العقل انتهى وقال فيه أيضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما أنس بنور أعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضدية بعد * وقال الشيخ فى كتاب العبادلة تنتهى همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم فى المعرفة فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب لعزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدى على بن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان

القاف وهكذا جميع العرب فما أدرى من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها فى القرآن اه والله أعلم * قال وانما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك فى القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين يديهم و يكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع فى ذلك العرف وأطال فى ذلك * وقال انما أمرنا الحق أن نقول اياك نعبد واياك نستعين بنون الجمع اشارة الى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلى بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا فى قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدنى عبدى لا يكون له ذلك الحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فما حمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدنى عبدى وانما يقول حمدنى لسان عبدى وذلك لان الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتى فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى ان الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار مثلثا أى بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوى فينعم حسا وخيالا وعقلا كما من

من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هي علمنا بانه ليس كمثله شئ وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها ولا بها انتهى فان قيل ثم من قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه وجود حقيقة فالجواب ان الذي نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهودهم وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينيا أن الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه في جميع الصفات التي تنزل فيها العقول عباده وتأمل يا أخي السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله بصوت وحرف ورؤيته في التجلي الاخروي في صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى في غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى الا في صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه أن الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم أن الذات غني عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال في ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر في ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أي أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كلكم حمقى في ذات الله أي فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر في ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطي الحفظ فلا يدري أيصيب صاحبه أم يخطئ * وقال في الباب الخامس والاربعين ومائة انما منعوا التفكر لانه لا يتعدى أحد أمرين اما الجولان في المخلوقات واما الجولان في الاله وأعلى درجات جولانه في المخلوقات أن يتخذها دليلا ومعلوم أن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول في حد عند الناظر أبدا وأما جولانه في الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب الحق لغيره أي ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لا شئ أدل على الشئ من نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أو هل يصح اجتماع اثنين في العلم بالله على حكم التساوي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه في نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد في الله تعالى من جميع الجهات أبدا كما انه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد في الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى * وقال في الباب السادس والتسعين ومائة قد جاء النهي عن التفكر في ذات الله فزل العقل في ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط ان نعلم كيف ذاته وانما أمرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سبح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له به حتى انه وقع في ذلك جماعة انتموا الى أهل الله كابي حامد وغيره انتهى * وقال في الباب الثامن ومائتين من اجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فان قلت) فما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين ان خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى في التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم اني أسألك لان الحقائق تعطي انك ما حضرت الا مع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم * وقال في الباب الثاني

يذكر حسا وخيالا وعقلا وأطال في ذلك والله أعلم * وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاة مطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقى اليه الحق في خاطره والله اعلم * وقال في حديث فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم في الطهارة والتقديس والتلفظ وغير ذلك * وذكر في الباب الثالث والسبعين في الجواب الموفي مائة من أسئلة الحكيم الترمذي ما نصه اعلم ان معنى آمين أجب يا رب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام أي قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة في الاجابة اذ الخفة تقتضي الاسراع في الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاءه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدي الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (فان قلت) فقد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا والله اعلم * قال وأما قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيجمعهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لا يخلو قولهم آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فان قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليه

والسبعين من الفتوحات اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحدو خطابه بضمير الغائب تميز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثانى أقوى فى التنزيه * وقال فى الباب التاسع والاربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك فى حد ولا حقيقة فانه الخالق وأنت المخلوق * وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك أن تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط فى حد * وقال فيه أيضا لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوى البصير والاعمى * وقال فيه أيضا لو كانت العلة فى الازل لكان المعلوم لم يزل فاياك من ظهور الشبه فى صور الادلة فانها مضلة فما عرفه تعالى سواه * وقال فيه أيضا اعلم أن البراهين لا تخطئ فانها قوية السلطان وانما الخطا راجع الى المبرهن واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به مغلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمت به * وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا يوجد فى العين * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن كل عقل له عقل مثله وليس للحق تعالى حق مثله فن عرفه بعقله فما عرفه * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعى معرفة ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وأما فى حال فنائك فما عرفه تعالى هناك الا هو فخل معنى التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) فما سبب وقوع الحيرة فى الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق المشاهدة فالدليل العقلى يمنع من المشاهدة والدليل السمعى قد أومأ اليها وما صرح وقد منع الدليل العقل من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التى هو عليها تعالى فى ذاته فسلم يدرك العقل بنظره الا صفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة (فان قلت) فاذن كلما ازدادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم لادراكهم التجليات مع الآيات فلا يستقر لهم فى معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال فى باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا الها غير معقول ولا يمكن قط فى العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هى فاشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التى بين نفسك وبدنك فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التى بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهية لانها لا تعقل نفسها قط الا فى مركب انتهى * وعبارة الشيخ فى شرح ترجمان الاشواق اعلم أن اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا أخرى الا وهى مدبرة لمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهى عرية عن مركبها من غير علاقة أبدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل أبد الآباد بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها المركبها وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى * وقال فى باب الاسرار قد تكون المعرفة بالشئ هى العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشئ الا أن يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف لحصل المقصود انتهى * وقال فى كتاب لواقح الانوار من سلك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره وقال فى باب الاسرار حقيق على الخلق أن لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلى فى ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة فى الصور * وقال فيه أيضا اذا ملئ القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يعجبنك حديث أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هى راجعة لما يقوم فى قلب العبد من شدة التعظيم أو قلته وليست راجعة لذات

بالاتيان بلفظ آمين أى بترتيب هذه الحروف وأما ان قالوها غير مخففة فلم يبق معنى الموافقة الا أن يقولها العبد بالحال الذى يكون عليها الملك وأطال فى ذلك بكلام دقيق فراجعه اه والله أعلم * وقال فيه فى الكلام على التشهد اعلم أن الالف واللام فى لفظة السلام عليك أيها النبي للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله فى الشمول والعموم أى السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبي دون الرسول لان النبوة فى حق ذات النبي أعم وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به فى نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذى هو منه رسول ثم قال وانما أتى المصلى به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه فى حال قربه منه باحضاره فى ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب فى قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطى الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكان المؤمن يقول يا رسول الله أنت فى أمان من اعتراضى عليك فى نفسى وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يامرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما تسليمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضى الاعتراض واللوم منا علينا فالزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الانسان قلت لنفسى كذا فقالت

الحق

الحق فى نفسها الادراك العبد الزيادة والنقص فى علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اعلم أن العظمة الالهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هى راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أو معنوية ومعلوم ان قيام صفات المعانى بذاته تعالى محال كما يستحيل ان تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات فى الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا أن تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج ملك متنكرا فى غير هيئته المعروفة ومشى فى شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم فى قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه فى حال تنكره انتهى * وقال فى هذا الباب أيضا احذر أن تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فان ذلك سوء أدب فما فى صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب أن تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أو ردها فقد أخطأ طريق الصواب فان فى التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة فى جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تؤول أخبار الصفات فان فى ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الايمان أوله بعقله ففاته الايمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما أعلى معارف الاولياء وهل يدرك أحد كيف الحق اذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان أعلى المعارف للاولياء أن يعرف أحدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل وذلك لان الذات مجهولة فى الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فمن هم أهل الانكار فى التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر ما فوقه لانه ما ثم الا أربعة أقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام أنكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما أنكره بعض أهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما أنكره بعض أهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما أنكره بعض أهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ فى الباب الستين وأربعمائة ان كل من لم يذق شيأ فى هذه الدار أنكره فى الآخرة فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات كالانبياء وكمل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والسبعين ومائتين انه لا خلاف فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر عندنا وعند أهل الحقائق ثم أنشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص
وليس تنال الذات فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص
ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

فان قيل فاذا قلتم بمنع وقوع التجلى الذاتى فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائتين ان الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته له فلا بد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الامر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلى فى صور المعتقدات والمعقولات واقع أو هو ممنوع كالتجلى الذاتى (فالجواب) أنه واقع وذلك لان صور المعتقدات والمعقولات انما هى جسور يعبر عليها بالعلم أى يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذى

انتهى قال وانما أمر المصلى أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بالالف واللام أيضا لتشمل جميع السلام باجناسه على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بان كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية أجزائه وعوالمه حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذى يشهده فى قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على أن المراد بالصالحين المستعملين فى أمور مطلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين فى العرف * قال وانما لم يعطف المصلى السلام الذى سلم به على نفسه بالواو على السلام الذى سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى المرتبة التى لا تنبغى لنا فابتدأنا بالسلام علينا فى طورنا من غير عطف انتهى (قلت) وفى هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبى بعدى * وقد ذكر فى شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان المقام المحمدى ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر اليه كما ننظر الكواكب فى

لايشهد ولا يعلم حقيقة ماده لم أصلا انتهى كلام الشيخ فى الباب التاسع والتسعين ومائتين (فان قلت) فاذن من خاض فى الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة نعم هو عاص لله و رسوله ومأمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ماقدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هى داخلة فيه أو خارجة عنه أو لا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذى يتحرك به هذا الجسم الحيوانى و يسمع و يبصر و يتخيل و يتفكر لماذا يرجع هل لواحد أو كثيرين وهل يرجع الى جوهر أو عرض أو جسم و يطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية ماوجد لذلك دليلا عقليا أبدا ولا عرف ان للارواح بقاء و وجودا بعد الموت أبدا انتهى (فان قيل) فاذن عبادة الناس كلهم لله تعالى انما هى على الحس والسماع الا من شاء الله لعدم رؤيتهم له فى هذه الدار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انه لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلابد من تعلق العبادة بما هو مشهود أو كالمشهود كما أشار اليه خبر اعبد الله كانك تراه و يكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو آخذ الله أصحاب العقائد من طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد أوصاف ربه فى معرفته من طريق عقله ونظره وحصره به فى كذا دون كذا ولا ينبغى أن ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق فى هذا التقييد وعفا عنهم اذ قد بذلوا وسعهم فى طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند كل معتقد الى لكان العبد يعبد عدما من حيث ان الحق تعالى اذا وجد محصورا عند عبد لزم أن يكون مفقودا عند العبد الآخر * فعلم ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه و برهان ماقلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات فيه من كل من جاء من عند الله من رسول و ولى ملهم قال ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما أنتجه العقل من فكره بترتيب مقدمته فى معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه ولدا فاين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان كان مؤمنا كان ذلك طعنا فى ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه انه ليس بمؤمن انتهى * وكذلك قال فى باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ماولدته العقول فى حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما هى عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى (فان قلت) فعلى ماقررتموه لا يسلم لاحد من أهل النظر الفكرى معرفته بل لابد فى طريق معرفته من حصول أوهام وخيالات (فالجواب) نعم ذلك أمر لازم له وذلك انه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فيجعل هذا نفسه فى جانب والحق تعالى فى جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادى ربه بالنائه المشعر بالبعد مع انه ماثم بعد فى نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكرى أبدا وليس عندنا ذنب أكبر من ذنب الخائضين فى ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا باقصى درجات الجهل ثم انهم لما أعطاهم الفكر خلاف ماجاءت به الرسل احتاجوا الى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو انهم لزموا الادب و وقفوا على حد ماورد من أخبار الصفات و وكلوا علم كيفية ذلك الى الله تعالى ولم يتأولوا لاعطاهم الله تعالى الفهم فى ذلك باعلام آخر ينزله فى قلوبهم فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم انتهى (فان قلت) فهل تزول الحيرة من أحد فى جانب الله تعالى اذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له فى غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب و تزول عنه الحيرة و يعلم عند ذلك من الله مالم يكن يعلم قبل ذلك التجلى لكن لا يقدر أحد على تعيين ماقد يتجلى له من الحق الا كونه تجلى له فى غير مادة لا غير (فان قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ماتجلى له من الحق (فالجواب) أن سبب ذلك كون الحق تعالى ماتجلى قط لعبد بعين ماتجلى به لعبد آخر أبدا

السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى الى من هو فى عليين قال وقد فخم الشيخ أبى يزيد البسطامى من مقام النبى قدر خرم ابرة تجليا لادخولا فاحترق فكذب والله من افترى على الشيخ وخاب مسعاه والله أعلم * قال وانما لم يكن التشهد الاول وجلوسه واجبا لان هذا الجلوس عارض عرض لاجل القيام بعده الى الركعة الثالثة والعارض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الاخير قال فهو من التجليات البرزخيات فانه سبحانه دعا عبده ان يسلم عليه بما شرع فيه من التحيات فلما رأى ان ذلك المقام يدعوه الى التحية جلس قال والحكمة فى ذلك ان الصلاة تقتضى الشفعية لقوله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى وأطال فى ذلك * قال رضى الله عنه واعلم انا لم نقف على رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تشهده الذى كان يقوله فى الصلاة هل كان يقول مثلا السلام عليك أيها النبى أو كان يقول السلام على أو كان لا يقول شيأ من ذلك و يكتفى بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال فان كان يقول مثل ما أمرنا أن نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء فى سمع الله لمن حمده والوجه الثانى انه كان يقام فى صلاته فى مقام الملائكة مثلا ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذى أقيم فيه أيضا من كونه نبيا فيقول السلام

فلذلك

فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هـذا المقام الى عالم نفسه الذي هو عالم المواد صحبه تجلي الحق تعالى فـما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا و يرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه أولا ما ضـبط فلا يجهله بعـد ذلك أبدا الا انه تعالى ما تجلى لقلب عبد فى شئ من المعارف وانحجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيي الدين فى ذلك ثم قال وفى هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم * وقد قدمنا فى هـذا المبحث أن علم كيفية تجلي الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبي مرسـل ولا ملك مقرب ، و يؤيده قول الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة ان للحق تعالى بنفسـه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليـه ولا هو عين ما شهده البصر وحكم به عليـه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبـد الجبار النفرى فى المواقف أوقفني الحق تعالى وقال لى وعزتى وجـلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهـلوه * وقال أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لى اعلم ان حجابي الجهل بي فهو دائما امام حضرتي فلا معلوم لخلقي الا بجهلهم بي لعدم احاطتهم بي * وقال أيضا أوقفني الحق وقال لى اعلم أنى لا أظهر لعبد الا بعـد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه و يدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهنالك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لى الحق لى معرفة لا جهل فيها لا تقع وجهـل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شئ من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادى من التعرفات لا يحتمل تعرفي الذى لا يبـدو فانى لا أنا التعرف ولا أنا العـلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذى يعرفه عبادى هو القرب الذى أعرفه أنا فلا قربي عرفوا ولا بعدى عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالى عرفوا فأنا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربي و بعدى الا بمسافة * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لى ان أردت أن أتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلا بي واسأل الجهل عني تجده جاهلا بي فانى أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدى لى مع غيرى لا يصح فان أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا فى علمك ولا فى وجدك ولا فى ذكرك ولا فى فكرك وانظر من قبل الكون فهنالك مقامـك فاقم فيـه ناظرا الى كيف أخلق الامور * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لى ان أردت ان أتعرف لك فاخرج عن شـهود الموصول والمفصول وعن العـلم الذى ضده الجهل وعن الجهل الذى ضده العلم وعن المعرفة التى ضـدها الفكر وأطال فى ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخـذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحـروف والالفاظ الواردة فى الكتاب والسـنة فهل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهـل بالله تعالى وليس له نفحـة من نفحات الجود الالهى * قال وايضاح ذلك أن من أخـذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية وقال الشيخ أيضا فى شرحـه لترجمان الاشواق من عـرف الله بالله فقـد عرفه ومن عرفه بالكون فقـد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غـير فما برح من جنسـه * وقال الشيخ أيضا فى لواقح الانوار اعلم أن من الناس من أوغل فى بحر الادلة وغـرق فى التفتيش وكلما قام بباطنـه أمر نفاه فكان غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شئ فهذا قد قطع عمره فى التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحـل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاسـتراح من أول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب والمعارف * وقال الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعـلم ان غاية أمر من خاض فى الذات من القدماء والمتصوفة أنهـم عصوا الله عز وجل بذلك واحتجوا بأمور وهى عليهـم لا لهم ثم انهم بعـد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهـم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم فى أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التى هى أعظم الحدود وجعـلوا ذلك قربة اليـه والحال انهم فى ذلك من أبعـد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيـل) فما أعلى المحامد التى يثنى بها العبد على الله تعالى

عليك أيها النبي فعل الاجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصا آخر قال وانما قال وأشهد أن محمدا رسول الله ولم يقل نبي الله لان الرسالة هنا أعـم لتضمنها النبوة فكان يحتاج الى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيـين قال وأما قـوله فى تشـهد ابن عباس سـلام عليك أيها النبي بالتنكير فوجهـه انه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسـلام منكر ليأخذ كل مصل منـه على حسب حاله من مقام السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مقام السـلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختـص بترك تكرار لفظ الشهادة فى الرسالة واكتـفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك وأسقط فى هـذه الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى فتأمـل يا أخى هذا المحـل المتعلق بالتشهد فانك لا تكاد تجده فى كتاب والله يتولى هداك *وقال انما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما ينالهم من الغلق فى دعـواه الالوهية وما يخيله من الامور الخارقة للعادة من احياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت به الروايات وجعـل ذلك آيات له على صدق دعواه قال وهذه مسـئلة فى غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام فى العلم بالنبوات فيبطـل بهـذه الفتنة كل دليـل قرروه وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف

(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شئ اذ لا يصح لعبد أن يثنى على ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقى الا أن يثنى عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل شئ علمته أو عقلته كان على صفتك ولابد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هى التوبة من التوبة وايضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص فى جانب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه فافهم * وقال أيضا فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم أن من فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شئ لم يفكر قط فى كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعى أنه من فحول العلماء من أصناف النظار الا وقد تكلم فى ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع فى ذلك أبو حامد الغزالى رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى على أن حفظنى من التفكر فى ذاته فلم أعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقى الفكر منى معطلا فى هذه الحضرة فشكرنى فكرى على ذلك وقال الحمد لله الذى عصمنى بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغى لى أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فانى كنت قد بايعت فكرى أن لا يتعب فى التفكر فى ذات الله وان يصرف تعبه فى الاعتبار فبايعنى على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذى لم يخلق له واستعماله فى الشغل الذى خلق له انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الثالث والسبعين اعلم ان أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة فى صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا بعض تلويحات نحو قوله ليس كمثله شئ وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذى لا يوصل اليه تفكر ولا عقل انتهى (فان قلت) فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه الخالى عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الثانى والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه فى شئ مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة فى الارض اذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر أى ان الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله فهذا هو معنى الصورة اه * وذكر الجلال السيوطى أن الحديث وارد على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على صورته فينبغى لك اكرام صورته اه فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم (فان قلت) فما معنى حديث الطبرانى رأيت ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت فى عالم الخيال ومن شأن الخيال أن يجسد ما ليس من شأنه التجسد من المعانى فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا فى الدين ونحو ذلك فلا شئ فى الكون أوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله فى قبلة أحدكم خطابا لمن هو فى حضرة الخيال وانما خص وجود الحق بالقبلة فتحا لباب تخيله تعالى فى القبلة ليراقبه العبد ويستحى منه ويستفهم من ربه الآية اذا أرتجت عليه فيعلمها الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب فى صلاته فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الانسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أى كأنك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلى يمنع من كأن لانه تخيل بدليل التشبيه والبصر ما أدرك شيأ سوى الجدار وأطال فى ذلك * ثم قال فما خاطبك الشارع بما قدمنا الا لتخيل انك مواجه للحق فى قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق الا كذلك ما دمت محجوبا وساقيا فى دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق تعالى القوة التى فوق طور العقل فحينئذ تشهد

والوجود انتهى فليتامل ويحرر * وقال انما كان المصلى يسلم تسليمتين لانتقاله من حال الى حال فيسلم بالاولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه قال وكل مصل لم يغب فى صلاته عن غير الله عز وجل فما برح من الاكوان فعلى من يسلم وهو ما برح مع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم أنه كان غائبا عند الله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقال الحكمة فى رفع الايدى فى الصلاة الاعلام بكل شئ حصل فى اليدين قد سقط عند رفعهما وكأن الحق تعالى يقول معلما للعبد اذا وقفت بين يدى فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيأ وكل شئ ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك فانى فى قبلتك قال ولهذا يستقبل بكفيه قبلته (قلت) ذكر الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه اعلم أن من آداب الوقوف بين يدى الله تعالى فى الصلاة الذل والمسكنة والتكتف شغل العبد الذليل فى حال مناجاة سيده وقد وردت السنة بذلك وهو عندى أحسن من ارسال اليدين قال وايضاح ما قلناه ان الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها خالص لله من أولها الى قوله مالك يوم الدين فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد اشارة للقوة الالهية قال تعالى لاخذنا منه باليمين والجزء الآخر خاص بالعبد من قوله اهدنا الى آخر السورة فهذا بمنزلة اليد

الحق

الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت أن من شان الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين انما سمى العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في مرتبة الاطلاق انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان أدنى حجاب حجب به العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التي يقع في ذهن العبد تجلى الحق فيها فانه تعالى ماهو تلك الصورة المتميزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن رقى عن التجلي الصوري الا ان خرج عن عالم المواد انتهى (فان قلت) فما حكمة منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك ان تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شئ وما احتاجت الى الحق تعالى في شئ وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بانه أقرب الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان باطا فته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غطس فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فاين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التي أخبرنا الشارع بانها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق تعالى لما يعصى الله تعالى مثلا فهي راجعة الى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الا على هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه * وقال في الباب الحادي والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم * وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان الخفي الذي لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته وعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان المراد به أدعو الى طريق الله تعالى الخاصة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لا شئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى * وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربي من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد الحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت عنهم في حال دعائهم اليها وما دعت الا كابر قومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية في توجهنا له تعالى فلم اذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال الصلاة دون غيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الحكمة في تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان أحدنا ذو جهة فلا يقبل أن يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وأوجبوا على العبدان ينزه الحق تعالى عما ظهر له و يصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع هممنا عليه سبحانه وتعالى والا فسائر الجهات في حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله * قال واعلم انه من أعجب الامور ان العبد يعلم و يتحقق ان الحق تعالى ليس في جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على

اليسرى الذى هو الجانب الاضعف الاصغر قال ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله اياك نعبد واياك نستعين جمع العبد بين يديه في الصلاة بجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر الى هذه الحكمة ما أجلاها للذي عينين انتهى ثم لا يخفى أنه اذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه فارسالهما أولى فالتحقيق ان جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وان ارسالهما أولى لغير الكمل اذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجه والتامل والله أعلم * وقال معنى قول العبد في حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع من كان له حظ في الدنيا من جاه ورياسة ومال استناده الى ذلك دون الله فاذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى والله أعلم (وقال) انما جوز الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ترك الطمأنينة في الاعتدال و بين السجدتين خوفا من ترك المسارعة الى الخيرات المأمور بالمسارعة اليها لخاف ان الطمأنينة أن يفوته اذ ذلك مع انه رضى الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا القول ان الطمأنينة لا تنافي المسارعة الى الخيرات والله أعلم * وقال انما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة واختلفوا في وجوبه على الانف لان الانف ليس بعظم خالص بل هو الى

عقله فلا يشهد الحق تعالى الامتعاليا فى جهة الفوق وربما يستدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس فى الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعنى من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذى مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار والملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه * قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد * قال الشيخ وليحذر المصلى حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا فى جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهى وجه الحق تعالى عند المحقق ومن توهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقى الحق فى وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا لرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد الحق فى غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم * وقال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين والثلثمائة فى قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ماهو الحق تعالى عليه من الحقيقة التى لا تعرف فى الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم * وقال فى الباب الستين وثلثمائة ما حرم النظر بالفكر فى ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدى صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذى عقل سليم * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من خلق الله تعالى فهو وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيى الدين فى جميع أبواب الفتوحات المكية وغيرها فتأمل يا أخى فيه فانك لا تكاد تجده فى كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضى الله عنه بلغ فى مقام التنزيه لله تعالى مالا يكاد يرى أحدا من الاولياء بلغه وانه رضى الله عنه برىء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح فى عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال فى باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه فى سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) كان الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه أهل الحق فى كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور فى الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخى ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما ينزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا ما يشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه أقررناه فى موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة اليه مع اعتقادنا انه ليس كمثله شىء فليس التنزيه الذى أمر به العبد هو عين التنزيه الذى نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس

العضلية أقرب منه الى العظمية فتبر عن الجبهة فكانت الجبهة هى المقصود الاعظم وفى الحديث أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وبدأ بالجبهة فافهم * وقال انما أمر العبد أن يقول سبحان ربى الاعلى وسبحان ربى العظيم باضافة الرب الى ياء النسبة لان الرب يتفاضل العلم به من كل عبد وكل عبد يعتقد فى ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم فى الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح الا ربه الذى اعتقده ربا وكم شخص لا يعتقد فى ربه ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره فى اعتقاده فى ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقده ربا فلذلك قال سبحان ربى الذى أعتقده وأعرفه أنا دون غيرى والله أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يتعبد به قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضى عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذى ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عينه فى وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لا تصح امامة الجاهل الذى لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدى به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم فى نيته فما (فالجواب)

(فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون الامع استشعار توهم نقص فى جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الافى صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هنالك فعلم ان التقديس أكمل فى حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ فى باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين جهلوا الحق تعالى على صفاتهم فى بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع فى التوهم المشعر بنقص ما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك فى مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

*(المبحث الخامس فى وجوب اعتقاد أنه تعالى أحدث العالم كله
من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه)*

وانما علمه تعالى به سبق فلابد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غنى عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ولنبسط الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ فى الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز أن يقال ان الحق تعالى مفتقر فى ظهور أسمائه وصفاته الى وجود العالم لانه له الغنى على الاطلاق * قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر فى ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع العقلاء كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق الا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شئ فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له أن يخلف ما أوجب على نفسه من الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى يفعل ما يريد فله تعالى أن يخلف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو ألزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ بالنذر يلزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعى ويأثم اذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه وجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق فى التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهى اذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أى لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذى تعلق به العلم وأطال فى ذلك ثم قال نعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ ولو أوجب هو على نفسه شيأ فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذه لا يصح شرعا أن يخالف ما أخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده الحق أدبا لفظيا ولا يحملوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ أيضا فى الباب الثالث والتسعين ومائتين فى قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق وهو ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية فهذا جود مقيد بالوجدان هذه

خالفه فيما هو فرض فى الصلاة لان الامام الذى هو المتنفل ما فعل الا ما هو فرض عليه أن يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذى نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتى فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا بما هو ركن فى النافلة لا بما هو سنة والله أعلم * وقال انما شرعت الصفوف فى الصلاة ليتذكر الانسان بها وقوفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الائمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بادمان ذلك التذكر (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ما نصه انما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل كما هو شأن المنفرد لانه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف فى صفهم خلفه ولو أنه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك لو أن الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كان يشاهد من يصلى من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم ذلك المأموم وليس حكم من يشاهد

صفة بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فاحكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كأنه عرض زائل اه قال وقد بان لك أن وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما أنه تعالى حجر اطلاق نسبة الولد اليه وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدى * قال الشيخ والعقل يدل على الاحالة في الولد دلالة عقلية وفي نحو قوله تعالى ولو شاء لهدا كم أجمعين دلالة عقلية وقد دلت لفظة لو على أنه تعالى مخير في نفسه ان شاء أمرا شاءه وان شاء لم يشأه فقد رأيت ورود الاخبار الالهية كما ترى ومع ذلك فالعقل يحيله وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه ان الحق تعالى انما أوجب على نفسه بعض أمور تأنيسا لنا فيما أوجبه على أنفسنا من الصلاة والقربات الشرعية فان أوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر أوجبه علينا لم يرعنه فنعصى بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما أوجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا الا من حيث ما أوجبه الحق علينا لا من حيث ايجابنا ذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجب تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه وأما الحق تعالى اذا وفى بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم أخلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصدر منه تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذي لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذي فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير كالمعذب المرحوم يجد عذابه اذا تأمله رحمة وتاديبا وهذا حكم عصاة الموحدين وأما من حقت عليه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك في شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف مني اني عرفته فوقع بيني وبينه مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتي وسعت كل شئ نعم ولا يخفى عليك اني شئ ولفظة كل تقتضي الاحاطة والعموم الا ما خص وشئ أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته أنا وجميع العصاة فبأي دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أردد الآية في نفسي فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت انك ها هنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي وما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقي الامر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيي الدين وكنت قد عيا أقول ما رأيت أقصر حجة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التي حكاها عنه سهل رضي الله تعالى عنه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما الاجهل فيه فله وتبة الافادة لسهل في هذه المسئلة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله في الباب الثاني والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره اليه وانما الاشياء في حال عدمها

الامور بنصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله * وذكر الشيخ أيضا في الباب الاحد والثلاثين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه أي ولو كان الامام الاعظم في حق آحاد رعيته فانه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد مادام في سلطانه والخليفة وان كان أكرم منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فردا مرؤسا قال وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب * قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب اضافة البيت اليه ولذلك أمرنا أن نحييه بركعتين وأن لا نعمل فيه الا ما أذن لنا في عمله * وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيئا من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزى فيها نفس عن نفس شيئا بخلاف ما ليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان حقا من حيث هو مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الابعاض وقسم وهو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الابعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار اليه خبر كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا

الامكاني

الامكاني المطلب وجودها من هي مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فالمطلب بفقرها الذاتي من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها من حاجة فاشبه الهالانها كانت مشهودة له تعالى في حال عدمها النسبي كما هي مشهودة له في حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ماهي عليه في حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد ايجاد شئ لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الاما ليس عنده ليكون عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهذه مسئلة لو ذهبت عين لنجزاء تفصيلها لكان قليلا في حقها فانها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والمحققوا فيها بن ذهم الله تعالى في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الكل مفتقر ما الكل مستغني * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكني

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه في كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك *وقال أيضا في الباب الحادي والستين وثلثمائة في قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين أي غني عن وجود العالم لكن لما أظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل انظار بعضهم فقال ان الله تعالى غني عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار في الاصل غني عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور في مهواة من التلف فانه لا يلزم من كون العالم ثابتا في العلم الالهي الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بالفقر اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب الحق * قال وايضاح ذلك أن تعلم يا أخي ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيما اكتفى بذلك ثم ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فانما سألت بلسان ثبوتها في علم واجب الوجود أن يخرجها من العدم ويوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فاوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغني عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها في ترك الدلالة أظهر من وجودها فاي شئ رجح من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال فهذا قلنا ان غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة تلان فيها اتصاف الممكن بالعدم في الازل وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته في العلم وذلك انه من حيث ماهو ممكن في نفسه استوى في حقه القبول الحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه في حال فرضه فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن أزلا في حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح ذلك) أن الترجيح من المرجح الذي هو اسم فاعل لا يكون الامع القصد لذلك والقصد حركة معنوية تظهر حكمها في كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل حيزا أو فرغ حيزا آخر وان كان معقولا أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى * وحاصل كلام الشيخ أنه لا يقال ان الحق تعالى غني عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غني عن ثبوت المعلومات في علمه كانه قال ان الحق تعالى غني عن علمه على حد سواء وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غني عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غني عن ثبوته في علمه فليتأمل ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى البارئ اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غني عن العالمين لكن لابد من تخيل وجود العالم لنا في الذهن ليثبت له تعالى الغني عنه كما يقال في صاحب المال انه غني بالمال عن المال اذ المال هو الموجب

والسبعين وثلثمائة فراجعه فيما سيأتي *وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيئا فان الله لا يقبله ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها انقص كملت بعضها من بعض ثم أدخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين وأما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ما له أصل في الفرائض وأما مالا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا قال ولما لم يكن من قوة النفل أن يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا ليجبر الفرائض

بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه الاقوال

له صفة الغنى عنه فلابد من وجود المال لتتصور صفة الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم سبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الا ينافيا وقع الثناء عليه الامع تصور وجودنا فهو غنى عنا بنافى الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بغناه عنا فلابد من ثبوت هذا الغنى له نعتا قال ومن أراد أن يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى ما سمى الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنها انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أى غنى عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول ولما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات فى قوله تعالى ان الله غنى عن العالمين أى غنى عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها وحاجتها الى لانه ما ثم فى الوجود دليل على لانه لو كان فى الوجود دليل على لربطني به فكنت مقيدا به وأنا الغنى الذى لا يقيدنى وجود الادلة ولا يدل على أدلة المحدثات قال وأكثر الناظرين فى هذه المسئلة يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون فى نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم ينظرون راجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود والوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم فان ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فبماذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اهـ * وقال الشيخ أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التى نصبها الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شئ فاوقف العالم كله فى مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقادير هم انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدوه ممن فهو علامة على من فما ثم الا الله ونعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك أنه رضى الله تعالى عنه برىء من القول بان الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغنى على الاطلاق وان العالم لا ينفك طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما أظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى أوجدنا لنا لا لحاجة منه الينا لنقوم بالتكليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل يصح لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والعشرين ومائة أنه لا يصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب جلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع الاسباب الا ليزيل بها فاقة المحلوقين فما استغنى أحد الا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لا بالله فاذا جاع أمر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لا بالاكل فافهم والله تعالى أعلم

(المبحث السادس فى وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم فى ذاته حادث وانه لا حلول ولا اتحاد)

اذ القول بذلك يؤدى الى أنه فى أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم أن هذه المسئلة مما أشاعها الحاسدون على الشيخ محيي الدين كما مر فى خطبة الكتاب وها أنا أجلى عليك

والافعال فرائض فيها فعلم أنه لا يصح ثنل الابعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروضا ونوافل فيما فيه من الفروض ثكمل الفرائض والله أعلم * وقال مذهب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على أن الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم * وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى أنا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لا يقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه أن صلاة الجمعة قبل الزوال أولى لانه وقت لم يشرع فيه فرض (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله أعلم * وقال الذى اذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا اذن الثلاثة واحد بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة ويقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى فليتأمل ويحرر (وقال) الذى أقول به جواز اقامة جمعتين فى مصر واحد لانه لم

عرائس كلامه فى أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض * فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ فى عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها * وقال فى عقيدته الوسطى اعلم أن الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شئ أو يحل هو فى شئ أو يتحد بشئ * وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم أنه ليس فى أحد من الله شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال فى باب الاسرار لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول أنا العبد الذليل فى المسير والمقيل * وقال فى الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا فى المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين فان الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة واحدة أبدا وغاية الامر أن يجتمع بين العبد والرب فى الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر ولسنا نعنى اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غيره وجودة انتهى * وقالت الولية الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحدا فى النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى (فان قيل) فما معنى حديث فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ورجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الى آخره ان ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط الذى هو حصول المحبة فمن حيث القرب الشهودى جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرر الوجودى قاله الاستاذ سيدى على بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والستين فى الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه وبصره الى آخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لانه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى فى هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر اليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة أتم لكونها هى التى تهب للقوى الروحانية مادة تصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم * وقال الشيخ أيضا فى الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى لنا ونداؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا فى الحكم كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال فى باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذى يسمع به فأثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بانه كان مفصولا حتى اتصل والشئ الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو من الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو فى عين الفصل انتهى * وقال فى هذا الباب أيضا أنت أنت وهو هو فاياك أن تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال

باتفى المنع من ذلك نص فى كتاب ولا سنة قال وكذلك أقول ان خطبة الجمعة ليست بفرض انما هى سنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا ينبغى لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الائمة يصلونها بالخطبة كما فى صلاة العيدين مع اجماعنا أن خطبتهما سنة قال ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يعنى سماع المواعظ فى الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا وأطال فى ذلك ثم قال ولما لم يرد لنا نص فى ايجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسى لا على طريق الوجوب قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذى وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذى لم يوجبه فان احتوى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفرائض بما فيه من الفرائض ومثال ذلك نافلة الصلاة ونافلة الحج فانها عبادة تحتوى على أركان وسنن وأما صدقة التطوع فما فيها شئ من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة

فيه أيضا اياك أن تقول أنا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه أيضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى * وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال في الباب الثامن والاربعين لا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة * وقال في لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وانما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحي بهرون عليه السلام في بعض الوقائع فقلت له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لي السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم في نفس الامر كما هو في مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم فقلت له العالم باق في نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله فأفادني عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي انتهى * وقال في باب الاسرار لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى * وقال في لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول ان العالم عين الحق أو اتحد به أبدا وانظر الى ذاتك يا أخي فتعلم قطعا انك واحد لكن تعلم ان عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك وأن هذه الاعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن فهم ما أومأنا اليه فهو الذي يفهم قوله تعالى قل الروح من أمر ربي فلم يحدث بابتداعها العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو وما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في هذا المعنى

ومن عجبي اني أحن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * وتشتاقهم روحي وهم بين أضلعي

وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن الذات الاطلاق لذاتها وتساوي النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم أنشد

وعلمك أن كل الامر أمري * هو المعنى المسمى باتحاد

في صلاة الجمعة لما فيهما من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى أنه يصلي فتسبحه عن هذا التخيل الذي تتخيل النفس من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانما شرعت في صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الامام في الخطبة وقد قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * وقال شرط من يناجي ربه أن يشاهده بقلبه ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتجرأ مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته * وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لا. ولو عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال انتهى

انتهى ولعمرى اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن باولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال فى حقهم رضى الله تعالى عنهم اذ ما من ولى الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شئ محيط * وسمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى فى كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض لايهامه أنه يحل بذاته فى ذلك المكان انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثامن ان شاء الله تعالى * وسمعت أخى الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفى رحمه الله يقول المراد بكون الحق فى السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهى ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيى الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه فى الرد عنه وذلك انه قال لا أعرف فى عصرى هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلى وذلك أنى بلغت فى مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا العبد المحض الخالص الذى لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طعما قال وقد منحنى الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أنله بعمل انما هو اختصاص الهى وأرجو من الله أن يمسك على هذا المقام ولا يحول بينى وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى أعلم فتأمل يا أخى فى هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله فى حكم خلقه)

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه فى سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذى أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا أينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدى محمد المغربى الشاذلى انه لا ايهام لأن الاينية فى هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه فى وجه من الوجوه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا بأين لانه من لا أينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل انتهى * وقال أيضا فى الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربة فى قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى فى نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء فى حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ قط من جهة السفل فاجعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربيا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت فى كتاب البهجة المنسوبة لسيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ما نصه اعلموا ان عباداتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه وتعالى فى جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات فى القرآن العظيم فى هذا المعنى لا يمكننى ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا أدرى أذلك الكلام دس على الشيخ فى كتابه أم وقع ذلك فى بدايته ورجع عنه لما دخل فى الطريق فان من

العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لا لاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان فى حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تتكون الدجاجة وما فى معناه من الحيوان الذى يبيض قال وانما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تعظم قوة الحياة فى الشخص المتغذى فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر فى التقرب الا الحيوان الذى يؤكل دون غيره * وقال الذى أقول به ان الساعات التى وردت فى فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع * قال والسعى الى الجمعة سعيان سعى مندوب اليه وذلك من أول النهار الى وقت النداء وسعى واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية * وقال فى فصول صلاة السفر الذى أقول به ان القصر جائز فى كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأطال فى استدلاله على ذلك * وقال قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذى

المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته فى أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا * وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى فى جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى فى حال السجود صعود وان كان السجود فى أسفل سافلين وأما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم أى يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤسهم هذا هو الاعتقاد الحق * قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق انه تعالى فى جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التى قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت فى السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

*(المبحث الثامن فى وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا فى حال كونه فى السماء
فى حال كونه مستويا على العرش فى حال كونه فى السموات وفى الارض
فى حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد)*

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائتين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فهل هو تعالى معنا فى جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن أبي منصور فى رسالته انه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما انه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك فى كتاب ولا سنة فلا نقول على الله مالم نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين فى باب حضرات الاسماء من الفتوحات فى الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس فى حضرات الاسماء الالهية ما يعطى التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه أتبع الضحك توابعه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل فى الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع فى هذه المسئلة عقد مجلس فى الجامع الازهر فى سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائى الحنفى وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلى وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائى الحنفى والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعقلها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول فى الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول فى حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات وبعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوى فى شرح عقائد النسفى ان قول المعتزلة

أذهب اليه انه لا يجوز الجمع فى غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغى أن يخرج عن أصل ثابت بامر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد فى ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال وأما الجمع بين الصلاتين فى الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس فى جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين فى الحضر من غير عذر انه أراد أن لا يحرج أمته قال وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور (قلت) رأيت فى كتاب رحمة الامة فى اختلاف الائمة عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن رآه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها مالم يتخذ ذلك عادة وقد وقع لى أننى حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فظن شخص من الحسدة اننى أفتيته به فاشاع عنى ذلك فى مكة ومصر هذا مع سماعه منى حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين فى الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله أعلم * وقال الذى أقول به جواز الجمع فى الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان

وجمهور البخارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على انه يلزم من القول بان الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بانفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك أحد غير الغزنوى في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله في قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان في هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول في قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ما قلناه لان أفعل من يدل على الاشتراك في اسم القرب وان اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى ففي نسبة أقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على أن قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم في قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم أن الله تعالى في مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لان أين في الآية انما أطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين في الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل أين بلا أين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال لما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الأمر ذوقا أو سماعا فقالوا سماعا فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها ثابتة في علمه أزلا يقينا بلا بداية لانه لما متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما في العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم في المعية تدوموا ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان أراد أحدكم أن يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل يا أخى في هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده في كتاب الآن * وأما قول الشيخ محيي الدين رحمه الله في هذه المسئلة فكان يقول في حديث كان الله ولا شئ معه ان المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من الفعل الماضى فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شئ معه فهو تعالى مع الاشياء ولا يقال ان الاشياء معه لانها لم ترد قال وايضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول انا معه لانا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الاسماء والصفات التى هى المرتبة لا بد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولا بد من حضرة تحكم فيها هذه الاسماء بالفعل أو بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقدمر تقريره في المبحث الذى مر (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق وهو الآن على ما عليه كان

مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال في صلاة الخوف الذى أذهب اليه أن الامام مخير في الصور التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فباى صلاة صلى اجزأته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التى فيها الانتظار بالسلام فانه عندى فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال وسبب توقفى من غير جزم من طريق المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر الامام أن يصلى بصلاة المريض وذوى الحاجة قال وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بابى بكر وأبو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه كان يخفف من أجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالامام في مثل هذه الحالة يكون مؤتما بوجه اماما بوجه فلهذا لم يترجح عندى نظر في رواية الانتظار انتهى فليتأمل ويحرر * وقال اذا كثرت وسوسة العبد في الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلى على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها في المحاربة ويؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور وانه في الصلاة في باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة في ظاهره بالايماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فالموات

كما أدرجه بعضهم (فالجواب) انما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الآن نص في وجود الزمان ولوجه لمناه ظرفا لهوية البارى لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فانه حرف وجودى من الكون الذى هو عين الوجود فكانه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شئ معه فى وجوده الذاتى فان وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة فى الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولاسيما فى هذا الموضع (فان قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انما من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى فى الكون هذا التصريف الذى يلحق الافعال الزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فان من أشبه شيأ فى أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخى ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه فى كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات من زاد فى حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فان الله تعالى قال كل يوم هو فى شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقد كان ولا أيام ولا شؤن فى تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى وقال فى هذا الباب أيضا لا يشترط فى المجاورة الجنس لان ذلك علم فى لبس فان الله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فان قيل) فما الحكمة فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التى شكوا فى اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها أين الله فاشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على البارى جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ فى ألسنة العالم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هى الحقائق عليه فى نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له فى ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلى على استحالة حصر الحق تعالى فى أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذى عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو ان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلى فانه تعالى لا اينية له فى نفسه وانما الانسان لقصور ادراكه لا يشهد الحق تعالى الا فى أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا أنه لم يكن فى قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته فى نفسها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله فى السماء كما قال تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم أن من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية من الوجه الذى يليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذى يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذى هو الظهور (فان قلت) فما تقولون فى نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا

فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع فى الجهاد على الاخلاص ثم عرض له فى اثنائه أن يقاتل رياء وسوس له الشيطان مع ذلك وسمعة فلا يبالى بذلك لان الاصل صحيح فى أول نشأة القتال فلا ينبغى أن يبطل عمله ويقع فى مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان * وقال فى صلاة المريض الذى أذهب اليه فى دفع المار أن يدفعه عن موضع جبهته فقط حال سجوده فى الارض فاذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بان يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلى دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار فى القدر الذى يسمى بين يديه عند العرب اذ لم نجد عن الشارع فى ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال * وقال اختلفوا فى النفخ فى الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى فى الطائر باذن الله هل يقطع حضوره مع ربه الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذنى معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اهـ فليتأمل ويحرر * وقال الذى أقول به أن المصلى يرد السلام على من سلم عليه فانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة فى التشهد فى الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء فى الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله اللهم اغفر لى ولوالدى وفى القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها بخلاف الفاء

فهو

فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فان ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة أن عندية الحق تعالى حيث أطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ماهي ثم أنشد رضي الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عندية الحق والخلق انتهى وسيأتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين مانصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان في حق البارئ جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله في ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يجرح تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه أيضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنزيها لهذه الكلمة التي هي من الالفاظ المشتركة كالعين والمشترى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شيء واذا كان ليس كمثله شيء فمن المحال ان يضبطه اصطلاح لان مايشهده منه زيد ماهو عين مايشهده منه عمرو جملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام * قال وأما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد * قال ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة مايشهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التي يتفرع منها سائر الاعتقادات الاسلامية وأقر عقائد الاسلام بحق وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ماشهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه باعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى (فان قيل) فهل الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء كاف الصفة أو زائدة (فالجواب)* كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما في نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هي أصلية أو زائدة انتهى (فان قيل) ان أفراد العالم يشارك الحق تعالى في كونه لا مثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لابد أن يزيد أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال في العالم معقولة وان كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهي يقتضي ان لا مثلية

فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتامل ويحرز * وقال الذي أقول به أن صلاة الناسي والنائم اذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لان النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه وليس ذلك وقتها في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها واذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هي صلاة المنافق م المصور الذي يقال له يوم القيامة أحي ماخلقت فلا يقدر وايضاح ذلك ان الحق تعالى ماشرع العبادات لمجرد اقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وانما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى اعلم * وقال الذي أقول به ان تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لانه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الاجماع على انه آثم فينبغي له ان يسلم اسلاما جديدا اهـ فليتامل ويحرز * وقال لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع اليه فان أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء الا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور الا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع اليه في نظاره اهـ فليتامل

فى جميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية ان لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى من لا مثل له موجود فاذن المثلية أمر معقول لا يحقق فان المثلية لو كانت محققة موجودة ما امتاز شئ فى العالم عن شئ مما يقال هو مثل له فكان الذى امتاز به الشئ عن ذلك الشئ الآخر هو عين ذلك الشئ اذ ليس هنالك مايميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من أغمض المسائل لانه ماثم على ماقررناه مثل يوجد أصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود ولا غير اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهى علم انه لا يتكرر شئ فى الوجود وانما وجود الامثال فى الصور يخيل لك انها أعيان مامضى وانما هى أمثالها لا اعيانها ومثل الشئ ماهو عينه (مثاله) فى الاشكال التربيع فى كل مربع والاستدارة فى كل مستدير فالشكل يريك كل متشكل لا يتغير والذى وقع عليه الحس ليس هو الشكل وانما هو المتشكل فالشكل هو المعقول * وقال فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من المحال ان يظهر أمر فى صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو مثله فى النسبة لا مثله فى العين و يسمى هذا فى صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير وكاد العروس أن يكون أميرا * وقال فى باب الاسرار ماحجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ماتصورته أو مثلته أو تخيلته فهنالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب

(المبحث العاشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن)

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان فى الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرفه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا فى أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل اخواته (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى أول من عين ماهو آخر وظاهر و باطن وآخر من عين ماهو أول و باطن وظاهر و باطن من عين ماهو ظاهر وأول وآخر فى كل صفة مافى أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ماحده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطى سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة فى كون الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى أن القوى التى خلق الانسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى *وقال فى موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محل النسب والاضافات وانما ينبغى ان يحمل على انه أمر ذاتى يوصف به على الوجه الذى يليق به و يعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم ان الازل والابد فى حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقى اذ من شأن الاول البقاء السرمدى فاياك يا أخى ان تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا فى الازل أو قدر كذا فى الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم فى زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل اذ العقل الانسانى انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفى الاولية لله تعالى فهو أول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها وأطالت فى ذلك رضى الله تعالى عنها *وقال الشيخ محيى الدين فى باب الاسرار انما أخبرنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب فى طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول الذى تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ماتطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تسمع النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت فى الادلة وصارت كل شئ ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ماظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الامر على ماهو عليه فكان طلبها لما غاب عنها هو عين حجابها ولو قدرت الذى ظهر لها حق قدره لشغلها عما تخيلت انه بطن عنها والله مابطن عنها شئ هو من مقامها

ؤ يحرر * وقال فى سجود السهو الذى أذهب اليه فى موضع السجود للسهو ان المواضع التى سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التى سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام قال وأما غير ذلك مما سها فيه المصلى فهو مخير ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء بعد السلام قال والمواضع التى سها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعا للامة خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمسا ساهيا فسجد قال واختلف الناس فى سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهوه فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان والذى أقول به أنه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان (وقال) انما شرع للمصلى أن يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق فى محل القرب أن يكون مدركا بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان *وقال انما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لان السهو أغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر الا بصفة لا يتمكن للشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها وهو السجود اذا لساجد فى حال سجوده محفوظ من الشيطان لقربه من شهوده به فلوان الشيطان كان يقترب وانما

وانما يحجب كل أحد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالانابيب التى فى كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها لا تراها فهى موجودة فى الشهود مفقودة فى الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر فى حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ فى أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم أن العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى الان شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن أن يتقدمها أولية لا من حيث أولية العبد عن أوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هنالك على كل عبادة عبدها أحد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد * وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم أن تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى أن يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شئ من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية أن يتجلى للعالم فى اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا يجد الانسان فى فطرته الاستناد اليه والاقرار به من غير تعارف دليل ويرجع فى أموره كلها اليه الثالثة أن يتجلى فى اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبياء وكمل ورثتهم اه فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

* (المبحث الحادى عشر فى وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الاشياء قبل وجودها فى عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها) *

فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كان موجودا فى علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر له عالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر من الفتوحات ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لا أنه استفاد حالة لم يكن عليها (وايضاح ذلك) ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى فى مراتبها بتعداد صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات فى حال عدمها او وجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهى فى العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها فى خيالها فلما أوجد الله الاعيان الا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ على التتالى والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها كانت معلومة للحق تعالى أى معلوم علمه وهذه المسئلة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الاضافى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الهوية المسماة بالحرباء فانها تنقلب فى لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ بعد شئ ما هى مثل المرآة تقلب الصورة بسرعة ولا هى جسم صقيل فقد أدركت يا أخى فى الحس تقلب الحرباء فى الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها فى ذلك الجسم الذى أنت ناظر اليه ولا فى أعيانها فى علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم فى حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى انتهى ومما يقرب لك أيضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان فى حال عدمها قول الشيخ فى باب الاسرار العجب كل العجب من رؤية الحق فى القدم أعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميز وا فى الاعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو ان الله تعالى أوجد فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك الامر على ضعفاء العقول فترى الامور التى لا وجود

من العبد فى سجود السهو لسهاه فى سجود سهوه لو كان يتسلسل الامر قال ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها فى سجود سهوه ثم انه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه سجودا والترغيم الثانى من حيث كونه سواء لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان وانما سببه مغيب المصلى عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد او خوف مزعج أو غير ذلك * وقال الذى أقول به أن الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لاننا ما رأينا الشارع فرق بين الامام والمأموم فى الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلى خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزى نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الامام لا يحمل سهو المأموم وأن مكحولا تكحل عينه فى هذه المسئلة بكحل الاصابة فانحلت عين بصيرته (وقال) الذى أقول به أن الانسان اذا رفع عنه التكليف

لها في عينها قبل كونها أو ترى الساعة في محلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فان تفطنت يا أخي فقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى * وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هي له مفقودة فهي في حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن في تصور ذلك فان الله على كل شيء قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشيء الذي وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافي (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة في العلم الذي هو العدم الاضافي وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيد هذا قول الشيخ في لواقح الانوار في قوله ان الله على كل شيء قدير أي قدير على شيء تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشيء وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ في باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشيء وجود في علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم * قال وايضاح ذلك ان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء أبدا وما هو شيء محكوم عليه بانه شيء أبدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ أبو الحسن الاشعري ان وجود كل شيء في الخارج عينه وليس بشيء زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشيء أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكي والجلال المحلي الحق ما قاله الاشعري وعليه فالمعدوم ليس في الخارج بشيء ولا ذات ولا ثابت أي لا حقيقة له في الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلي ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضا * قال وذهب كثير من المعتزلة الى أن المعدوم الممكن في الخارج شيء أي له حقيقة مقررة انتهى ما قاله الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولي الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث في الظهور قديم في العلم الالهي فمن قال انه حادث من الوجهين اخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذي خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك في الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط في هذا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى الله عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا عين اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشيء وانما يخلق شيأ عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده في تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثاني عشر في وجوب اعتقاد ان الله تعالى أبدع العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده)

فان أحدا منهم لا يقدر بارادة الله على اختراع شيء الا ان أنشأه في نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال في حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بما يخلقه أزلا كما مر في المبحث قبله قال الشيخ محيي الدين ولا يجوز أن يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدي الى أنه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة أنه عالم بكل شيء أزلا وأبدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا في علمه تعالى ولو قدرنا أنا لم نكن كذلك في علمه لخرجنا للوجود على حد ما لم يعلمه انه

لغلبة حال أو جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور فقال وايضاح ما قلته أنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فان الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف بالاجماع بالاباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان كما أفتى الامام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال في ذلك *وقال في حديث هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع أي فهو عليك فيجب عليك الوفاء بتمامه كما يجب في فروض الاعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم *وقال فينبغي اذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شيء جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة فان الخاطر الاول له مرتبة على الثاني (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة أيضا ما نصه ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لانه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي تعالى اليه في خاطره وأطال في ذلك والله أعلم *وقال الذي أذهب اليه في القراءة

تعالى

تعالى وذلك محال لان مالا يعلمه لا يريده ومالا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون اذن نحن موجودين بانفسنا أو بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بانفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أى اضافى لا عدم محض كما مر بيانه فى المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا اننا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعنى فى العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما أشار اليه الشيخ فى شعره فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذى رأينا * لما نغيت الذى رأينا
فظاهر الامر كان قولى * وباطن الامر أنت كنتا
قد أثبت الشئ قول ربى * لولم يكن ذاك ما وجدنا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقنا
لو لم تكن ثم يا حبيبى * اذ قال كن لم تكن سمعتا
فأى شئ قبلت منه * الكون أو كون أنت انتا

وقد أشار الشيخ أيضا الى نحو هذا المعنى بقوله فى شعره أيضا فى الباب الثامن والثلثمائة

عجبى من قائل كن لعدم * والذى قيل له لم يك ثم *
ثم ان كان فلم قيل له * لم يكن والقول مالا ينقسم
فلقد أبطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم *
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر ولا تحفل به * واتركنه مثل لحم وضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فبه فلتعتصم *
واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم مالكم فيه قدم
مثل ماقد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى أضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الا مشافهة لاهله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخلق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخلقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق وأما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسئلة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث عشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعانى أسمائه وصفاته وبيان ما يقتضى التنزيه والعلمية ومالا يقتضيهما)

اعلم ان هذا المبحث من أجل المباحث فلنبسط لك الكلام فيه بكلام محققى المتكلمين ثم بكلام محققى الصوفية فأقول وبالله التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلى معانى الاسماء والصفات هو كل ما دل على

فى ركعتى سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخى فاشبهت النائم فى كونه يرى فى نفسه أمورا والذى الى جانبه لا يعرف ماهو فيه فعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس فى الاشياء * وقال فى قيام رمضان الذى اختاره أن يصلى ثلاث عشرة ركعة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفى مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسئ صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من اتمام ركوعها وسجودها والطمأنينة فى محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والا فتركه أولى وأطال فى ذلك * وقال الذى يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها فى السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالاخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على

الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما أنه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهي ما دل علمها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة أودل عليها التنزيه له عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء قال وأما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هي حادثة من حيث انه لا تجدد اذهي اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين أوقات وجدانها وأطال في ذلك ثم قال فان أريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالي انتهى كلام الجلال المحلي قال ابن أبي شريف رحمه الله في حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس في كلام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ولا متقدمي أصحابه أن صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما أخذ ذلك متأخرو أصحابه من معنى قوله في كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق وذكروا أوجها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفي كلام أبي حنيفة أيضا ما نصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارئ فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما انه يحيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بانه على كل شئ قدير انتهى كلام الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول أبي حنيفة ذلك بان الله على كل شئ قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الازل صحيح لمن له قدرة الخلق في الازل هذا ما يقوله الاشاعرة قال الكمال في حاشيته وانما بينت لك هذه العبارة مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أوغيره في الخاتمة آخر المبحث ان شاء الله تعالى (فان قيل) فهل الاسم عين المسمى أوغيره (فالجواب) ان الاصح كما قاله ابن السبكي ان الاسم عينه وبه قال الشيخ أبو الحسن الاشعري رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الاشعري بالنظر للاسم الله اذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الاشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم أوغيره انتهى قال ابن أبي شريف في حاشيته على انه لم يظهر لي في هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما أوضح ذلك البيضاوي في أول تفسيره فقال اعلم ان الاسم يطلق لمعان ثلاثة الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشئ والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شئ منها محلا للنزاع لانه ان أريد بالاسم المعنى الاول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى اذلا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وان أريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشئ وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ الى الاستدلال وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وان أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الاشعري انقسم عنده انقسام الصفة اذ هي عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع الى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع الى الافعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع الى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمى ولا غيره فان المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على تفسير الغيرين بما يجوز انفكاك أحدهما عن الآخر قال وقد نبه الجلال المحلي على ان الاسم المسمى عند الاشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الاول لان مدلوله الذات من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف *وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا

ذلك فهو حسن ولكن اتباع السنة في كل الامور أحسن *(ثالثها) ذكر الشيخ في الباب الحادي والعشرين وثلثمائة ليس للملائكة نافلة انما هم دائما في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف البشر *وقال في صلاة التحية الذي أقول به ان التحية لا تستحب للداخل للمسجد الا ان أراد القعود في المسجد فان وقف أو عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوي بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقي فانهم وحرزه وان كان فيه شئ *وقال في صلاة العيدين انما سمي العيدان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فماله الاحرفي فعل ذلك كما يحصل له ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمي عيدا *وقال انما لم يشرع في العيدين الاذان والاقامة لتوفر دواعي الناس على الخروج في هذين اليومين الى مصلى العيد مما شرع من الذكر المستحب ولم

ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا أنا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فانه تعالى جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تتحرك بها الشفتان وانما تتحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فما التحقيق في أقسام الاسماء الالهية كم هي ترجع اليه قسم (فالجواب) هي ترجع الى ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضي التنزه به كالكبير والعلي والغني والاحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضي طلب العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثاني والسبعين وثلثمائة منها * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم انا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذي يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم لله تعالى ما فيه سوى العلمية أبدا الا ان كان ذلك في علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله أبدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا لنثني بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هي أسماء أعلام المعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمها عينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال ويؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت أسماء الله حسنى ليكون لها مقابل غير حسن وانما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة وأما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا اسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار في هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده * وقد قال الشيخ محيي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعون ومائة وما قلنا من العلمية هو في مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا ناديناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت هذه الاسماء على هذا المعنى فهي أعلام واذا قيلت على أسماء المدح فهي أسماء صفات قال وبهذا وردت جميع أسماء الله الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى قال وأما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) فهل أسماء الضمائر تدل على الذات كالاسماء الصريحة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انها تدل على الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست أعلاما وان كانت أقوى في الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وأسماء الضمائر

المجاز حيث والاذان والاقامة انما شرع للاعلام لينتبه الغافلون والنبي هنا حاصل *وقال في صلاة الجنازة انما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتي ان شاء الله تعالى في الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن أنه تهود أو تنصر والحال انه ما نطق باسم ذلك النبي الا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثه فراجعه والله أعلم *وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد في معركة الكفار لانه حي يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حي لا يقال فيه انه ميت وانما قال تعالى في الشهداء عند ربهم يرزقون تنبيها على أن الشهيد حاضر عند الله والميت انما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا ويلقاه في البرزخ على طهارة والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج الى غسل فافهم وسيأتي في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك *وقال لا يكون الرجل كاملا في العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى في معرض الذم لقوم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقال) رضي الله عنه انما شرعت الفاتحة في صلاة الجنازة لان الميت في حال جمعته بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لانها قرآن أي جمع وأيضا فلما فيها

لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو أعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانه يدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو وأما ذا فهو من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم وكذلك القول فى لفظة نحن وأنا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال ذلك انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذى هو آخر الفتوحات اعلم أن الاسم الله انما سماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذى بيده ملكوت كل شئ وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان كل اسم الهى يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفى أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى فى معرض الحجة على من نسب الالوهية لغير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد علمت أن الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها انتهى (قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ فى قوله ان الاسم الله علم أو غير علم فانه ذكر أولا فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة انه اسم علم ثم ذكر فى الباب الذى هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غير علم ثم ذكر فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة انه علم فليحرر والله تعالى أعلم (فان قلت) فعلى ما قررتموه من أن المراد من الاسماء الالهية انما هو معانيها لا ألفاظها تكون جميع الاسماء التى بأيدينا أسماء للاسماء الالهية التى سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما (فالجواب) نعم وهو كذلك فتضع الشرح الذى كان وضع به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التى بأيدينا فانه تعالى تسمى بها من حيث ظهورها العالم فلها من الحرمة ما للاسماء القائمة بالذات كما قلنا فى الحروف المرقومة فى المصحف انها كلام الله تعالى وان كان لها تحقيق آخر يعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل يعم تعظيم الاسماء جميع الالفاظ الدائرة على ألسنة الخلق على اختلاف طبقاتهم وألسنتهم (فالجواب) نعم هى معظمة فى كل لغة لرجوعها الى ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداى و بلسان الحبشة واق و بلسان الفرنج كريطارور وابحث على ذلك فى سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهى معظما فى كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر بالمصحف الى أرض العدو وهو بلا شك خط أيدينا أو رق مرقومة بايدى المحدثات بمداد مركب من عفص و زاج مثلا فلولا هذه الدلالة التى فى الاسماء والحروف لما وقع لها تعظيم وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه (فان قلت) فاذن يحرم علينا التسمى بنظائر أسماء الله تعالى كنافع ونور و وكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والاربعين نعم يحرم ذلك و يجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا أسماء منها على أحد فانما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى وتسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذى خلع عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم فى نفسه مقر به عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل فى أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وان عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة أن أسماء الله تعالى متساوية فى نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها أعم وفيها سدنة وفيها

من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدى الله ويثنى على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى اياها لا يعلمها الآن ثم يشفع والله أعلم * وقال ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت الا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فان أذن من الله لنا فى الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا فى السؤال وفى علمه انه لا يقبل سؤالنا قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقد أذن لنا أن نشفع فى هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك قال وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أى لقيت من ربك السلامة فعلم أنه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه فى قوله السلام عليكم فانه لم يسلم منه اذ ذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره ان كان فيه شئ والله يتولى هداك (وقال) فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فى هذه الآية تشريف عظيم للملائكة لجمعهم مع الله فى ضمير واحد فى قوله يصلون وانما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق أن الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل * وقال ينبغى للمصلى على الميت اذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب و يعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وان لم يعمم المصلى فالميت

ما تحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للاحوال المشاهدة فالذي يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا بالاسم الحي العالم المريد القادر والآخر بالنظر العقلي هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقي من الاسماء فكالسدنة لهذه الاسماء ثم يلي هذه الاسماء الاربعة في ظهور والرتبة الاسم المدبر والمفصل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى * وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل في الاسماء ويقول في قوله تعالى وكلمة الله هي العليا هو الاسم الله فانه أعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم في التسمية وفي نحو قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم على ما ذكر مما يعطف عليه من الاسماء وأجمع المحققون على انه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها كما قال ونظير ذلك أيضا ولذكر الله أكبر أي ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى * قال الشيخ محيي الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذي هو الله لان في عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

* (خاتمة) * فان قلت هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من أسماء الله تعالى أبدا انما حقيقة الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لا غير ومن قال انه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان الذي أعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر في السؤال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء في الشهود قال وهذا مقام أطلعني الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من أهل عصري انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كباقي الاسماء الالهية التي يصح التخلق بها لاحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ما قلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية أو الاحدية أو الغني عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد قال أيضا في باب الاسرار اعلم أن التخلق بالاسماء على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك يا أخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

* (المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين أو غير أو لا عين ولا غير) *

اعلم يا أخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن أبي شريف

تحت المشيئة فان شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة وان شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع قال ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لانه ما ثم دار ثالثة انما هي جنة أو نار واذا سأل في دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق ما يهوله فلهذا كان الاحسن سؤال المصلي في شفاعته بان ينجي الله ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك وقال رفع الايدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كان الشافعي يقول لما بايدينا شئ من حول ولا قوة وان الامر كله لك يا ربنا قال وانما استقر الامر في الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بان أكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم انه لا ركوع في صلاة الجنازة بل هي كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به انه لا ترجيح في مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو

ز جليه ذكرا كان أو أنثى وذلك لان مقصود المصلى انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه فى الشفاعة فى حق هذا الميت

واحضار الميت بين يديه فلا يبالى أين يقوم منه الا أن يرد عن الشارع فيه شئ فيتبع قال وأيضا فان المتردد فى الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود و يفرقه عنه لاسيما ان كانت الجنازة أنثى فانه يتوهم أنه اذا وقف وسطها يسترها بذلك الوقوف عمن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر فى نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح فى حضور المصلى مع الحق فانه انما يستقبل الحق من المصلى قلبه والقلب قد تفرق بيقين باستحضار مالا ينبغى استحضاره من عورة المرأة وأطال فى ذلك * وقال الذى أقول جواز الصلاة على القبر من غير مدة معينة لان شرط الصلاة انما هو مواراته عن الابصار بكفن أو بتراب وأطال فى ذلك ثم قال فان كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به الى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وان كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الارض أو تحت الارض فان الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع الى أصله فالتحق الروح منه بالارواح والتحق العنصرى بالعنصر فليتأمل و يحرر * وقال فى حديث صلوا على من قال

لا اله الا الله فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه العالم

فى حاشيته وانما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا نعنى أنه متكلم أنه خالق الكلام فى الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسى وزعمهم أن لا كلام الا اللفظى وقيام اللفظى بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفى الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال فى ذلك ثم قال ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعرى وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضى والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة فى كتب أصول الدين قال وانما نفى المعتزلة الصفات على ما تقرر به هرو بامن تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون فى القديم لذاته انتهى ذكره فى مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع فى حاشيته انتهى كلام المتكلمين * وأما ما قاله الصوفية رضى الله تعالى عنهم فقد قال سيدى على بن وفا رحمه الله اعلم ان الذات شئ واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتبارى والاعتبارى لا يقدح فى الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها وكالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل) فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الكلام على التشهد فى الصلاة من الفتوحات ان الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الاوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة مالها عين موجودة انتهى * وذكر أيضا فى الباب السادس عشر وأربعمائة عن شيخه أبى عبد الله الكنانى امام المتكلمين بالمغرب أنه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتى آخر المبحث الآتى عقبه أن من الادب أن نسمى الصفات أسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هى عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه فى جميع الفتوحات ما ذكره فى هذه الابواب الخمسة الآتى ذكرها وهى الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فأما ما قاله فى الباب السابع عشر فقال اعلم أن جميع الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلولة بها ثم لا يخلو أن تكون هى عين الاله فالشئ لا يكون علة لنفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التى هى علة له وهو محال ثم ان الشئ المعلول لا يكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون الها الا بها فبطل أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * وأما ما قاله فى الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا أخى ان الاستقراء السقيم لا يصح فى العقائد لان مبناها على الادلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فأعطاه دليله أن لا يكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا أن الحق تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم و يكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهى صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشئ زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذى دعا بعض المتكلمين أن يقول فى صفات الحق تعالى انها غيره فأخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعانى بقدر فعمم كمال ذات

العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم أن من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بامر زائد وذلك في كل علم يدركه الانسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى أمر آخر فاذا ورد عليه ما لا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتأمل كانه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك واياك والغلط * وأما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم أنه لا يجوز الحكم على الله بشئ لانه خبر الحاكي ومن هنا يعلم انه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها ولا هو عينها وقد زل في هذه المسئلة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بامر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * وأما ما قاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فاعرف الحق تعالى منك الا علمك لا أنت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب أي عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ما هي غيره فقط ويقف وأما قولهم بعد هذا القول ولا هي هو فانما ذلك لما رأوا من أنه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقول لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا اذا لم نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا يخالف كشفنا بان الصفات الالهية عين فان من يقول انها غيره واقع في قياس الحق تعالى على الخلق في زيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الذين قالوا ان الله فقير الا بحسن العبارة فقط فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ انه قائل بان الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك

* (المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية) *

فلا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الاسماء اللائق معناها به تعالى وان لم يرد بها الشرع ومال الى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وليس الكلام في أسمائه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في شرح المواقف وقال المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما اتصف البارى جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير يوهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه أمرا لا يليق بكبرياء الله تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما تسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شئ وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغي مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رأيته من كلام المتكلمين وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه اعلم انه لا يجوز اجماعا أن نشتق له اسما من نحو الله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذي أضاف ذلك الى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا وخاطبنا بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم أنشد

ذلك * وقال الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم في استناده الى خبر ان الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولا سيما والاخبار الصحاح والاصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فانه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول فرأينا أن الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود في النار على التأبيد الى غير نهاية والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها الى بعض ليقوى بعضها ببعض وأما حديث بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة أي قبل رؤيتي لا سيما من قتل نفسه شوقا الى ربه فان القاتل نفسه لولا ظن الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر الى ذلك والله يقول أنا عند ظن عبدي بي قال وهذا هو اللائق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهي اذ لا نص صريحا يخالف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد فليعد الناظر في أنظاره من الاصول المقررة التي

ان الملوك وان جلت مناصبها * لهامع السوقة الاسرار والسمر

فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعني الواردة في الكتاب والسنة وما ثم الا حسنى لانه لا يصح أن يكون لها مقابل انتهى وقد مر ذلك في المبحث قبله * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف أو النظر الصحيح * وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى الا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه ومالا فلا فانما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز أن يقال في الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ في كتاب القصد لا ينبغي أن يقال في الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلي والابدي قال وكذلك لا ينبغي أن يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حي كما ورد وذلك لقول الله تعالى خالق الموت والحياة وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع أن الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع أحد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر أهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين وأربعمائة والذي نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذي علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز انه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى (قلت) والذي ذهب اليه القلانسي وعبد الله بن سعيد أنه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون انه يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسي وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكري الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى في الادب أن تسمى الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى * وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب أن تسمى الصفات أسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال أدبا ان الله تعالى شيء الا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه لست بشيء لاني لو كنت شيأ لجمعتني الشيئية فيقع التماثل وأنا لا أماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك

تناقض هذا التأويل فان في الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فلم يبق الا ما ذكرناه اه فليتامل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه حيا بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده ايمانا انه حي كونه انقطع عمله فهو وان كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزداد في درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله * وقال الذي أقول به في الاطفال المسبيين من أهل الحرب اذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل انه يصلى عليهم فانهم على فطرة الاسلام كما في حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه قال وما قلناه أولى ممن قال لا يصلى عليهم لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزله من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالعاقل يصلى عليه اذا مات بكل وجه اه فليتامل ويحرر * وقال الوالي أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي قال والحاقه في هذه المسئلة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من

المنع

المنع كل مالم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر في حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي)

وهـذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله تعالى فنقول و بالله التوفيق اعـلم يا أخي ان الاسم الحي له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقـة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى انه لا اله الا هو الحي القيوم فجعـل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والاسماء ويستحيـل وجود حقائق شيء من الاسماء من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقـد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شيء الا بعـد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل في العقـل أن يريد تعالى مالم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده تعالى كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال و يلي الاسم الحي في الظهور الاسم البارئ وكأن لسان حال الاسماء الالهيـة حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت لبعضـها بعضا نريد ظهور أحكامنا لتتميز حضرات أعياننا بأسمائنا وآثارنا فقال بعضهـم لبعض انظـروا في ذواتكم فنظـر كل اسم في ذاته فـلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصـلا ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما *فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التي بها يظهر سلطاننا وأحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التي يطلبها حقائق العالم الى الاسم البارئ جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر أحكامنا و يثبت سلطاننا اذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبـل تأثيرنا فقال البارئ ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته قال وكان أصل هـذا كله ان الممكنات في حال عـدمها سألت الاسماء الالهيـة سؤال ذلة وافتقار وقالت للاسماء ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفـة ما يجب لكم من الحق علينا ولو انكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصـلاحية دون الفعـل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هـذا الامر تحت حيطـة المريد فـلا توجـد عين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل فاذا أمره بالتكوين وقال كن مكننا من نفسه وتعلقنا بايجاده فكوناه من حينه *فلجؤا الى الاسم المريد عسى أن يرجح أو يخصص جانب الوجود على جانب العدم لحينئذ اجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجـدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له انا سألنا الاسم القادر في ايجاد أعياننا فاوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صـدق القادر ولكن ما عنـدي خـبر بما عنـد الاسم العالم من الحكم فيكم هـل سبق علمه بايجادكم فأخصص أولم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليـه واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المـريد فقال العالم صـدق المريد وقد سـبق علمي بايجادكم ولكن الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلابد من حضورنا عنـده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو أعـلم فـذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامـع لحقائقكم وأنا دليـل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتـنزيه فقفوا حتى أدخـل حضرة مدلولي فدخـل على مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني أنا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبـة لا الى الاحد خاصـة فانه اسم

الحاقه بالولي في مواراته ودفنه وذلك أن الوالي له اطـلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الامور فهو أولى بالشفاعة عند الله في الميت فانه نائب الشارع استخلفه أعظم من نظره ونظر الشارع الى من الى غـيره وكلامه أقبـل عنده لكونه فوض اليـه الحكم فيما ولاه *وقال في قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته انما فصل تعالى بين صـلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسـلم في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي بيانا لخصيصه صـلى الله عليه وسلم على غيره من الخلق مع انه صلى الله عليه وسـلم دخل معنا أيضا في صلاة الحق في قوله عليكم فحصـل له صـلى الله عليه وسـلم الصـلاة عليه جمعا وافرادا *وقال من غيرة الله تعالى انه ما من مخلوق الا ولمخلوق آخر عليه يد وجه ما فان أراد مخـلوق الفخر على مخلوق بما أسداه اليه من الخـير نكس رأسـه ما كان من مخلوق آخر اليه لتكون المنـة لله وحـده ولذلك قال صلى الله عليـه وسلم للانصار لما ذكر لهم أن الله تعالى هداهـم به صلى الله عليه وسلم لو شـئتم لقلتم وجـدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحـديث فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا عـلى نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذا من أسرار المعرفة فاجعل بالك له (وقال) في قوله تعالى في بيوت اذن الله أن

خصص بي نخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من الاسماء فادى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا ونلحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كان قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان حكمكم أيها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه ليحفظ علينا وجودنا ويحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجؤا كلكم الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده والا هلكنا وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذي ينهي أمركم فانهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بامر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذي هو الامام يعني الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الامر عليه في نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة وليبلوهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى (فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم في كلام عنقاء مغرب فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالم الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملائكة بين يدي ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل) فما أول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أولها الحي والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيي فهكذا صفوف الاسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول حقيقة لارتباط الاسماء كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالباء المشعر بالبعد مع انه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يحكم في أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتي فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد أو نهي عنه فان الاسم الالهي الذي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به أو نهي عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغي لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة فيما أمره به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم أو حفظ (فان قلت) فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضي حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطالب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون في عمل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى أعلم اه ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحي وتوابعه (وأما الاسم العالم)

ترفع ويذكر فيها اسمه الآية معنى رفعها تمييزها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح أي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لا تلهيهم أي لا تشغلهم تجارة أي بيع وشراء ولا بيع أي وحده وأطال في تفاصيل ذلك * وقال في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلي بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بامر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وان لم ينو ذلك فانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره وهو محتاج اليه فهو عاص وصدقته لهوى لا لله لان الشارع قال له ابدأ بنفسك واذا خرج الانسان بصدقته فاول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو انما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا ان نبدأ في الهدية بالاقرب فالاقرب من الجيران فان رجحنا الابعد فقد اتبعنا الهوى يوما وقفنا عند حدود ربنا * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم في حق قوم ينصب لهم يوم القيامة منابر في

لقال

فقال الجلال المحلى محقق الزمان العالم هو الذى علمه شامل لكل ما من شأنه ان يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى أحاط بكل شئ علما وقال وأحصى كل شئ عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات أما الكليات فعلى الاطلاق وأما الجزئيات فباجماع من أهل النظر واتفاق (فان قلت) كيف أجريت خلافا فى كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة ما ذكرت (فالجواب) انى أجريت تبعا للغيرى فى الاشارة للخلاف فى تعلق العلم بالجزئيات والا فانا أعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شئ ولا يعزب عن علمه شئ وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بارض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شئ فما أدرى أين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الائمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن الظاهر ان الائمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج فى علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل فى طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفى العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسى بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فاخطؤا فى التعبير من حيث ان عباراتهم أوهمت ما أضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور أخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال فى باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال ان يكون فى علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال فى المعانى محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات فان ظاهر ذلك يقتضى ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب فى فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ فى الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات اعلم انه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود وله مقصود ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح ان تريد العلم به وهذا من أعجب ما فى الوجود واشكله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التى اليها ينتهى وما ثم بعده الا أنت ومنك علمك وما بقى بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع ما فى الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الثانى والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا أخى ان الخبير هو الذى حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل له فى قولنا فى آية الاستواء وفى النزول الى سماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافى صفات التنزيه انتهى وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار فى قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فعلمه من حيث كونه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال فى معنى هذه الآية فى موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان العالم ان يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه الى نفسه أم يتوقف * وقال فى موضع آخر ان استفهمك فقد أقرك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب

الموقف ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء المراد بالشهداء هنا الرسل اذهم شهداء على أممهم وانما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف فى ذلك الموطن لانهم لم يكن لهم أمم ولا اتباع كالانبياء والرسل والائمة المجتهدين فهم آمنون على أنفسهم والانبياء والائمة خائفون على أممهم واتباعهم فاذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم فى ذلك اليوم فى حق غيرهم والانبياء تخاف على أممها دون أنفسها قال وهذه مسئلة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا الان كان وما وصل الينا * وقال فى الباب السبعين فى أسرار الزكاة فى قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد الامر بالقرض لله كما ورد باعطاء الزكاة وأطال فى الاستدلال على ذلك ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أى لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير قال وانما سماها الله صدقة تنبيها على انها أمر شديد على النفس تقول العرب رمح

فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال في موضع آخر من باب الاسرار من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار في البصائر والابصار * وقال في موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وشربه العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم فالولي الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخي الذي علمك مالم تكن تعلم وأطال في ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعليم يعم في وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت في ذلك فتأمل في قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد فقط بعقلك دون نقلك فان التقييد في التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما وأم علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة السلام ولا أعلم ما في نفسك فاني لست من جنسك اه كلام الشيخ في باب الاسرار فتأمله * وقال في الباب الرابع وأربعمائة اعلم أن من أشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق اعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم اذ هي معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بما لم يزل لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما أشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الالهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب افكارها قال الشيخ وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال في هذه المسئلة فألقى تعالى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم أن المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى موجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخي لذلك فانه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول في الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل في الوجود متناه والباري تعالى هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه مالم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على سبب بدء العالم الذي هو تأثير الاسماء في الممكنات كاسم من أن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص بافراد من كمل الورثة المحمديين * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من الفتوحات اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم أزلا بايجاده فيكون تعالى ما علم أنه سيكون وهذا انتهى علمهم وأما نحن فاطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو أن الاسماء الالهية المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الاول التي لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا أدري أعطى الله ذلك لاحد من أهل عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ما هي عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وأربعمائة أن معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشئ

ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ان شاء الله تعالى لغفل ولم يبخل قال وانما لم يأخذها منه النبي صلى الله عليه وسلم لاخبار الله تعالى أن ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكى وتطهر من أخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فلما ولي عثمان رضي الله عنه أخذها منه متأولا وقال انها حق الاصناف الذين أوجب الله تعالى لهم هذا القدر في عين هذا المال قال الشيخ وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضي الله عنه ولا ينبغي الانتقاد عليه لانه مجتهد فعل ما اداه اليه اجتهاده وتقرر الشرع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من امرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكى مؤدي الزكاة فهو يأخذها للامر العام باعطائها وان كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم * وقال في قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما تخص الكي بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم لان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته

الذى

الذى تعلق به العـلم الى حضرة الوجود على الهيئة التى كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا ذوقا الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم فى رؤيا الانسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذى يشهد الامور قبل تكوينها فى حال عدمها فان كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب اذ الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التى ظهر فى وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان علمت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال ان يتعلق العلم الالهى الا بما هو المعلوم عليه فى نفسه فلو أن أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذنى لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك وأنصف فى كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل بصيرهو يقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى أى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات يعنى فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم فى القدم الا بما ظهروا به فى الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الخامس والعشرين فى بيان ان لله الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى فى الرتبة على المخلوق (فالجواب) أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيي الدين بعد ذكر هذا الجواب وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهى مسئلة دقيقة ما فى علمى ان أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى الا ان كان وما وصل الينا وما من أحد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة فى حال عدمه الازلى له فهو مساو للعلم الالهى ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن فى كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة لكانت كفاية فى شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا فى هذا الموضع ما ذكره فى الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم اذ العلم متأخر عن المعلوم لكونه تابعا له هذا تحقيقه فثمرة العلم على التحقيق هى المعلومات وهى نسبة لا يصح رفعها فى مشهد أحد من الاكابر ولو ارتفعت رتبته فهى متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر فى معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه أثر والمحال بنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا يعلم أن العلم لا أثر له فى المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك ان ايجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الالهى كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن فى عينه فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به معدوما اهـ (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم وبمعنى معلوم معا فان الباء فى قوله بكل شئ بمعنى فى فهو تعالى فى كل شئ معلوم وبكل شئ محيط أى له فى كل شئ احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا لله ولمن أعلمه الله قال والاصل فى ذلك كله ان الظرفية هل هى أصلية فى الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا أو هى فى حق الحق بحسب ما ينبغى لجلاله وظهرت فى العالم بالفعل كما فى قوله فى الحديث للجارية أين الله اهـ فتأمل فى هذا المحل وحرره والله يتولى هداك (خاتمة) ذكر سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى أحاط بكل شئ علما ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو فى الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شئ معلومه لم تتم له تعالى هذه الاحاطة

لعلمه انه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كانه ما عنده منه خبر فيكوى بم اجنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعى زكاة الذهب والفضة وأطال فى ذلك * ثم قال ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الاجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الاخراج كما ورد فى الذى يتتعتع عليه القرآن انه يضاعف له الاجر للمشقة التى تناله فى تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة قال ولا يخفى ان الذى يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد * وقال فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه والله لو منعونى عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذى أقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاء بها الينا قبلناها منه وجعلناها فى بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الذى أقول به انه لا يجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذى هو فى ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو فى يد القابض * وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل

العلية والله تعالى أعلم (واما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع وانما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فانه تعالى أثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات المراد بالشيء الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شيء تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان في الاعيان وتقلب الخلق في الاطوار علم ان الله على كل شيء قدير لا على ما ليس بشيء في علمه فان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء بعده أبدا وما هو شيء محكوم عليه بانه شيء أبدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري يوم لا يوم فقال أبو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير أو كما قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى (فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق بايجاد المحال كتجسد المعاني وايجاد شخص في مكانين أو أمكنة في آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمانين ومائتين أن قدرة الله تعالى مطلقة فله ايجاد المحالات العقلية وأطال في ذلك * وقال في كتابه اللوامع في قول الامام حجة الاسلام ليس في الامكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة ومعناها في غاية الوضوح وذلك انه ما ثم الا الامر تبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اهـ * وقال في الباب الثامن من الفتوحات في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الارض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الارض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره في هذه الارض وأطال في ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم

(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذي تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى انه يوجده أراده فأوجده وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم فعلم ان القدر خيره وشره كان بارادته وهو ايجاد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الاشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الاشاعرة وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو ارادته تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم في القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال في الباب الثالث عشر وأربعمائة فان قيل فهل يجب الرضا بالمقضي كالقضاء (فالجواب) الذي عليه أهل السنة والجماعة

وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ماله فيه من العلم فلابد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له * وقال المستحب أن يقدم في العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا على البداءة في الطواف بالصفا وكذلك كل شيء قدمه الله في الذكر نحو هو الذي يسيركم في البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا في جميع أحواله * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم المعتدي في الصدقة كمانعها أي لان تكليف النفس ما لا يسعها ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا لوام الخير في عين ما أراده من الخير * وقال في قول أحد الملكين اللهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا اعلم أن الملائكة لسان خير صرف فمعنى قول الملائكة اللهم أعط ممسكا تلفا أي مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى أتلف ماله الذي كان عنده فتخلفه عليه كما أخلفته على المنفق كانه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق وان كنت يا ربنا لم تقسم له أن ينفقه باختياره فاتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب خيرا فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فان الملك لا يدعو قط على احد بشر ولاسيما في حق المؤمن قال ولا شك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني انه دعاء في حق الغير بلسان

انه

انه يحب الرضا بالقضاء لا بالمقضي (وايضاح ذلك) ان الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الاجمال فانه اذا فصله انقسم الى ما يجوز لنا الرضا به والى ما لا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ قضاء وقدر أي بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضا ببعضه وصورة الايمان بالشر أن يؤمن العبد بانه شر كما يؤمن بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى أدبا كما أشار اليه خبر والشر ليس اليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسموات كما بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل وما تشاؤن الا أن يشاء الله (فان قلت) فهل يطلق على الارادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذي عليه الجمهور انه يطلق على الارادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الارادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لان المشيئة تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فتعلقها العدم الاضافي فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما أمره أي مشيئته اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهي أعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فان قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى (فالجواب) انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والارادة لانه قد يكون المشاء والمراد مما محمودا كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئته ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذي قاله المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهي وأما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهي فليس بصحيح لانه به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية في الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهي صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هي على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفتها على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندي ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه في القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصي من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب أن يقال في الشر قضاؤه وقدره ولا يقال أمر به وان كانت الارادة أقوى في النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصى بارادة الله تعالى وأيضا فان الامر موضوع تسميته انما هو للطرف الراجح في الخبر ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهي في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى اعلم أنه يصح أن يقال كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال وبيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ما هو عين ذاتها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما يجري عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة

الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب قال ولا يقال لم يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدي الى ان الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به * قال وأما ميتة السوء فهو ان يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاوة اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقي * وقال في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل في ذلك انفاق العبد قواه في سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة * وقال طلب العبد الاجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فانه العبد في صورة أجير ما هو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل وانما يأخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستئجار فليتامل * وقال في قوله تعالى واما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل في العلم اذا كان أهلا لما يساله فيتصدق العالم عليه بالعلم

لاتتوجه الاعلى معدوم لتوجده قال فان ألزمناذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت سمعالاعقلا فاثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها في الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها اعراضا فلا يقدح ايماننا بهم فيماذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل ويحرر فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيدالله لابيدالعبد وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنة على القلوب بيدالله لابيدالعبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لابيدالعبد ولنفسر لك معاني هذه الامور فنقول وبالله التوفيق * أما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيدالعبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطا فان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل مايسوءه قط * وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط أي لامع الداعية لعدم تأثيرها * وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك المباح وخفت أن ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو مايقع عنده صلاح العبد آخره بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا أو على وجه الحفظ ان كان وليا وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال في العبد الذي هو الاضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بامه التي هي النفس ماعنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم أن من كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعي الى الله ولا يفهمه على وجه الانتفاع به * وأما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفي آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة * وأما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ وطبع يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى مالا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدا والطبع يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعي الشرع * وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فخفنا يارب من فك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها ولم يكن بأيدينا من ذلك شئ قال الشيخ محيي الدين وكان عمر بن الخطاب من أهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيدالله به الاسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لاتكاد تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شئ وان كل واقع في الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا أنه يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فامامن طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأمامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلي وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب أي ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق أخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا انه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ماوعد وأوعد في هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصي وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه

ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلا على من طعمه ولا يطالب منه بخدمة ولا ادبا في نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهو طريقنا ان شاء الله تعالى * وقال في مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طبولية وغاية ماقال الناس فيها ان الغني أفضل لتصدقه والذي عندي في ذلك انه انما كان أفضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا لفرضنا مال الرجلين على التساوي وانما وجه التفضيل ان الذي تصدق بالاكثر كان دخوله الى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه الى جانب الفقر لاغير قال وهذا لاينكره من له ذوق في المقامات والاحوال والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقي على أصله لاشئ له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ماأمسكه والسلام * وقال في قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ان لا يطلب به مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل أمر الله تعالى له بالاحسان * وقال في حديث الذي تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

يتصرف

يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال في غير قصاص الآخرة والأصل عدمه فان كلام الائمة انما هو في الايلام في الآخرة لا في الدنيا اذ وقوع الايلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه * أما ايلام الدواب والاطفال في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا يختصمن كل شئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواهما الامام أحمد قال الجلال المحلي رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام في الدنيا للدواب والاطفال يكفي ذلك عن ايلامهم في الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة ويكون محل خلاف الأئمة في ايلام الدواب والاطفال في الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا في الدنيا (فالجواب) نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم أن الله تعالى قال في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد في حق الامة لانه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسئلة ايلام البرىء والطفل فان الاشعري يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما هو جائز واقع قال الشيخ وكل ما احتج به الاشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان أطلقوا على انفاذه ولم يقيدوه الا حيث يعينه الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة فاذا أنفذه في الدنيا بمرض أو ألم نفسي أو حسي كان ذلك كفاية في صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك ستراله عن عقوبة الآخرة انتهى وقال أيضا في الباب الرابع والستين ومائتين اعلم انه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ في أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار فأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجد من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات بعد ذلك فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم أبد الآبدين وان دخل النار فهو في ألم لا انتهاء له ان كان من أهل النار الذين هم أهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال في باب الاسرار في قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد أخبر في هذه الآية أن كل ما حصل للعبد من الامور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهي برية وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام في غرضها وهو عين مرضها قال وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن في الدنيا أمر مؤلم قط الا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم والله ما قصدت الا نفعك بما أمرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقوله الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض هذا الالم الذي أصابك انما هو جزاء لما آلمت به المريض نفسه جزاء ما فعلته وان كان ذلك الالم ما قصدته اه وسيأتي في مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى أعلم * وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة في تقديم الاسم السميع على الاسم

ثم انه ما تنفق بعينه في هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بانها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فافهم ثم اعلم ان اخفاءها يكون على وجوه منها ان لا يعلم بك من تصدقت عليه بان أعطيتها لشخص فاعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه ومنها ان تعطي صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذي أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس في الاخفاء أخفى من هذا * وقال في حديث مسلم أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث اعلم انه ينبغي لمن وصل الى هذا الحد وأراد أن يعطي أحدا شيأ فليحضر في نفسه انه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين للفوات محل الافضل والله أعلم * وقال في حديث من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين المراد بالافضل الذي أعطيه هذا هو العلم بالله فانه أفضل ما أعطي السائلون بيقين وأما غيره فهو على الظن * وقال انما ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطي للفقير الاشياء النفيسة وذلك ان المنادي ينادي يوم القيامة أين ما أعطي لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخليع من الثياب ثم

البصير وعلى الاسم العليم فى الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائة أن الحكمة فى تقديم الاسم السميع على غيره فى الذكر كون أول شئ علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون الوجود اه وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السابع والتسعين وسيأتى بعضه فى المبحث عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع و يرى ما تحرك أو سكن أو بطن فى الورى فى العالم الاسفل والاعلى فيسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى الوادفى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه فى حد أو حقيقة * وقال فى لواقح الانوار من خصائص الحق تعالى أنه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شأن عن شأن انتهى

* وقال فى باب الاسرار من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن و بعيد عمن هو أقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو راجع الى شهود العبد فان أطاع ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا أخى ان هذا محل وقع للعلماء اضطراب فى تعقله ونحن نشير الى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول و بالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة أى صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو أمر يذوقه النبى أو الملك فى نفسه لا يستطيع أن يكيفه بعبارة كالوسئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا لما قدر على ايصال الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت ألفاظ الكلام الى عربى وسريانى وعبرى مع انه واحد فى نفسه غير متميز (فالجواب) صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربى بالله تعالى والفارسى بخداى تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا أو بالسريانية كان انجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فان قيل) فما أول كلام شق أسماع الممكنات من الحق تعالى (فالجواب) هو ما أشرنا اليه فى المبحث السابق ان أول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهى هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان فينفخ الرحمن الروح فى شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهى نفس المتنفس المريد لايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك فى جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب فى مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ فى صدورنا بالفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلى ونبهوا بقولهم لا المجاز فى الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشئ كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو فى المصاحف ولا فى الصدور ولا فى الالسنة وانما المراد بها ما يقابل المجاز أى يصح أن يطلق على القرآن حقيقة انه مكتوب محفوظ مقروء أى ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقى كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انه الاسناد مجازى (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح ان يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق أى موجود أزلا وأبدا اتصافه باعتبار الوجودات الاربعة التى هى لكل موجود وهى الوجود الخارجى والوجود الذهنى والوجود فى العبارة

جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهى * وقال فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لى غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد فى الصوم أنه لا مثل له أى من العبادات وذلك لانه وصف سلبى اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذى هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه فى وقت مخصوص وأطال فى ذلك * وقال فى حديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعلى أحدا من الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه فى نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذى بالروائح الخبيثة قال وما انفرد بادراكها أطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل فى جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا أدرى هل

العبارة والوجود في الكتابة وهي تدل على العبارة وهي على ما في الذهن وهو على ما في الخارج فالقرآن باعتبار
الوجود الذهني محفوظ في الصدور وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابي
مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر ولا بالالسنة
ولا في المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها أصوات هي اعراض والله أعلم * وقال الشيخ
كمال الدين بن أبي شريف في الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين أحدهما الكلام
النفسي القائم بالذات المقدس الثاني اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك أو
هو في الثاني مجاز مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر لعلماء أصول الدين وبالمعنى
الثاني محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله قال ووجه الاضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة
الله تعالى وبالمعنى الثاني انه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
أو بحروفه في لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبي لقوله نزل به الروح الامين على قلبك
ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا بمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر في التسمية
بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه أولا
يعتبر في التسمية الاخصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع ان ما يقرؤه
كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع
السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان أو في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا
أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى
* وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على ان القرآن كلام
الله غير مخلوق من غير بحث منهم بانه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على انهم اذا زاروا
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلي والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير
بحث انه شخصه أم روحه وأطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث
القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بالفاظها كالقرآن وهي كلام الله
تعالى بلا شك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب)
ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
(فان قلت) فهل يجوز لاحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيأ من القرآن على المعنى
(فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا
لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال أن يغير صلى الله عليه
وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل
بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل فاي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف في صورة
ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما لم ينزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم
وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس
والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحي اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب)
ان مثال ظهور الوحي بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية فان جبريل لم يكن
حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا في حالة واحدة فكما تبدلت صورته في
أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدي يتمثل بلسان العربي
تارة وبلسان العبري تارة وبلسان السرياني أخرى وهو في ذاته أمر واحد أزلي فالكافر والمشرك يسمع
كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما

فتأمله وحرره والله عليم حكيم * وقال في حديث يدع طعامه وشرابه من أجلي انما قدم الطعام على الشراب في الذكر لان الطعام هو الاصل في الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الامساك عن الماء وان عطشت أقام والله الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير في المزاج ولا في البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التي في الطعام وأطال في ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال في حديث اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل في عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر أول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر والخفاء وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فان النار اذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه فتقوى نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التي هي صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به وهو مذهب

واحد البطل الاصطفاء * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزر فهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بان استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فامروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به قياما من غير بحث على المعنى الحقيقي اذ قد صح ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقرؤها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الائمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسئلة رضي الله تعالى عنهم * قال الحافظ الذهبي رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في مسئلة خلق القرآن وجددها مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك باغراء أحمد بن أبي دؤاد مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة اهـ والله تعالى أعلم * وأما نقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها اهـ (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في موادحادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مادام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف * وسمعته يقول أيضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فاكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني اهـ وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فكما أن الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر الا بمناسبة تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكما أن الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لا طلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد ما لم يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقية كما قلنا في الصوت والحرف اهـ * وقد ذكر نحو

ابن الشهر برأيضا اذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل بأكبر المقدارين وانما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين * وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة * وقال الصوم نسبة الهية فاثبت كل أمر في موضعه * وقال في الكلام على كفارة الجماع قال بعضهم الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر قال الشيخ والذي أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم * وقال الذي أقول به أنه لا كفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها في الجماع في الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة في حديث الاعرابي ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي لنا أن نشرع شيأ مما سكت عنه الشارع (وقال) الذي

نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صورى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدى يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط فى حال المنازلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهى السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا فى تجليه له فى صورة حاجته التى هى النار اه * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال فى القلب بلا صوت و حرف أم بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن مادام فى القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو فى قلوب العلماء به على غير الصورة التى يظهر بها فى ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف وصوت ويقيده بسمع الآذان وقد قال تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابى بسمع اذنه فى حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أى من حيث الحروف والاصوات ويصح اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتى بسطه قريبا فى باب الاسرار والقلب بيت الرب اه ذكره فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال فى باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسلك الا من عرفه ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه فى اللسان ونظم حروفه فيما رقم بالبراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وماحدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام اه وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الا من كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان قواه * وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف اه * وقال فيه أيضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله وقال فيه أيضا أصدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذى لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مشابهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكتابى وهو اللفظ بلا ريب فاين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق اه * وقال فيه أيضا لا تقل أنا اياه لقوله فاجره حتى يسمع كلام الله أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف اه * وهذا لا يمشى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر * وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة فى ذلك (فالجواب) أنه لو جاء فى القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذى هو الجرح والتأثير فاذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخى بين القول والكلام كالفرق بين الوحى والالهام وبين ما يأتيك فى اليقظة والمنام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام اه وفيه أيضا ما العجب الا منا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هى

أقول به ان العارف اذا كشف له انه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر فى ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصى ولا بد لا ينبغى له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد راعى حكم الشرع فى الظاهر على أن هذا الامر ليس عندنا بواقع أصلا وان كان جائزا عقلا وأطال فى ذلك * وقال انما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر اذا أفطر فى رمضان لان الرطب أحدث عهدا بربه كما قال ذلك حين اغتسل فى المطر * وقال فى السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب لانه له وجه الى النهار ووجه الى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحورا الا ما كان فى هذا الوقت (وقال) الذى أقول به ان المفطر من صوم التطوع ان كان لهوى نفسه فعليه القضاء وان كان لشغله بمقام أو حال فلا قضاء عليه * وقال فى حديث مسلم صوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله أى فلا يؤاخذ من صامه بشئ مما جناه فى السنة كلها وانما قال أحتسب على الله مع أنه على علم من الله انه يكفر ذلك أدبا مع الله لان العارف اذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وانما يقولها عن تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى فى أمر مقطوع به فالاستثناء فى نحو ذلك أدب الهى والله أعلم * وقال فى حديث وأتبعه بست من شوال الا علم أن

شبهات من أكثر الجهات اه (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية فى الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين انها تتشكل فى الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت فى الهواء تعلقت بها أرواحها ولا تزال الهواء يمسك على الناس شكلها وان انقضى عمرها فان عملها وتأثيرها انما يكون فى أول ما تتشكل فى الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير فى كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق انها يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها لا عليها لانها انشأت مسبحة لله لا يعلم عليها على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يحمد ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى فى حق الله تعالى من الكفر والسب وهى كلمات كفر عادوبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فان قلت) فاذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغير والزوال اذ هى فى محل يقبل ذلك وأما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها فى محل لا تقبل التغير (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله فاذا قرأت الفرقان مع انه من أسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطارد ابليس فلا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيستدعوا ابليس الى الحضور فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس باحد من أولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولوا العزم أقوى منه بيقين (فالجواب) انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية أما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه فى حضرة الارادة التى قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذى هو الله دون غيره فأى طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذى لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كان العارف يأخذ كلام الحق الذى قاله ابتداء بغير الوجه الذى قاله تعالى استدعاء وكأنه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذى يحكيه عنهم باللفظ * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم من تترجم فان الله عز وجل تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى * مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لا تحزن ان الله معنا * ومثال الثانى قوله تعالى حكاية عن قول فرعون يا هامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية وتمييزه عن بعضه بعضا فآخر قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على ذلك ما يشاكله فى القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لاحد قدما فيه من أهل عصرى فالحمد لله الذى أهلنا لذلك فانه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل أحد أوتى مفاتيح الفهم فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى الحروف التى هى أوائل السور المرموزة (كالم) و (المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم

هذه الايام بدل من السنة أيام التى ثم نهى عن صيامها وهى يوما العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك قال وأما حديث اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فلان فى ليلة النصف من شعبان يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه فى تلك السنة فيخط على اسم الشقى خطا أسود وعلى اسم السعيد خطا أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقى فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كأنه محتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر *وقال دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضى أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا *وقال من كان فى مقام السلوك ودعى الى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغى له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت أن للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثانى من الصوم فى مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك انها لما رأت أن

الايمان

الايمان بها ولم يفهموا اهـ فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال ان أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لانا نقول انه لابد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا فلو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز وروده الا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم ان في القرآن حشوا ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة قال وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانهم رقائق ممتدة من ذواتهم الى أسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (المص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق) و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال في ذلك ثم قال فمن نظر في هذه الحروف وهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التي هي هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات اهـ (خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربي وجميع المتشابه أعجمي ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعاني كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقي تعالى) فاعلم أن الباقي هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحي تعالى لان الحي من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم في مبحث كون الصفات الالهية عينا أو غيرا ان الاصوليين اختلفوا في صفة البقاء وان الاشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضي والامامين قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة في كتب أصول الدين والله تعالى أعلم

(المبحث السابع عشر في معنى الاستواء على العرش)

اعلم أن هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا أخي الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز أن يطلق على الذات العلي أنه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف في جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به في كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا أن نقول على الله ما لا نعلم فكما أنه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم أن غاية العقل في تنزيه الباري عن كيفية الاستواء أن يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا في استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء البشر الذي هو مخلوق من استواء الباري جل وعلا فتأمل وسيأتي بسط ذلك في الخاتمة آخر المبحث الآتي بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في الباب الثالث عشر من الفتوحات

شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قال صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنال مقام داود في ذلك وساواه في الفضيلة وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله * وقال في حديث من فطر صائما فله مثل أجره أي أجر فطره لا أجر صومه لان الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه اذا الفطر عند الغروب من تمام الصوم ومن أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي اليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما ان كل نبي يعطى أجر الامة التي بعث اليها سواء آمنوا به أو كفروا وأطال في ذلك * وقال في حديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله المراد احياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي * وقال الذي أقول به ان ليلة القدر تدور في السنة كلها قال لاني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الاخير منه ورأيتها مرة في العشر الاوسط منه في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فانا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه قال ولم ينقل البناني أحدا رأى ليلة القدر في العشر الاول من رمضان أبدا وذلك لانها ليلة تجل الهي ولم يرد لنا حديث في ان الحق تعالى يتجلى لنا

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
وأي حول لمخلوق ومقدرة * لولا مجاء به عقل وتنزيل

وأطال في ذلك (فان قلت) فما وجه الحكمة في كون الاستواء لم يكن يجيء في الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان وجه الحكمة في ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يردلنا بالايجاد الا رحمة الموجودين كل أحد بما يناسبه من رحمة الامداد أو رحمة الامهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الاسماء حكما في المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يردلنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب المحتوي على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة في اعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص في جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلثمائة أن الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك أنه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وأن يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب العقل حائر الايدري أين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل الا ما كان في جهة مادام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله في نور ايمانه تكافات عنده الجهات في جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم أن الشرع ما تبع العرف الا في حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان في السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات (فان قلت) فما الحكمة في اخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة في ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتعريفنا واعلامنا بانه كما لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وأيضا فان في اعلامه تعالى لنا بانه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده في مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كما انه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كانهم في مجلس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى واعلم يا أخي أن صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق حدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بانه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوي على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا أخي بعقلك فما تتعقله في معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا في الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاء أو ملا من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذي وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شيء يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى للوجود أبدا فقد عجز العقل والله في تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيئا لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلي ان الحق تعالى اذا حيطهم به أحاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تعم الاحاطة لمخلوق على الوجه

في الثلث الاول من الليل أبدا (قلت) ورد أن الله تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس الى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد انها ليلة القدر ولعلها شبهة من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم * وقال الذي أقول به جواز الاعتكاف في غير المسجد الا أنه خلاف الافضل واذا اعتكف في غير المسجد جازله مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوزله ذلك لان الشهود للحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع الى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل في الصلاة فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج أركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهي وملكي ونفسي وشيطاني فالالهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذي أقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي رفعته أمه وقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فانه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف

المعقول في حق الخالق اللهم الا أن يريد الشبلي بالاحاطة الاحاطة بأنه لا تأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه في كتاب الاجوبة عما يتوهم في جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الاحاطة والتناهي (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أوضحه الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيره او ما لا يتناهى لا يكون محاطا به الا أنه تعالى لا يتناهى فقد أحاط تعالى علما بانه لا تناهي له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه في سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع أحدا يقول ان الحق لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه و يقول بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التي تتعقلها الخلق وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها لا تدرك في حقه ولا حق غيره أعني يدركها بعد أن يدركها انها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفي البدء والنهاية درجة من درجاته التي تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كأنه تعالى يقول ليس لي نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا ويدرك أنها لا تدرك نفي للتشبيه واثبات للتنزيه قال ومن هنا ينقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان أي لان كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق أبد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسي والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها أول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع أن في معنى الحديث كل شئ خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة أن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء بالقوة فان الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فانه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك يخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع أن السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فما هذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) أن جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله أعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراء له لانه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيها الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل و يكفينا الايمان في مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هي مترادفة أم لا (فالجواب) أنها غير مترادفة فهو من حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام والله أعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسئلة الاستواء على

عنده من العلماء وعندنا ان الشارع لو لا علم قصده بوجه ما صح أن ينسب الحج اليه وكان ذلك كذبا قال الشيخ وقد اتفق لي مع بنت كانت لي عمرها دون سنة قلت لها يا بنية فأصغت الي ما تقولين في رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشي على جدتها من نطقها هذا شهدته بنفسي وأطال في ذلك وسيأتي بسط القصة في الباب الثمانين وأربعمائة ان شاء الله تعالى وعدد من تكلم في المهد فراجعه * وقال الذي أقول به في وجوب الحج على العبد ان استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت فعم ولم يقل الاحرار منهم قال وان منعه السيد اثم انتهى فليتأمل ويحرر هو وما قبله * وقال انما حرم المخيط على الرجل في الاحرام دون المرأة لان الرجل وان كان خلق من مركب فهو الى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل للمرأة ابقي على أصلك لانك عين الرجل وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا مخيط فيه وان كان مركبا من حيث انه منسوج ولكنه أقرب الى الهباء من القميص والسراويل وكل مخيط وانما جاز الازار والرداء للمحرم لانهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال الكبرياء

العرش وها أنا ألخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله تعالى قد خلقنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى أي استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره قال وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ أشده واستوى أي استتم شبابه وقال تعالى كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه أي استتم ذلك الزرع وقوي واذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض في الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف في معنى آية الاستواء وذكروا في تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الائمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاحشة ولله تعالى في ذلك سر مع أن الآية معناها مفهوم كما ذكرنا قال والذي يصحح ذلك أن الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك في ستة مواضع (الاول) في سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش (الثاني) في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) في سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع (السادس) في سورة الحديد هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض (والمعنى) في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أي استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيأ كما يقال استقر الملك على الامر الفلاني واستقر الامر على رأي القاضي أي ثبت وهو مروي عن ابن عباس أنه قال استوى استقر وهو بمعنى استتم واستكمل قال وأصل الاستواء في العربية المساواة قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شيء نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال في ذكر السفينة واستوت على الجودي ولما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض وأتمه قال فسواهن سبع سموات وقال في تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته وقال ونفس وما سواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء في الآيات السابقة بالمساواة أحق وأصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أي استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضي والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج للمصدر المقدر فعل ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أي استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه أي في الجعل ومنه قول الشاعر * اذا نهي السفيه جرى اليه * أي الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله في الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف أي استوى بناؤه على السقف يعني استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض في الآيات كما يتراءى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك في قوله تعالى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وفي سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب أن الشبهة انما وقعت

ردائي والعظمة ازاري * وقال وانما كان لبس النعل في الاحرام هو الاصل فلا يلبس الخف الا اذا عدم النعل لان النعل ما جاء اتخاذه الا للزينة والوقاية من الاذى الارضي فاذا عدم عدل الى الخف فاذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافيا فانه لا خلاف في صحة احرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الامر بقطع الخف فالحق بالمنطوق وتعين الاخذ به فانه ما قطعهما المحرم الا ليلحقهما بدرجة النعل فلما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يسترا الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر انه ان لبسه عند الاحرام قبل عقده فله ان يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وان لبسه ابتداء في زمان بقاء الاحرام فعليه الفدية وان لبسه عند الاحلال جاز هذا هو الاظهر عندي الا أن يرد نص جلي في النهي عن المعصفر ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده على أني أقول ان تطييبه صلى الله عليه وسلم عند الاحرام وعند الحل ليس هو متعينا لاجل احرامه وحله فانه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يأتي فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص

فيهما من جهة النظم والا فالقصة فى جميع الآيات واحدة وللنظم طرق عجيبة فى القرآن فاما قوله فى طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذى يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى فى آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة وأما قوله فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير فى الآية تقديره الذى خلق السموات والارض هو الرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدأ خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذى خلق كما تقول الذى جاءك زيد وقوله ثم استوى على العرش اعتراض فى الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش يعنى استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر فى كلامى يبادر الى ملامى ويقول انك ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفى مخالفتهم خرق للاجماع وانى والله أعذره فى ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذى أقوله ان الذى ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك أننا اذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا ما فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء يعلو بنا ثم اذا ترقينا بأوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسى واذا ترقينا من الكرسى رأينا العرش الذى هو منتهى المخلوقات التى هى بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا اندرجنا بالفكر من العرش الذى هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هنالك لان مطار الفكر ينتهى بانتهاء الاجسام فنرى اذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسى لان فوقية العرش على الكرسى لا تكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان اه والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن عشر فى بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محظور كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى)

ولنبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيى الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وما صح فى الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وننزه عند سماع المشكل منه كما فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل يؤول المشكل أم يفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح فى اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل الى الخطأ أقرب مع ما فى التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن الا بعين اللفظ الذى أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذى أولناه يرضاه الله تعالى مع أن من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل ان تجتمع فى شخص من اهل هذا الزمان وهى التبحر فى معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص فى معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر فى علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف فى سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخلق قال وقولهم وما صح فى الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على

مريح منه الهاق ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال والذى أقول به استحباب بقاء الطيب الذى دخل به فى الاحرام وعدم طلب ازالته ولو وجدت رائحته لانه صلى الله عليه وسلم لم يغسله وقول عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله واحرامه انما أرادت به قبل وجود الاحرام منه وقبل التحلل فانها لم تقل طيبته لآخر احرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال وانما راعت الاحلال فى آخر أعمال الحج وهو طواف الافاضة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير (وقال) اذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة وبعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلناية واهم واتبعناهم فى ذلك فان النظر يقتضى ان الوطء اذا وقع قبل الوقوف أنه يرفض ما مضى ويجدد الاحرام ويهدى فان كان بعد فوات الوقوف فلا لانه لم يبق للوقوف زمان وهنالك بقى زمان للاحرام لكن ما قال بهذا أحد فتبعنا أصحاب الاجماع فى اطلاقهم الفساد (قلت) الذى يظهر لى ان النكتة فى ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذى أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذى أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان فى الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامهما من الحرم وأما استدلالهم

أن الصفات الواردة في الكتاب والسنة غير منحصرة في الصفات الثمانية المشهورة فقد ورد في الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهي اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض في المشكل المعنى (وأما كلام الشيخ محيي الدين في ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الا ان خفنا على انسان وقوعه في محظور اذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله في حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدني فان العبد لما توقف في ذلك وقال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لوجدتني عنده الى آخر النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لمثل هذا اهـ وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما أنزل الله على مراد الله اذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالفكر في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل اهـ * وسمعته رحمه الله يقول أيضا ما ثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا لمراد المتكلم فعلم أنه ما ثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم اهـ ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام في قيد العقل فاذا خلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان اذا أخطؤا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله اهـ وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان اغاليط ما دخل على الفلاسفة الا من تأويلهم وذلك انهم أخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرم العالم الآخر قال الشيخ وما علمت الخطأ الا من ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فاخذت علمه عنه على وجه الحق اهـ وقال أيضا في باب الاسرار اياك والتأويل فانك لا تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو بما أنزل الله من الالفاظ لا بما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخره * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد أقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط اهـ * وقال في الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم ان من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم الكيف كما جاءت فانا لا ندري اذا أولناها على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراده فنرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وانا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم الكيف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأي وجه كان هذا أيضا لا يبعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين اهـ على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد حرج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير

بقصد خروج السيدة عائشة الى النعيم فانما هو لاجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد عبرت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه بيته فهو الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال في قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أي موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم في تحصيل نظير تلك المقامات التي كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلني أواها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا

ان

ان نعقل له معنى في الباب الخامس وأربعمائة فقال من آمن بلفظ من غير أن يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا في الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا بما لا نفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاء بهذا فقد أبان صلى الله عليه وسلم لنا كما أمره الله تعالى (قال) وأخبث الخائضين في الصفات بغير علم من طعن في الرسل وجعلهم في ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل أعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الامر عليه في نفسه فانه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه الى الحق بحسن عبارة كما يقول الانسان اذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث لا يعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدي فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) في ذلك من قال لا نقول بالتنزل في العبارة الى أفهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا أمر موجود في اللسان الذي جاء به الرسول فهذا أشبه حالا ممن تقدم الا أنهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة عليك يا أخي بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فان أكثر المؤولين هالكون وأخف الطرائق حالا من قال لا نشك في صدق رسولنا ولكنه أتانا في نعت الله الذي أرسله الينا بأمور وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك الى حدوثه وزوال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر هل لذلك مصرف في اللسان فان الرسول انما يرسل بلسان قومه وما تواطؤا عليه فنظروا فأداهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك أمران الاول القدح في الادلة فانا بالادلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الادلة العقلية فان في ذلك قدحا في الادلة على صدقه (الامر الثاني) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذي أرسله ليس كمثله شئ فوافق ذلك الادلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك أخذنا في التأويل ابقاء للطرفين اه وهو كلام نفيس * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير كله في الايمان بما أنزل الله والشر كله في التأويل فمن أول فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغي له ذلك وفي الحديث كذبني عبدي ولم يكن ينبغي له ذلك فلا بد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة و يقول له كيف أضفت الى نفسي شيأ تنزهني عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخي ان تنزه ربك عن أمر أضافه الى نفسه على ألسنة رسله كائنا ما كان ولا تنزهه بعقلك مجردا جملة واحدة فقد نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الالهيات وأطال في ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم * وقال في الباب الرابع ومائتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول في أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقائق فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال في حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كان لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا أن نبين للخلائق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعي اه * وقال في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات اعلم ان من أعجب الامور عندنا

لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا في القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه بذل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته أنا مرة لدبلة طلعت في جانبي قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبري كالزفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندي ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغي لكل مؤمن أن يصل نسبه بأجداده وآبائه المسلمين من آدم الى أبينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد في العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت الينا ملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن ذهلنا مما رأينا وأطال في ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مقطوعة عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة في ذلك فالحمد لله الذي من على بصلة رحمي ووصلها من أصحابي بسببي وكان ذلك عن توفيق الهي فاني لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي على أثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا بأبينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى يا أخت هرون وأين زمان هرون منها انتهى

كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواها العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيأ مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند العقل شئ من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه اهـ وقال في الباب الثالث من الفتوحات اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فانا ما وصفناه به من عند أنفسنا وانما هو تعالى هو الذي وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الا على غير الوجه الذي ينسبه الينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته في هذه الدار وفي الآخرة لا ندري كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى في نسبته ذلك اليه مثل نسبته الينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهي تجليه تعالى في نحو ليس كمثله شئ وأما نسبة التنزل للخيال فهي تجليه في قوله تعالى وهو السميع البصير وفي نحو قوله في الحديث اعبد الله كأنك تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله في قبلة أحدكم وفي وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها ولولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الالهي قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا يحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بلغتهم فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا وأطال في ذلك ثم قال وقد ورد في القرآن قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على ان تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ في كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلابد أن يكون لليدين معنى خلاف ما ذكرناه مما يعطي التشريف ولا نعلم أن اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما في قوله في الحديث فلما خلق تعالى الكرسي تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهي اللذان هما مظهر اهل الجنة والنار فافهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع

وأطال في ذكر أسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه اعلم أنه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما ردها من ردها بالجهل بها فان طريق القوم لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول وانما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الامور يقينا لا ظنا وتخمينا * وقال انما ذكر تعالى علما في قوله في حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التي تختص بها أصحاب منازل القربة الذين الخضر رأسهم وهي علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني * قال ومنزل أهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم * وقال لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر * وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد * (قلت) وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أخذه الطريق عن

دليل فكره أو نظره خاصة ومشبه بما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لها وهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل المعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين اهـ * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم أنه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف قال وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأيدي وأصبعا وأصبعين وأصابع وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا واتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وصوتا وأمثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب الايمان فانه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى * وقال الشيخ في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجاز أصلا انما هو حقيقة وذلك انهم وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا اليد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان أسد وضعوا هذا حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه انما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عداهذين الامرين انما هو ألفاظ اشتراك فنسبها حينئذ متى جاءت الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات اهـ * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ما جاء في الكتاب والسنة مما أوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فان ملوك العرب كان عندها المكرم المقرب يجلس منهم على هذا الحد فقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب * وقال في الباب الثالث منها أيضا اعلم انه ما ضل من ضل من المشبهة الا بالتأويل على حسب ما يسبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والاخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ البتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله لافلحوا وكان يكفيهم ليس كمثله شئ فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شئ فما بقي الا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه أبدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه يأخذ بعد ذلك في تأويله جور على ذلك اللفظ اذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها ما لم أذكره لك * فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فبأي وجه يحمل الاصبع على الجارحة كانه نص في ذلك ويترك وجه التنزيه فاما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه واما أن يسكت ويكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولا بد اللهم الا أن يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب أهل الحق من

الملائكة المسمين باسماء الحروف أوائل السور كما سيأتي ونقل ابن سيد الناس في سيرته في قصة اسلام سلمان الفارسي ما شهده الشيخ في نزول عيسى الى الارض بعد رفعه وقبل اليوم الموعود وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع ان ينزل مرارا والله أعلم * وقال المراتب التي تعطي السعادة للانسان أربعة وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولاهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون النبي ذوق في مرتبة الايمان والولاية فان كان رسولا زاد عليهم بذوق مقام الرسالة لانه رسول نبي ولي مؤمن وقد لا يكون له ذوق في ذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام ما لم تحط به خبرا والخبر الذوق * قال الشيخ ثم ان العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الايمان لان الايمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فاذا لم يكن هنالك خبر كايام الفترات ووحد الله تعالى منهم أحد فهو سعيد مع كونه لا يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون الا موحدا وأما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمنا فتأمله وحرره * وقال انما سميت العبارة عبارة لانك تعبر منها الى المعنى المقصود منها وانما سمي الوحي وحيا لسرعته فان الوحي عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه كما يذوقه أهل الالهام من الاولياء * وقال ليس فوق الانسان الكامل مرتبة الا مرتبة الملك في المخلوقات وكون الملائكة

تلمذته حين علمهم الاسماء لا يدل على انه خير من الملك وانما يدل على انه أكمل نشأة من الملك لا غير * (قلت) هذا كان مذهب الشيخ أولا ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات * وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم أما هو فهو أفضل الخلق على الاطلاق فراجعه وقد عرف بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكره جزاء وفاقا * وقال قد جاء أكثر الشرع بعبارة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شيء وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى أنه يجوز لنا أن نسأل لا لانفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون له قال لانه صلى الله عليه وسلم لم يعين دعواها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مؤثرون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلبه منا ان نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه أبدا لانعقاد الاجماع على أنها لا تكون الا له صلى الله عليه وسلم والله أعلم (وقال) اذا غلق باب التوبة

هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد والله أعلم * ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحة منه شيء البتة وانما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده محسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فانما ذكرها لان اليمين محل التصريف المطلق القوي اذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى الى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع فهومهم الى التلقي لها بالقبول والله أعلم * ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهنالك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لاجله أو يفرح له فرجع المعنى الى أن مثل ذلك انما هو تنزل للعقول ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يتعجب ربنا من شاب ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الامر فان حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب اذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر الى الاذهان فان ذلك محال على الحق فانه خالق لافعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم وأما الغضب الاخروي فيكون على أهل النار خاصة أما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم * ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وأنه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله أعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث اني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين أتوه من قبل اليمن وأزال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه أن حقيقته تعالى تخالف سائر الحقائق لم يتوقف قط في اضافة صفة أضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا الى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم أنه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شيء الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشيء نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولو لم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فاذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء أن يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الاحاطي الاعظم أو على الملك فما خرج هذا عن التشبيه فان غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شيء الا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء بشر على العراق الذي هو عبد من

استواء

استواء الخالق جل وعلا على أن الشيخ قال فى مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يتولى الملك على ملكه فأى شئ أنكره على من قال بالاستقرار الذى هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق أحد الامرين لكان اطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء فى الحديث بمعنى السرير بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسى فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة انتهى (تتمة) نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان البحر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشرع يعنو باليت الناس اذلم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كاهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم اه فتأمل فى هذا المبحث وتعقله فانك لا تجده مايه فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر فى الكلام على الكرسى واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا أخى ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسى محل بروز الاوامر والنواهى المعبر عنهما فى حديث الكرسى بتدلى القدمين من العرش اليه اذ العرش محل أحدية الكلمة العلية المشتملة على الراحة كما أشار الى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن وأما الكرسى فقد انقسمت الكلمة فيه الى أمرين ليخلق تعالى من كل شئ زوجين فظهرت الشفعية فى الكرسى بالفعل وكانت فى العرش بالقوة فان قدمى الامر والنهى لما تدلتا الى الكرسى انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى فاستقرت كل قدم فى مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمى أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائة وما ذكرناه من أن المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسى هما الامر والنهى هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ كره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القدمين فى الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر وكلاهما صحيح لان الخير والشر الامر والنهى فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده نا ويله فى كتاب (فان قيل) فما محل استقرار أعمال بنى آدم اذا صعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين من الفتوحات أنه ينتهى صعودها الى سدرة المنتهى فان كل شئ يرجع نهايته الى ما منه بدا (فان قيل) ان الكرسى هو موضع القدمين اللذين هما الامر والنهى فلا يتأخر عن الكرسى عمل (فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التكليف فان أصله انما هو منقسم من السدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة والسدرة هى المرتبة الخامسة وايضاح ذلك أن التكليف ينزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسى الى سدرة ومعلوم ان أحكام التكليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسى والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة الى السدرة والى أصولها وهى الزقوم ينتهى نفوس عالم الشقاء فاذا صعدت الاعمال التى نشأت من هذه الاحكام الخمسة المذكورة كان غايتها الى الموضع الذى منه ظهرت انتهى (فان قيل) فما صورة صعود الاعمال مع انها اعراض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذى هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل الى محل انتهائه الذى هو محل بروزه الاول (فان قيل) فما وجه تخصيص هذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين أن وجه التخصيص كون كل محل عدما برز منه فيكون من القلم نظرا الى الاعمال الواجبة

حبس على المؤمن ايمانه بغلق الباب عليه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبدا لانه ايس للايمان بان يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن و وبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى عريضة وهى نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله اذا ذكروا تذكروا فاستغفروا منها وسيأتى بسط ذلك فى الباب الخامس والتسعين ومائة * وقال فى الباب الرابع والسبعين العارف من سلك فى توبته مسلك أبيه آدم فى الندم والاعتراف وأما العزم على أنه لا يعود فليس ذلك فى يده حقيقة انما هو اظهار أدب أى لو كان الامر فى يدى ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) فى الباب السابع والسبعين ينبغى لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغى لها كما يصغى لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قائلها على أنه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولابد * قال وهذا مشهد غريب قل ان ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس * وقال فى الباب الموفى تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لان الملونات كلها تستقبل اليه ولا يستقبل هو اليها قال واعلم أن البياض على نوعين

فعبدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظرا الى الاعمال المندوبة فعبدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظرا الى المحظورات فلا يعبدها الا بالرحمة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهذا يكون مآل من لم يسبق له شقاوة الى الرحمة ويكون من الكرسي نظرا الى الاعمال المكروهة فيعبدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمة الكرسي دون رحمة العرش اذ الرحمة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الكرسي جميع من فعل المكروه وعمت رحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الكرسي محل بروز الامر والنهي على ما قررناه أسرع في العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الاعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه وهو يؤجر تاركه والله أعلم

(فان قلت) فما صورة خلقه تعالى للوح والقلم والكرسي والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان أول ما خلق الله القلم الاعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها في اللوح ثم انه ذكر في الباب الستين منها أن مقدار أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها من أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص اهـ وقال في الباب الثالث عشر اعلم أن الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو في محل التعليم الذهني قذف الله تعالى فيه ما يريد ايجاده في خلقه لا الى غاية فأوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعها اياها القلم ثم ان الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التي هي في مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم في صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعندما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور والمتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبنيه الارض ثم خلق في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقاء اهـ (فان قلت) قد ورد في الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الابدي لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلثمائة يكتب علمه فيهما لانهما لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة توجد اهـ (فان قلت) فما وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات ان هناك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواحا أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار اليه حديث الاسراء وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا ذكره الشيخ في الفتوحات في الباب المتقدم آنفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما في ألواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الاحكام المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلت الشرائع والصحف

والكتب

أحدهما ما يكون لونا في ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال وبهذه المثابة أيضا زرقة السماء انما هو في نظر العين وان كانت في نفسها على لون يخالف لون الزرقة * وقال فيه انما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان لمشاركته لاسم الله فقد ورد أن رمضان من أسمائه تعالى فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة قال وانما جعله الشارع من الشهور القمرية لتعم بركته جميع شهور السنة فحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فان أفضل الشهور عندنا رمضان ثم شهر ربيع الاول ثم رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم القعدة ثم المحرم والى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية وأما بقية الشهور وهي صفر وربيع الآخر والجاديان فهي متساوية في الفضل فيما يغلب على ظني فاني ما تحققت فيها تفاضلا فلم يمكني أن أقول ما ليس لي به علم * وقال في الباب الثاني والتسعين ينبغي لكل مؤمن أن يتورع ان لم يكن ورعا قال ومما يقع فيه غالب المتورعين ان أحدهم اذا رأى شخصا على مخالفة شرع في أفعاله أو أقواله أو عقائده ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك المعصية ومتى ظن بذلك الشخص انه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من

ما لكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح وبين موسى عليه الصلاة والسلام في شان الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ماشاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الالواح الى أن أثبت فيها الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى الى محمد ما يدل القول لديّ فما رجع موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح أيضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده * ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبضه نسمة عبده المؤمن حين موته مع أنه تعالى هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كنى عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد في فعل ما هل يفعله أم لا وما زال ذلك الحال به حتى وقع أحد الامور التي كان تردد فيها او زال التردد فذلك الامر الواقع هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه أيضا أمر ألواح المحو والاثبات وايضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا أبصر القلم موضعها من اللوح ممحوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الاول ثم ان أراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ليفعل ذلك الامر أو يتركه بحسب ما في اللوح فاذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله وأثبت صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب أمرا آخر وهكذا الامر دائما فعلم أن القلم الاعلى أثبت في لوحه كل شئ تجري به هذه الاقلام من محو واثبات ففي اللوح المحفوظ اثبات المحو في هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا يعني من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو في الذوات كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رضي الله عنه لا يدخل المحو في الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث اهـ (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الاعلى في اللوح الى يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وأنا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم وقال هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذي هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة اهـ (فان قلت) فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى في الازل سعيدا والشقي من كتبه الله تعالى في الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى لا يتعقل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال شيخ مشايخنا الشيخ

أهل الوقوع في الشبهات قال وقليل من يكون على هذا القدم * وقال في الباب الثامن والتسعين من شرط الولي الكامل ان لا ينام له قلب بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة (قلت) ذكر الشيخ في الباب الحادي والتسعين أنه يجب على الورع أن يجتنبه في خياله كما يجتنبه في ظاهره لان الخيال تابع للحس * قال ولهذا كان المريد اذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لان الاحتلام رؤيا في النوم أو في التصور وفي اليقظة لا يكون الا من بقية شهوة في خياله فاذا احتلم صاحب كمال فانما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى فتامله والله أعلم * وقال في الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * وقال الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة ارادة الالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به * قال والذي أقول به أن صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد أملس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وانه جديد بشم.

عهد به كالمطر بخلاف الكبير فيراعى ذلك الامرد كما راعى ذلك المطر من حيث قربه من التكوين هذا مشهد الكمل

كمال الدين بن أبي شريف مرادهم بغير الازل التي تكتب فيها الملائكة رزق الانسان وأجله وشقيا أو سعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق التبديل الى ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لا يدري الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه اه (قلت) وفيه تاييد لما قدمناه من أمر ألواح المحو والاثبات الثلثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هي المرادة في لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم في الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في بعض كتبه ان ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر في الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم اه (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير في نفسها وانما كتابتهم اياها أو تلفظهم بها لحقها التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وأبقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة وأين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله في الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام أشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدي في خلقها فقال مما عملت أيدينا أنعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الايدي على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا باولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال في حق الحق وكذلك القول في الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم في الدهر الذي جعلوه الها انه زمان فلكي اذ الفلكي لا حقيقة له في زمان الله الذي لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى أعلم

(المبحث العشرون في بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه الصلاة والسلام)

اعلم يا أخي ان المعتزلة قد انكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هناك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال توجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطا والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسئلة والذي يظهر لي انهم انما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى أخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان قيل) ففي أي محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط به آدم من الجنة وقال الكلبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال

*قال ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق الله ان لم يكن من أهل الكشف والوجود ان يجتنب كل أمر يؤدي الى تعلق القلب بغير الله فانه فتنة في حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الارفاق فان القلوب تميل الى كل من أحسن اليها بحكم الطبع وليس هنالك قوة الهيبة على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه قال ولا يخفى ان من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وان كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردي به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق في الطريق اللوم في ذلك قال ثم الذي ينبغي للمريد اذا ادعى انه صاحب الاحداث أو النسوان الا لله أن يزن حاله فان وجد ألما ووحشة عند فقده اياهم وهيجانا الى لقائهم وفرحا باقبالهم فليعلم ان صحبته لهم معلولة وان وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب قال وان كانت محبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ومن جملتهم الاحداث والنسوان فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم

على

على بن أبى طالب كان أخذ العهد والميثاق فى الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصئبان وهذا غير بعيد فى العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه أمر بعض ملائكته بالمسح فنسب ذلك الى نفسه لانه بامره كما يقال مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها الا أعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل فى العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغايته وسعنا فى كل مسئلة أن نثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد قوما (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذى أنه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت فى شعاب الجبال والكهوف الخالية الذى يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن أحد فى الارض غير آدم وانما هو محاكاة للصوت الاول ولا حقيقة له وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى ذلك ثم قال والصحيح عندى أن قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك أن الله تعالى سالهم عن ربهم ولم يسالهم عن الههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ فى زمان التكليف وانما كانوا فى حالة التخليق والتربية وهى الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا فى ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ماقضى الله تعالى فى سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده فى قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو أنه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد أن يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم (فالجواب) انما كالا نذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور عليها فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم زاد الله تعالى فى تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها فى الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع فى النسيان وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربى وأعرف من كان هناك عن يمينى ومن كان عن شمالى قال وانما اخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لاغير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى انه كان يقول أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم ولم تزل لطيفتى تربيهم فى الاصلاب حتى وصلوا الى فى هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمى أم لا (فالجواب) لم يرد لنا فى ذلك شئ الا أن الاقرب فى العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة اذ البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمى لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين (فان قلت) فمتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذى يظهر لنا انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون فيحتمل ان

عنده من حيث انه مخلوق الله حتى الحائط فمضروب هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا استوحش انتهى (قلت) فالواجب على من لم يبلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والاحداث جملة واحدة ثم اذا بلغ أيضا فشرطه على ماقالوه أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فان أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به فى ذلك والله أعلم * وقال الفرق بين الشهوة والارادة ان الارادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب وأما الشهوة فلا تتعلق الا بما للنفس فى نيله لذة خاصة وأيضا فان محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الارادة الروح ذكره فى الباب التاسع ومائة * وقال فى الباب الثانى عشر ومائة تكون مخالفة النفس فى ثلاثة أمور فقط فى المباح والمكروه والمحظور لاغير وأما اذا وقعت لها لذة فى طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات فى فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وان وجدت المشقة فى العمل المقرب الآخر الذى هو خلاف لهذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة فى مثل هذا أثرت فى المساعدة فى المحظور والمكروه والمباح * وقال فى الباب الخامس عشر ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا غيبة فى فاسق الذى فهمته من هذا الحديث انه نهى لا نفى وعلى ذلك جرى أهل الورع

الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم فى ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم فى ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم فى ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث هكذا أجرى سنة الله تعالى (فان قيل) فما الحكمة فى أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك فى دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (فان قيل) فهل أعادهم الى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا (فالجواب) الذى يظهر انه لما أعادهم الى ظهره قبض أرواحهم بناء على انه لما أراد فى الدنيا ان يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) أين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره (فالجواب) ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلى ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان أخرجوا من ظهره لان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الآباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض فى ظهر آدم ثم أخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال أخرجهم من ظهورهم صح واذا قال أخرجهم من ظهره صح أيضا ومثال ذلك من أودع جوهرة فى صدفة ثم أودع الصدفة فى خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة فى حقة وأودع الحقة فى درج وأودع الدرج فى صندوق ثم أدخل يده فى الصندوق فأخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد فى الخبر أن كتاب العهد والميثاق مستودع فى الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور فى العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى كتاب الحج من الفتوحات قال لما أودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلى الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظى بها وأنا أنظر اليها بعينى فى صورة سلك وانفتح فى الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت فى قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه فقالت لى هذه أمانة لك عندى ارفعها لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وفى يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال ان فى الكتاب الذى فى يدى اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذى فى يدى الاخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الخامس عشر وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا أراد أن يكتب هذه الاسماء على ما هى عليه فى هذين الكتابين لما قام بذلك كل رق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكى ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله أن ينزل له ورقة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك وأوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ فى ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم

* (المبحث الحادى والعشرون فى صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام) *

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما أوقع التشبيه فى عدم الابوة الذكرانية من أجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى فى براءة أمه وانما لم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا

فى فهم هذا الحديث أى لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة فى مواضع مذكورة فى كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين الا ان ترتب على ذلك حكم شرعى * وقال فى الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها فى اللسان وهى المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى فى الظالمين يوم القيامة مقنعى رؤسهم الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من ساله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى ظالم لان الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى عن حكاية سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى يمسح بيده على أعرافها وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا لان الانبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبيه ما وقع لايوب عليه السلام حين أرسل

موضوعا الولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفى خلق حواء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحواء لان ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم وايضاح ذلك ان أول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام فكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن آدم أبا ثانيا سماه أما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدورة بمثل ما به بدأها فى ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكأن عيسى وحواء اخوان وكأن آدم ومريم أبوان لهما اذكر ذلك الشيخ محيى الدين فى الفتوحات وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه وقال فى الباب السابع منها (فان قيل) كم أنواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هى أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر فى التشبيه مع الاجتماع فى الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوة الالهية أو الحقائق لا تعطى أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطى بذاته هذه النشاة فرد الله هذه الشبهة فى وجه صاحبها بان أظهر هذا النشء الانسانى بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة أنواع فى آية من القرآن وهو قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بنى آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق فى علم الله انه لا بد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا (فان قلت) فما الحكمة فى تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة فى ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لاجل الانحناء الذى فى الضلع فحنو الرجل على المرأة انما هو حنو على نفسه فى الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت أى من ضلعه والضلع فيه انحناء وانعطاف قال الشيخ وانما عمر الله تعالى الموضع الذى خرجت منه حواء من آدم بالشهوة لئلا يبقى فى الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت حواء اليه لكونه موطنها الذى نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حواء حب الوطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا اذ كانت عينه وأما المرأة فاعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفاء اذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصور الله تعالى فى ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه فى جسم آدم فكان نشء آدم فى صورته كنشء الفاخورى فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء كنشء النجار فيما ينحته من الصور فى الخشب فلما نحتها فى الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذى هو التناسل وأطال فى ذلك فى الباب السابق (فان قيل) فما وجه تسمية عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله أن الحق تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام بالفى عام كما ورد خبأها فى مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيأ فى علمه لكل ذرة منها روحا فى الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا لارواحها كما قال تعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها أى مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم أهبط بقدرته تلك الارواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها فى الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة فى الارحام * قال

الله جرادا من ذهب فصار يحثو فى ثوبه منه ويقول لا غنى لى عن بركتك يارب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذى أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها على وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافى ذلك ما قلناه اذ كان متعلقه الخيل ولا بد يكون اختباره اذا رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو أحبها لعينها فاخبر عليه السلام أنه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فاجابه الحق الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتامل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبيد

الشيخ ورأيت فى تفسير الانجيل أن روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم تسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق وانما دفعها الله تعالى الى جبريل عليه السلام فاسكنها الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى أن أمره بنفخه فنفخه فى جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه فى الارض بقدر ما فيه من الطين ومكثه فى السماء بقدر ما فيه من النور * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو فى المهد من قوله وجعلنى مباركا أينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعنى أينما كنت فى السماء والارض ويؤيد ذلك قول أبى بن كعب أن الله تعالى لما رد أرواح بنى آدم الى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه وروح منه (فان قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارحام ويتولون تصوير الاجنة هم أعوان عزرائيل أو اسرافيل (فالجواب) هم أعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور وأما هو عليه السلام فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش فان فى الحديث أن لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة فى ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه لصور بنى آدم تشابه وتشاكل فى الخليقة لانهم على صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك فى الصور التى تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية أخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التى صورها الرحمن فى العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة فى العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما فى علمه الازلى سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة الخلقة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين فى الرحم فيصوره بتلك الصورة المعينة والقاء الصورة انما يكون بالقاء نسختها التى تليق بها وانما أضاف تعالى التصوير فى الارحام اليه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره واجراء للعادة الحسنى فهو تعالى مصور للصور ومصور مصوريها لا خالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الاصنام والله تعالى أعلم فامعن النظر فى هذا المبحث فانك لا تجده فى كتاب والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى والعشرون فى بيان أنه تعالى مرئى للمؤمنين فى الدنيا بالقلوب وفى الآخرة لهم بالابصار بلا كيف فى الدنيا والآخرة أى بعد دخول الجنة وقبله)

كما ثبت فى أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة أيضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار أى لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئى يخلقه الله تعالى عنده مقابلة الحاسة له بابعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما أن الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا اذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفى راء ومرئى فاذا اقتضت عقلا كون أحدهما فى جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك فى أحدهما ثبت مثله فى الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا فى الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى فى الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز ودليل جوازها فى اليقظة هو أن موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال أرنى أنظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلى رحمه الله تعالى واعترض هذا بأن عقابهم انما كان لعنادهم

يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل فى شئ من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل فى شئ منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان فى غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى فى بعضه وقال فى الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضى فلا ينبغى الرضا بالمعاصى ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك فى فعلها وان لم تره فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر (قلت) وأكثر من يقع فى الرضا بالمعاصى أصحاب حضرة التوحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم خوطبوا بأمر من الله بخلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما ينهى عن شئ على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لاحد من أممهم أبدا فافهم والله أعلم * وقال فى الباب السادس والاربعين ومائة اياك أن ترمى ميزان الشرع من يدك فى العلم الرسمى بل بادر لما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه اناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر نفسانى فى صورة علم الهى من حيث لا يشعر قال وقد وقع لنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك وتمنتهم

وتعنتهم فى طلبها الا امتناعها فى نفسها اه وقد استدل الجمهور على منع الرؤية فى الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح جمعهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية فى الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية وأما دليل امتناعها فى النوم فلأن المرئى فيه مخيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيز لها أنه لا استحالة فى الرؤية فى المنام وقد ذكر العلماء وقوعها فى المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام أحمد وحمزة الزيات والامام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال انى نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وأنا اخترتك فقال قل لى وأنا اخترناك فهى قراءة برزخية وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وانما بالغ ابن الصلاح فى انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء وأما رؤية الحق جل وعلا فى اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن ترانى وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت رواه مسلم فى كتاب الفتن فى صفة الدجال اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة فى وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلى رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القائل بالوقوع فى الجملة لكن روى مسلم عن أبى ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أى حجبنى النور المغشى للبصر عن رؤيته اه ماقاله الشيخ جلال الدين المحلى والشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى كتاب سراج العقول فى هذه المسئلة واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى فى المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا فى ذلك بان ما رآه النائم يكون صورا والاحالة ولا صورة للرب تعالى وأنه يرا بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شئ وقال ولم يكن له كفوا أحد قال فمن رأى من ذلك شيأ وتخيل أنه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك فى اليقظة وأطال فى ذلك ثم قال والذى عليه جمهور مشايخ السلف رضى الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله تعالى فى صورة فى المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه فى منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى أحسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه فى المنام دخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه فى ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما أن الكلام الازلى منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بادنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور فى القرآن فى قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذى يوجب المماثلة من كل وجه أما اذا رآه فى صورة لا تناسب جلال الصمدية فى معنى ما فالرائى ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ماهو عليه فى ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال فى نفس الامر والنائم لا يرى شيأ فى المنام الا بصورة ومثل (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد فى منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير اذ النفس بآلاتها الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الامثلة كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما ان كلام الله القديم يتعلمه الناس بامثلة الحروف فى اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن فى الحفظ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فعلم أنه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له ان لا يرى فى صورة على ما قررناه الا ترى أن كثيرا من الاشياء التى لا أشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بامثلة تناسبها بادنى معنى ولا يوجب التشبيه

الحكم وهم مخطئون فى ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشئ ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام فى شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال فى ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهى يحل له ماثبت تحريمه فى نفس الامر من الشرع المحمدى وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف باجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال فى ذلك * ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب على فى النصح والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله هو الجامع لاحكام الاسماء فيكشف المذموم والمحمود وحركات السعادة والشقاء فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على الفحة والخيانة وخفة العقل

ولا التمثيل وذلك كالمعانى المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك فاما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس فى المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يارسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤى بواسطته وكذلك الكفر يمثل فى المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك أن بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعانى المرئية وتجسد المعانى لا ينكره العلماء بالله تعالى قال وموضع الغلط فى ذلك لمن منع رؤية الله فى صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعى المساواة فى جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه فى كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بادنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم أنه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى فى السموات والارض قال ومن هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده فى المنام كما مر فى الامثال وأطال فى ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم هذا ما رأيته فى كتب المتكلمين * وأما ما رأيته فى كتب الصوفية فمن أفصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه فقال فى الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغى لمسلم أن يتوقف فى رؤية الله تعالى فى المنام لانه لا شئ فى الاكوان أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والاسلام قبة والثبات فى الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلنا قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصوير فعلم ان كل ما جاز وقوعه فى المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتجليه لمن شاء فى اليقظة والحياة الدنيا اهـ * وقال أيضا فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لا يصح لانسان قط أن يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال فى ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجليلة ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فتلاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هى عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغى لاحد الكلام معه فى شئ من الامور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامر اذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما اجترأ على طلب الرؤية مافصل بان سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتاويل فلما كان عين السمع فى هذا المقام عين الفهم سال الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى ليعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال اهـ وقال أيضا فى الباب التسعين من الفتوحات اعلم أن أعظم نعيم فى الدنيا والآخرة نعيم رؤية البارى جل وعلا لكن هنا دقيقة وهى أن الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التى تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بان يحصل له الالتذاذ برؤيته أقام له مثالا يتخيله فى عقله مطابقا لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم فى الكتاب أن مراد من يقول ان الحق تعالى اذا حيط عبدا به أحاط به هو علمه بانه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال أيضا

والفسوق فان هذا ليس بقاعدة كلية وأطال فى أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة أوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه لا يخلو الانسان فى معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما أن يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدى الى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية فى عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدى الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضا مذموم شرعا واما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا فى قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك * وقال فى الباب الثالث والخمسين ومائة فى قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أى باعطائهم ما فى قوتهم من المصالح المعلومة فى الكون وتسخير بعضهم لبعض الاعلى للادنى وعكسه وهذا لا ينكره عاقل لانه الواقع وتأمل الملك الذى هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخرا فى مصالحهم كلهم مسخرون كذلك فى مصالحه فهذه هى ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وقال فى الباب الرابع أيضا

أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة اذا أراد الله عز وجل أن يري عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلي وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما تراه الملائكة اذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب فيقع التلذذ للمشاهد قال وهذه مسئلة من الاسرار ما أظهرتها باختياري وانما كنت في اظهارها كالمجبور اه * وعبارته في كتاب لواقح الانوار اعلم انه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية البارى جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لان النفس أحدية الذات ليس في قدرتها أن تشتغل بامرين معا في آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها الادراك الرؤية أو قبولها فاذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه واذا كلمك أوجدك لانه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب والا فلا فائدة للخطاب اه * وكان أبو العباس السارى أحد شيوخ الطائفة الاكابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لانها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ في الفتوحات وقال في لواقح الانوار أيضا اذا أقامك الحق تعالى في مشهد ما وأشهدك نفسك معه فانت من أبعد الابعدين لان نفسك كون وأين الكون في الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهر بن المتجاور بن حيز ثالث ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه المجاورة لا يتعقلها الا أهل الكشف * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشئ من حس تلك الحجب الا زهقت اه وفي رواية أخرى ان لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (فان قيل) فكيف رؤية البارى جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائتان صورة نظر الحق تعالى الى العالم أنه ينظر اليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو أنه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله لسبحات وجهه كما مر آنفا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعماء الذي أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ في باب الاسرار اذا عوين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته اه * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم أن من علامة صدق من يدعى أنه يشاهد الحق تعالى انه اذا عكس مرآة قلبه الى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فان قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين ومائتين أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الاقرار والانكار في الرؤية يوم القيامة لانهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فانه لا يكون فيه الا الاقرار لا الانكار وايضاح ذلك أن الشاهد ما سمى شاهدا الا لكونه مارآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وما قال أشهدني لانه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة بالانبياء في الآخرة ليعجلها الله تعالى له في الدنيا حين طلبه فافهم ذلك وأما شهود الحق تعالى مثل ما يشهده الاولياء فذلك حبوة وزيرية من حيث مقام ولايته انتهى * وقال في كتاب اللواقح أيضا من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كأنك تراه فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها الى درجة الخصوص وهي علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عندك لانك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الاحاطة به تعالى لانك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق اليك لا مع

والخمسين ومائة الملائكة على ثلاثة أصناف صنف مهيمون في جلال الله تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الاعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف أصحاب تدبير للاجسام كلها من جميع أجناس العالم وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والخمسين ومائة اعلم ان النبوة التي هي الاخبار عن شئ سارية في كل موجود عند أهل الكشف والوجود لكنه لا ينطلق على أحد منهم اسم نبي ولا رسول الا على الملائكة الذين هم رسل فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وانما يقال على أحدهم روح وذلك كالارواح المخلوقة من أنفاس الذاكرين الله قال واعلم أن الله تعالى سمى نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا وأطعنا وليست النبوة بامر زائد على هذا وأطال في أمثلة الامر والنهي (وقال) في الباب السابع والخمسين ومائة ينبغي للواعظ ان يراقب الله في وعظه ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الانبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن ويقول قال المفسرون كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة باسانيد

نظرك أنت اليه لان نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام اهـ (فان قلت) فمتى يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدي علي ابن وفا رحمه الله أنه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من أقطار السموات والارض وأعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال وأما من تقيد كشفه بالسموات والارض أو البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا في جهة اهـ (فان قلت) فاذن ما رأى أحد ربه الا بصورة استعداده في نفسه وتعالى الله عن ذلك في علو ذاته (فالجواب) نعم ما رأى عبد ربه الا بقدر وسعه وغير ذلك لا يكون اذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ولرقي الاولياء في سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن ما رأى العبد الا صورة نفسه في مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة (فالجواب) نعم وهو كذلك فحكمه كالانسان الذي رأى وجهه في المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة * قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من رؤية الشاهد وجهه في المرآة واجهد يا أخي في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة لا تراه أبدا بل تنطبع صورتك في المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده الا العدم المحض اهـ فليتأمل ويحرر فانه يوهم أن المرئي في الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم في الآخرة فرع عن تفاوتهم في الدنيا وقد قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تابعة لاعتقادهم الذي كانوا عليه في دار الدنيا ليجني كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء وكما أنهم متفاضلون في النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر اليه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد في علمه بالله بحسب ما ألقى اليه عالمه أو على حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما أكمل الرؤية التي تقع للخلق (فالجواب) أكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا في مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم أن عدد رؤية كل عبد للحق في الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى في جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام (قلت) وانما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل المرايا لانها حاوية لجميع مرايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك في المرتبة من يرى ربه في مرآة نبي من الانبياء ثم في مرآة أحد من الاولياء فعلم أن الكامل من لا يطأ مكانا الا يرى فيه قدم نبيه أبدا (فان قلت) فالذين ينكرون الحق تعالى في تجليات الآخرة هل هم مسلمون (فالجواب) نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي فاذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا أنت ربنا وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر في كتاب والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا وقع الانكار من هؤلاء فهل يكون المقرون من الانبياء والاولياء حاضرين فان كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم الى أن المتجلي لهم هو الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان الانكار اذا وقع يكون الانبياء والعارفون واقفين بجانب عن هؤلاء المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى أنه

واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا في الله تعالى ما قصه علينا في كتابه وكل واعظ ذكر نحو ذلك في مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول اذا كان مثل الانبياء وقعوا في مثل ذلك فايش أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة (قلت) وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان العامة اذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بافعالهم والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا أو القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبي والرسول ان النبي انسان أوحي اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول

طلب منهم أن يستروه عن أولئك المنكرين ليجني كل أحد ثمرة علمه به في دار الدنيا (فان قيل) فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار انما صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه أبد الآبدين ودهر الداهرين انتهى (فان قيل) فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصرة العين كما في الدنيا أم تكون بجميع عيونهم (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ان رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدي فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصرة العين بل كلهم أبصار قال وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط اهـ (فان قيل) فهل يلزم أن يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية الحق جل وعلا أو رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بان ذلك المرئي هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الامر عليه فيما يراه اذ لا يدرك أحد الحق تعالى الا هكذا وأما بالنظر والفكر فلا كما مر في مبحث أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق (فان قيل) فهل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال نور أنى أراه يقول كيف أراه وهو نور شعشعاني والاشعة تذهب بالابصار وتمنع من ادراك من تنشق عنه تلك الاشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا (فان قيل) من شرط الرائي ان تعطيه رؤيته العلم بالمرئي والاحاطة به ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال انه رأى ربه عز وجل (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والاربعين وأربعمائة أن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها احاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم أن يعلم الرائي له عند الرؤية انه ما رآه والا فلو صح له أن يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات على قلبه في حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني أنظر اليك قال لن تراني والنكتة في سبب قوله لن تراني كونه قال أنظر اليك بالهمزة ولو أنه قال ننظر اليك بالنون أو التاء لربما لم يكن الجواب لن تراني مع أن السؤال مجمل في قوله انظر والجواب كذلك مجمل في قوله لن تراني وايضاح ذلك أن الرؤية بادرة الى رؤية العين أي لن تراني بعينك لان المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئي وأنت لا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما رأيته في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئي في رؤيتك له تعالى أبدا فصح قوله لن تراني لاني ما أقبل من حيث ما أنا عليه في ذاتي التنوع وأنت لا ترى ربك اذا رأيته الا متنوعا في الصفات وأنت متنوعت أيضا فما رأيتني ولا رأيت نفسك وقد رأيت فلا بد أن تقول رأيت الحق وأنت ما رأيتني حقيقة وكذلك لا بد أن تقول رأيت نفسي وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم الا أنت والحق تعالى ولا واحد من الحق والخلق رأيت وأنت تعلم انك رأيت فما هذا الذي رأيت فرجع المعنى لن تراني بعينك الا ان أمددتك بالقوة الالهية قال وهذا من مشاهد الحيرة * وقال في الباب الاحد والاربعمائة انما قال تعالى لموسى لن تراني لان كل مرئي لا يصح للرائي أن يرى منه الا على قدر منزلته ورتبته لا غير ولو كان الرائي يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم أقل حجاب يحجب العبد عن الاحاطة شغله برؤية نفسه حال تجلي الحق له فحجاب العبد عن ربه رؤية نفسه فما حجبنا الا بأنفسنا على انا لو زلنا عنا أيضا ما رأيناه لانه لم يبق ثم بعد زوالنا

لانبي وأعني نبوة التشريع التي ليست للاولياء فعلم ان كل رسول لم يخص بشئ في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والستين ومائة قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيي الدين والحق ان مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في جدهم ولا ثنائهم عليه فان مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال في ذلك * ثم قال فمن لم يكن غني النفس عما بايدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشئ الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين ومائة في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أي آتيناه الحكمة عملا وفصل الخطاب قولا قال والحكمة هي علم بعلوم خاص ومن شرطها أنها تحكم

من يراه وإذا لم نزل نحن فيه رأيناه في المرآة الصافية حينئذ الا أنفسنا وقد نتوسع في العبارة فنقول انا رأيناه فلا يخرج أحد عن الحيرة في الله تعالى اهـ (فان قلت) فاذن فلم خر موسى صعقا الا لما كان عنده من العلم بالله تعالى قبل سؤال الرؤية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن وأربعين وأربعمائة نعم ما أصعقه الا ذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال تبت اليك أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فاني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك وأنا أول المؤمنين أي بقولك لن تراني لانك ما قلت ذلك الالي وهو خبر فلذلك ألحقه موسى عليه الصلاة والسلام بالايمان دون العلم ولو أنه عليه الصلاة والسلام أراد مطلق الايمان بقوله لن تراني ما صحت له الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم في ايمان وهو مشهد عزيز فان العبد اذا انتقل من الايمان الى العلم الذي هو أوضح فكيف يبقى معه حجاب الايمان فلذلك كان خاصا بالكمل فيؤمنون بما هم به عالمون ليحوز وا أجر الايمان مع أجر العلم ويقال في أحدهم انه مؤمن بما هو به عالم من عين واحد وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه ان شئت * وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول من أعجب الامور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني أي مع قوتك ٣ كونك تراني على الدوام ولا تشعر بان الذي تراه هو أنا اهـ (فان قلت) فهل يعلم الحق تعالى بالكشف (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار لا يصح أن يعلم الحق تعالى بالكشف وانما يرى به فقط كما أنه تعالى يعلم بالعقل ولا يرى به قال وهل ثم لنا مقام يجمع بين الرؤية والعلم لا أدري اهـ (فان قلت) فكم ترجع صور التجلي الالهي الى مرتبة من العدد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة انما ترجع كلها الى صورتين صورة تنكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما قال وقد ورد أن الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام تجلى له في اثني عشر ألف صورة وفي كل صورة يقول له ياموسى لينتبه موسى فيعلم انه لو كان جميع التجلي بصورة واحدة لم يقل له في كل صورة وكلمة ياموسى اهـ (فان قلت فكيف) ثبت موسى عليه الصلاة والسلام لسماع كلام الله ولم يثبت لرؤيته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخمسين وأربعمائة انه انما ثبت لسماع كلام الله لان الحق تعالى كان سمعه عند النجوى يعني مؤيدا ومقوى بالسمع موسى عليه الصلاة والسلام لانه محبوب لله بلا شك وقد أخبر الحق تعالى انه اذا أحب عبدا كان سمعه وبصره الحديث لكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء في هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على التدريج شيأ بعد شيء فلذلك صعق موسى عند التجلي اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك فلو انه تعالى أيده بالقوة في بصره كما أيده بها في سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام اذ لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى الا بتأييد الهي اهـ (فان قلت) فما السبب الذي دعا موسى عليه الصلاة والسلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الانبياء مقربون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة أن السبب الداعي له الى طلب الرؤية زيادة التقريب على غيره من الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم فان الحق تعالى لما أقام موسى في مقام التقريب لم يتمالك أن يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم منعه الادب أن يسأل ذلك مع أنه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام بيقين فلما سلك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وأرسل له براقا يركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ما منع من الرؤية الا لكونه سألها عن غير وحي الهي ومقام الانبياء يقتضي المؤاخذة بالذرات فلذلك كان الجواب له لن تراني من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب بلغ حده في موسى من حيث سؤاله الرؤية بغير أمر من الله تعالى فقال

ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمى الرسن الذي يحكم بها الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو النعت * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس من شأن أهل الله أن يتصرفوا بالهمة لكن اذا أعطوها فرحوا بما يكون ابتلاء واختبارا وجعلوا بدلها بسم الله في كل فعل أرادوه قال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه ببعض أسرار الله في خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف في ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا في مذهب من لا يرى انه مشتق من شيء ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه نزيد بنموه في جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت على هذا فهي أعلام واذا قيلت على طريق المدح فهي أسماء صفات وبهذا ورد جميع الاسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله

له

له تعالى ولكن انظر الى الجبل فاحاله على الجبل فى استقراره عند التجلى حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف أن الجبل رأى ربه وان الرؤية هى التى أوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى أن يرى ربه فى حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفى على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلى للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغى له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين يعنى بوقوع هذا الجائز اه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لما أطمع موسى فى طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك البصرى كما يليق بجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال فى الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت يعنى ان ثبت الجبل اذا تجليت له فترانى من حيث ما فى ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أى فاذا كان الجبل الذى هو أقوى صار دكا عند التجلى فكيف يثبت لرؤيتى جبل موسى الذى هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هى التى أمسكت صورته على ما هى عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) قد قال أهل الكشف ان الجماد كله حى فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور * قال الشيخ ومن أعظم دليل سمعى على حياة الجماد قوله تعالى وان منها يعنى الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حى دراك ولكن قد أخذ الله تعالى بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعى فى ذلك لكشفنا عن حياة كل شئ عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندك الجبل حين وقع له التجلى ما وقع منه الا لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ما تدكدك اذ الذوات لا تؤثر فى بعضها من حيث هى ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن فى نفوسهم ثم اذا لقيه فى تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتادب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذى يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له فى الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فاحترموه وحينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتامل تعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هى رتبة نسبية أعطته التحكم فى العالم الذى هو تحت حكمه اه (فان قلت) قد ورد فى الحديث أن العبد يناجى ربه فى الصلاة فى هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجى الا من يتخيله مناجيا له كذلك فبم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تتميز الدار الآخرة بكون العبد هناك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف للعبد فى الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا فى هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال فى الدار الآخرة ما من أحد الا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشئ من القوى الظاهرة

الذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت غيرا فانه لا اشتقاق كما قاله بعضهم قال وأما أسماء الضمائر فانها تدل على الذات بلا شك وما هى مشتقة مثل لفظة هو وذا وانا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فاما هو فهو اسم لضمير الغائب وأما ذا فهى من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة قوله نا من قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال هذه ومع ذلك فليست أعلاما ولكنها أقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال وأما لفظة هو فهى أعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانها تدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو وأطال فى ذلك * (قلت) وذكر الشيخ أيضا فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه ثم أسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك ثم أسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تستبرح منه ما تنفس من أسماء

أوالباطنة التى فى الانسان لابد أن يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ماسكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هـذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيال والخيال لا يصح أن يضبط أمرا أبدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من أهل الكشف فى الدنيا انكار لشئ من التجليات الأخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهـل الكشف شئ من الانكار للتجلى الاخروى وانما يقع ذلك من أصحاب النظر العـقلى وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما أدت اليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا فى الآخرة ما قيـدوه بعقولهم فى الدنيا أنكروه ضرورة ألا تراهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما أنكروه فعلم ان أهـل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى * وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى فى تجـل من تجليات الآخرة الا أهل التنزيه المطلق الذى هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهـذا هو سر العيان الذى يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحد الا ثانى له فى نفس الامر فمن أين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى فى نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هى التى تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله فى على ذاته عن ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه فى هذه الدار على الكشف القلبى (فالجواب) علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيي الدين فى الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هى رؤية أهل الجنة فى الجنة اذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين وأربعمائة ان وجه اطلاق الابصار فى الآية أى لا تدركه الابصار من كل عـين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لا ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى أيضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك فيسمى البصر فى القلب عين البصيرة ويسمى فى الظاهر بصر العين فكما أن العين فى الظاهر محل البصر فكذلك البصـيرة فى الباطن محل العين الذى هو بصر فى عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو فى نفسه كما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له فى المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعـالى بعينى رأسه فارسل الشيخ خلفه وقال له أحق ما يقول هؤلاء عنـك فقـال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هـذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديـع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حالة اتصال شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدرى قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فاعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسـن افصاحه رضى الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلى وقد تراءى لى مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لى فيه صورة تناديني يا عبد القـادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدنى وان شئت فاترك فقلت له اخسأ يا لعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبنى اللعين وقال لى يا عبد القادر نجوت منى بعلمك بأحكام ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد ... بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت انه شـيطان فقال ... له لى ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيأ على السنة رسله ثم يبيحه

لاحد

العالم كالغنى والعزيز والقدوس وأمثال هذه الاسماء فقال وما وجدنا الله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فانه ما ثم اسم الا على أحد أمرين اما يدل على فعـل وهو الذى يستدعى العالم ولابد واما يدل على تنزيه وهو الذى يستروح منـه صفات نقص كونى تـنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصـلا الا ان كان ذلك فى علمه وما استأثر به فى غيبه عالم يبده لنا * قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثناء بها عليـه فمن المحـال أن يكون فيها اسم عـلم أصـلا لان الاسماء الاعـلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعـلام للمعانى التى تدل عليها وتلك المعانى هى التى يثـنى بها عـلى من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعانى هى المسماة بهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقـادر وباقى الاسماء فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعانى لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسـن والقبح الا بحكم التبعيـة لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست زائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلا... انتهى * وذكر أيضا فى الباب الثامـ... وخمسمائة... كلها ذاته سبحانه ...ـه الحق تعالى عينها الذى بيده ملكوت كل شئ وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان كل

اسم الهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع

لاحد فى السر أبدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى أخبر انه أقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون أى لشدة قربى منكم وقد أطال الشيخ فى تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار فى الباب الخامس والعشرين وأربعمائة وفى الباب الحادى وعشرين ومائتين * وقال فى كتابه شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع أنه ألطف من الادراك الحسى فكيف يدركه البصر الذى هو الاكثف انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية البارى و بين قول من نفاها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من أثبت رؤية الله عز وجل و بين من أنكرها ونفاها ان من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشئ كأنه مارآه مع انه رآه انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالى لا يرتفع أبدا كما أشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الارداء الكبرياء فى جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح أن يرى ومن قال لا يصح ان يرى بحمله على هاتين الحالتين انتهى * وأما الكلام على رؤيته تعالى فى المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول و بالله التوفيق اعلم أن الاصل فى صحة الرؤية مارواه الطبرانى وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء فى معنى هذا الحديث وفى صحته فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم وتوقف فى معناه وأوله ولا يحتاج الامر الى تأويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا فى عالم الخيال الذى هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ماليس من شأنه أن يكون جسدا لان حضرته تعطى ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فانك ترى فيه واجب الوجود الذى لا يقبل الصور فى صورة و يقول لك معبر المنام صحيح مارأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود فى هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم فى الامور من تجسد المعانى وجعله ماليس قائما بنفسه ٣ وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثامن والتسعين ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا أنه يريك الجسم فى مكانين فيكون الانسان نائما فى بيته و يرى فى منامه أن عين جسمه فى مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذى هو عليه فى بيته وهو عينه لا غيره لمن أدرك الوجود على ماهو عليه ولولا ذلك ماقدر العقلاء على فرض المحال فانه لولا صوره فى نفسه ماقدر على فرضه قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول فى سبيل الله فى المعركة وهو عند الله حى يرزق و يأكل وروى الترمذى فى حديث القبضتين مرفوعا أن الحق لما فتح قبضته أى كما يليق بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم فى هذه القصة فى القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ماتقول فى هذا الحديث وأطال فى ذلك هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحب رؤية الحق تعالى فى صورة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وأربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح فى ذلك ماذكرته فى السؤال من رؤيتك لله تعالى فى المنام الذى هو موطن الخيال فى صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك فى الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن

دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفى أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقوا حدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الاسماء الالهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال فى معرض الحجة على من نسب الالوهية الى غير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ماقالوا الا بغير الاسم الله فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها وأطال فى ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك * وقال ليس فى أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الالهى بل ليس فى الوجود كله تكرار جملة واحدة * وقال فى حديث ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ماأخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فانها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لان الاحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شئ وكل اسم الهى يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده فى كتاب وان

كان عندنا به فى نفوسنا لما يؤدى اليه ذلك من الانكار علينا وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائة معنى حببنا لربنا أن نحب

النظار العقلى لم تدرك الحق تعالى الامنزها عن تلك الصورة التى أدركته فيها فى موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به احاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته فى موطن ينفد منك فى موضع آخر فما عندك من العلم به ينفد وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان فى النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه فى المنام أبدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ فى لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التاويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائى الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة فى نفسه لانه أمر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل أتاه بذلك من طريق الوحى المعهود فى الحس أو بطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لان النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد اهـ (فان قلت) فما السبب الداعى لرؤية الله تعالى فى النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ان السبب لرؤية الله فى المنام كون النوم أخا الموت فمعنى الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا فى حال موتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله فى الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم فى الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الالمن أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم فى العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم وأما محله فى الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيى الدين ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله فى الدنيا ولا فى الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر فى موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى ربه فى الدنيا وانما يراه فى الآخرة فقط فليتامل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بغيب الشمس وأما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الارض (فان قلت) فما السبب فى عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة أن السبب فى ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هنالك بسرعة يقظانه فكأنه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب الحدث لا هو عين الحدث (فان قلت) فمن أصدق الناس رؤيا (فالجواب) أصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه فى حضرة خياله الذى هو فيه فهذا هو الذى تصدق رؤياه أبدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هى صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا أخطأت فما أخطأت وانما الذى عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الاترى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا أصبت بعضا وأخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن اخطأ فى التاويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما فى حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب

الاشياء من أجله ونبغض الاشياء من أجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا بقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته هل واليت لى وليا أو عاديت لى عدوا كما ورد ✽ وقال فى قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فى هذه الآية دليل على أن الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول فى نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بأمر لم تقسم لنا فعله او تنهانا عن شئ وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسئل عما يفعل ✽ وقال بلغنى ان العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بى من حبى لك أن لو قلت لى اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فارسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذى تعجز عنه فقال مهلا يا نبى الله ان المحبين انما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفى هذه عذر عظيم لنحو سيدى عمر بن الفارض واضرابه فى تغزلاتهم فلا ينبغى اقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لانهم انما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم ✽ وقال فى الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الاولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية

الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الحليم أن الرؤيا هي رؤيا الامر على ما هو عليه في نفسه وأما الحلم فهو رؤيا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لانه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا أخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذي ظهر بها فردها الى أصلها كما أفسدها الحلم العلم وأظهره في صورة اللبن فليس بلبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضي الله عنه فقال اني رأيت أني أرد الزيت في الزيتون فقال له أملك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها فأين صورة نكاح الرجل أمه من رد الزيت في الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الامر على ما هو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان في النوم أو في اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائتين ان لله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق تعالى أن يريه لهذا النائم من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك حتى أنه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ما تبرأ حد الرؤيا حيث عبرها الا بعد أن تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر في الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك أن الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم اسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة وأربعين جزأ من حديث الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وقعت له الرؤيا قبل الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر الى ستة وأربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في عماية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى اعلم

(خاتمة) في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبحث خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاء الشيطان وجنوده

العلم المعنوية الخاصة قال والحسية هي مثل الكلام على الخواطر والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوى في الحال ونحو ذلك وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل للناس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الاشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها هي الكرامات عندنا فانه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة وايضاح ذلك ان الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالعهود ومعلوم أن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهي وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وانما محل ذلك الدار الآخرة وأطال في ذلك *وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة اعلم أن ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف انكرنا عليه ذلك فان غلب عليه الحال سلم له حاله ما لم يعارض نصا أو اجماعا

حتى دخلوا مكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون و يفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع أسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها فهذا هو السبب في كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الخلق بالتصور بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فاذلك جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم انى أنا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس في صورة غيرها ردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أى رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة (فالجواب) ان رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي وذلك لا يستدعى حضور المرئي بل يرى من المشرق الى المغرب ونجوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم أن العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فما الحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كان يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) أن هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير اذا قابلت وجه انسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا وفى المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات في ذلك راجعة الى اختلاف أشكال الرائي لا الى وجه المرئي وكذلك الراؤن للنبي صلى الله عليه وسلم أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائي قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله تعالى وانى لأرى جماعة من الخلق تشمئز طباعهم من ضرب الامثال بالمرآة ونحوها في مثل هذا الذى ذكرنا من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعني والله أعلم في الصغر والحقارة فالامثال أعظم شئ في تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعني ان عين القلب ترى في الامثال من صور المعاني ما تراه عين الرأس في المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب المنزلة من السماء أكثرها أمثال مضروبة فعلم ان الرائي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة رآه له حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهي في الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التي تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقي بعيني وبين قولك رأيت وجه صديقي في الماء اذ المرئي في الحالتين واحد غير أن الله تعالى أجرى العادة أن من نظر في صقيل كالماء والمرآة يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظن أن في ذلك الصقيل شيئا يراه هو مثال الوجه وذلك خيال باطل

ولا يعصم من اقامة الحد احتمال ان يكون كاهل بدر لان المؤاخذة انما سقطت عن أهل بدر في الدار الآخرة ومن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضي ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون أسقطت عنك الحدود فعلم ان القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينها واقعة الحلاج وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم وحروف بطوالع وذلك لاهل الرصد ومنها ما يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان * وقال في الباب السابع والثمانين

لان

لان الصقيل فى ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد فى حالة واحدة فعلى هذا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآنى وأطلق كما أنه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى يراه حقيقة لا مثالا قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله وكان الغزالى رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير حقيقة شخصه المودع فى روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالى أيضا انه كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل وشبه رؤية الله فى المنام بذلك فلا أدرى ما أراد به رحمه الله اه (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد أخبرنى الشيخ الصالح عطية الابناسى والشيخ الصالح قاسم المغربى المقيم فى تربة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والقاضى زكريا الشافعى انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له فى مرة منها هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغورى فى ضرورة وقعت لى فقال لى يا عطية أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة وأخشى ان اجتمعت بالغورى أن يحتجب صلى الله عليه وسلم عنى ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فى جسده لضرورة فلم تر الملائكة بعد ذلك عقوبة له على اكتوائه اه قال الشيخ قاسم المذكور وأكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال وليست رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هى جمعية خيالية وحالة برزخية وأمر وجدانى لا يدرك حقيقته الا من باشره اه وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون فى مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربى رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لا بد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية فى اليقظة * وكان رضى الله عنه يقول أيضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رآه الصحابة فهو كاذب وان ادعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا أحب الحق تعالى عبدا كان فى نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان قال وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح اه * فعلم أن المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائى العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على أحد العمل بذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لا سيما ان خالف نصا صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان للانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه فى المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الا حقا وما يرونه فى المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع فى عالم أمثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوى وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تأويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تأويل كما وقع فى قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا

فى مائة اختلف الناس فيما كان معجزة لنبى هل يجوز أن يكون كرامة لولى فالجمهور أجازوا ذلك الا الاستاذ أبا اسحق الاسفراينى فانه منع من ذلك قال وهو الصحيح عندنا الا أنا نشترط أمرا لم يذكره الاستاذ وهو ان نقول الا ان أقام الولى بذلك الامر المعجز على تصديق النبى لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولى ما كان معجزة لنبى على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ لقال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذى ذهب اليه الاستاذ هو الذى يعطيه النظر العقلى الا أن يقول الرسول فى وقت تحديه بالمنع فى الوقت خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه وأما ان أطلقه فلا سبيل الا ما قاله الاستاذ انتهى * وقال فى الباب الثامن والثمانين ومائة فى حديث ان رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت اعلم ان لله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات فى يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته فى يقظته ما يدركه النائم فى نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذى محله مقدم

قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن ووجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع أهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ أبو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا أن الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم (فان قلت) فكم أصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردي ان اصول الخلق أربعة أشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشرر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق وأما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أو من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا في الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فانه مولى القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين * قال الماوردي ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين صاعدين لصعود أصلهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط أصلهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه العبارات من ألفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم وأدعى الى التزام الحجة اه * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لابد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة أصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما وبشرة الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها مختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصور الله لهم هيآت لطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان لتلك الانوار أشكالا وصورا لطيفة لائقة بذواتها يتمايز بعضها كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة في اختلافاتها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن أبصارنا لغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتطورون فيها أحيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان أجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كأنها تمتزج بالهواء فيتصور الهواء بما شاؤا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل قال وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤا كما أقدرنا أن نظهر في أي لباس شئنا فكما ان أشكال اللبس لنا مسخرة كذلك كانت أشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء يمني في سرعة التطور دقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن اذا أراد الله عز وجل أن

القماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم أو الغائب أو الفاني من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك فيرى الحق في صورة وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزينا من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما جعلها في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم اسقوطها وتتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لاغير فتلك الحال اما عرض أو جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين وأطال في ذلك * ثم قال وانما كان صلى الله عليه وسلم اذا أصبح يقول

بر بنا

يرينا الملك أو الجني كيف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأي شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وإنما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لأن الهواء اذا تكاثف أمكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءني بنيف وسبعين سؤالا في التوحيد يطلب جوابها مني وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فاجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون محجوبين عنا في الجنة كما في الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هنالك فنراهم ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التي يتطورون فيها أم هم باقون على أصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف أصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها اذ الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفونا (فالجواب) يخالفونا في البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا في جميع الامور وذلك لأن أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لأنها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف (فالجواب) حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيئا (فان قلت) فهل يقدر أحدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو في غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحاني على ذلك أبدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم أول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمارج في اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة ولم أبقى عليهم اسم الجنس الذي هو الجان (فالجواب) انما أبقى عليهم اسم الجن لأن الجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الانسان ومعلوم ان الجان عنصري ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخي النشأة فله وجه الى الارواح النورية بلطافة نار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الاشارة اليه في كلام الماوردي وأعطاه الاسم اللطيف انه يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف في العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه وما لا يرى وأما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحاني في اليقظة المتمثلة في صور الاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم في نومه مما يشبه بالاجسام ويعطيه الحس وليست هذه الامور في نفسها باجسام اه (فان قلت) فهل المرئي بواسطة الصور التي يتطورها الجني أو الملك هو الملك حقيقة أو الجني (فالجواب) نعم الملك والجني حقيقة كان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا

* وقد سئل بعضهم عن حد الجني فقال هو حيوان هوائي ناطق من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبر قسمنا أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف

أمته والناس في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان اذا سمعوا بأمر وقع في النوم أو في الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا بالمنامات يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزؤن بالرائي اذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال واعلم أن محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لان مكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك القمر خاصة فلو قدر أن شخصا خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لانه لا يقوم به صفة النوم وأطال في ذلك (قلت) ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب التاسع عشر وأربعمائة وكذلك في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة والباب الاربعين وخمسمائة ماله تعلق برؤية الله ورؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر في الباب الثالث والستين وثلثمائة الفرق بين الرؤيا والمبشرات وان الرؤيا أعم والمبشرات أخص فان الانسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن لذلك أثر فيمن رآها لنفسه أو رؤيت له ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلا وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة أن يتفل عن يساره ثلاثا و يستعيذ

الانس قال الشيخ أبو طاهر ويقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانها اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجني فيحصرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بني آدم دخول النار في الفضة المذابة فتراها تضطرب في البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفي الحديث ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود لما حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة في دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور في التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعني الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة اه وقال الضحاك يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بان يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح انهم ممنوعون منه الى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا ليخبرونا بما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها قولين قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجني ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود (فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور في أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس بأب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أي يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التي تخفى أن يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد في ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه * ومن دسائسه أيضا انه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والاهلك * ومن دسائسه التي تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولي فان رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأنا دمنه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على ان ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه أو سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء للناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأي عداوة أشد عداوة ابليس لآدم أم عداوته

بالله من شر ما رأى فانه لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائما عليه حين الرؤيا الى شقه الآخر فانه ما تحول بتحوله ولا تضره وذلك كما يحول الانسان رداءه في الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله أعلم * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة العماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل أن يخلق الخلق ليس تحته هواء وليس فوقه هواء يعني ان له صفة الفوق والتحت أما الفوق فمن كون الحق نسب الى نفسه أنه فيه وأما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت ان العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته * وقال في قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اعلم ان السحاب انما يثقله الماء فاذا أثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما يصعد بما فيه من الحرارة فاذا أثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا فلقي وجه الارض فتقوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود الى الركن الاعظم فوجد السحاب ثرا كما فيه من العود

الخريته

لذريته (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس وعشرين وثلثمائة ان عداوته لبنى آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذى فى التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء فى ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء أشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات فى القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذى جعله مقابلا له غيبا بغيب اهـ (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسى ولا هو جنى كما قيل (فالجواب) نعم وذلك فى صورة واحدة اذ الشيطان فى سائر مراتبه حسى الا فى صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوى لا انسى ولا جنى (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم أن الشيطان الانسى أو الجنى فتح أحدهما باب الالقاء فى قلب العبد مما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوى فيستنبط من ذلك شبهاوأمورا لم يقصدها ابليس ولا غيره قال الشيخ محيي الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذى فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا أن يجهلوه فى الخواطر ويصدقوها قال وقد أعطى الشيطان قوة التجسد قال تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وكان روحا تجسد على صورة سليمان قال فاذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له فى صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقى ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه فى معاصى الله تعالى أدناها ان يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال فى حال طاعاتك وفى حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو أن المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما أوجد الله ابليس انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الالوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه فى بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون لقاحهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع من الفتوحات نعم ويقع منهم حروب عظيمة قال وبعض الزوابع قد يكون من حربهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدى ذلك المنع الى الدور المشهور فى الغبرة فى الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن أول من سمى من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث فأبلسه الله تعالى أى طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقى منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح فى حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس ويصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس فى ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فاسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم أى فاسلم انا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد الا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا وأنت يارسول الله قال نعم ولكن أعاننى الله عليه فأسلم وفى بعض طرق الحديث فلا يأمرنى الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه فى الجملة ثم فان ابليس قد أنظره الله تعالى الى يوم الدين يعنى الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح أن يسلم أبدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله أحد فانه لا يصح فى الوجود كله معصية من أحد الا بواسطته اما بنفسه واما بأعوانه والله أعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس أول

ثم كانقدما اشتعل الهواء فخلق الله من تلك الشعلة ملكا أسماه برقا فاضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقى العين كونا يسبح الله ثم يصدع الوجه الذى يلى الارض من السحاب فاذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لابد من ذلك فكل برق لابد أن الرعد يعقبه لان الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه الله ملكا يسميه برقا وبعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما أوجده وأطال فى ذلك * ثم قال وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسمعه وفى ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الاذناب قال وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق فليتأمل ويحرر * وقال ارجى آية للمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فمن نظر فى الدلائل جهد الطاقة فأداه ذلك الى تخيل شبهة أنها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا فى زعم الناظر والافمن المحال أن يكون ثم دليل فى نفس الامر على اله آخر فلم يبق الا أن تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس فى قوته أكثر من هذا

من عصى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والأمر كذلك فكما كان قابيل أول الأشقياء من البشر فكذلك كان إبليس أول الأشقياء من الجن ولذلك قال تعالى إلا إبليس كان من الجن أي من هذا الصنف المخلوقين الأشقياء (فإن قيل) قد حكى الله تعالى عن إبليس أنه إذا قال للإنسان اكفر فلما كفر يقول له إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطناً (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لأنه أول من سن الشرك في العالم ثم يعتقد برحمة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا أنه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فإنه لا بد أن يموت على الكفر قطعاً فافهم (فإن قلت) إن الكفر الذي أمر به إبليس ليس بشرك فإن الكفر هو تعيين الألوهية لغير من هي له مع عدم وجود إله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى إلهاً آخر فمن أين جاء أن إبليس أول من سن الشرك في العالم (فالجواب) أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى في آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فإنهم هم الذين لبسوا إيمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك أن المراد بالإيمان في قوله تعالى ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الإيمان بتوحيد الله عز وجل إذ الشرك لا يقابله إلا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات ثم قال ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك إلى الله فإن أعلمه الله بما أراده في كلامه قال به وإلا كف عن ذلك انتهى (فإن قلت) فهل مجالسة الجان رديئة أو محمودة (فالجواب) هي رديئة غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فإن الغالب عليهم الفضول كالإنس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحداً جالسهم وحصل له أبداً خير وذلك لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع إليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فإنهم اجتمعوا مع فسقة الإنس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة إذ هم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يقع في العالم ومن العالم أن ذلك من كرامة الله له وهيهات فإن غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم أن يطلعوه على شيء من خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم إلا العلم الذي ذمته الشرائع قال ومما جرب أن من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والأخبار انتهى * وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والعشرون في أن الله تعالى خالق لأفعال العباد كما هو خالق لذواتهم)

وأن العباد مكتسبون لا خالقون خلافاً للمعتزلة في قولهم إن العبد يخلق أفعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف رحمه الله وقد كان الأوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم بإجماع السلف على أنه لا خالق إلا الله تعالى يتحاشون عن إطلاق لفظ الخالق ويكتفون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو علي الجبائي وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم إلى الوجود تجاسروا على إطلاق لفظ الخالق واعلم يا أخي أن مسئلة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ولا يزيل إشكالها إلا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون في إدراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك أن أفعال الإنس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا إنكار لها من أحد ثم إذا رجعنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكماً جلياً بحيث لا يبقى منازعة في الصدر * وها أنا أجلي عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله يقول ليس للقدرة الحادثة أثر وإنما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التأثير

وأطال في ذلك بنحو ثلاثة أوراق * ثم قال وإنما أنكر الهاً لأنه لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم ينكر فدل على أن من ادعى مع الله إلهاً آخر فقد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم لأنه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق الأمن له الوجود المحقق وأطال في ذلك (قلت) وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم إنه لا يمشي إلا على مذهب من يقول إن المخطئ في الأصول لا وزر عليه كما لو أخطأ في الفروع وهو مذهب بعضهم خلافاً للجمهور * وقال إذا تلوت القرآن فاعلم من تترجم فإن الله تعالى تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الأول قوله لا تحزن إن الله معنا ومثال الثاني قوله عن فرعون يا هامان ابن لي صرحاً فإنه إنما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الأمور إذا وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظاً أو معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجماً ثم أقررنا وكذلك قوله وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا إلى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية

وكان

وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول القضيات العقلية في هذه المسئلة ثلاثة وهي اما أن تكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان وأما الثالثة وهي أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهي اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهي بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما لوجب انه اذا منع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال بقي أن يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع الوجهان في حالتين يعني كأن يقع الوجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ الحدوث اذا حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة تمتزج من القديم والحادث حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب للموجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الاشعري ومن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسئلة أظهرها ان كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني واستدل بان الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما متماثلان بل ترجع الى أمر زائد عليهما وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلو أن يكون تعلق القدرة باحداهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما أو يكون تعلق القدرة باحداهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من أمرين أيضا اما أن تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما أن تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو أثر في الوجود لأثر في كل موجود فتعين أن التأثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فانه لا تؤثر الا في حال الوجود فقال والقاضي قد أثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فاجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الآن بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تيسير الفعل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ أبي الحسن الاشعري أنه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيرها في المقدور ولو أنها كانت في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شئ البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر وقد غلا أبو المعالي اذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير أنه لم يثبت للعبد استقلالا

(وقال) في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمي قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين توحيد الغم والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله في أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضبه لله ومن أجل الله فامد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر * وقال انما كنت أذهب الى تفضيل الملا الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) ويذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من

بالايجاد مالم يستند الى سبب آخر ثم سلسل الاسباب فى سلسلة الترقى الى البارى جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال فى بعض كتبه ان القدرة الحادثة تقدور والقدرة القديمة لانها من أثرها * وقال فى مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة فى ايقاع الفعل ومقدمة عليه * وقال فى موضع آخر منه نحن نقول بان قدرتنا الحادثة تؤثر فى غير محلها على شرط الاتصال * وقال فى النظامى ان القدرة الحادثة هى المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد فى بيع ماله باذن سيده فى البيع قال الشيخ أبو طاهر وحاصل الامر أن أبا المعالى كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة فى هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الامر لن من زعم أن لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم أنه مستبد بالعمل فقد أشرك وابتدع وما بقى مورد التكليف الا ما يجده العبد فى نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفى الاضطرار ومضطر على الاختيار والله تعالى أعلم هذا أحسن ماوجدته من كلام المتكلمين * وأما كلام الصوفية فى هذه المسئلة فاكثر من أن يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق تعالى فيها وزوال اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ الاكبر فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات أن صورة مسئلة خلق الافعال صورة لام ألف فى حروف الهجاء فان الرائى لايدرى أى الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف ويسمى هذا الحرف الذى هو لام ألف حرف الالتباس فى الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ماصح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا اه وقال الشيخ أيضا فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة انما أضاف تعالى الاعمال الينا الا انها محل الثواب والعقاب وهى لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا أضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الاحسنا فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا أضفناه اليه مطلقا والينا محلا وما كان من سيئ أضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة فى ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيآتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى * وقال أيضا فى الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب بمعنى رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق باخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالامر والنهى وبما بينهما كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق ما نبهناك عليه فانى أظن انه ماطرق سمعك قط وان لم تكن كذلك فاتك أدب كثير * وقال فى الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم أزل أنفى التجلى الالهى فى الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم انه لا يفعل افعل اذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الامر الالهى للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلابد أن يكون له فى المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا واذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلى فى الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق فى غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لابد من ذلك وحاصله أن العبد ماصحت له نسبة الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة فى الارض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسماء قال وهذه الفائدة مما نبهنى عليها تلميذى اسماعيل حفظه الله تعالى ولما أفادها لى لم يعرف أحد قدر ما دخل على من السرور انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصورى بفتحها ما كان للاسباب عين ولا ظهر عندها أثر وأنت تعلم أن استناد العالم أكثره الى الاسباب فلولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استندت اليها المخلوق فانا لم نشاهد أثرا الا منها وما عقلناه الا عندها فمن الناس من

أهل السنة انتهى وتقدم ذلك أيضا عنه في الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة تقوله بعد كلام طويل

وليس يدرك مافلنا سوى رجل
قد جاوز الملأ العلوى والرسلا
وهام فيما يظن الخلق أجمعه
تحصيله وسها عن نفسه وسلا

ذاك الرسول برسول الله أحدنا رب الوسيلة فى اوصافه كملا فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه وتقدم قوله فى الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ماذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله فى الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن فى الارض فراجعه والله تعالى أعلم * وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم أر للثمانية صورة فى نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد فى الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لا ينتفع بنفسه بخلافه اذا ولد فى سبعة أو تسعة وذلك لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأيضا لأخذ ذلك * وقال العرش يسند بالشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوى بأن الكرسى

قال

قالبم اولابدومن الناس من قال عندها ولابدونحن ومن جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها أى عندها عقلاو بها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الاما لهم فيه تعمل فلابد من حقيقة تكون هنا تعطى صحة الاضافة فى العمل اليك مع كون عملك خلقا له والله خلقكم وما تعملون أى وخلق ماتعملون قال و بعض أهل الاشارة جعلوا ماههنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى و بين الخلق والعمل فرقان فى المعنى واللفظ فما أضافه تعالى اليك هو عين ما أضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف المعنى ومافعل لك الا ليعلمك أن الامر الواحد له وجوه فمن حيثما هو عمل هو لك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله تعالى فلاتغفل عن معرفة هذا فانه لطيف خفى انتهى (قلت) ونظيرذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك لان المعنى تعلم مافى نفسى التى هى لك ملك ولا أعلم مافى نفسك التى خلقتها ونفختها فى فالنفس فى الموضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين خلقا واسنادا والى العبد اسنادا فقط والله تعالى أعلم * قال الشيخ أيضا فى الباب التسعين وأربعمائة اعلم ان الحق تعالى ما أضاف الفعل الى العبد الا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل الا لله تعالى غيرأن من عباد الله من أشهده ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذى هداه هو الذى حفظ من دعوى الفعل لنفسه حقيقة وأما القسم الذى لم تحق عليه الضلالة فهو الذى حار ولم يدروهم القائلون بالكسب وأما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم اه وقال فى الباب الاحد وثمانين وأربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى فى حال العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لاهو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لاغير * وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة اعلم ان أعمالنا حقيقة لله وحده وانما أضافها الينا ابتلاء واختبارا لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة أو نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف اليه تعالى ما أضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع فى سوء الادب اه وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة ومن أراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر فى خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق فى تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها فالامر كذلك فى صور العالم كلهم والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهنالك يعرف من أين أتى عليهم فالصغار فى ذلك المجلس يفرحون و يطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون أن الله تعالى ما نصب هذا الامثال لعباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هى حجاب سر القدر الذى لايجوز لاحد كشفه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس عشر وأربعمائة مما يدلك على أن أفعال العبد لله حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب فى حديث كنت سمعه و بصره و يده ورجله ومعلوم أن العمل ليس هو بجسم الانسان مما هو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف فى باطن العبد الا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة أنهم يخلقون أفعال نفوسهم لحجابهم عن شهودهم معرى عن قواهم انتهى * وقال فى الباب التسعين وأربعمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون اعلم ان المقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى أكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولاسيما اذا رأى غيره قد عمل بما سمع فمنمو أطال فى ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الاشارة يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم مالا تفعلون حقيقة ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا أى يقاتلون فى سبيله من ينازع الحق فى اضافة الافعال الى نفسه و يقول ان الفعل لى كالمعتزلة حتى يرجع الى الحق و يترك النزاع فيضيف الافعال كلها الى الله تعالى * وقال فى الباب

فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة فشبهه بشكل مسند يوهى الحلقة وكذلك (١٢٧) شبه السموات فى الكرسى كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى مافى قوته لمن هو فى حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته ان يحيط به غيره من الاجساد فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فأين الخلاء الذى يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لافرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الاستواء على العرش فان من لايقبل التحيز لايقبل الاتصال والانفصال فعلم ان هذا العرش الذى تحف به الملائكة هو الذى يأتى الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذى عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن اما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء وقال زيارة العبد لربه فى الجنة تكون على عدد صلاته فى دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه * وقال ينبغى لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهل الكشف ان يحشو بهما لحليلة البشر يعتص كل شىء ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات فى الجنتين

الحادى والستين وثلثمائة اعلم ان الانسان مجبور فى عين اختياره عند كل ذى عقل سليم مع ان جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بايدينا اذ الاعمال اعراض والاعراض لا تظهر الا فى جسم وهذا وان كان صدقا فقد أنف أهل الله أن يصرحوا به وانما قالوا الاعمال لله خلقا وللعبد اسنادا مجازا انتهى * وسمعت أخى الشيخ زين العابدين المرصفى رحمه الله يقول مرارا اختيار العباد غير مفوض اليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال ان كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لانا نقول الثواب والعقاب انما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه لصرف الاستطاعة التى تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيى الدين فى باب الوصايا أنت محل للعمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر للعمل صورة لانه عرض * وقال فى لواقح الانوار أيضا محال من الحكيم أن يقول امش يا مقعد أو افعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقى نسبة الفعل الى الفاعل ينبغى أن يعرف اه (وقال) فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة اعلم انه لا أثر لمخلوق فى الاعمال التى تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وانما له فيها حكم لا أثر وأكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا أراد ايجاد حركة أو معنى من الامور التى لا يصح وجودها الا فى موادها لانها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الامر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم فى الايجاد لهذا الممكن وماله فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا تحققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة فى الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا أثر له ولذلك مقت نفسه عند الله اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذى كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى مقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد أضافه اليه وانما المراد ان العبد مقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى فى ذلك الفعل لم مقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة فى الملك دون الشركة فى الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة فى الفعل ما صح تكليفه اذ لا بد من شركة العبد فى الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزه ربه عن الشركة مطلقا فاته مقام الكمال * وقال فى الباب الثانى والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الاعلى ونحوها فان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذى هو كانه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة ولا دليل فى العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود أسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذى هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ فى القرآن واثبته ضمير التثنية فى القرآن اه * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شئ طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئة لا عجزا عن تنفيذه مثاله طلب من أبى جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبى جهل ان ابايتهما كانت الا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهداهم أجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن فى محل أبى جهل أو خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان فى محل المخاطب فكونه واجدا انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فما هى حضرة الوجدان اه وقال فى هذا الباب أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق بتقدم الامر الالهى كما فى قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه فى الذكر وخلق ايجاد وهو الذى يساوق الامر الالهى

يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الكشف انه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذى تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذى نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة فى غير أهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضى الله عنه قال وأما ما استقر فى مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيى الدين فى الفتوحات المصرية ان الذى يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعالى شئ لانه قاد الاجماع على ذلك والله أعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور الا أهل الكشف والوجود فانها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم فى واقعة وما منهم ملك الا وافادنى علما لم يكن عندى فهم من جملة أشياخى من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه يقول القارئ الم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول فى الف لام ميم صاد واخوانها وهم أربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهر وافى منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد

فيكون

فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن التكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من أنه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذي نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهور المكون لعالم الشهادة بعد أن كان غيبا في علم الله تعالى والسلام * وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصي العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال لرسول أو نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولا بد وتأمل قوله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شئ من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهي لم ترد لهم امتثال الامر فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بانفسكم من غير ارادتي وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روح بها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذي هو الامر الالهي بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أفعال العباد في حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها والا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها بمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلي أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا أن العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذي هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التي جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا في الخطاب والتكليف ومناهاة للحسن وكان لا يوثق بالحسن في شئ وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والثمانين ومائتين وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذي يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة في الظاهر أبواب للحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف حجاب هذا الستر فقوم لا يشعرون بان الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون و يشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى اليه فأخطؤا الشريعة وقوم لا يشهدون و يشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغي أن يقال العبد مجبور في عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا لان في ذلك سوء أدب و يرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اه وسيأتي بسط ذلك في المبحث عقبه * وقال في باب الاسرار من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به في عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى للنعم ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفي ذلك هدم للشرائع كلها اه (فان قلت) فما منشأ الخلاف في مسئلة خلق الافعال بين الفرق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الى ماذا يرجع ذلك التمكن الذي أعطاه الله تعالى العبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى كون القدرة الحادثة لها فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الارادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبني كون الانسان مكلفا لعين التمكين الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور في اختياره ولكن

ومنازل الظهر فيها اثنان مثل طس ويس وحم وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الايمان تمده وتحفظ عليه ايمانه * وقال في قوله تعالى و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشئ الا أثرت فيه ولولا الاثير الذي هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الارض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم قال واعلم أن الاثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فبما في الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير أثر فيه لتحركه اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الاذناب لانها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وان أردت تحقيق هذا فانظر الى شرر النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأى العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم

بذلك القـدر من التمكن الذى يجده من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال أعطاها لا شئ * وقال فى الباب الاحد وتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتـل والرمى لمن نفاه عنـه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهـم وبقوله ولكن الله رمى فيا أسرع مانفى وما أسرع ما أثبت اعين واحـدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوا المشركين فاظهر أمرا وآمرا ومامورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفـعل من أعيان المحـدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهـم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السـيف لكم أوأى آلة كانت للقتل كما ان القتـل وقع فى المقتول بالآلة ولم تقـل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسـبة اليه هو فافهم * وقال فى باب الاسرار ما أجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهـم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة له تعالى اه وقال فى الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد أثرها فى نفوسـنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام فى الصلاة وهذه القدرة هى التى أظهرها النفخ الالهى فى الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لاحدنا قل واياك نسـتعين فان فى الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة فى اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليـل شرعى وأخطأت فى اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشـعرية فى اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعى وعقلى اه وقال فى الباب الثانى والسـبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على أن خالق القدرة المقارنة للفعل من العبـد لله وحده وانها ليست من كسب العبـد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا ان له من نفسه اختيارا استقلالا * وقال فى باب الاسرار ما أمر الله تعالى عباده بنصره الا وأعطاهـم الاشـتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى و يعنى الاقتـدار فقـد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكليف الحق تعالى بالميت اه * وقال فى الباب الثامن والخمسـين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها أضفنا اليه أحكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض الا فى الحدث الا تيان ولو كان قرآنا فانه حدث عندهـم باتيانه ألا ترى حروف الخفض هى الخافضة للاسماء مع انها دونها فى الدرجة وعلو الاسماء فيها بقول العبد أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهى التى تخفض الهاء من الكلمة فاثرت فيما هو أعـلى منها الذى هو الاسماء فالعالم وان كان فى مقام الخفض فى الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض فى اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف فى أدوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وأبقوا عليـه البناء حتى لا يتغـير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقـة فهو هنا مخفوض المعنى غـير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثـل قوله تعالى لله الامر من قبـل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر فى الطريق التى نحن فيها اذ أثر المحدث فى المحدث لم يشركه أثر فيه غـير أن يكون محدثا فالحـدوث له بمنزلة البناء للحرف والاثر فيـه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعـل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق تعالى قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذى يسمع به وقال فأجره حـتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقـد أطاع الله مع قوله ما عـلى الرسول الا البلاغ اه وقال فى باب الاسرار ما فى الوجود الا فعل الله مع أنه حرم الفواحش فسـلم ولا تناقش اه * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى ما أصابك من

ان الهواء لا يحمى ريحا الا اذا تحرك وتموج فاذا اشتدت حركته كان زعزعا وان لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهو به تسبحه تجرى به الجوارى ويطفأ به السراج وتشـعل النار وتتحـرك المياه والاشجار و يموج البحر وتزلزل الارض وتزجى السحاب قال واعلم ان روح الماء من الهواء ولو سـكن الهـواء لهلك كل متنفس و كل شئ فى العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمى بدنه فى زمن الصـيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما فى الهواء من برودة الماء فان صورة الهـواء من الماء * وقال فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اعلم ان الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح الا فى العذب منه خاصـة فان الله تعالى أجرى فى قعره عيونا وانهارا عذبة وجعل للارض نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فتتكون حيوانات البحر الملح فيه الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان الا ترى البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الاعظم فيستحيـل منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق فى علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منـه يخرج واليـه يعود * وقال فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم أن طبقات الارض سبع كطبقات السموات فى كونها واحدة فوق واحدة قال صلى

حسنة فمن الله أي ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعني اسناد الايجاد وتامل يا أخي قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا أمرضني بل أضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تامل قول أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ولم يقل أمسستني الضر فارحمني بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تامل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردت أن أعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف أضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى في قوله تعالى فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين من الفتوحات ان قوله أردنا تحته أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى في ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه ولو أن الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فتأمل يا أخي فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق وقد قالوا لابي بكر رضي الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني فهو وان شهد الامر من الله تعالى لم يراع أدب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذي نراه أن السيد أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله أعلم * وقال في الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخي أن مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب منها من أصعب المسائل قال وقد مكثت دهري كله أستشكلها ولم يفتح لي بالحق فيها على ما هو الامر عليه الا ليلة تقييدي لهذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح علي بذلك يعسر علي تصور الفرق بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسئلة على القطع الذي لا شك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك أن الحق تعالى أوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الاول الذي لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لي انظر هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة قلت لا يا رب فقال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيه أثر ولا شيء من الخلق فانا الذي أخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له يا رب فنفسك اذن خاطبت بقولك اعمل ولا تفعل فقال لي اذا اطلعتك بشيء من علمي فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يا رب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وان خلقت الادب فلا بد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وأنصت قلت ذلك لك يا رب اخلق السمع حتى أسمع والانصات حتى أنصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لي ما أخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمي في الازل ولي الحجة البالغة اه وسيأتي ايضاح ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا أخي في هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال في الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسئلة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله هذه مسئلة لا يزول اشكالها في الدنيا وهو معذور في قوله والله تعالى أعلم * (خاتمة) * (ان قيل) ما المراد باضافة الخلق

الله عليه وسلم فيمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع أرضين وذلك انه اذا غصب شبرا من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقها بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الارض من أن يطهر الله ذلك الموضع بسجداته الى سبع أرضين وقوله يتنزل الامر بينهن أي بين السموات والارضين ولو كانت أرضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذي قررناه هو الظاهر وهو الذي أعطاه كشفنا والله أعلم * وقال في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون اعلم ان العالم كله في قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض في المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله أفلا يؤمنون أفلا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلا الذي هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء يحييه الا الحرارة واليبس فكان يقال في ذلك الحال وجعلنا من النار كل شيء حي ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شيء حي ولو افرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال في هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شيء حي وأطال في ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة

الى عيسى عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى فى ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق أن لا يخلق ولا يقدر على ذلك (فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام للطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى فى ذلك كالملك الذى يصور الجنين فى الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير من جملة العبادة التى يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له فى ذلك قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة فى تفسير هذه الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه فى هذا الفن فان بعض المنتحلين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا ينافى كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى فى هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا فالقول قول سيبويه أولى والسلام وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة خلقت النفخ فى عيسى وخلقت التكوين فى الطائر الى آخره وهذا أمر لا اشكال فيه والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه فى هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها أم الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة أن من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن فى هذه الدار لا يتصرفون بها لان محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها فى بعض الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له فى اظهار المعجزات وهذه المسئلة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فكان أبا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق انه يخلق انسانا باذن الله تعالى أم غاية أمر الخلق أن يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام فى خلقه الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال أورده الشيخ محيى الدين فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا لو فرض فهل هو انسان أو حيوان فى صورة جسم انسان لان الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التى هى أكمل الصور ولكن قد ذكرنا فى الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المنى الانسانى بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة يتفقدونه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ ولا أدرى أكان انسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا فى صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والعشرون فى بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم)

فلو قدر أن عبدا قال يارب كيف تؤاخذنى بما قدرته على قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق بك الا بما أنت عليه ولا افتتاح للعلمى ولا للمعلوم قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فاتى بمثل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك فى علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ الى ذوق هذا العالم والجمع انما تقام فى الاصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى فى شئ أضافه الحق تعالى اليه أو اليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه لا يجرى على العبد الا ما كان هو عليه فى العلم الالهى فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان فى علمه تعالى رماه ونوى اقامة الحجة هو موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التى كانوا عليها فى علمه تعالى الذى لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما

(قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة فى الشبهات وليكونوا فى حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطبيعة التى بها غذاؤها والله أعلم * وقال فى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم الآية اعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء من رحمة الله خاصة وأما السعداء فابقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان وهو عنصرى ولهذا تكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخى النشأة وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه الينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فاعطاه الاسم اللطيف ان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال فى ذلك ثم قال فالاسم اللطيف هو الذى جعل الجان يستتر عن أعين الناس فلا تدركهم

تعلق

الابصار الامضيد بن والله أعلم وقال فى الباب الثانى وماتين مانصه اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع الى مانذكره وهو ان لا يتعدى العبد فى الحكم موضعه فى جوهر كان أو فى عرض أو فى زمان أو مكان أو فى وضع أو فى اضافة أو فى حال أو فى مقدار أو عدد أو فى مؤثر أو فى مؤثر فيه فاما أدبه فى الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع فى ذلك فيجرى به فيه بحسبه وأما أدب العبد فى الاعراض فهو ما يتعلق بافعال المكلفين من وجوب وحظر واباحة ومكروه وندب وأما أدبه فى الزمان فلا يتعلق الا بأوقات العبادات المرتبطة بالاوقات فكل وقت له حكم فى المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه فى المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه فى الوضع فلا يسمى الشئ بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما فى حديث سيأتى على أمتى زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أى فتحا لباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الامام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لاجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو تريزا فاستحلوها بالاسم وقالوا انما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الاضافة فهو مثل

تعلق بهم الاعصب ماهم عليه وانه تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبى من الانبياء بعض ما أصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه كم تشكونى واست باهل ذم هكذا بدء شأنك فى علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك الى آخر ما ورد فنعلم ان كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيي الدين فى الجواب ثم قال وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن اين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة من يأخذ الحجة على وجه الايمان ان لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو أن الحق تعالى مكننى من الاحتجاج حين يسالنى عن ذلك لقلت له يا رب أنت فعلت بى ذلك ولكنك لا تسئل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده لا حجة لك على ولو بقلبه فتامل فى ذلك وقد قال الشيخ فى الباب السابع والخمسين وأربعمائة فى تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ما وجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وغير الحق تعالى انما هو برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه يقوله وكأن لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل لما تعلق علمى بك حال عدمك الشخصى وأنت فى عالم الغيب عن هذا العالم الاعلى ما أنت عليه فانى ما أبرزتك الى الوجود الا على قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهنالك تندحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ما هى عين ما يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعنى بالحجة فوق عباده وهو الحكيم الخبير أى حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه فلولا اطلاق التكليف ما كان خصما ولا عمل لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى لعباده ليطلب منهم النصف انتهى فليتامل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائة فى قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة اعلم ان فى هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعنى فى أصل القسمة الازلية فهذا موضع لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هنالك يسال الحق تعالى انتهى وسيأتى أوائل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود فى تصور وجه مخالفة العبد للقدرة الالهية وان ذلك غير ممكن فراجعه وقال الشيخ فى باب الاسرار من احتج عليك بما سبق فى علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الاجهار ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها الكاتب علما ونفخت فهما وأورثت فى الفؤاد كمادونه تحز القمم لما تؤدى اليمن درس الطريق الاهم الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم وقال الشيخ فى كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه يا رب كيف تؤاخذنى على أمر قدرته على قبل ان أخلق لقال له الحق تعالى أما أنت محل لجريان اقدارى فلا يسعه الا أن يقول نعم يا رب أنا محل لجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن قد ذهب اعتراضك على فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له فحينئذ قام عليك ميزان العدل فى قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا أن ابليس قال يا رب كيف تقدر على عدم السجود لآدم

قول الخضر فأردت أن أعيبها وقال فأردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فأراد ربك لتخليص المحمدة

ثم تؤاخذني به فقال جل وعلا متى علمت أني قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذي ينصب للطير وهو اللولب المدفون في التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدي لها وانما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما التقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع في معصية الا وهو غافل من شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذي كان فيه هلاكه الا بعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سال في الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له صلى الله عليه وسلم بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو في حال الذلة والصغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شيء وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية لنفسي ولا لغيري شيء وأنزل الله تصديق ذلك انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء والله تعالى أعلم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تحتج بان ابليس أوقعك في المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ في خطبته في النار ممن أطاعه في دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين في تلك الخطبة جهل أهل المعاصي ويقول في آخرها فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فاني ما أغويتكم بوسوستي الا بعد أن ملتم بنفوسكم الى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبل وسوستي فان نفسكم كلسان الميزان الذي في الفلك وأنا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان في فلكه لم يخرج فانتم محفوظون مني فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية جئت فنفذت ارادتكم بالوقوع فانا تبع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له في ذلك الموضع ويتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم في ذلك مستقلا وانما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية وأكثر من ذلك لا يقال * قلت فحاصل هذا المبحث ان العبد هو الذي ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فانه تعالى لا يخبر الا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هي معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيئا ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذي قررناه ما وقعوا في قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده ثم لما قام عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشري لا يعتقد انه يخلق أفعال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول في جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول في الاعمال نفسها ولو قال قائل لله لم تعذبني على ما ليس من خلقي لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا معاقبا على أعمالك فلا يسع العبد الا أن يقول نعم ما تعلق علمك بي الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذي ذكرته لم أره لاحد من أهل عصري وغاية أمرهم ان أحدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم يد لا تقدر أن تقطعها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما استشهد بقول الشاعر

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما في العلم الالهي لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتامل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم

فيه فأفاد أن الشيء الواحد يكتسب ذما بالنسبة الى جهة ويكتسب حمدا بالاضافة الى جهة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السفر في الطاعة وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الادب في الاعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه في المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال في الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل للنفس شيئا بعد شيء حتى يلحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تمييز عندها في ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضي سيده وتحمل الفاجر حملا لله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وبنعمه وجحده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم ان كلما اتسعت

المبحث

(المبحث السادس والعشرون في بيان ان أحدا من الانس والجن لا يخرج عن التكليف مادام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ماسيأتي بيانه)

اعلم يا أخي ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل مابقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير عليه منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لاشق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتي بعبادة الا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد التي كانت غائبة عني فيها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من أنفي ودخوله وذلك اني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر أي متعب وهذا أمر لا يذوقه الا من سلك الطريق فأين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى في كل نفس* واعلم يا أخي ان من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا في قبة أرين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لا ت الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام أمارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا وكسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلي شيأ ونحن والله لا نقطع الصلاة ولكن لنا أماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلي فيها (وأخبرني) الشيخ محمد أيضا ان سيدي ابراهيم المتبولي ماريء قط يصلي الظهر في مصر أبدا حتى كان بعض الناس يقول كان الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه في الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدي علي الخواص فكان يصلي في الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوي رحمه الله يقول له يا شيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ (وأخبرني) الشيخ يوسف الكردي انه صلى مع سيدي ابراهيم الظهر في الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذي يؤم فيه وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كان لونه الزعفران انتهى وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطوني بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة *وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فارباب الاحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع نعلم ان الله تعالى لا يحرم شيأ أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد من أوليائه أبدا لان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لا يجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ما شرع له الفطر الامع التلبس بالمرض أوغيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لا يجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وان كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ في باب أسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد أبحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك

دائرة العبد في المعارف كلما طولب بتحمل الاذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وانه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات في زيادات لا تنفك حتى تقوم الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم والعارف متخلق باخلاق الحق في ذلك ويؤيد هذا الذي قررناه ان الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزأ من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الاجزاء علينا وما قارب الشيء أعطى حكمه فافهم والله أعلم* وقال في الباب السابع ومائتين اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية وانما تكون معاصي الخواص بالخطا في التاويل وايضاح ذلك أن الحق تعالى اذا أراد ايقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتاويل لان معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تاويل يشهد فيه وجه الحق فان العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبدا ثم اذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتاويل يظهر تعالى له فساد ذلك التاويل الذي أداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى بالتاويل فعند ذلك يحكم العارف

الذنب فابقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو أني بقيت ألف عام ما نقصت من أوراد شيئا الا بعذر شرعي انتهى * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبي في غير زمان تكليفه فلو قتل أحدا لم يقم عليه حد وانما يحبس الى ان يبلغ ويقتل بما قتل في صباه الا ان يعفو ولي الدم فقد آخذه بما لم يفعله في زمان تكليفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا ولما هو عليه وبما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الافعال التي تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له حتى الحج ولوليه الذي حج به أجر المعونة التي لا يقدر الصبي على فعلها انتهى وقد سبق في مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبي وانفاذ الوعيد في حق البريء فراجعه * وقال الشيخ في الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذي أقول به ان من غلب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا فهو تحت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لانه ما ثم حال ولا صفة في مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد أباح للصبي والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهي حكم شرعي فعلى هذا انما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل والمجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات في حالة شهود ونعت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفي القبر انتهى (فان قلت) فلم سمي المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر ومائتين من الفتوحات انه انما سمي مجذوبا بالجذب الحق تعالى له وأخذه باعطافه ولولا انه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو أحلى وألذ فان أحوال المجاذيب في لذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هي أعلى وأجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته أم تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيي الدين وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فنعم (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كوني من غذاء أو جوع أو فزع ونحو ذلك وأما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلي الالهي الذي جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة في حضرته منزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وسمي هؤلاء عقلاء المجانين أي المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة أقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه بصرفه الحال ولا تدبير له في نفسه وكان أبو عقال المغربي من أهل هذا المقام (الثاني) من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من

على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشرع بعفو كان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التاويل كما ان المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا ان ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة لا يوصف بخطائه في ثاني الحال اذا ظهر له بالدليل انه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر انه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن لعبد ان يعصي ربه على الكشف من غير تاويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبدا قال وأما قول أبي يزيد لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافي ذلك أي لان من أدب العارفين مع ربهم ان لا يحكموا عليه بتقييد كانه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التاويل والتزيين فاعلم ذلك *وقال في الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفي بابليس اشغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائما في غير معمل فكلما وسوس لولي في شيء خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلا ونهارا وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم *وقال في الباب التاسع وما تين انما أحال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل الرؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت أي فان ثبت الجبل اذا

غير

غير تدبير ولاروية ويتناول العيش الطبيعى كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال ورجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن روية وتدبير مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أن أكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا أن الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم اعظيم ماشاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحى ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجى بثوبه ويرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ماجاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين ومعلوم أن مواجيده صلى الله عليه وسلم التى كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة بيقين من نزول ملك أو وارد فى الوقت الذى لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستعدا لذلك الهول فعلم أنه لولا أن الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم مارد الله عليهم عقولهم فلذلك اعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين فى كل عصر فافهم * واعلم أيضا أنه مانم وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط فى ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولى والنبى وقالوا النبى يصرف الاحوال عنه والولى تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين أحوالهم والاولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ماذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولى صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لايحس بجوع ولاعطش ولاحر ولابرد بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق * واعلم أن حالة أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التى جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه فى حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه فى حال بسط فعمره كله بسط وضحك أوتبسم وان جذبه فى حال كلام دنيوى فكذلك أوأخروى فكذلك حتى انى رأيت بعض القضاة جذب فكنت لاازال أراه يقول لاحقا ولااستحقاقا ولادعوى ولاطلبا الى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لاأزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت فى نصبه وخفضه الى آخره فتأمل فى هذا المبحث فانك لاتجده مجموعا فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون فى بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولايقال انها الحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لايصح أن يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم انه لاينبغى أن يعلل أفعال الحق بالحكمة وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق الباء فى قوله بالحق بمعنى اللام أى للحق قال وهى عين اللام فى قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون فان الله تعالى لايخلق شيأ بشئ فى الغالب وانما يخلق شيأ عند شئ وعلم أيضا أنه تعالى اذا أخبر أنه خلق شيأ بشئ فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذخلقه تعالى لايعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم أيضا أنه تعالى ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولاأبالى وهؤلاء للنار ولاابالى ولم يعترض عليه معترض هنالك اذلاموجود كان ثم سواه (فان قيل) فمامعنى قوله تعالى فى الحديث القدسى ولاأبالى (فالجواب) كماقاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتى سبقت غضبى فى حق أهل الجنة وحقت كلمتى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا فى حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذهى سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لايبالى بالفريقين واعلم أن الاسم الرب مع أهل الجنة لانها دار أنس وجمال وتنزل الهى لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانها دار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال

تجليته فانك سترانى من حيث مافى ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أى فاذا كان الجبل الذى هو الاقوى صار دكا عند التجلى فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب العاشر ومائتين من أراد أن يعرف بغض الحق أو محبته له فلينظر الى حاله الذى هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم أن الله تعالى يحبه والافليحكم بان الله يبغضه والانسان على نفسه بصيرة * وقال فى الباب الحادى عشر ومائتين فى قوله تعالى لاتدركه الابصار يحتمل ذلك وجهين أحدهما انه نفى ان تدركه الابصار على طريق التنبيه على الحقائق أى على معنى ان المدرك له تعالى ليس

الصرف أم بالجلال الممزوج كما فى دار الدنيا (فالجواب) لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف لفقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالاة باهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم التهمم بامرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بامرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدى عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بامرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام أبى القاسم بن قسى لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله فى عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال فى هذا انه حكم فضله فى عدله اذ محل حكم الصفة انما هو فى المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسى فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى اعلم

(المبحث الثامن والعشرون فى بيان انه لا رازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة فى قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مؤوى وليس فى ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال أهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به فى التغذى وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة أو نحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب ما لا علك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم أيضا أنه لا يكون رزق الله تعالى الا حلالا لاستناده الى الله تعالى فى الجملة وما أسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح أن يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسبابه * قال أهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذى بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا أنه عليه وان كان لا يجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء فى نحو حديث انى حرمت الظلم على نفسى الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا باخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق فى الرزق لاستناده الى الله تعالى فى الجملة أى لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبى شريف وقال بعضهم الذى يظهر لى ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافى لا مطلق ويحتمل أن يكون أكابر المعتزلة ما نفوا اضافة رزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب أنه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشرى وفى الحديث والخير كله فى يديك والشر ليس اليك أى لا يضاف اليك على وجه التشريف ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم اغننى بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لا سيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظى فلا بأس به وان أرادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اهـ وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اعلم أن الحق تعالى يوصل لكل مخلوق

هو الابصار وانما يدركه المبصرون بالابصار * والوجه الثانى لا تدركه الابصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الالهى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نورانى أراه لمن سأله هل رأيت ربك يعنى بالبصر المقيد بالجارحة فعلم ان الابصار اذا لم تتقيد بالجارحة أدركته تعالى بنوره الذى وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذى يقبل التشبيه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث عشر ومائتين ما ذكر الله تعالى قط أحد عن غفلة بجوارحه كلها لان اللسان الذى هو المترجم قد ذكر وانما الغفلة عن شعور الذاكر بانه ذاكر فالذاكر باللسان أجر ذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة * وقال فى الباب السادس عشر ومائتين من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من امامه بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد ذقناه هذا المقام ولله الحمد * وقال فى الباب التاسع عشر ومائتين فى قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون انما قال سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم يقل أأنتم تخلقون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين ايجاده منيا خاصة والاسم المصور هو الذى يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره وهو قوله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك يعنى شاء الاسم المصور * وقال فى الباب الخامس والعشرين ومائتين فى قول الله عز وجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام رب أرنى كيف تحيي الموتى

رزقه الذي قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقية الله خير لكم وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التي تقوم بهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه اهـ وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ومرادنا بقولنا ان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر اهـ * وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد في حديث أغنني بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز

(خاتمة) في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا الا ان الحق تعالى جعل الرزق على حالين فما سبق في علم الله أنه يأتيك محمولا بلا سعي لا يقال فيه ان السعي أفضل وما سبق في علم الله انه لا يأتيك الا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي أفضل فان الرزق في طلب صاحبه دائر والمرزوق في طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شئ رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما في أيدي الناس فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطادهما الدنيا اهـ

* وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وان لامه أحد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه أن يمتحن نفسه بان يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ وينظر فان وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب اهـ

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن لوجود الاحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته ياربه عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته بيديك ومنهم من أوجدته ابتداء ومنهم من أوجدته عن خلق آخر فطلبت العلم بكيفية الامر فان كان واحدا فأي واحد من هذه الامور والانواع فاذا أعلمتني به اطمأن قلبي وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمرتنا به فقال سبحانه وتعالى لابراهيم على الكيفية بالطيور الاربعة التي هي مثال الطبائع الاربعة اخبارا بان وجود الآخرة طبيعي يعني فتحشر الاجسام الطبيعية اذ كان ثم من يقول لا تحشر الاجسام وانما الحشر حشر النفوس بالموت الى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فاخبر الله تعالى ابراهيم أن الامر ليس هو كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما بان الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز لما أوجد العالم الطبيعي الا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها الى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باحالته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذي فعله الحق تعالى في ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فأجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ولذلك لا تفنى لهم

والله تعالى أعلم *(انتهت مباحث الالوهية وتوابعها)* فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول وبالله التوفيق

(المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي)

اعلم ان الحق تعالى ما أرسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمن الله تعالى عليهم بان أقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة تزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في ارساله لك فانه لا فرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شئ من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لا غير فان جميع الآيات انما وقعت على يدي الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر ألا ترى الى قصة الاسراء لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرائه وما وقع له مع ربه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا ذلك أثرا في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمى فكان يمسح وجه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون اليه اذا رأوه قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لا يراه أحد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل اليه فمسح أبو مدين عينيه بثوب أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لا يعرفه أبو يعزى ولا غيره قال الشيخ من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة اه * فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا تأسيسا لانقياد قومهم لهم اذ من شأن البشر أن لا ينقاد بعضه بعضا الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بانها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعد والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قالنا تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فائتنا بمعجزة فاظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وأصل التحدي أنه تفعل من الحداء أي تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر اه * وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ لا معارضة بذلك فعلم ان مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية

أبواب السماء اذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقي فافهم هداك الله تعالى * وقال في الباب الحادي والثلاثين ومائتين من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المتصف به ممكور به * وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها ان تعلم يا أخي ان المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فانه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عملها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة وحاصل الامر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما مر * وقال في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكرم

واحياء

واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه في دعواه الالوهية في غاية الاشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الاصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذى أوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع ما يقع على يد الدجال ليس هو بأمور حقيقية وانما هى أمور متخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الانبياء فانها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ تشريعا لامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل فى صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك فى ان ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيى الدين فى لواقع الانوار نحن لا نشترط المعجزة عليه عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا أتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز فى ذلك عدم الاتيان ممن أرسل اليهم بمثل ذلك الذى تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه فى نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزة الى الايمان فرأينا ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم وأما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب فى الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء انتهى وقد نظم بعض اليهود بالشأم أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوى وطلب الجواب عنها فاجابه الشيخ رحمه الله وهى

أيا علماء الدين ذمى دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم * ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب دونى فهل الى الدخول سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالمقضى يا قوم راضيا * فربى لا يرضى بشؤم بليتى
وهل لى رضا ما ليس يرضاه سيدى * وقد حرت دلونى على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس يسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كالرى بعد الشرب والشبع الذى * يكون عقيب الاكل فى كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاء اله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطى أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب مما رفضته * مع الامن والايمان لفظ الشهادة
فانت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعى اذ قضى لى بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم فى مبحث خلق الافعال ان هذه المسئلة من أشكل الامور فراجعه والله أعلم * ورأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ

اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب الخامس والثلاثين ومائتين لا يجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال فى الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله فى السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال فى الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن أمور تدق عن عقولنا لانه لا ذوق لنا فى مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب (قلت) ويصح حمل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هى التى حكمت بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا بجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبى ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا فى ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تطمينا له صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التى جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم فى دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة الا كابر جهده فوذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أحبائهم

أبى طاهر القز و ينى رحمه الله ما نصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهى فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوة مقترنا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولى تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان فى ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يا معشر الحاضرين انى رسول هذا الملك وان آية صدقى أن الملك يقوم و يرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك فى الحال و يرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعى أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولى قالوا وانما راعى فى ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعى فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعى للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم لسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وعلم محمدا القرآن ثم قال فأتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبى الذى هو أول الانبياء وعلى صدق النبى الذى هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه له تأثير وينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه اه كلام الشيخ أبى طاهر رحمه الله * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول تعرف نبوة النبى بامور منها أن يدعو الى طاعة الله و ينهى عن معاصيه * ومنها أن لا يخالف ما يدعو الناس اليه و يعرف هو نبوة نفسه * ومنها أن يخلق الله علما ضروريا فيعرف أنه رسول * ومنها أن يظهر الله آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها أن يخبره الله بما فى قلبه وصدره فيضطر النبى الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا أخى ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدى والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ فى الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء بها وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة فى ناظر عين الرائين لا فى نفس الامر وأطال فى ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا لمن خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها الطبيعى الى الانقياد للشرع فى كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا أول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفى الحقيقة الامر جديدا أبدا وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وانما هو أمر يظهر نرى مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصرى وقد نبهتك على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما أقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثمانين ومائة * الاول أن يمكن صرفه فيدعى فى ذلك أن الذى هو مقدور لكم فى العادة اذا أتيت به دليل على صدق دعواى فان الذى أرسلنى يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان فى قدرته ذلك يجد العجز فى ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف * الضرب الثانى أن يأتى بامر لا يكون فى مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على

فافهم هذا اعتقادنا الذى نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائتين لابد لطالب طريق الله تعالى من زهده ما بيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدى الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا و باطنا ولا يبقى له قط ملكا قال ولا ينبغى له ان ينتظر حالة ينشرح لاخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان فى باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال اذ لم يكن لنا اذ ذاك شيخ نحكمه فى ذلك قال ثم انى لم أسأل ما جرى لذلك المال الى يومى هذا وأطال فى الاستدلال على ذلك * وقال فى الباب الاحد والخمسين ومائتين فى قوله تعالى وقل رب زدنى علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شئ فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما اعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كونى أو الهى فما قال بالرى الا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فيننا العلوم الى غير نهاية وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثانى والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان

طريق

طريق العلم انه حي في نفس الامر عزيز لا يدركه الا أهل الكشف منا فانا رأينا عصا موسى حية وعصي السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول لي علم ذلك عزيزا جدا اه (فان قلت) فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصي لاحيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لان الحبال والعصي انعدمت اذلو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصا موسى فكانت الشبهة تدخل عليهم في عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ماصنعوا أو ماصنعوا الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي وعلى ماتوهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ماجاءت به السحرة الا أن سحره أقوى من سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من عصاه ليعلم السحرة ان ذلك ليس هو بسحر منه فان أحد الايخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لاحقيقة له في نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان في ضمن السحر الكفر لان الارواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمي السحر سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا بسكون الحاء ماهو باطل محقق فيكون عدما فان العين أدركت أمرا مالاتشك فيه وماهو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله أعلم فعلم ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ماهو غالب على قومه كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم في المعجزة أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه لايخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لاعلى الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظروا الى قدرة الله تعالى وانما هي من آثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن احياء الموتى والانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما كان عدم العلم ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لابد أن يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه ان مرادهم بقولهم القرآن معجزة أن نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن في العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان جمهور العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي يخالف في ذلك المعتزلة والشيخ أبو اسحق الاسفرايني فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وانما مبالغ

المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الامر قال بكل جاعتقال والمسئلة تحتاج الى سبر ادلة وتحقيق نظر فان العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وان صدقوا اذا لم يأتوا باربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها ولا جاؤا عليه باربعة شهداء كما قرر في الحكم فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هل يريد بهذه الاشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم في ذلك فان جلد الرامي انما كان لرميه ولكونه ماجاء باربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور في نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل وله الاجر التام في الآخرة مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور والمفتري العقوبة في الاخرى وان حكم الحق في الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الي ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونه صادقا فيما كل صدق في الشرع تقترن به السعادة وأطال في ذلك * ثم قال في الباب الثالث والستين ومائتين فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة

الكرامة اجابة دعوة أو موافاة ماء فى بادية لاماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ
محي الدين فى الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذى قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا
الا أنى أشرط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو أنا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولى الا أن يقوم
ذلك الولى بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبى دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا
يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا أن يقول ذلك الرسول فى وقت تحديه بمنع وقوعها فى ذلك الوقت
خاصة أو فى مدة حياته خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذى اشترطه وأما ان
اطلق ذلك النبى ولم يقيد فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * قال اليافعى اليمنى رحمه الله ولا يرد على قولهم
ما جاز أن يكون معجزة لنبى الى آخره القرآن العظيم للزوم التحدى فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق
بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبى أن يتحدى بها ويظهرها بخلاف الكرامة
لا يجب على الولى اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة
طريقه ودعواه بخلاف النبى وكان اليافعى رحمه الله يقول يجب على الولى اخفاء الكرامة الا عن ضرورة
او اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذى غرف عسلا
من الهواء ووضعه بين يدى مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير
ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة تقع عند قصد النبى صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة
فقد تقع من غير قصد الولى وقال بعضهم يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولى وانما الفرق الصحيح بينهما
أن المعجزة تقع مع التحدى والكرامة لا يتحدى بها الولى وقال بعضهم يجوز للولى أيضا أن يتحدى بالكرامة
على ولايته اذا رأى فى ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان
المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع
سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك ان الولى لو ادعى بفعل خارق للعادة انه ولى فان ذلك
لا يقدح فى معجزة النبى بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبى فانه يكذب فى دعواه والكاذب
لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدى الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر
وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدى الاولياء
عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال اه (فان قلت) هذا الفرق
بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه
الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هى أو أثرها بعد النبى زمانا والسحر سريع الزوال
وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبى على رؤس الاشهاد وعظماء البلاد والشعبذة
انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزوينى رحمه الله وقد اختلف الناس
فى السحر وأثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فينقلب الانسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان أمثال
هذه خرافات العوام واسمار النسوة وأطال فى ذكر النيرنجيات والقلفطيريات فى كتابه سراج العقول قال
والسحر فى اللغة اراءة الباطل فى صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهى منسوبة
الى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد فى تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت
واقع وأنكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع أهل
الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين فى الباب
الاحد والسبعين ومائتين فى قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما
كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع
مؤلف لحقيقة تخفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن فى جميع أفعالهم محمودين غير مذمومين

نحق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصرى والوجود الحسى النافى للشك جملة
اذا الحقيقة تطلب الحق
لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف
شريعة أبدا فان الشريعة
من جملة الحقائق ولكن لما
كان الاطلاع على الحقائق
عزيز المنال لا يعرفه كل
أحد فرق الناس بينهما
انتهى فليتأمل ويحرر هذا
الله تعالى * وقال فى الباب
الرابع والستين ومائتين فى
قوله تعالى انا خلقنا الانسان
من نطفة أمشاج نبتليه اعلم
انه لا بد لجميع بنى آدم من
العقوبة والآلام شيأ بعد
شئ الى دخولهم الجنة فاول
الالم فى الدنيا استهلال المولود
حين ولادته صارخا لما
يجده عند مفارقة الرحم
وسخونته فيضربه الهواء
عند خروجه من الرحم
فيحس بالم البرد فيبكى فان
مات فقد أخذ حظه من البلاء
وان عاش فلا بد له فى الحياة
الدنيا من الالم اذ الحيوان
مجبول على ذلك فاذا انتقل
الى البرزخ فلا بد له من ألم
أدناه سؤال منكر ونكير
فاذا بعث فلا بد له من ألم
الخوف على نفسه أو على
غيره فاذا دخل الجنة ارتفع
عنه حكم الآلام وصحبه
النعيم أبد الآبدين * وقال
فى الباب الثامن والستين
ومائتين فى قوله تعالى
ويسئلونك عن الروح أى
من اين ظهر فقيل له قل
الروح من أمر ربى فما كان ذلك
سؤالا عن الماهية كما فهمه
بعضهم فانهم ما قالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ما جاء فى

ارغاما

ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع أظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير في أهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع اهـ (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا أن المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجه ذلك ان الناس قد أشبعوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم انه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم أن ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) اننا انما جوزنا الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدي الى المحال فان كل ما أدى الى المحال فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما أن يقع على خلاف المعلوم واما أن يتناقض الدليل والمدلول فيه واما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما أن يؤدي الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربع وجوه تؤدي الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وأنت رسولي كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له أنت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم وقد ذكر الشيخ أبو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال في ذلك في كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وأن يكون في أيام التكاليف لان الذي يظهر في القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدي لانه قد يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث فانه نفيس والله أعلم

(المبحث الثلاثون في بيان حكمة بعثة الرسل في كل زمان وقع فيه ارسال عليهم الصلاة والسلام)

اعلم ان الاصل في هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عاند بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدي قال الشيخ محيي الدين رحمه الله واعلم أن جميع الحدود التي حدها الله أي قدرها الرب سبحانه وتعالى في هذه الدار لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء أعيان الممكنات في هذه الدار وسلامتها من الفساد فاما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شرع يعتبر بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقي في نظر نفوس الا كابر من الناس الحكمة فيضعون الحدود ويضعون

* وقال في الباب التاسع والستين ومائتين في قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين الآية أعلم ان علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شوهد فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل في النفس برؤيته مالم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينيا مقرا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشيء الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين

 مضاف ومضاف اليه فطالب الكبير حتى يصح وجودها وأطال في بيان الفرق بين هذه المراتب

النواميس فى كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذى تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس فى الاصطلاح هو الذى يأتى بخير عكس الجاسوس فهذه هى النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الالهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه اه * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم أنه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية فى أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك أجرا من باب ان الله لا يضيع أجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين فى زمن الشرائع فلا ينبغى استعمالها لاان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وقال أيضا فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم أن الشرع شرعان شرع منزل الهى وشرع حكمى سياسى عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن نذير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة فى حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعى هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) أنه لم يكن لهم علم بذلك كما أنه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من أحوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم فى أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء فى كل زمان على ابقاء الصلاح فى هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم فى ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا فى البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فاورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها فى حق العالم فلما أورثهم ذلك ماذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع وثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى أعلم

* وأما القسم الثانى المسمى بشريعة حقيقة هو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التى ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها الا غير كما مر فى مبحث المعجزات اذ لو استقلت العقول بامور سعاداتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا أن كل انسان منا يجهل بالضرورة مآله والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد أو شقاوته ان شقى وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهى له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من أهل القبضتين عن الآخر * فعلم أن بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقى من شقى الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر فى ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدى من أحببت وكذلك ليس لابليس أثر فى الاضلال انما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب فى النار ويقول ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم وذلك مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا أمر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ما قسمه الحق تعالى لنا أم لم يقسمه فلا يسع الرسول الا أن يقول افعلوا ما قسمه لكم فاذا قالوا هل نفعله فى الوقت الذى قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول فى الوقت الذى قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهى متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك فى الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد أفتى المالكية بكفر من قال ان فى كل جنس من الحيوانات نذيرا منها لها (فان قلت) فما تقولون فى قوله

فليتأمل فانه نفيس * وقال فى الباب الاحد والسبعين ومائتين فى قوله تعالى الطلاق مرتان الآية اعلم ان الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا ماجورين فى أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان فانهم فى ذلك تحت اذن الهى قال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال فى الباب الثانى والسبعين ومائتين فى قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذى لا يشارك فى أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا فى القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين فى هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فان الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الاحدية على كل ما سوى الله فى القرآن فى نحو قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان كان مذهبنا اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع والسبعين ومائتين فى قوله

تعالى وان من أمة الاخلا فيها نذير وفي قوله الأمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد في الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بان لها نذيرا منها فاياك والغلط (فان قلت) فمتى ينقطع حكم التكليف في حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف في حق أهل الجنة وأهل النار بالموت ماعدا أهل الاعراف الى أن يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا أن تكليفهم باق الى ذلك الوقت ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها (فان قلت) فما أول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هي مكلفة من يوم ألست بربكم فلولا أن تكليفها وعلمها موجود ذلك اليوم ما خوطبت ولا أجابت وعلى ما ورد في الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم في دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف أمره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للامام أبي طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه اعلم ان الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للكون أثر ولا للمكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم في الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجيء اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقي * وزاد النزاع وجد القدم

سعيت اليك برجل الرسول * وناجاك عني لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ لا يجب عليه تعالى شيء البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوة (فالجواب) هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولي واصطفيتك لنفسي كما مر في المبحث قبله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوة مكتسبة أو موهوبة (فالجواب) ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهي الى المعاينة وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت باوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفاء الله شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى انه يقال استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر اذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة باق عليه أبدا حيا وميتا كما أن حكم نكاحه كذلك * وفي الحديث زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة وفي الحديث أيضا الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله أعلم (فان قيل) هلا أرسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بهيئتهم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول أبشرا منا واحدا نتبعه (فالجواب) أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد

تعالى ثم قضى أجلا وهو تمام أيه عمر كل حي يقبل الموت وأجل مسمى عنده وهو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعني فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم في كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية في البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل أجل الموت مسمى لانه اذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل أحد قال والمراد بقوله لاكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعني العلم المكتسب وأطال في ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين ومائتين في قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي فقد أهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة الا العصر فهي غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب

ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكا لعدم الحسد بينهم و بين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا فان عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة باعيانهم وصفاتهم فى صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمى من صورة الملك الذى يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق بجانب فى أعالى الهند وأقاصى بلاد الصين وجزائرها أناسا اذ أبصروا أحدا منا خروا الى وجوههم ميتين ولو أبصر منا واحد صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفى القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم الا تراءى عليهم فمات لوقته ولقد ربطوا انسانا بحبل الوثيقة وقالوا له أنظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعا قطعا * وحديث بدء الوحى مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولا بحراء قاعدا على كرسى بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملونى فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا لى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون أى لماتوا من هيبته فى الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وقال تعالى أيضا وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق فى قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجئ لنا الا بمساعدة الطبع فلا ندرى من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التى جبل عليها الانسان لا تتبدل فانها ذاتية له فى هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وأمثال ذلك ثم لما سبق فى علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها اليها حكما مشروعا فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلى فاذا شحت عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها ان تقع فى شئ ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير أيضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل فى المواطن التى أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وقاواه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير فى حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات فى المصارف التى ندب الحق تعالى اليها ليحمدها ربها وملائكته ورسله و بيان ذلك أيضا ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما أهلك الناس الا سلطان الاغراض فانه الذى أدخل الالم عليهم والمكروه ولو انهم كانوا صرفوا أغراضهم الى ما أراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ فى ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية فلولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيا فى ضوء النهار ولذلك من أعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لان الطريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهى اليه * فعلم ان الماشى فى هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والا هبت عليه رياح زعازع أطفأته وأذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شئ يؤثر فى نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعنى السراج حتى يحار فى الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى فى فروع الشريعة وهى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط فى

الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بمغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس أى شفق كان على الخلاف فى ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض فى الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهور وهو محقق محسوس ولم يات مثل هذه الحدود فى العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك فى كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر اخواتها فلذلك عظمها النبى صلى الله عليه وسلم للمناسبة التى فيها لصفات الحق من حيث نفى الحدود وقد أنشد

صلاة العصر ليس لها شبيه * لنظم الشمل فيها بالحبيب

أى لان العصر حقيقة ضم شئ الى آخر لاستخراج مطلوب ما وهو هنا ضم ذات عبد مطلق فى عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه الى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الاسماء التى تطلب السكون كالرحيم والغفار ونحوهما فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر بين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذى له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض فى شكواه لا خيه

وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة انه يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى يبنى عليه وجوب امتثال أمرهم واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر أو باشراق نور فى القلب فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا فى غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول وحينئذ ان جحد بعدما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه اليه كما مر وفى هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما انطوى الحق عليه من اختلاف الفطر المؤدى ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد ان يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذى منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى فانهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون أى حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعقوبة لمن يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع فى نفس الامر فى حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) أن من شروط الداعى الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعا بغير الحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ فى آخر الباب الثانى والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليردوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك أن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما أشعرها فى صفحة سنامها الايمن الذى هو أرفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التى كانوا عليها فى نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان فى ذلك اشعار من الله تعالى أن يصفح عن هذه صفته اذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل فى رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التى كانت فى البدن اذ لا يصفع بالنعال الا أخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقى عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهى من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين فى ترقيهم فى مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة الله اليها ويرقوا أهلها فى درجاتها والله أعلم * (خاتمة) * فى آثار بعثة الرسل اعلم ان من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما مشى فى ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان فى أمة بعث فيها رسول أو خلق فى أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) أن الله تعالى ما جعل هذين القرينين فى حق المولود نفسه وانما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيهم فاذا انقرن الشيطانى فيبكى أو يلعب بيده فيفسد شيأ مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيأ مثيرا فى الغير ضجرا أو سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا اقترن بالصغير الشيطان لا لاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود فى زمن لا شرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية أم لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود فى

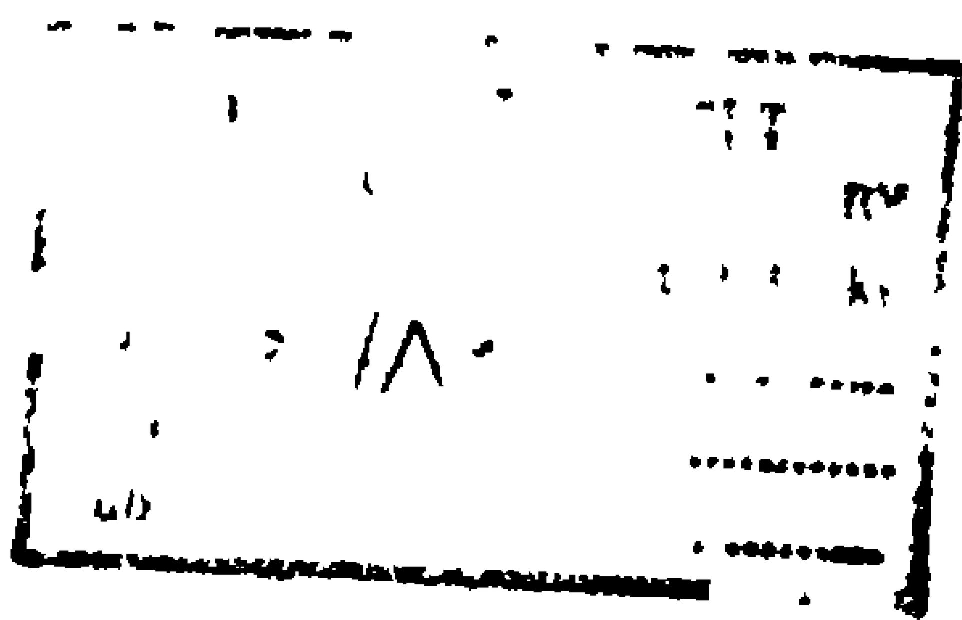
مابه من المرض كما يستعين بالحميم واذا انفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح

* وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين فى قوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس الآية اعلم ان ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حى والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم فى موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذى هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا العلم بالله سبق الى كل نفس فى الاخذ الميثاق حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الانفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم بوجود الله اذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا فلما رد اليه علمه حيى به كما ترد الارواح الى أجسامها فى الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله فى الظلمات يريد مقابلة النور الذى يمشى به فى الناس وما هو عين الحياة اذ الحياة الاقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله

والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى فى الاخذ الميثاق الا الاقرار بوجود الله لا بتوحيده مما تعرض للتوحيد فقال ألست

أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الى أن يموت ما لم يرسل اليه رسول أو يدخل هو في دين اله يتعبد به أى دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده ان يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لا يدرك ان ثم آخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشرا بعد الموت ولا يعرف هذا المدبر لبدنه ما هو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر في مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس في دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى في الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس في دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لا يعصى الله ما أمره وكذلك أعضاء جسد الانسان وجسد الجني ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لا على جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل ينتعشون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والانس في الجنة والنار فانه لا على طريق القربة المكلف بها ولا تنسخ لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هناك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هناك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد ويرتفع التكليف والوقوع في المخالفات ولا يصير القرين يجد شيأ يكتبه والله تعالى أعلم

(تم الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر ويليه الجزء الثاني أوله المبحث الحادي والثلاثون)



ربكم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية التي هي السيادة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم ان شهود الكثرة توجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لان الروح لا يعقل نفسه الا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه فقط وحده مع كونه في نفسه واحدا ولا تعرف انسانيته الا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته في ذاته أبدا وانما تعقل أحدية الجنس لا الاحدية الحقيقية والذي يحصل له بالاكتساب انه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوما فقد مال اليهم بنفسه فان زارهم بمعناه فقد مال اليهم بقلبه وشهادة الزور هي الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل اليهم تعشقا لصفة الموت أن تحل به فان الميت لا حكم له في نفسه وانما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا اباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر أن يكون حيا في أعماله الظاهرة والباطنة التي يتعلق بها التكليف ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شيء لا للمقضي والله أعلم

(فهرست الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر لقطب الواصلين وامام العارفين العالم الصمداني سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو شرح لما أغلق من الفتوحات المكية وبيان ما فيها من العلوم الربانية للقطب الغوث الشيخ الاكبر الامام ابن العربي نفعنا الله تعالى بعلومهم والمسلمين آمين)

صحيفة

صحيفة

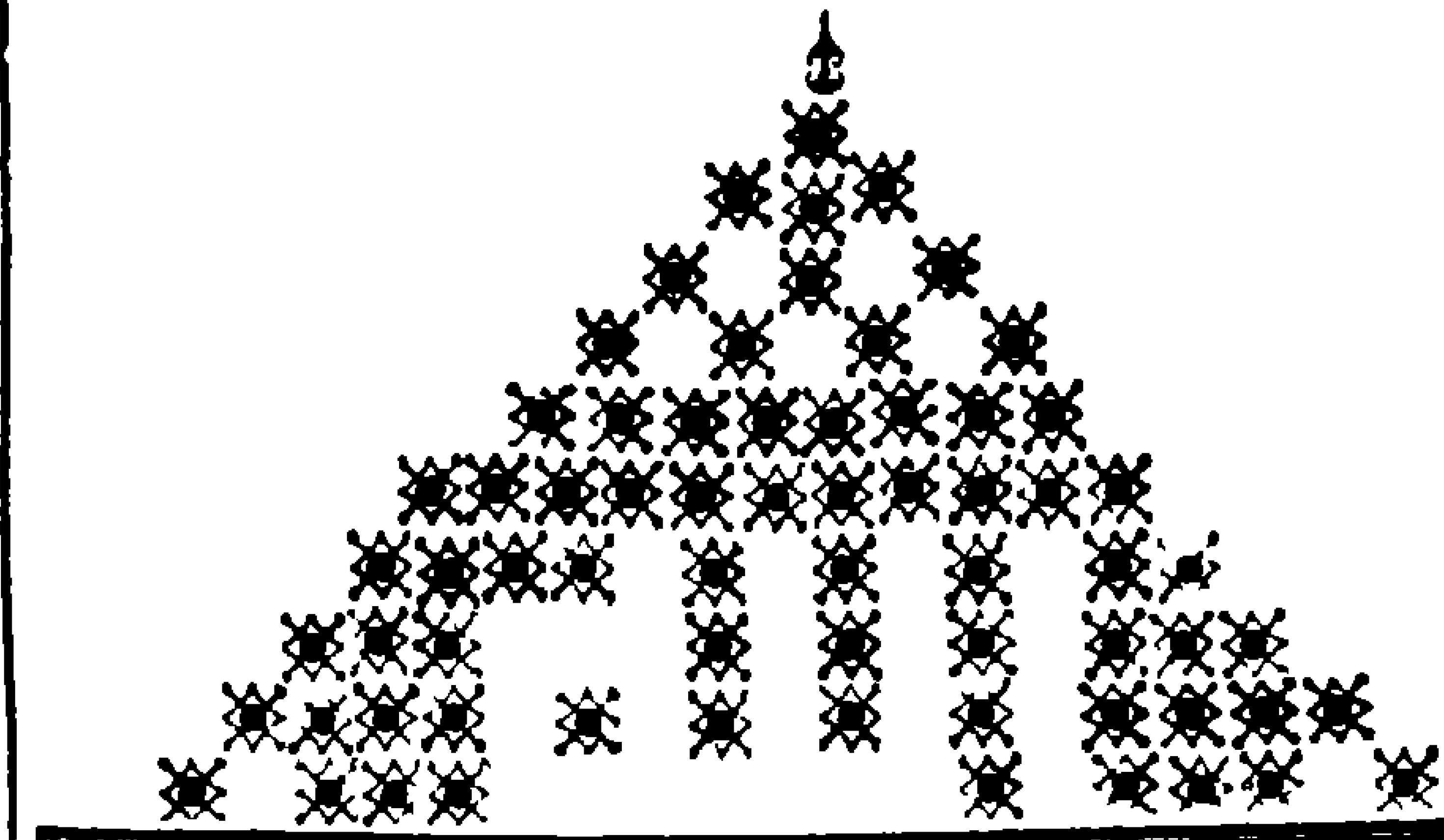
(تمت)

(الجزء الثاني)

كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر

للامام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

*(وعلى الهوامش بقية كتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر
لصاحب اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)*



بسم الله الرحمن الرحيم

(المبحث الحادى والثلاثون)

فى بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الاكمل وذلك لدوام عكوفهم فى حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون أنه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور فى حقه مخالفة قط حقيقية وانما هى مخالفة صورية كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها عصم الانبياء وحفظ الاولياء فالاولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن أقام فيها من الاولياء كسهل بن عبد الله التسترى وسيدى ابراهيم المتبولى فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين فى مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ فى دين الله قطعا وفاقا للاستاذ أبى اسحق الاسفراينى وأبى الفتح الشهرستانى والقاضى عياض والشيخ تقى الدين السبكى وغيرهم وقال جماعة لا ينبغى اجراء الخلاف فى الانبياء والمرسلين أبدا وانما الخلاف فى الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو أدبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة وأيضا فان الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو أنه صدق عليه الوقوع فى معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصى ولا قائل بذلك أبدا وعبارة الشيخ محيى الدين فى الفتوحات ويشترط فى حق الرسول العصمة فى جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم فى غير ما يبلغه فمن مقام آخر كأن يخاطب بالتأسى به فيه فبذلك التأسى أصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز اهـ وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف فى الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لا بد أن ينبهوا عليها على الفور وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة كما ورد فكان لاجل الترقى فى المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول فى حديث انه ليغان على قلبى فاستغفر

*وقال فى الباب الثالث والثمانين ومائتين ليس للشيطان على قلوب الانبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الاولياء الا ترى ان الشيطان لعنه الله لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة من العصمة أن يصل الى قلبه كيف جاءه فى الصلاة فى قبلته بشعلة من نار مخيلة فرمى بها فى وجهه وكان غرض الشيطان أن يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فانه يحسده بالطبع فتأخر النبى صلى الله عليه وسلم الى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولى فان الشيطان يلقى اليه فى قلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع ان يلبس عليه حاله وأطال فى ذلك *وقال فى الباب الرابع والثمانين ومائتين ينبغى للعارف اذا كان فى مجلسه من لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه ان لا يتكلم بشئ من الدقائق فان سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالادب منه ان يقول انما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الارض للوتد لم تشقنى فيقول لها الوتد سلى من يدقنى *وقال فيما علم ان الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال

الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبى مما اطلعت عليه مما يقع لامتى
بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم أكثر من سبعين مرة اهـ وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم
يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز
وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء
وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب وأجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من
كان فى حجاب عن مقامهم وأى فائدة لتخريج من عدله الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك لا والله بل ذلك الى
الاثم أقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب
تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا
فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى أمورهم وحماهم
من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة
وطهرهم عن الرجس والرذائل كما روى فى الصحيح ان جبريل أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع
الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى
طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان فى مكانه * قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح
بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أو دم يصيبه وحاشى حشاه صلى الله عليه وسلم
من ذلك * قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب
توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه فى مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات وذلك قوله تعالى ألم نشرح
لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال فى ذلك * وقال الشيخ العارف
بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه لا يجوز قطع انسبة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماها الله تعالى فى حقهم معصية وخطيئة وذلك
لان مقامهم الارفع لا ذوق لولى فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من أمثالنا وذلك لانهم معصومون من
الوقوع فى ذنوب وغاية خطاياهم انما هو مثل نظره الى مباح أو لفظة لا تنحط رتبة ومكروه وباطنها علم
وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى مادعوه اليه من اللهو واللعب أى ما آل الى السقم ونحو
ذلك اهـ وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء
مما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم
قد فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه باكبر الكبائر وذلك كمسئلة
ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما نظروا الى قوله
صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك فى احياء الله الموتى معاذ
الله ان يشك نبى فى مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر باى وجه منها
يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك
الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيى الله الموتى فما كان السؤال الا عن معرفة الكيف لا غير
وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة
وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم أنبياء الله تعالى
وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين
اهـ * وقال أيضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله تعالى فى أنبيائه وملائكته
و يستحى من الله عز وجل ويجتنب الطامات فى وعظه كالقول فى ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء
عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس

وتناله الانفس ولكن متى
يكون ظهور ذلك الفتح هل
هو الدنيا أم الآخرة ذلك
الى الله تعالى فاذا رأيت
يا أخى عامل صدق أو عرفت
ذلك من نفسك ولم يفتح
لك فى باطنك مثل ما فتح
لمن رأيته على قدمك فى
العمل فلا تتهم ربك فانه
سد خوالك واطرح من
نفسك التهمة فى ذلك وفر
من ان تكون من أهل
التهم * وقال قد يطلع الله
الولى على ما تكنه القلوب
فيعلم من الجليس جميع
حركاته وسكناته من حين
نفخت فيه الروح الى وقت
مجالسته ومع ذلك فلا يعرف
هو ما فى جيب نفسه لان
العارف انما هو مع الله
بحسب ما يطلعه (قلت)
وقد شهدت ذلك من الشيخ
محسن المجذوب بمصر رحمه
الله فكان يخبر الشيخ بما
فعله فى صباه فى أرض
خلاف بلاده رضى الله عنه
وأما شيخنا سيدى على
الخواص فسمعته يقول
لا يكمل الرجل عندنا حتى
يعلم حركات مريده فى
انتقاله فى الاصلاب وهو
نطفة من يوم ألست بربكم
الى استقراره فى الجنة أو
النار والله تعالى اعلم وقال
فى الباب الخامس والثمانين
ومائتين اعلم ان الحواس
لا تخطئ لان ادراكها
للاشياء ادراك ذاتى وان

على غيرهم فان الله تعالى قد أثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود وقال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسير الكلام الله تعالى و يقولون فى تفسيرهم قال المفسرون فى قصة داود انه نظر الى امرأة أوريا فأعجبته فارسله فى غزاة ليموت فياخذها وكقولهم فى قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم فى قصة قوم لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد العجز والضرى ونحو ذلك و يعتمدون على تاويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا فى الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك فى مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل دها ابزاو هادا لمن فى قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصى و يحتج بما سمعه منه فى حق الانبياء و يقول اذا كان الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فمن أكون أنا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذى فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصى ولكن قد ورد أنه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسى الوعظ و يعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه اه (فان قلت) فما الفرق بين العصمة والحفظ (فالجواب) الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع بانه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعنى فعل المباح اذ التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين فى آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية * وقد حبب لى أن أذكر لك بعض أجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا لباب الاجوبة عن باقيهم فأقول و بالله التوفيق اعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهى عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا فى المنهى عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقلون قط من حال الا الى أعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم أبدا *قال ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام أهبط بصدق الوعد السابق بان يكون خليفة فى الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه و بعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام فى مقابلة قول ابليس أنا خير منه الخ فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا أوامر ربنا فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا فى مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كما مر وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية أن كل من ادعى مثل هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم لنحذر من أن نقول نحن خير من فلان ولذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة له دون آدم فما اهبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانه اهبط للخلافة والترقى فى الدرجات فان جميع حسنات بنيه فى صحائفه وليس عليه من أوزارهم شئ (فان قلت) ان معصية ابليس لا تقتضى تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التى هى النار لكونها أقرب الى اسمه تعالى النور لما فيهما من الاضاءة بخلاف الطين (فالجواب) انما جاءه الشقاء الابدى من اعتراضه على الله ونسبة أفعاله الى غير الحكمة مع اضماره فى نفسه أنه لو بقى أبد الآبدين لوسوس للناس بالضلال فجوزى بنظير فعله ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد قال الشيخ أبو مدين انما خلد أهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم (فان قلت) فهل قوله حين تبرأ من الذين كفروا بقوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به أم لا (فالجواب) ليس هو بتوحيد لانه لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره فى نفسه على

محصل علة عارضة فهى لا تؤثر فى الذاتيات وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان ادراك العقل على قسمين ادراك ذاتى هو فيه كالحواس لا يغلط وادراك غير ذاتى وهو ما يدركه بالآلة التى هى الفكر و بالآلة التى هى الحس فالخيال يعطوا الحس بما يعطيه والفكر ينظر فى الخيال فيجد الامور مفردات فيجب أن ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات الى بعض فقد يغلط فى النسبة للامر على ما هو عليه وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيغلط و يصيب فالعقل مقلد ولذلك اتصف بالخطا ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا الى الطريقة التى لا لبس فيها فاخذوا الاشياء من عين اليقين وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب السابع والثمانين ومائتين ما من كلمة يتكلم بها العبد الا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فان كانت خيرا كان ملك رحمة وان كانت شرا كان ملك نقمة فان تاب الى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فان قال العبد تبت اليك يارب من كل شئ لا يرضيك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التى كانت منه فان كل ندل على الكثرة فمعنى تبت الى الله من كل شئ تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا كما تقول زيد دون تريد زيدا وزيدا وزيدا ثم قال ان ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة

الصورة التي اذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها في نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر ان صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم أن ابليس أول مشرك بالله وأول من سن الشرك فهو أشقى العالمين (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى في آدم عليه السلام عصى وفي ابليس أبى (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة أن ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا مشافهة لاهله (فان قلت) فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام (فالجواب) هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما أمرت الانبياء به ولولا علمه بها لربما التبس عليه الامر فامر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ في باب الحج من الفتوحات أن من أغرب الامور أن ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وانما يقف في عرنة بفتح الراء وهي من عرفات فيقف يبكي على ما فاته من طاعة الله عز وجل ويحزن على ما فاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء أن تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرفة لعلمهم بان عنده معرفة الله عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز في الجملة اه (فان قلت) فما الحكمة في وقوع آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التي هي دون الحضرة التي كان فيها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين أن الحكمة في ذلك كله تأنيس العلماء والاولياء اذا وقعوا في زلة فانحطوا عن مقامهم العلي وظنوا أنهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذي أحسوا به في نفوسهم لا يقضي بشقائهم ولا بد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوي والسفلي كله حضراته فليست السماء التي أهبط منها أقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولي في عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقي فقد انتقل بالزلة الى مقام أعلى مما كان فيه لان علو الولي انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولي بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى ما لم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقي فعلم أن من فقد هذا الحالة في زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو في أسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات أهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابي يزيد البسطامي أيعصي العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصي ولا انه يعصي أدبا مع الله تعالى ومعنى وكان أمر الله قدرا مقدورا أي أن معصية أهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم أن يقعوا في المعاصي قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان في ذلك انتهاكا لحرمات الله تعالى وأهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصي والتلذذ بها فان الايمان المكنون في قلوبهم يمنعهم من ذلك * وقال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ومن حكمة وقوع العبد في المخالفة للاوامر وقوعه في مقام الادلال بالطاعات وتحببها فان توالي الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود أنهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على أحد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذي أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الاذلال فهو كاذب اه (فان قلت) فقد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان أن ذلك يؤذن بان آدم عليه السلام أثرت فيه المعصية نقصاما (فالجواب) ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك أورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك

رحمة كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وأطال في ذلك * وقال في الباب (٥) الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى خلق الانسان من علق انما خلقه تعالى من علق اشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فانه خليفته في الارض وأيضا فان العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق الا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل * وقال في اسم الله الاعظم اعلم ان أسماء الله كلها عظيمة فاصدق واسأل حاجتك باي اسم الهي شئت وقد قال شخص لابي يزيد البسطامي علمني اسم الله الاعظم فقال له أبو يزيد فارني الاصغر ووبخه على ذلك * وقال انما سمي الانسان انسانا لان به حصل الانس لمراتب الكمال في الوجود اذ لم يكن أحد يخلع عليه مراتب الوجود غير الانسان والالف والنون فيه زائدة مثل عمران وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى الله نور السموات والارض اعلم انه لولا النورية التي في الاجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما وراء الجدران وما تحت الارض وما فوق السموات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الاولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت مسمرا عليه معه ولا عليه التراب لا ء بعه شيء من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك * وقال في الباب التسعين ومائتين اذا رأيت لوائح تعرفك من

الحجر الاسود لما خرج من الجنة وهو أبيض فلابد من أثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا اذا رجع الى الجنة ويتميز به عن اقرانه و يظهر به عليه خلعة التقريب الالهي في جعله يمين الله في الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما لنا بانه صار سيد الحجر وجه من الجنة الى الدنيا (قلت) ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود وكذلك عمائم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة فعلم أن معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم أي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة له للتناسل والترقي (فان قلت) فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم و بنيه (قلنا) وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام و بنيه بسبب خطاياهم (فان قلت) فلم أمر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به (فالجواب) انما أمروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تميز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها و بالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فأمرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع أنه أنقص رتبة منهم فمنهم من أطاع فرضي الله تعالى عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه (فان قلت) قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في أكله من الشجرة * (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع ومائتين أن المعرفة تمنع العارف بلا شك ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوقع أحدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبقت بها علمه فلابد أن يزين الله تعالى له الوقوع في ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب في المعصية بذلك التأويل أظهر الله فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بانه عصى و يشهد على نفسه عند نفسه أنه عصى وأما في حال وقوع الفعل منه فلاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك (فان قلت) فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب أشد أم عقوبة الجاهلين (فالجواب) أن عقوبة العارفين بالله تعالى أشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم و ربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل أشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة أشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك أشد من العقوبة الشديدة في يوم وتنقضي كما قال تعالى والفتنة أشد من القتل ولهذا المعنى الذي ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه و بين تذكره وأنساه اياه لانه لو تذكره لاستحيى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة أعظم من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه حتى أن صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيئا مذكورا كما قالت الكاملة ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع ان حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها ولا بأبيها وامها كما أشار اليه قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها لاجل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدي حدوده ومجاهرته بالمعاصي (فان قلت) فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسي عبده سيآته أن تكون بدلت حسنات كما أشار اليه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فالجواب) لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بانه يبدل سيآته حسنات فان من علامة

خاف بحجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت ان تنتقل الى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك الامر والا هلكت * وقال من أراد ان يطلق الله عليه الالسنة بالثناء الحسن فليعمل باعمال المقربين و يجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا و باطنا وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فلا عناء و بالتعب على العارفين كلهم في هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف أمسوا عند الناس لانهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف ان يتلفتوا لغير الله عز وجل * وقال في الباب الحادي والتسعين ومائتين ما من سائل عن شيء الا وفيه أهلية للجواب عن سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا ساله وهو بين ظهراني أصحابه فقال يا رسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة اتخلق تخلق أم تنسج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون من جاهل سأل عالما يا هذا الرجل انها تشقق عنها ثمر الجنة فاجابه صلى الله عليه وسلم بما أرضاه وعلمه ما يجهله وأزال خجل السائل بتعليم أصحابه الادب معه حين سأل وانقلب الاعرابي عالما فرحا مسرورا * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين في قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اعلم ان العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضا للاعمال خاص أم لا

التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الا ربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خافنا الا الامر عظيم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أنسى الله تعالى خواص أوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكأنه يجعل بينه و بين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء انتهى وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه أشد من الذنب لصفاء الحضرة التي كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مر لانها ذنوب بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما بلغنا ان شخصا من العارفين مر على جدار فانتحب عنده بالبكاء فقيل له ما سبب هذا البكاء فقال وقع لي أنني تيممت من تراب بغير اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكي عليه أحد ولو من صالحي زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ محيي الدين في الباب السابع ومائتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتألم النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا في صورة دحية وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه في أي صورة شاء وكان دحية أجمل أهل زمانه فكأن الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بيني و بينك الا صورة الجمال والحسن لانك أعظم حبيب وفي آداب الملوك انه ينبغي للوزراء أن لا يكون في أحد منهم عاهة من برص أو جذام أو تشويه خلقة وأن لا يحضر بين يديهم قط أحد في بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن يقف و بين يدي السلطان فافهم وكان من كمال دحية انه ما رآه حامل دخل المدينة الا ألقت ما في بطنها لما أدركها في نفسها من شهود ذلك الجمال وانما لم تلق الحوامل ما في بطونها عند رؤيته رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه اجمل من دحية بما لا يتقارب لانه مشرع والناس مامورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر أحد برؤيته (فان قلت) ما صورة تبديل السيآت بالحسنات هل تصير نفس المعصية التي وقعت حسنة في صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه فالجواب كما قاله بعض أهل الكشف ان صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة و يكتب مكانها حسنة تشاكلها فان كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد ان صح لانه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته أعمالا صالحة لم يعمل عنها فعلم أن الله تعالى اذا بدل سيآت العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم عليه (فان) قيل فهل يصح أن يعصي أحد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى في اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه (فالجواب) لا يصح ذلك لعارف أبدا الان المخصوص بما كشف بقلبه في حضرة الاحسان على الدوام ولو قدر أنه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه في ذلك الفعل (فان قيل) قد تقدم قول أبي يزيد حين سئل أيعصي العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا الجواز وقوع العارف في سائر المعاصي (فالجواب) وهو كذلك جائز في حق الولي أن يكفر بعد ايمان فضلا عن المعاصي الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوز أبو يزيد ذلك وعدمه أدبا مع الله تعالى أن يحكم عليه بشيء معين كما مر أوائل المبحث أي ان كان الله تعالى قدر على العارف المعصية فلا بد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل أو تزيين أو غفلة أو سهو كما أشار اليه حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم الحديث يعني العقول الذاكرة انهم بين يدي الله عز وجل حال عصيانهم الا عقول التكليف فابالك والغلط والله تعالى أعلم (فان قلت) قد قال الحق جل وعلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وآدم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة في أكل آدم عليه السلام من الشجرة (فالجواب) ان ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور * من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله سبحانه سواه ولا قيده غيره * قال وحكى عن سهل بن عبد الله عاداوا منا انه قال لقيت ابليس فعرفته وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا

أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى واذا لم يكن عينه فقد يصح أن يكون عوضا كما ان من عبد الله تعالى كانه يراه فجزاؤه في الآخرة رؤيته وأطال في ذلك * ثم قال وقد ترافع اثنان الى مالك بن أنس رضي الله عنه ادعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له ماذا ابتغيت بها حين أعطيته ان كنت ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا فخذها منه ان كانت عينها باقية والا قيمتها وان كنت ابتغيت بها وجه الله فلا أحكم لك بشيء انتهى * وقال في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء اعلم أن الله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى ان التوبة والاصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فما حكم عليه

تعالى انه له من الناصحين * ومنها أنه قال له انما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن أكل ثمرها * ومنها كما هو مشهور فى الاجوبة عن آدم عليه السلام فما أتاه من صورة ما نهى عنه وانما أتاه من صورة مالم ينهه عنه الذى هو الاكل * وايضاح ذلك ان ابليس اذا أراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة أو الحفظ محيطا به تجسد له فى صورة انسان مثله فيخيل ذلك الولى مثلا انه انسان لا شيطان ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل عليه فيما حجر عليه تأويلا ادناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فاذا اصغا اليه يقول له افعل فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس يعلم أن الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين فاذا أعطاه ابليس هذا الاصل صار العبد من أهل الاجتهاد فى وقوعه فى الذنب أو تركه فان أخطأ فله أجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ مادام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسى ما قاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام * قال الشيخ محيى الدين وانما أكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد أن أحدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم أن تلك الاكلة أعقبته الخلد فى جنته وملكا لا يبلى على رغم أنف ابليس لكن من غير ما قصده ولآدم انما كان قصده له أن يقع فى الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له (فان قلت) فهل يمكن أن يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الخير الذى آل أمر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا (فالجواب) لا يصح من ابليس قصد ذلك أبدا لانه ليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى يرد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه ويصطفيه ضد ما قصد ابليس * وكان الشيخ أبو العباس العرينى شيخ الشيخ محيى الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان فى ظهره من ذريته الذين هم أهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر أولاده وكان الشيخ أبو مدين التلمسانى يقول لو كنت مكان آدم لاكلت الشجرة كلها وفى رواية أخرى لو علم آدم حين أكل من الشجرة ما يؤل أمره اليه من الخير لاكل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته فى الباب الخامس وثلثمائة فراجعه ترى العجب فى غرائب تلك العلوم * وقد سنح لى أن أضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق أبيك عليه الصلاة والسلام فاقول وبالله التوفيق * اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قضى فى سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلابد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتح القبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتح القبضة السعادة فابليس شقى وآدم عليه السلام سعد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره فى التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بان ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وأضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا فى معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصى من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه انى أريد أن أظهر فى هذا الوجود ما كان مكنونا فى علمى وحكم أسمائى فى أهل حضراتها من السعداء والاشقياء وتظهر حجتى على عبادى قبل أن أخرجهم من جوارى فان علمى سبق بذلك وانا كريم ومن شان الكريم أن لا يخرج أحدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ما قلته لك من سرى فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم أنى أذنت لك فى القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة وأخرجك الى دار خلافتك وتر قيك بالاعمال فان هذه الدار التى أنت فيها لا تكليف فيها ولا ترقى لاحد باعماله كما هى أعمال أهل الجنة التى يؤل أمر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا أن يبادر الى ما أذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذى أسره الحق لآدم عليه السلام

مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لى يا سهل ان الله تعالى يقول ورحمتى وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك أنى شئ بلا شك لان لفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها مالم أفهم وعلمه من دلالتها مالم أعلم فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أتلو الآية فى نفسى فلما جئت الى قوله تعالى فساكتبها للذين يتقون الآية سررت وظننت أنى قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم فقال فساكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال والله يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت أنك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى قال سهل فرجعت الى نفسى وغصصت بريقى وأقام الماء فى حلقى ووالله ما وجدت له جوابا ولا سددت فى وجهه بابا وعلمت أنه طمع فى مطمع وانصرفت وانصرف ووالله ما أدرى بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقى الامر عندى على المشيئة منه فى خلقه

السلام وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق في فعل شئ والامر به واحد في تلك الحضرة كما صرح به الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والثلاثين من أسئلة الحكيم الترمذي وانما فرق بينهما في لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة في أحكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اكتفى الحق تعالى فيها بالجاء العبد في الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك أن الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ أبو مدين يقول قول بعض العارفين مافعلت الشئ الفلاني الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية اه * فعلم ان في نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما للذرية المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له في أكله من الشجرة سرا على ما مر في كلام أبي مدين تشريعا لذريته فكان بكاؤه صوريا * فان قلت فلم لم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها (فالجواب) انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معاصيه تعالى ولو أنه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * وأما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف أن يشتد عليهم غضب الله تعالى أكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدنا اذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه ممن غضب نفسي حاشا الانبياء من ذلك وقال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي يعتذر بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق تعالى يربي أنبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى أدبني ربي فاحسن تأديبي اه * وأما الجواب عن السيد أيوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما أمطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لاغنى لي عن خيرك وبركتك * فالجواب أن أكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم أخذ الدنيا وامساكها فان كان أيوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند أهل الله تعالى ليست هي الاكتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدي به قومه فما فعل الا ما هو أولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لاسيما وأيوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسئلة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم أي رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسئلونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم أن من سأل غير ربه فهو ظالم الا أن يرى أن ذلك الغير باب من أبواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه أو الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه أي الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما أمسكوا الدنيا الا باطلاع عرفاني أنتج لهم ما عشقهم في الامساك من نفع الانفس بالاقوات التي قدر الله تعالى وصولها للاصحاب الى أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما أمطر

لاأحكم عليه في ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل (٩) قال الشيخ محيي الدين واعلم رحمك الله أني تتبعت ما حكي عن ابليس فما رأيت أقصر منه حجة ولا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسئلة التي حكاها عنه سهل بن عبد الله تعجبت وعلمت أنه قد علم علما لا جهل فيه فهو استاذ سهل في ذلك والله أعلم * وقال في قوله تعالى وجعل الشمس سراجا اعلم ان النور المنبسط على الارض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية الا نور البصر المدرك لذلك فاذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الاشراق بوجود السحاب الحائل لان العين فارقت العين الاخرى بوجود السحاب قال وهي مسئلة في غاية الغموض لاني أقول لو أن الشمس في جو السماء ومافي العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط في الارض أصلا فان نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود أبصارنا ووجود الشمس ظهر النور المنبسط قال ولا يخفى ان الحرباء يظهر لونها بحسب ما تنقلب فيه من خضرة أو حمرة أو غيرها ولا وجود لتلك الالوان في جسمها فقد أدركت بأعيننا ما لا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على

عليه وهو يقول لا غنى لى عن بركتك اه * وأما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله أن لن نقدر عليه أن يونس عليه السلام ظن أن الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أى ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الالهى على نفسه فقط ولم ينظر ذلك فى حق غيره من أمته فلما ظن أن رحمة الله تعالى لا تنالهم أثر غضبه ظلمة فى ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فأسكن فى ظلمة بطن الحوت ما شاء الله تعالى لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا فى بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان فى ذلك الموطن يتصور منه أن يغضب أو يغاضب بل كان فى كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه فرده تعالى الى هذه الحالة فى بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أى سبحانك يا رب تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله كنت من الظالمين أى أثر غضبى رجع على ما أنت ظلمتنى لان علمك ما تعلق بى الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق بكمال النبوة فى قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بنى آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم ورباه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التى من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن فى النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ فى الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات * وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء لا يخاف أحدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها أنه يجب على الكامل الفرار من كل شئ يؤذى بدنه أو يلحقه بالعدم وان خالف ذلك أثم ومنها أن فى الخوف عدم تعطيل الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم * وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو أن تعلم يا أخى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد انه لما أحب الخير الذى هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه ولعلمه عليه الصلاة والسلام بان الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب الا للاخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى أتانى الخير من حيث المحبة كالخير فى حبه ولهذا لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد اشتاق اليها فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة الملذوذة فانها كانت محلاله * قال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين ومائتين من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذ كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختباره اذا رآها هل يحبها عن ذكر ربه لها أو يحبها لعينها فاخبر عليه السلام انه أحبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فاجابه الحق تعالى الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين فى الدنيا فان كل شئ تنعموا به فى الدنيا نقص من نعيمهم فى الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم أن الانبياء عليهم الصلاة

الارض قال ومن هنا يعلم ان العالم مدرك لله فى حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه بوجه لنفوذ الاقتدار الالهى فيه (قلت) وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الخامس والتسعين ومائتين معنى كون الشمس سراجا أن يضىء به العالم وتبصر به الاشياء التى كان يسترها الظلام فحدث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس والارض قال والليل هو ظلمة الارض الحاجبة عن انبساط نور الشمس والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال والقمر على أصله لا نور له البتة فقد محا الله نوره وذلك النور الذى ينسب اليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس فى مرآة القمر على حسب مواجهة الابصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نورها شئ قال وأول من شرع فى تعليم الناس علم الحوادث التى تكون فى الارض باقترانات الكواكب هو ادريس عليه السلام وهو علم صحيح لا يخطئ فى نفسه وانما الناظر فى ذلك هو الذى يخطئ بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع فى نظر هؤلاء لا فى نفس العلم وهو من علوم الاسرار الالهية والله تعالى أعلم بالصواب * وقال فى الباب السابع والتسعين ومائتين من رحمة الله عز وجل بعباده أن رفع عنهم الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله فى الدنيا ولا فى الآخرة فاما فى الآخرة

والسلام لم يكن شيء يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع في الدنيا ومحال أن يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه أو يحجبهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ان الأكابر ما سألوا الله تعالى التوسع في الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما أحكموا الزهد في الدنيا والقناعة منها بالقليل أمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشيء فسألوا الله التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليتلذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى انما طلب بذلك الا أهل الجدة والسعة فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم في ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بان من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام لم يقدح في كماله سؤاله الدنيا أن تكون له باسرها لفقد العلة التي كرهت الدنيا من أجلها وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الامان فأعطاها فقالت ما ملكك الذي أعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمي فقالت أف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التي يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغي لاحد من بعدك انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ في هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلي به على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة * وأما قول بعض العلماء ان الضمير في توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها علي اذ الشمس ليس رده الى يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل في رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذي في توارت و ردوها للشمس دون الخيل اتبعناه والله أعلم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ثم مقام يقتضي طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة اهـ * وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التي استغفر منها وخر راكعا وأناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة أخي داود النظر وذلك انه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد انه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم أن مؤاخذة الاكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من أن خطيئة داود كانت هي النظر الى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك في حديث والله أعلم وقد بسط ذلك في مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات انه روحه اجتمعت بروح يوسف عليه الصلاة والسلام في بعض الاسرا آت الروحية فقال له يا نبي الله ما معنى الاشتراك في اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين فيماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على أحدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قلت للملك على لسان رسوله ان يسأل النسوة فما ذكرت المرأة الا انها راودتني عن نفسي وما ذكرت اني راودتها فافهم ما قلته لك فانه يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى أمر همي وهمها فقلت له يا نبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني على ما كانت أرادت مني وهممت أنا بها لاقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها فكانه تعالى يقول ولقد همت به يعني في عين ما هم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء في قصتي قط أني راودتها عن نفسها فأراني الله تعالى البرهان غير ارادتي القهر في دفعها عني أولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا أي لا تعسف عليها يا يوسف وسسها فانها امرأة موصوفة بالضعف على كل

فجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فاجمعوا على رفع الذنب واختلفوا في الحكم (١١) وقد سئل الجنيد عن الشبلي رحمهما الله لما كان ورد من ولهه الى فعل الصلوات في أوقاتها فقال الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذم أو قال ذنب قال وانما قال الجنيد ذلك خوفا على من لم يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محق فيخطئ فيقع في الذنب وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائتين في قوله تعالى نور على نور هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية فلابد للماشي في طريق الشرع من هاتين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما درى العبد كيف يسلك لانه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين ينتهي به ثم الماشي في هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الاهواء ان تطفئه بهبوبها فانه ان هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تؤثر في نور توحيده وايمانه بخلاف غير الزعزع فانها لا تطفئ نور السراج وانما تميل لسانه حتى يحير في الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى في فروع الشريعة كالوقوع في المعاصي التي لا يكفر بها الانسان ولا تقدح في توحيده وايمانه فوالله لقد خلقنا لامر عظيم (وقال) في قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته الآية اعلم ان القرين لا يكون الا في أمة بين أظهرها شرع فان لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين اذ

حال قال الشيخ محيي الدين فقلت له أفدتني أفادك الله تعالى فاعلم ذلك * وأما الجواب عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة انه روحه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له يا أبت لم قلت ولكن ليطمئن قلبي مع انك من المؤمنين بذلك بلا شك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من أوجده الله تعالى عن كلمة كن ومنهم من أوجده بيديه ومنهم من أوجده ابتداء ومنهم من أوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا أعلمني به اطمأن قلبي * قلت وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الخامس والعشرين ومائتين والله أعلم ولنرجع الى المعنى الذي نحن فيه * قال الشيخ فقلت له يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فاذا أردت باشارتك بقولك هذا قال لي أنت تعلم المراد بها فقلت اني أعلم انها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال هي نسبة المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت فهو يشفين مع أنه في الحقيقة لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي فكان في اضافة المرض الى نفسي ثم طلبي المغفرة من تلك الاضافة أدبان فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الآخرة لمن الصالحين نخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الانبياء في الدنيا والآخرة فقال لان الصالح من شرطه أن لا يضيف الى نفسه شيأ الا باضافة الله تعالى وقد أضفت الى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى بقولي واذا مرضت وقولي اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا * فقلت له يا أبت فما قولك في الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي ألا ترى الى ما قال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد قومي في الاله الا أنه نمروذ ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمروذ الهاً لهم وانما كانوا يرجعون في عبادتهم لما ينحتونه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرأ نمروذ أن ينسب الاحياء والاماتة الى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال أنا أحيي وأميت فعدل الى نفسه تنزيهاً لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني علمت تصور أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب في أفهامهم بذكر اتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر تعجيزاً له من الله تعالى * ولنختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لا تحصى ولكن نذكر لك منها طرفاً صالحاً فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يزل معصوماً عن كل ما ينقص مقامه الاكمل قبل النبوة وبعدها كما روي أنه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل الى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللعب فاذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان في ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر * وفي المثل السائر من العصمة أن لا تجد ويسمى هذا المقام علم الحاصل في عين الفائت كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فكان في ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل اه وقد تقدم أوائل المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وان المراد بذلك انه كان دائم الترقي فكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام أرفع * وفي باب الوصايا للشيخ محيي الدين اذا كان الحق تعالى يجيب دعوة الداعي اذا دعاه فينبغي للعبد أن يتحدث في مناجاته للحق تعالى بما علمه له قبل ذلك فانه تضييع للوقت وانما ينبغي له أن يطلب دائماً أمراً جديداً انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس

الشيطان الذى هو القرين لايكون الاف (١٢) مقابلة الملك الذى يامر العبد بالخير باسان الشرع وأما اذا لم يكن شرع فانما العبد

متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيدر به خاصة فلا يوكل به القرين الان الاان دخل في دين الهي يتعبد نفسه به فان العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب الى الله تعالى وأطال في ذلك فليتامل ويحرر (وقال) قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر اليه بعدما استعاذت منه وبعد أن عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتاهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها الى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط * وقال في الباب الموفي ثلثمائة في حديث ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله انما قال ذلك ولم يقل كما يربي أحدكم ولده لان الولد قد لا ينتفع به اذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى ان الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس هما كذلك فان المنفعة بهما محققة ولا بد اما بركوبه أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله ان احتاج اليه فشبهه صلى الله عليه وسلم

والحسين

والحسنين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد بهذا الخطاب وجميع العتاب الذى عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غيره من الامة نحو يا أيها النبي اتق الله لئن أشركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فكان من فتوته صلى الله عليه وسلم انه تحمل عن أمته صولة الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا أحسن الاجوبة * قال وأما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هى لكون الحق تعالى سترعنهم فى هذه الدار العلم بان جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما ينكشف لهم ذلك كله فى الدار الآخرة وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم من قولنا ان المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك غيره أن الحق تعالى من شانه أن يؤدب الكبير بالصغير وكما أدب تعالى الامة بتاديب رسولها التبلغ باستعمال ذلك الادب الى نيل مامولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه بالحث عليه اهـ * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية هو من باب قولهم اياك أعنى واسمعى ياجاره كما يشهد لذلك قرائن الاحوال * قال والحكمة فى ذلك مقابلة لاعراض الكفار عن استماع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك أعرض الحق عنهم فى الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فاسمعهم فى غيرهم عقوبة لهم واستهانة بامرهم اهـ * وقال الشيخ فى الباب السابع وأربعين ومائتين اعلم انه لا يشترط فى استغفار الاكابر أن يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف أن يبدو منهم ما كان ينبغى ستره من الاحوال التى لم يؤمروا بذكرها لقومهم ولهذا مانقل عن نبى قط أنه ندم على ماقاله مما أوحى به اليه ولا سمع منه كلام عادى فى حال الوحى حتى يفرغ من تنزله عليه فاذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع * قال وأما ما كان عن نظر من غير وارد وحى فقد يمكن أن يندم على ماجرى منه كما وقع له فى أسارى بدر انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وما الذى أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات ان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم فى خشيته من الناس قوله فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام لو كنت مكانه لأجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وذلك ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف فى اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته اذ لو بقى الاحتمال لقدح فى عدالته وهو رسول من الله عز وجل فلابد لأمته فى طريق اعتقادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشى صلى الله عليه وسلم من الناس أن يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى لا يردوا دعوة الحق عليه فعلم أن الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح فى كماله صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول وأى رسول ثم انه تعالى لما أذاقه ألم الجرح فى مقامه داواه بابانته عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الحرج فى مثل ذلك عن المؤمنين فاذاق الحق تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذاق يوسف حين لم يجب الداعى وطلب أن تكون البراءة فى غيبته لكونها أكثر تنزيها له لانه لو حضر ربما قيل ماذكروه الا فى وجهه حياء منه ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية فى كل مالم يؤمر بفعله حتى ياتيه أمر الله فهنالك يكون بحسب مايؤمر به انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لاجبت الداعى الثناء على يوسف بالقوة فى عدم خروجه من السجن فاظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقرر فى نفوس أمته ما يقبلون به دعاء ربه فى كل مايدعوهم اليه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج طلبا للبراءة بعد الى عن نفسى لتثبت براءتى عندمن

بما يحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق انه ينتفع بما تصدق به ولابد من الانتفاع بها انها تطلع يوم القيامة من مغرب الشمس حتى يغشى بين الناس (قلت) ويحتمل أيضا أنه انما مثل بالفلو دون الولد لان الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم * وقال فى الباب الثالث والثلثمائة اختلف العلماء فى الموت هل هو طلاق رجعى أو بائن فذهب قوم الى ان المرأة اذا ماتت كانت من زوجها كالاجنبية ولابد فليس له ان يكشف عليها وذهب آخرون الى بقاء حرمة الزوجية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله فى حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها مع اختلاف التاليف وقد ينشئ الله تعالى أجساما أخرا صفى وأحسن لاهل النعيم ولاهل الشقاء بالعكس ولكن الاول أظهر لقوله تعالى بعثر ما فى القبور فالموت طلاق رجعى والله أعلم * وقال فى حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه انما لم يقل فقد أدرجت النبوة فى صدره أو بين عينيه أو فى قلبه لان تلك رتبة النبى لا رتبة الولى وأين الاكتساب من التخصيص فمن تعمل فى تحصيل الولاية حصلت له وان كان نفس التعمل فى خصوصها اختصاصا من الله أيضا يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية الا بالمشى فى نور النبوة وأطال فى ذلك * وقال كانت القوة التى ظهرت

أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك والله اعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ان ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كانه تعالى يقول أفعلت يا محمد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا فاما أن يقول عند ذلك نعم أو لا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لا سيما مع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفا مطلقا لان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء لينبه العارف بالله تعالى و بمواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذي توهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات أيضا في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ذكر أهل التفسير أنه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم قال والذي عندنا عن من العلم الالهي أن هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام لمن أنصف وأعطى كلام الله تعالى حقه في الفهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى آخر النسق هل معناه على ظاهره أم المراد به غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع وثلثمائة ليس ذلك العتاب على ظاهره وانما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ليعلمه انه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك وايضاح ذلك أن الحق تعالى يغار لعبده المنكسر القلب من أجل ربه أشد ممن يغار لمن تظاهر بصفة العظمة فاذا حضر عندك ملك مطاع نافذ الامر زائرا ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فاقبل على الفقير أكثر من الملك الا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التي جاءك لاجلها * فعلم أن تجلي الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل في غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق باهل الجنة في الجنة لعدم التحجير عليهم و زوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لاجل صفة عز أو قهر ظهرت في غير محلها وأطال في ذلك * وأما معنى قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ في الباب التاسع والاربعين وخمسمائة أن معناه العتاب في حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غني أو فقير وفي الحديث اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين وهنا نكتة ينبغي لك يا أخي أن تعرفها وهي أن الملك العزيز في قومه ما جاء اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلف ظهره قبل أن يأتيك فما أتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبره وتلفه في نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وتنزله أنت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وأدخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التي تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغي له الاقبال على كل نعت الهي من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع أن أحدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة أخرى فعلم انه لا ينبغي القياس على هذا العتاب وطرده في حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا باكرام كريم كل قوم اذا أتانا كما مر فافهم وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو من تعظيم الرب جل وعلا وأما تعظيم الفقراء فانما ذلك جبر لقلوبهم لانكسارها انتهى * وقال في تفسير هذه الآية أيضا في الباب الثالث والستين

في أبي بكر الصديق يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي فقوي حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم في الامامة الاصحاح غير سكران فكان هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع الى الله فانه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى (قلت) ذكر الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي ما نصه اعلم ان الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما أمرنا بها لتقدمه في الزمان فيها فللزمان حكم في التقدم من حيث هو لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من حكمة الله تعالى اعطاؤها لابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بحسب أعمارهم التي قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله ولابد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لابد منه حتى يلي من لابد له عند

ومائة

ومانئا علم أن الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغنى الحميد أى هو الذى يستحق أن يثنى عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو الصفة الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذى لا يكون لغير الله قطعا فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الالهية فيهم فانها تعطى بذاتها الشرف والرفعة فى ذلك الوقت الذى تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعظيم أمنه أن يتصدوا الكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا فى ذلك المقام أمروا بالترقى الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شئ منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما أخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم أن أكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم أطاعوه وأحبوه وأسلموا فاسلم باسلامهم خلق كثير قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم أى ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم (فان قلت) فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذى قدمناه (فالجواب) انما عاتبه وأعلمنا بذلك تاديبا لنا فان الانسان محل الغفلات وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضى عرض له من حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التى ظهرت فى الاغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى فى الآية أما من استغنى بسين الطلب وما قال أما من هو غنى فكان مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء اليه قال الشيخ وأكثر الناس غافلون عن هذا الادب الثانى فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين على أحد من الرؤساء والاغنياء انما ذلك لاجل جاههم وما لهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان أهل الله تعالى اذا خافوا ان أحدا من العوام ينبههم على تعظيم الاغنياء من غير فهم المعنى الذى قصدوه وخافوا ان يزدادوا بذلك الفعل رغبة فى الدنيا فالهم اظهار الانفة على الاغنياء والرؤساء تقديما للمصلحة المحجوبين وتامل قولهم شرط الداعى الى الله عزوجل أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم فى شئ يمنون به عليه فعرف أنه ينبغى له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغى له قبول صدقاتهم واحسانهم لانه يهون بذلك فى أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بايديهم وكف نفسه عنهم اما بمال أو قناعة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فاما الحكمة فهو غناه عما بأيدى المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساطا للمدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون الى فعل ماندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم فى ذلك من المصلحة وفى القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب فى كل مافيه اكرام وانه لا ينبغى لفقير أن يراعى أحدا من الاكابر بعدما تبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام * (خاتمة) * لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا فى بعض الاوقات كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم فى مسئلة تلقيح النخل أنتم أعلم بامر دنياكم وذلك انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال مايصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما أرى ذلك يجدى شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فاخبروه بذلك فقال أنتم أعلم بامر دنياكم يعنى فى كل مالم يوح اليه فيه شئ * قال الشيخ محيى الدين وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو أن ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا أعرف الناس بامر الدنيا لكن لا يخفى أن حجابهم عن تدبير الكون انما هو لهم فى بعض الاوقات لا كلها كما أشار اليه خبر لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى * قال بعض العارفين وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

الله فى سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للاعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق فى كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة ذلك الا بالموت * قال ومع هذا البيان بقى أهل الاهواء فى خوضهم يلعبون مع ابانة الصبح لذى عينين بلسان وشفتين انتهى * وقال أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور مانصه اعلم ان حد الآخر من الثانى الذى يلى الاول الى مانحته فهو المسمى بالآخر لان له حكم التأخر عن الاولية بلا شك وان استحق الاولية هذا المتأخر فما تأخر عن الاول الا لامر اقتضاه الزمان لان وجود الاهلية فيه من جميع الوجوه فالحكم فى تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للافضلية فى الحقيقة كخلافة أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضوان الله عليهم أجمعين فما من واحد الا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان الا الزمان فلما سبق فى علم الله ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل على والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى فى الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة وما قدم من قدم من الاربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم فى علمنا فلم يبق الا حكم الآجال والعناية وفى الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس احد

تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عز وجل وعلى الخلق معا في آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق (فان قلت) فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يأتي الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة ما لم يلقه الى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم

(المبحث الثاني والثلاثون في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه أفضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك)

* اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك أجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد (فان قيل) ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعوه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه أحد وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن فعدة من أيام أخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل أن يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل (فان قيل) هل الدليل على تصديق الرسول في ادعائه أنه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام أو يفتقر الى دليل آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات أنه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) أيهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي أو شهادتنا بالمعاينة (فالجواب) أن شهادتنا بالوحي أتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة كان شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى (فان قيل) فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور أن أول ما ظهر بعد فتق العماء هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو أبو الروحانيات كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام أبا الجثمانيات كلها انتهى وسيأتي قريبا تحقيق الاولية في كلام الشيخ محيي الدين وأن أول ما خلق الله الهباء فراجعه (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس وثلثمائة من الفتوحات معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل أخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما أشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف في ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من أعطى في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا قال تعالى

الثلاثة دون أبي بكر فلابد لأبي بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فان خلع احد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه الا انه خلع عن الخلافة من يستحقها ونسب الى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لمات أبو بكر في ايامه دون أن يكون خليفة ولابد له من الخلافة أن يليها في علم الله فلابد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب وعثمان وعلي والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الاهلية قال وما علم الناس ذلك الا بعد ان بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحدا بعد آخر اذ التقدم انما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلثمائة وسيأتي ذلك ملخصا في الباب المذكور ان شاء الله تعالى (قلت) الذي نعتقده ان تقديم الخلفاء الاربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم فليتأمل ويحرر والله واسع عليم * وقال في الباب الرابع وثلثمائة ما عظم الزهاد في أعين الملوك والامراء والاغنياء الا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو انهم طلبوا من الناس شيئا

وأوحى في كل سماء أمرها فما من فلك من الافلاك التسعة الاولالانسان صورة فيه فجعة لها ذلك الفلك الى وصول وقتها فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا نالها قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك انه رأى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الانامى والحيوانى والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد من تولد عنها بل رأى نفسه مثلا لهم وهم أمثاله فقال انما أنا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الى فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وأن هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها ما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة *قال الشيخ رحمه الله تعالى ولنا أيضا صورة فوق ما ذكرناه لا ندرك بعقل ولا بالاستر واح من نقول الشرع فسكتنا عنها وذلك أن لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة في العماء وصورة في العدم هذا كله مرئي لاصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم (فان قلت) فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند أخذ الميثاق بما يحتوى عليه ظهره من الصور (فالجواب) لم يكن له علم بذلك كما أنه لا علم لفلك من الافلاك التي فيها صورة من صورنا بها (فان قيل) فلم كان الاخذ من الظهر دون غيره (فالجواب) انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو أنه تعالى أخذنا من بين يدى آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة في صورة فشهد كما شهدنا *قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما أخذ منه أو يعلمه ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا بما يكون الامر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع على أن آدم كان يعلم الصور التي أخذت من ظهره فألحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب (قلت) فقد أخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله أن الله تعالى أطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون الاشقياء قال وعددهم ما تحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى أعلم * قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ما ذكرناه من أن لنا في كل فلك صورة ليست احداهما أحق بنا من الاخرى فلينظر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان أي كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من أضوئهم فقال من هذا يا رب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يا رب كم كتبت له من العمر فقال أربعين سنة قال يا رب وكم كتبت لي فقال الله تعالى ألف سنة فقال يا رب قد أعطيته من عمري ستين سنة قال الله له أنت وذلك فنزل آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقي من عمري ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك وقد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صورة قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى

من الدنيا بالنفقة وافى اعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الاغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلوان الزاهد وزن مرتبة في قلب الملك مثلا قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها انقصت عنها نقصا عظيما وأطال في ذلك *وقال في الباب الثامن وثلثمائة في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا أي قد أتى على الانسان *واعلم أن آخر صورة ظهر فيها الانسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لانه كان قبلها له في كل مقام وحضرة وفلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصور ولا عصى ربه فيها ولا يموت الا فيها * قال ولا يخفى ان حقيقة مسمى الانسان هي اللطيفة والجسم معار شرفه عارض لا ذاتي فان شرفه انما هو بما اعطاه الله من العلم والخلافة والسلطنة لا غير *وقال في الباب التاسع وثلثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم عباد وصوفية وملامية وهم كمل الرجال فضابط العباد انهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة لا يرون شيئا فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبيطها لاعتمادهم

صورته وصورة ذريته فى يد الحق تعالى فما بالك يا أخى تقربه فى هذا الموضع وتنكره علينا فى قولنا بتعدد الصور فى الافلاك فلو كان هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا ولا جائزا نسبة اذ الحقائق لا تتبدل * قال وأكثر من هذا التأنيس لك فلا أقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السادس وأربعين وثلثمائة (فان قلت) فهل أعطى أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم يبلغنا أن أحدا أعطى ذلك انما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة (فان قلت) فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا أو كنت موجودا (فالجواب) انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه أعطى النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى (فان قلت) فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص أو المراد به الخلق على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس أن المراد به خلق مخصوص وذلك ان أول ما خلق الله الهباء وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك ان الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق فى علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو أول موجود فى العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شئ فى ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن أحد أقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا من جميع ما فى ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم وأول موجود * قال الشيخ محيي الدين وكان أقرب الناس اليه فى ذلك الهباء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الجامع لاسرار الانبياء أجمعين انتهى وقول الشيخ فى الامام على رضى الله تعالى عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام فى حق الشيخ أبى مدين التلمسانى فقال فيه حين سئل عنه انه جامع لاسرار المرسلين لا أعلم أحدا فى عصرى هذا أجمع لاسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين فى الفتوحات أن مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب كما سيأتى بسطه فى مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبى وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وممد أيضا لكل ولى لاحق به فيوصله بذلك الامداد الى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفى حال كونه منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين (فان قلت) قد ورد فى الحديث أول ما خلق الله نورى وفى رواية أول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما (فالجواب) أن معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الانبياء السابقين فى الظهور عليه من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى ان هداهم هو هداك الذى سرى اليهم منك فى الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررنا لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبى تقدم على زمن ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث وضع الله تعالى يده بين ثديى أى كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموه فى الظهور وعند غيبة جسمه الشريف وايضاح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم كما نزل عليه القرآن أولا من غير علم جبريل ثم أنزل عليه به جبريل مرة أخرى ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من

عليها دون الله * وضابط الصوفية انهم رجال فوق هؤلاء العباد لانهم يرون الافعال كلها لله مع ماهم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون أن ماهم فيه بالنظر للمقامات التى فوقهم كلا شئ ولكنهم مع حسن اخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لاهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى وضابط الملامية الذين هم على قدم أبى بكر الصديق أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون فى الاسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم ارفع الرجال مقاما رضى الله عنهم أجمعين * وقال فى الباب العاشر وثلثمائة فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك ان الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم أو بحكم تلقى تلك الصورة الروح الانسانى فاذا تلاقيا هذا بالالقاء وهذا بالاصغاء احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية فتغير وجه ذلك الشخص لذلك وهو أشد ما يكون ولذلك تصعد الرطوبات البدنية كأنها بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذى يطرأ على أصحاب هذا الحال

جبريل

جبريل الى اسمعه من جبريل وأنت منصت اليه كأنك ما سمعته قط وقد عملت التلامذة الموقنون بذلك مع أستاذيهم ذكر ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من الفتوحات وفي غيره من الأبواب (قلت) وفي تصريح الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم أطلع على ذلك في حديث فليتأمل (فان قلت) فاذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هي روح عالم الخبر كله وهي النفس الناطقة فيه كله (فالجواب) نعم والأمر كذلك كما ذكره الشيخ في الباب السادس وأربعين وثلثمائة فالعالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد السوى وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يبعث انتهى (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسأل الله أن يصلي عليه كما صلى على ابراهيم والقاعدة أن يكون المشبه به أفضل من المشبه (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الأذهان وانما النكتة في قوله كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسؤلا في تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما قالوا له كيف نصلي عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم وأنت اذا قلت لانسان علمني ألفاظا أخاطبك بها الا يقدر ينطق لك بألفاظ تعطى التفخيم مع كونك أول حياء من الشارع صلى الله عليه وسلم بيقين فافهم (فان قلت) فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه آدم صلى الله عليه وسلم وأقوى استعدادا منه مع انه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس من الفتوحات انه انما كان أفضل من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام لان آدم عليه الصلاة والسلام كان حاملا لالفاظ الأسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهي جوامع الكلم المشار اليها بحديث أوتيت جوامع الكلم فمن حصل على الذات حصل على الأسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الأسماء لا يكون محصلا للذات الذي هو المسمى قال ولهذا فضلت الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الأجر لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الأصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالأشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا والعامل منا أجر خمسين ممن يعمل مثل عمل أصحابه كما ورد انتهى وأما كونه صلى الله عليه وسلم أقوى استعدادا من أبيه آدم فلانه خلق من امتزاج الأبوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا ووهما فجمع صلى الله عليه وسلم استعداد الاثنين فلهذا كان كماله أعظم من كمال أبيه ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج من الفتوحات * قال ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له في النشأة هذا الكمال الا أن الناس يتفاضلون فيه لأجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا أثر في التخليق انتهى * وقال الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني اعلم أنه صلى الله عليه وسلم نبي الأنبياء للعهد الذي أخذه على الأنبياء بسيادته عليهم ونبوته في قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية فعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يختص نبي بشيء الا ان كان ذلك الشيء لمحمد صلى الله عليه وسلم بالأصالة انتهى فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم في بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه الجلال السيوطي في أول الخصائص (فان قلت) قد تقدم أن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة في ذلك (فالجواب) انما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن اجمالا لا فرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الأولياء وذلك أن التدريج في الأمور انما هو للتعمل ولا تعمل للارسال بخلاف الأولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهي مفصلة فقط لان منهاجهم الترقي والتكسب فالنبوة وهب والولاية كسب * وقال في الباب العاشر من الفتوحات في قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر انما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لان جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نواب

الهواء البارد من خارج فاذا سرى عن ذلك النبي أو عن صاحب الحال وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فخالط الجسم فيبرد المزاج ويستولى على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزداد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي ان كان نبيا ومن الالهام ان كان وليا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي عشر وثلثمائة لم أعرف اليوم أحدا تحقق بمقام العبودية أكثر مني فانه ان كان هناك أحد فهو مثلي فقط وذلك لاني بلغت من مقام العبودية غايتها فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها على ولم أنلها بعمل بل اختصاص الهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها على ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (قلت) وقوله فانا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ الى الحلول والاتحاد والله أعلم * وقال فيه في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر بصورة اسرافيل

له صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما بان عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ماوسعهما الا اتباعى وصدق صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم الى زمان وجوده لكان جميع بنى آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبى الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرائع الانبياء هى بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعاله (فالجواب) لايخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد أشهدنا النسخ فى شرعه الظاهر مع اجماعنا واتفاقنا على أنه شرعه الذى نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الانبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم كون عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لايحكم بشرع نفسه الذى كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث به الى أمته ولو أن الشرع الذى يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الابه (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلونى على يونس الحديث هل هو منسوخ أو قاله تواضعا (فالجواب) هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فهو يعلم أنه أفضل خلق الله تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه أشكر خلق الله تعالى لله ولا يكون ذلك الا بمعرفته كل ما أنعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لاتفضلونى من ذوات نفوسكم لجهلكم بالامر وليس معناه لاتفضلونى مطلقا فانه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب (فان قلت) فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ماتعطيه له الالفاظ (فالجواب) نعم له ذلك ولكن الكامل لايعتمد فى جميع مايقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ماتحتمله الالفاظ والله أعلم (فان قلت) فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم تورث لأتباعه من الانبياء والاولياء أم يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يصح لاحد منهم أن يرثها منه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الانبياء منها انه أعطاه ضروب الوحى كلها من وحى البشارات وانزاله على القلب والاذن وبالعروج به الى السماء ونحو ذلك ومنها انه أعطاه علم الاحوال كلها لكونه أرسل الى جميع الناس كافة ومعلوم ان أحوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم الكل بجميع أحوالهم ومنها أنه أعطاه علم احياء الاموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة المعنوية وهى حياة العلوم وحصل أيضا الحياة الحسية وهو ما أتى فى قصة ابراهيم تعليما واعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ومنها انه أعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره ان يهتدى بهدى الانبياء لا بهم ومنها انه اختص بشرع لم يكن لغيره كما أشار اليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبى قبلى فهذه أمور خص بها لم يعطها أحد غيره ومما خص به أيضا لواء الحمد فى المقام المحمود الذى يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد (فان قلت) فهل لواء الحمد واحدا وهو متعدد (فالجواب) هو سبعة ألوية تسمى بالوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمديين وفى تلك الالوية أسماء الله التى يثنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا أقيم فى المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل فى الشفاعة فأحمد الله تعالى بمحامد يعلمنيها لا أعلمها الآن أى أثنى عليه تعالى بهذه الاسماء التى يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يثنى على الله الا باسمائه الحسنى وهى لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم أن فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم اننا لا نعلم أيضا ما أخفى لنا من قرة أعين وما من شئ من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهى الذى أظهره بخلاف الاسم الالهى الذى امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلا بد أن نثنى عليه به ونحمده به اما ثناء تسبيح واما ثناء اثبات قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على عدد تلك الاسماء المرقومة فى الالوية فقيل لى ان عددها ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسما فرقم فى كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من أحصاها فى موطن القيامة دخل الجنة يعنى قبل الناس وليس احصاؤها الا للرجل الكامل من نبى أو ولى

ولاميكائيل وعكسه ففى قوة الانسان ماليس (٢٠) فى قوة الملائكة وأطال فى الفرق بينهما وقال فى الباب الثانى عشر وثلثمائة فى معرفة وحى الاولياء الالهامى اعلم ان الحق تعالى اذا أراد أن يوحى الى قلب ولى من أوليائه بامر ما تجلى الحق الى قلب ذلك الولى برفع الحجب فيفهم الولى من ذلك التجلى ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولى به فيجد الولى فى نفسه علم مالم يكن يعلم كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم العلم بالضربة بين ثدييه وفى شربه اللبن ومن الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بالكلية ولو وجدت فى خاطرى كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم * وقال فى الباب الثالث عشر وثلثمائة اعلم ان أول رسول أرسل نوح عليه السلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل فى شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقى على البراءة لم يكن كافرا قال وأما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فليس هو بنص فى الرسالة وانما هو نص فى ان فى كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبى لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال الهاولم يقل فيها * قال ونحن نقول انه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم ودخل معهم فى دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان

اه

اه (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمى لواء لانه يلتوى على جميع الحامد فلا يخرج عنه حمد كما أشار اليه حديث آدم ومن دونه تحت لوائى وايضاح ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام عالم بالاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم أيضا الملائكة (فالجواب) نعم لانهم كانت تحت ذلك اللواء فى زمان آدم فكذلك يكونون فى الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع اه * (فان قلت) فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع وثلاثين وثلثمائة أن منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلى على العرش وأما منزلته يوم القيامة فهى بين يدى الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية فى العالم فالكل عنه يأخذ فى ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله يفهم عنه يرونه لسانا ويسمعونه صوتا وحرفا اه * (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره أم يصح أن تكون لغيره لقوله فى الحديث لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والسبعين فى الجواب الثالث والتسعين أن الذى نقول به أنه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى هدانا الله به وايثاره أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتاليفا لنا نظير المشاورة فتعين علينا أدبا وايثارا ومروءة ومكارم أخلاق ان الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو الاولى بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لانفسنا ما ذكره العلماء فى الخصائص من تحريم خطبة المرأة التى عرض عليه الصلاة والسلام لوليها بتزويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من اجابة عمر حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها اه (وقد رأيت) فى نسخة من نسخ الفتوحات بمصر ما نصه يجوز لكل مسلم أن يسأل لنفسه الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضى الله عنه فى الباب السابع وثلاثين وثلثمائة ان منزلته صلى الله عليه وسلم فى الجنان هى الوسيلة التى يتفرع منها جميع الجنان وهى فى جنة عدن دار المقامة ولها شعبة فى كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهى فى كل جنة أعظم منزلة فيها اه فاياك أن تضيف الى الشيخ ما فى النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه والله أعلم

(المبحث الثالث والثلاثون فى بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة رسولين معا فى عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التى لا توجد فى كتاب)

اعلم يا أخى أنه قد ورد فى الصحيح أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة الحديث (فان قلت) ما حقيقة بدء الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد ببدء الوحى انزال المعانى المجردة العقلية فى القوالب الحسية المقيدة فى حضرة الخيال سواء كان ذلك فى نوم أو يقظة (فان قلت) فاذن هو من مدركات الحس (فالجواب) نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما فى قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا قال الشيخ

ادريس عليه السلام منهم ولم يجئ له نص فى القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا فاول شخص ابتعث بالرسالة نوح عليه السلام واطال فى ذلك *وقال فى الباب الرابع عشر وثلثمائة متى خرج كشف ولى فى العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولاية بل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم انه لا يتعدى كشف ولى فى العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا (وقال) فى قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يناجى ربه أى بارتفاع الوسائط كما سيكلمه فى القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة الا بكون العبد يعرف هنالك من يكلمه وهنا لا يعرف وأطال فى ذلك *وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اعلم ان على هنا بمعنى فى أى كان العرش فى الماء كما أن الانسان فى الماء أى منه تكون فان الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شئ وكل ما سوى الله حى ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال وتاول ذلك بعض الناس وقال انما هو تسبيح حال والخلاف انما ينبغى أن يكون فى سبب حياته لا فى حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودى أى الملك كله موجود فى الماء اذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهرت فيه صور العالم الذى هو ملك الله وأطال فى ذلك *وقال الفرق بين الموت

محيي الدين وفي حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الامة من أجزاء النبوة فان مطلق النبوة لم يرتفع وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت بهذا النبوة بلا شك وقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعدي ولا رسول المراد به لا مشرع بعدي (فان قلت) فما الحكمة في كون الرؤيا الصادقة جزأ من ستة وأربعين جزأ من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) انما خصت الاجزاء بهذا العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة أشهر الى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ فلا يلزم أن تكون هذه الاجزاء النبوة كل نبي فقد يوحى الى نبي أكثر من ذلك فتكون الاجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم (فان قلت) هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للانبياء (فالجواب) أن ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى وفي حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أو نبوة أو ايمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لا بد أن يكون نبيا وكل نبي لا بد أن يكون وليا وكل ولي لا بد أن يكون مؤمنا (فان قلت) فالى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة (فالجواب) أما الرسالة فتستمر الى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فانما باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا (فان قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتان حقيقة الرسالة ابلاغ كلام الله من متكلم الى سامع وهو حال لا مقام اذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لان المرسل هو اللبن اهـ * وقال في الباب السابع والخمسين ومائة اعلم أن الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل ومرسل اليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لا قضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هي التي أرسل بها ويبلغها وهكذا وردت في القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل روح لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا والهاما أو وجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعني بواسطة روح قدسي (فان قلت) فما الفرق بين النبي والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو أن النبي اذا ألقى اليه الروح شيأ اقتصر به ذلك النبي على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبي وأعني بها نبوة التشريع التي لا تكون للاولياء * فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي وان خص مع التبليغ بشيء في حق نفسه فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف والله أعلم هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له في العمل به يطلق عليه نبي أيضا من حيث انه مخبر والله أعلم (فان قلت) فهل كان الوحي للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل في اليقظة أم في المنام (فالجواب) لم أر في ذلك شيأ عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني في كتابه المسمى بالدرر الملتقطة أن الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحي اليهم في المنام على لسان جبريل اهـ فلا أدري ما دليله في ذلك فليتأمل (فان قلت) فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى غيره من غير روح ملكي بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعاني الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت أنه من عند الله تعالى أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى

والنوم ان الموت اعراض الروح عن الجسم بالكلية بنزول بذلك جميع القوى كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس باعراض بالكلية عن الجسم انما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها أو دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم * وقال في الباب العشرين وثلثمائة في قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا اعلم ان الاسم كان هنا هو النفس فيسئل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده فيقال له ما فعلت برعيتك كما يسئل الوالي الجائر اذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته منه * وقال في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول المراد بهذا الغيب الذي يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولم تشتغل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقي اليه مما يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله تعالى سعادة للعباد من أمر ونهي فهذا الغيب هو علم الرسالة ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فاضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى

وشاهد

وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذي أرسل اليه وأمرنا باتباعه أبدا (القسم الثانى) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدى الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى فى حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ماشاء ويحرم عليهم ماشاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا فى الائمة المجتهدين من أمته لكن يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يعملوا بالدليل ويحرموا به اه (فان قلت) هل ثم أحد من البشر ينال فى الدنيا علما ما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وتسعين وأربعمائة ليس أحد ينال علما فى الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال فى ذلك كما تقدم بسطه فى المبحث قبله (فان قلت) فهل أطلع الله تعالى أحدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أوحصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حقق له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة اعلم أن عدد الانبياء والمرسلين من بنى آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد فى الحديث ولا بد من هذا العدد فى الاولياء فى كل عصر وقد يزيدون * قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بينى وبين جميع أنبيائه فى واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد الا وعرفته وكذلك جمعنى على من هو على أقدامهم من الاولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا فى الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت فى كشفى جميع الانبياء والمرسلين وأممهم كلهم بأنى مشاهدة على من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى فى صعيد واحد قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك منى فكان يبكى عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لى منه خشوع عظيم وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطانى علم الكشف والافصاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرنى بمسئلة كانت وقعت فى الوجود وما علمتها الا منه * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولى فى طريق القوم * قال ورأيت فى هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لاحظ لى فى الشقاء ومنها انى رأيت نفسى فى السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله على ذلك * وقال أيضا فى الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الانبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعا لى بالثبات فى الدين حيا وميتا وكان لا يفارقنى حتى يدعو لى بذلك * وكان يقول لى ياحبيبى وأمرنى أول اجتماعى عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للامانة لم يأخذه فى الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود اه *وقال أيضا فى الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت فى واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدنى الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقى منهم أحد لامن كان ولا من يكون الى يوم القيامة وعرفت خاصهم وعامهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا فى ظهر آدم وعددهم فلا يخفى على الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطنى الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت فى هذا الكشف جميع مراتب الانبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو فى العالم العلوى والسفلى وشهدت ذلك كله عيانا ومازحزحنى ذلك الذى رأيته وشاهدته عن ايمانى فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبى صلى الله عليه وسلم لى قل كذا وافعل كذا لا لعلمى ولا لعينى ولا لشهودى فواخيت فى شهودى بين الايمان والعيان فى آن واحد لئلا يفوتنى ثواب الايمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله تعالى من ناله لكنى لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أنى ما علقت خاطرى قط من جانب الحق تعالى بشئ يطلعنى عليه من الكون وانما علقت خاطرى مع الله تعالى أن يستعملنى فيما

لامن غيره ثم هل هذا القدر الذى يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أو هو بلا واسطة ملك الظاهر الثانى وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله له ماشاء من علم التكليف الذى خفى عنه وعن العباد علمه قال وليس فى كتابنا هذا ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذى انفرد به الحق تعالى ويسمى الغيب المحالى وذلك لانه لا يظهر عنه شئ أبدا يتصف بالشهادة وقتا أوحالا فهو غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وقد حارت الخلائق فى هذا الغيب فانه ماهو محال فيكون عدما محضا ولا هو واجب الوجود فيكون وجودا محضا ولا هو ممكن يستوى طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذى انفرد به الحق حيث قال عالم الغيب *وقال فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انما وجب نصب امام واحد فى العالم تنبيها على أن الاله للعالم واحد فهو واجب شرعا مع كون طلب الامام موجودا فى فطر العالم كلهم فان هممهم توفرت فى كل بلدة أو قرية أو جماعة أن يكون لهم رئيس يرجعون اليه ويكونون تحت أمره (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (قلنا) ان الله تعالى قد أمرنا باقامة الدين بلا خلاف ولا

رضيه ولو خالف ذلك هوى نفسي وأن لا يحجبني عنه بوقوع ما يباعدني عنه وعن شهوده فاني أنا العبد المحض الذي لا أرى لى شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وانما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا لباب تنشيط الاخوان لطلب نيل مقامات الرجال اهـ (فان قلت) فما معنى قوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذى ألقاه لانه ورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا اله الا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا اله الا هو فالوسائط مرتفعة فى هذا المنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحى المنزل هو عين الروح والملقى هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملاك (فان قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح غير مجهول وليس نورانيا والملك روح فى نور * قال الشيخ فى الباب الثامن وثلاثين ومائتين وهذا الرزق لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بامر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقى اليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم فى صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الانزال والنزول بما أوجده فى نفوسهم من الوحى الذى لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم فى الصورة التى عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها فى الارض فينزلون عليه ويلقون اليه ما ألقى اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحى فان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمى حديثا وخبرا وسنة ورأيا قال الشيخ وقد ينزلون أيضا بالامر الالهى من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ما معنى هذا النسيان (فالجواب) معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال كونها أعيانا ثابتة فى علمه حال عدمها وخطابا بانها فصح قوله نسيا لانه حكاية أمر محقق فى وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ولم تشهده هى لعدم وجودها لنفسها وقد روى عن الزهرى انه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثنى فلان عنى أنى قلت كذا وكذا وذلك أن الزهرى لما قال حدثنى فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ فى الباب السابع والثمانين وسيأتى بسط الكلام على أحوال الملائكة فى المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم (فان قلت) هل النبوة مكتسبة كالولاية أى ولاية النبي فى نفسه كما قيل أم هى موهوبة (فالجواب) الولاية فى كل من النبي والولى مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة وايضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق فى علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء أنبياء والاولياء أولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك بتقدير عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل أحد بأحد فليس لمخلوق تعمل فى مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجرى أحد فى غير مجراه ولا يمشى أحد فى مدرجة أحد اذ لو سلك أحد فى مدرجة أحد لكانت النبوة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع اهـ وقال الشيخ أيضا فى الباب التاسع عشر لكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقى أحد فى سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوة مكتسبة (فالجواب) شبهته فى ذلك كونه رأى الانبياء قبل رسالتهم لا بد أن ينقطعوا ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحى ليرجعوا الى الحالة التى كانوا عليها احين قدر الحق تعالى القادر فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكرى النبوات المعهودة (فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى

بيل الى اقامته الا بوجود الامان فى أنفس الناس على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من تعدى بعضهم على بعض وذلك لا يصح ابدا ما لم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم اليه ويجتمعون عليه فاذا زال الخوف الذى كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم تفرغوا لاقامة الدين الذى أوجب الله عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب ثم انه يجب ان يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدى الى الفساد وامتناع وقوع الصلحة * وقال فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان العبد ما دخل عليه مقت الله الا من باب اضافة الفعل الى نفسه من غير مشيئة الله تعالى فلو انه قرن العمل بالمشيئة الالهية لم يمقته الله تعالى فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الالهى ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضا من استثنى اذا حلف على فعل مستقبل فانه اضافه الى الله تعالى لا الى نفسه قال وهذا لا ينافى اضافة الافعال الى المخلوقين من حيث الحكم فان للعبد حكما فى ظهور العمل وما له أثر فى ايجاده وفرق بين الاثر والحكم قال وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ولم يقل يا أولى الالباب ولا يا أولى العلم لان العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل

جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزام مكارم الاخلاق العرفية فصار نبيا من غير وحي اليه على لسان ملك قالوا فانه اذا صفى قلبه انتقش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهو الذي يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء وان جاز وقوع ماذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفى جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس أبدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا وأطال في رد أقوال المنكري النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ فلسفي كامر في مبحث حدوث العالم * وقد قال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال ان النبوة مكتسبة أخطأ لان النبوة اختصاص الهي قطعا قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة زعمه انها ليست من الله تعالى وانما هي من فيض العقل والارواح العلوية اهـ * وقال أيضا في الباب الرابع والثمانين اعلم ان كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب اهـ (فان قلت) فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين أنه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فاجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فان قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق بين الخليفة والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهى في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح أن يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا من حيث انه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم ان للخليفة أن يشرع كل ما أراد مما لم يأمره الحق به صريحا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه ان الله يأمركم بكذا وأطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم انه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وأطيعوا الرسول ففصل أمر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله ولو كان يعني بذلك ما بلغه الينا عن أمر الله الذي أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو انه من عند الله وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الاذعان والطاعة للرسول ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر الى مقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما أشاروا اليه بقولهم ان أجري الا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب أسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح في عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه الصلاة والسلام ان أجري الا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطالب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فان العبد في صورة الاجير ما أنت أجير اذ حقيقة الاجير من استؤجر وهو أجنبي عن عبودية المستأجر له والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة وهو لا يأخذها وانما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة من الله تعالى فاشبه الاجير في قبض الاجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فان قلت) فهل الافضل ترك الاجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الكلام على الاذان ان مذهب المحققين أخذ الاجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الاخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فالكمل طلب الاجرة وأخذها من باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل ويتمتع به فعلم أن مقام الدعوة الى الله تعالى يقتضي الاجرة وما من نبي دعا قومه الى الله تعالى الا قال لا أسألكم عليه أجرا فأثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) ويؤخذ من هذا أن للواعظ منا أو المدرس أو المفتي بعلم أن يأخذ أجرا على ذلك اذ هو من عمل يقتضي الاجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضا أن يترك

الا بالاستثناء لعلمه بأن خلق الفعل لله لا له وأطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وان الانسان هو الذي يبعث نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيجعل من ذلك * وقال في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة اعلم ان المرأة تلحق الرجال في الابوة وتلحقهم أيضا في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق الى ذلك وقبول قولها بانها حائض فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فتداخلا في الحكم فهذه تولية الهامن الله وأما الحديث فانما هو في تولية الناس قال ولو لم يكن للنساء من الشرف الا قوله صلى الله عليه وسلم النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية فان فيه اشارة الى ان كل ما يناله الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر الى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل المرء وقال في الانثى المرأة فزادها هاء في الوقف تاء في الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة

الاخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه مالكه وعين ماله * وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس عشر وثلثمائة * اعلم أن استخدام الحق العبد على حالين لا بد فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فى كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه انما له ما من به على عبده من النعم التى هى أفضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته فى أمور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوبة فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده أعطاه أجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطالبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير فى الاجارة فالفرض له الجزاء الذى يقابله من حيث انه هو العهد الذى بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الاجور وهى قوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب لى بالنوافل حتى أحبه الحديث فاذن أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة فى ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه وأما فى الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم أن بين الانسان فى عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد الاصلى ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات أموره ولا يزال فى دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه سيده فى شغل فهو فى شغله الدنياوى مع الله تعالى وكذلك هذا حاله يوم القيامة وفى الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك والاجير ليس له الا ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصرف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل باهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطلب من استأجره الا أن ينعم عليه رب المال بان يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار فى الجنة كما هى فى الدنيا (فالجواب) لا يكون فى الآخرة عبودية اضطرار أبدا لعدم التحجير فان تفطنت يا أخى لما نبهتك عليه علمت من أى مقام قالت الانبياء ان أجرى الا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هنا وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار وهم فى الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء دائما تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمرى وأنا أعطيكم كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه فى الدخول تحت أى اسم شاؤا فلا يزال أحدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمره به حينئذ رجع الى أى اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر الى أداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل فى أى نافلة شاء (فان قلت) فمن أى حضرة كان أجر الانبياء على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذى استخدمهم فى التبليغ (فان قلت) فهل يكون زيادة أجر النبى صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وأربعمائة ان أجر كل نبى يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بان الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعى عليهم (فان قلت) فهل للرسول أجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم للرسول أجر فى ذلك لكن كما يؤجر المصاب فيمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا من العدد

قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة فى المرأة وأطال فى ذلك * قال ولو لم يكن فى شرف التأنيث الا اطلاق لفظ الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فان فى ذلك جبر القلب المرأة الذى يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الامر (قلت) ذكر الشيخ فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ما نصه انما قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد نفيا للصاحبة لان المراد بالكفؤ هنا الصاحبة لاجل من قال ان المسيح ابن الله والعزير ابن الله فان الكفاءة هى المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبدا فان الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفؤ فان المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن ارادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفؤ من هذا الوجه ولما قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا وقال لها أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل فى صورة الرجل ولهذا خرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثل له بشرا وما جمع بين الصورتين فكان روحا من حيث عينه بشرا من حيث

مابلغوا كما ان الذى يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم و يؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذى يطلع الله تعالى عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وعشرين وثلثمائة أن المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذى غاب عن العباد ولم تستقل عقولهم بادراكه ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقى الى الرسول ما يعمل به فى نفسه من التكليف الذى جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهى ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التى يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فاضاف الرسالة الى قوله ربهم ليعلموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعنى الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل ذلك القدر الذى يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أم هو بلا واسطة ملك (فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة فى الوحى تحف أنوارها بالرسول كالهالة حول القمر وتكون الشياطين من ورائها لا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر قال الشيخ محيى الدين وليس فى الفتوحات المكية ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذى انفرد به الحق ويسمى الغيب المحلى المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما كان محالا لانه غيب برزخى بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فان قلت) فما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه الوحى حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة فى ذلك أن الرسول اذا نزل عليه الوحى عرق من شدته للانضغاط الذى يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ثم ان الهواء الحارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم اذا سرى عن ذلك النبى وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله بامر يتعلق بعلم خبرى أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الانسانى ويتلاقيان هذا بالاصغاء وذلك بالالقاء وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذى يطرأ على صاحب الحال ثم اذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد فى المزاج فيطلب الغطاء وزيادة الثياب ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم (فان قلت) فلم اختار الانبياء النوم على ظهورهم دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بان كل ما قابل الوجه فهو أفق له ومعلوم ان الافق نوعان نوع أدون وهو الارض ونوع أعلى وهو السماء فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وايضاح ذلك كما فى الباب الثالث والثلاثين هو ان تعلم ان الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهى من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم ان الروح اذا فرغ من ذلك التلقى وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير جسده فأقامه من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبى قط أنه تخبط واضطرب عند نزول الوحى أبدا والله أعلم (فان قلت) فهل ثم اذن فى العباد أقوى من الانبياء لتحملهم ثقل الوحى (فالجواب) نعم ما ثم أقوى من الانبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحى حين نزل اليهم ولم يحمل ذلك الجبل

لكم عدو فاتخذوه عدوا وفى قوله تعالى يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة اعلم ان عداوة ابليس لبنى آدم أشد من معاداته لابيهم آدم عليه السلام وذلك ان بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام فجمع بينه وبين ابليس اليبس الذى فى التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله انه لناصح وما صدقه الابناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فهذا كانت عداوة الابناء أشد من عداوة الاب له * قال ولما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك الابصار جعل الله لنا فى القلب من طريق الشرع علامة تعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنتحفظ بتلك العلامة من القائه وأعاننا الله عليه بالملك الذى جعله الله مقابلا له غيبا لغيب وأطال فى ذلك * وقال فيه ما دام القرآن فى القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف وأطال فى ذلك * ثم قال والمفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه

بل تصدع قال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا ان الانبيا أقوى من الجبال قوتهم على سماع مالا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الانبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لانه تعالى تجلى للانبياء في نحو حضرة قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الاطلاق الالهي مالم تعلمه السموات والارض والجبال فأنتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد أن لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فان قلت) فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام (فالجوب) لم يبلغنا في كتاب ولا سنة أنه كان قبل نوح رسل وانما كانوا كلهم أنبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كأنه اذا أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا وأما من لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت في مسند الامام سند مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فان قلت) قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير هل هو نص في الرسالة (فالجواب) ليس هو نص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلثمائة قال وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وانما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وانما قيل فيه صديقا نبيا فاول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام (فان قلت) فهل كان عدم اجابة أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين أثر في المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعي وانما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد فعلم انه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لاسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لاثر وعظه في قلوب السامعين فانه لا أصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا ان الهمة مالها أثر جملة واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدي أي من جاء به من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحي الذي جاء به المشرك حق على كل حال وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي ظهر به (فان قلت) فما ايضاح ذلك (فالجواب) ان تنظر في حال المدعو فان رأيته في حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم ان ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وانما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع سوى نفسه وفي القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم أي ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فالهادي الذي هو الله تعالى الابانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين الا الابانة

من حيث كونه تنطق به فله حروف اللفظ فلما اذا رجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه يحتاج الى ايضاح وأطال في ذلك * ثم قال وقد صح في ذلك في الخبر ان الله تعالى يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلي في الصور فلا يبعد أن يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنفى أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فليتأمل وسيأتي مزيد على ذلك في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وفي قوله قد جاءكم من الله نور وفي قوله وضياء وذكرى للمتقين أما كون القرآن نورا فلما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله لا أحب الآفلين وقوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله فأت بها من المغرب ونحو ذلك وأما كونه موعظة فظاهر وأما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الادعية كلها وأما كونه هدى فكقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونحو ذلك من كل نص ورد في القرآن لا يدخله احتمال ولا

فقط ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعي الى احتياجهم الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك ان كل كلام لا بد فيه من اجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الالهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى في تفصيل ما أجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه في كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما أنزل خاصة وأما ما فصله الرسول وابان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فان البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة (فان قلت) فهل النبوة من النعوت الالهية أو الكونية (فالجواب) هي من النعوت الالهية أثبت حكمها في الجناب الالهي الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الامر الذي في الدعاء المأمور به واجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق من نفسه على ذلك اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبي مع انهما معصومان منه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقي اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقة انما هي من العمل بما يلقي لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة في السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقي اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمته تلبس من استشراف ابليس عليه جاءه في الصلاة بشعلة نار بخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان ان يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ماله في الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبني آدم بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه * (خاتمة) * ان قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا في آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما الا أن يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهرون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر ولا سيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو أفصح مني لسانا انتهى والله أعلم

(المبحث الرابع والثلاثون في بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه في الارض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الارض)

اعلم ان الاصل في قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيي الدين والضمير في قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا وأطال في ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى الا بتلك الآية كأنه تعالى يقول ما أسريت بعبدي الا لرؤية الآيات لا الي لانه لا يحويني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة وكيف أسري بعبدي الي وأنا معه حيث كان (قلت) فما بقي الا أن رؤية الملك في عسكره ملكه وجنوده أعلى في التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فان صعد العرش الى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا ومن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب

يوهم منه الا الظاهر باول وهلة كهاتين الآيتين واما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ورحمتي وسعت كل شيء وكل آية فيها رجاء واما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للامور والحقائق مثل قوله كل يوم هو في شان وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقوله والله خلقكم وما تعملون ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم ان لكل اسم من هذه الاسماء كلمات تخصه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال في الباب السادس والعشرين والثلثمائة اعلم أن أعلم الارواح بالله عز وجل أرواح الجماد لكونها لا حظ لها في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لان الثلاثة الاول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ولا شهوة وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة وأما الجن والانس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال وانما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة الى الميزان الشرعي ولم يوجد الله لهم العقل لاجل اقتناء العلوم لان ذلك انما هو للقوة المفكرة التي أعطاها لهم وأطال في ذلك (قلت) وقد ذكر في كتابه الفصوص نظما

لعالمين عن ذلك * قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلثمائة ولما أراد الله سبحانه وتعالى ان يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء انزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا ثبوت الاسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد وذلك لحكمة يعلمها أهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم وأخذه جبريل عليه السلام وسار به في الهواء قال الشيخ محيي الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للمرسل اليه ليركبه تنبيها به في الظاهر وأما في الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الامور منا فجاء صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطهم الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من رسول الا وقد أسري به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرائه بامور تعرفها أهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولو انه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك ألا تراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب وانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء واخترق به الجو عطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فأتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء عمرة عن الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء عمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هنالك في أشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو عينه لا غيره فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة الواحدة والمرايا فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج في البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها وحكمه فيها * قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله تعالى على يديه وتبناوله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمي له ما يراه من هؤلاء الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس عليه السلام بجسمه فانه ما مات الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بهرون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من بابه مطالع الكواكب والخروج من بابه مغاربها وأخبر أن أولئك

يوافق ماهنا فقال فـاثم أعلى من جماد ومده * نبات على قدر يكون وأوزان وذو الروح بعد النبت والكل عارف * بخلاقه كشفا وايضاح برهان وأما المسمى آدم فمقيد * بعقل وفكر أو قلادة ايمان بذا قال سهل والمحقق مثلنا * لانا واياهم بمنزل احسان ومن عرف الامر الذي قد ذكرته * يقول بقولي في خفاء واعلان ولا يلتفت قولا يخالف قولنا * ولا يبذر السمراء في أرض عميان هم الصم البكم الذين أتى بهم * لاسماعنا المعصوم في نص قرآن وهذا النظام جواب لسائل سال الشيخ كيف جعل الكبش فداء لاسماعيل عليه السلام وهو نبي وأين مقام النبي من مقام الكبش ونظم السؤال هو قوله

فداء نبي ذبح ذبح لقربان * واين مقام الكبش من نوس انسان

وعظمه الله الكريم عناية * به أو بنا لا أدر من أي ميزان

فياليت شعري كيف ناب منابه * شخيص كبيش عن خليفة رحمن

الى آخر ما قال انتهى فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى للقلم اكتب يعني في اللوح علمي في خلقي الى يوم القيامة انما خص الكتابة بامور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة توجود وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة

يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عند ما يخرج من الماء عند انغماسه في نهر الحياة فان له في كل يوم غمسة فيه ثم به عرج الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشي فلا يستطيع أحد أن ينعتها لان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسل واللبن في الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطى اشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الاذواق في الدنيا وأخبره أن أعمال بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهناك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة وجيء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما أسرى الله تعالى بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشي به الى أن ظهر لمستوى سمع فيه صريف القلم والاقلام في الالواح وهي تكتب بما يجري به الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم يره معه وبقي لا يدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفئه وكان سبب الهيمان سماع ايقاع تلك الاقلام وصريفها أي صوتها في الالواح فاعطت من النغمات المستلذة ما أداه الى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم أن الرفرف ما تدلى له الا لكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف فلو أن الحق تعالى أراد لجبريل الصعود فوق ذلك المقام لما صعد الا محمولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عروجه انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك المقام والرفرف لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به في النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ في الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتي الكلام على عروج الملائكة في محلها ان شاء الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال أعطاه الله تعالى في نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الاذن في الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فرأى صوتا يشبه صوت أبي بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب وقال في نفسه أربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر رضي الله عنه فتلا عليه هو الذي يصلي عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان لخلقه لاصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها أزمانها ولا أماكنها لما سبق في علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية أي فان ربك قد سبق في علمه انه لا يجمع بين شغلين ترتب أحدهما على الآخر في آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقيمه في مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهي للعقول فهو تنبيه على العناية به والله أعلى وأجل في نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة الشريفة فأوحى الله تعالى اليه في تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى في شأن الصلوات الى ان قال ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا الى الارض قبل طلوع الشمس * قال الشيخ وكان هذا الاسراء بجسمه الشريف ولو كان الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد من قريش

في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ألم يقل ولكم فيها ما تريد نفوسكم لانه ما كل مراد مشتهى فان الارادة تتعلق بما يلتذ وبما لا يلتذ به بخلاف الشهوة فانها لا تكون الا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك ثم قال فالسعداء أخذوا الاعمال بالارادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة قال وأكثر الناس لذة بأعمالهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف * وقال فيه في قوله صلى الله عليه وسلم سبق درهم ألف درهم أي لان صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا على الله تعالى وصاحب الالف أعطى ما عنده وترك منه ما يرجع اليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فلو أن صاحب الالف بذل جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وانما اعتبر ما يرجع اليه المعطي بعد العطاء فهو لما يرجع اليه وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه * وقال في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى الرحمن علم القرآن اعلم ان القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد

ولا نازعه فيه وانما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الاسراء كان بجسمه الشريف فى تلك المواطن التى دخلها كلها (فان قلت) فكم كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع عشر وثلثمائة انها كانت أربعا وثلاثين مرة واحدة بجسمه والباقى بروحه رؤيا رآها قال ومما يدلك على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد فى بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به فى النور ولم ير معه أحدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش (قال) وانما سمع صوت أبى بكر تانيساله وقد أعطت المعرفة بان الانس لا يكون الا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبده وان أضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم * قال الشيخ وانما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يانس به فى الارض فحن لذلك وأنس به وتعجب من ذلك الصوت فى ذلك الوطن لكونه جاء من العلو وقد تركه فى الارض (فان قلت) فهل ثم فى المعراج الى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات (فالجواب) نعم منها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بمعانيها فاذا مر على الرحيم كان رحيما أو على الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما وعلى الحليم كان حليما أو على الشكور كان شكورا أو على الجواد كان جوادا وهكذا فما يرجع من ذلك المعراج الا وهو فى غاية الكمال ومنها شهود الجسم الواحد فى مكانين فى آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه فى أشخاص بنى آدم السعداء حين اجتمع به فى السماء الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم فى قبورهم فى الارض حال كونهم ساكنين فى السماء فانه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت ابراهيم وأطلق وما قال رأيت روح آدم ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى فى السماء وهو بعينه فى قبره فى الارض قائما يصلى كما ورد فيا من يقول ان الجسم الواحد لا يكون فى مكانين كيف يكون ايمانك بهذا الحديث فان كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان العلم يمنعك وليس لك الاختبار فانه لا يختبر الا الله وليس لك ان تتاول أن الذى فى الارض غير الذى فى السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هنالك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب أنه موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة فى النوم ومعلوم ان المرئى كان فى منزله على حالة غير الحالة التى رآه عليها ولكن فى موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على الاولياء مثل هذا فى تطوراتهم وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور فى أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب ان الله على كل شئ قدير ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين * وقال فى الباب السابع وأربعمائة اعلم أن العبد محمول بالقدرة الالهية فى جميع أحواله لا استقلال له بشئ ولهذا ما اسرى برسول قط الا على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به فى النوم كما يقع للاولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول فى الصورة التى يرى نفسه فيها اذ قد علمنا أن جسمه فى فراشه وفى بيته نائم. (فان قلت) فهل يكون الوارث للانبياء عليهم الصلاة والسلام له فى هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود فى جميع أحواله (فالجواب) نعم ولذلك قال تعالى فى حق سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فاقامه فى العبودية المطلقة ونزع منه الدعوى والربوبية على شئ من العالم وجرده عن كل شئ حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما أضاف السرى اليه فانه لو قال سبحان الذى دعا عبده لأن يسرى اليه أو الى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول ذلك ولكن المقام منعه ان يقول فجعله مجبورا لاحظ له فى الدعوى لفعل من الافعال * ومنها أى من فوائد الاسراء أيضا التنويه بشرف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير مدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه فان العرش أعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف فى العلو ولا أرض فى السفل وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمح أبصار المؤمنين وأما العارفون من الانبياء وكمل اتباعهم فيرون هذا العرش

الذى لا يبلى و يظهر فى قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها فى ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر فى القلب احدى العين فيجسده الخيال ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف وصوت و يقيد به سمع الآذان وقد قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابى بسمع اذنه فى حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فان القلب بيت الرب فافهم وقال فى الباب الثلاثين والثلثمائة اعلم ان القضاء والقدر أمران متباينان فالقضاء هو الحكم الالهى على الاشياء بكذا فله المضاء فى الحكم فى جميع الامور وأما القدر فهو الوقت المعين لاظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا يحكم فى القضاء بل حكمه فى المقدر لا غير فالقاضى حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال فى ذلك (قلت) وقد بسطنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه فراجعه * وقال فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة اعلم ان موسى عليه السلام ما قال رب أرنى أنظر اليك الا لما قام عنده من التقريب الالهى فطمع فى الرؤية فسال ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من مدارك العقول ومعلوم ان الرسل أعلم الناس بالله تعالى وانهم يعرفون ان الحق تعالى يستحيل

بالنسبة

بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة فى الهواء ليس لها سقف ترمى عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره وفى كلام سيدى على بن وفا رحمه الله يصف حاله

وقد نفذت من الاقطار أجمعها * وقد تجاوزت حد الخفض والرفع

* وقال أيضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى * وقال الشيخ فى الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم أنه لما كان الاستواء على العرش تمدحا لله عز وجل جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهى اليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على أن الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الاعراب فى حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة ترؤبه الله تعالى وهى أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وأتى بحرف الغاية الذى هو حتى اشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ فى الباب العاشر وثلثمائة ما نصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله على الاولياء فى المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما أن تنزل الوحى على النبى يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوته مشهودة له وأما تنزله على الاولياء فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحى لهم فى الباطن لا فى الظاهر والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت أبو يزيد البسطامى حتى استظهر القرآن أى من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال فى ذلك وسيأتى بسط ذلك زيادة على ذلك فى مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والثلاثون فى كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما صرح به القرآن)

اعلم ان الاجماع قد انعقد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين فى الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب الثانى والستين وأربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبى بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به فى نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيامة (قلت) وأما اجتهاد الائمة وتشريعهم فى الاحكام فذلك باذنه مع أن مادتهم فى الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة وأعنى بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على أصل فانه من السنة أيضا وهو المراد بالاستنباط وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل أصلا رابعا كما جعلوا الاجماع أصلا ثالثا قالوا ان الائمة لا تجمع على أمر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء أعلمنا لهم دليلا فى ذلك أم لم نعلم والله أعلم * وقال فى الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم أن حقيقة النبى الذى ليس برسول هو شخص يوحى الله اليه بامر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها فى نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا أيضا وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الملك يأتى النبى بالوحى على حالين تارة ينزل بالوحى على قلبه وتارة يأتيه فى صورة جسدية من خارج فيلقى ما جاء به الى ذلك النبى على اذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقى للاولياء وحى الالهام الذى لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال به بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به فى نفسه فقط قال

بها ومقامهم الادب فلذا قيل له لن ترانى ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى أن حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحى بالاحالة على الجبل فى استقراره عند التجلى اذ الجبل من الممكنات فلما تجلى الحق للجبل واندك علم موسى انه فيما لم يكن ينبغى له وان كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين بوقوع هذا الجائز وأطال فى صفات الناس فى رؤية الله عز وجل (وقال) فيه فى قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم اعلم ان الهوى أعظم من عبد من دون الله فانه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه فى الانسان ما أثر مثل هذا الاثر فيمن هو على علم بانه ليس بالاله وأطال فى ذكر من ادعى الالوهية من العبيد ومن ادعت فيه ولم يدعها ومن ادعاها فى سكر ثم قال وكان الحلاج ممن ادعاها فى سكر بيقين فقال قول السكارى فخبط وخلط بحكم السكر عليه كما شتم السكران أعظم ملوك الدنيا فى حال سكره ولا يلتزم معه أدبا

فالحلاج سعيد وان شقى به آخرون وأطال فى ذلك ثم قال واذا كان يوم القيامة جسد

ولو ان الوحى على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذى يوحى به اليه جبريل وأطال فى ذلك * وقال فى الباب العاشر وثلثمائة اعلم أن الوحى لا ينزل به الملك على غير قلب نبى أصلا ولا يأمر غير نبى بامر الهى جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهى بانقطاع النبوة والرسالة وما بقى أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بامر يكون شرعا يتعبد به أبدا فانه ان أمره بفرض كان الشارع أمره به وأخطأ هو فى ادعائه نبوة قد انقطعت أو نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه أو أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه أو نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له فان قال ان الله أمرنى بفعل المباح قلنا له لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا فى حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذى أنت عليه حيث صيرت بالوحى الذى زعمته المباح الذى قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصى العبد بتركه وان أبقاه مباحا كما كان فى الشريعة فاى فائدة لهذا الامر الذى جاء به ملك وحى هذا المدعى فان قال لم يجئنى بذلك ملك وانما أمرنى الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا أعظم من الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك أو قال لك انما كان يلقى اليك فى كلامه الاعلوما وأخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك بامر جملة واحدة اهـ * وقال الشيخ أيضا فى الباب الحادى والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشئ فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقى فى الحضرة الالهية أمر تكليفى الا وهو مشروع فما بقى للاولياء وغيرهم الاسماع أمرها ولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بامر الهى فى حركاته وسكناته مخالف لامر شرعى محمدى تكليفى فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظن انه عن الله لان ابليس قد أعطاه الله تعالى ان يصور عرشا وكرسيا وسماء ويخاطب الناس منه كما مر فى مبحث خلق الجن اهـ وسيأتى بسط ذلك فى مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فقد بان لك ان أبواب الاوامر الالهية والنواهى قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحى بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير فى ادعاء النبوة (فالجواب) لم يكن فى ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن أمرى فان زمانه اعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحى اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفها الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم الا أن يخصه دليل وقد قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أن يخالف شرعه انما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع فيأمر وينهى وأما قوله تعالى وأولى الامر منكم فالمراد بطاعتنا لهم فيما اذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه لانهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فاطعناهم فقد أجرنا فى ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهى وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله أعلم وقال الشيخ فى الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحى الذى كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه قوت أرواحهم اهـ * وقال فى الجواب الخامس والعشرين من الباب

الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه فى صورته تلك وتجسد المعانى لا ينكره العلماء بالله تعالى فان كان ممن اتبع هواه لما خرج من النار بعد انتهاء العقوبة حدها وبقى صورة هواه معذبة وان كان كافرا بقى مع صورة هواه أبدا الآبدين * وقال فى الباب الثانى والثلاثين وثلثمائة فى قوله تعالى فيه شفاء للناس أى العسل اعلم انه تعالى لم يذكر العسل مضرة قط وان كان بعض الامزجة يضره استعماله لان الشفاء هو المقصود الاعظم منه كما أن المقصود بالغيث ايجاد الرزق الذى يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة فى حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لان هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذى نزل له المطر وانما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل انما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام (قلت) وقد تقدم نحو ذلك فى الكلام على النية من حيث انها موضوعة بالاصالة للاخلاص والله أعلم * وقال فيه فى قوله تعالى تجرى باعيننا انما جمع العيون هنا وفى قوله فانك باعيننا لان المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ فى العالم أمرا فهو من جملة عيون الحق تعالى (قلت) والى ذلك الاشارة بقول سيدى محمد وفا رضى الله تعالى عنه محمد عبر الذ والحبيب أعبر لى آخره فاعلم ذلك وقد ذكر الشيخ محيى الدين

الثالث والسبعين اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي ولا رسول بعدي أي ما ثم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول أوتي الانبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أي حجر علينا اسم النبي مع أن الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء الاولياء فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير اه (فان قلت) فما الحكم في تشريع المجتهدين (فالجواب) أن المجتهدين لم يشرعوا شيأ من عند أنفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل ولو قدر أن المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله أعلم * (خاتمة) * مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الاحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لاحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتي علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجتهد يا أخي أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه أعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك أن تعطي أحدا من علماء أمته من غير دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك أم لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام أبو القاسم بن قسي في كتابه خلع النعلين وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

* (المبحث السادس والثلاثون في عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ما يأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين) *

وقد ورد في صحيح مسلم وغيره وأرسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما أيضا من بلغ في قوله تعالى وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أي بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضا العالمين في قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلي رحمه الله (فان قلت) فهل تكاليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكاليف ألزمهم به الحق تعالى ابتداء او ألزموا به أنفسهم ليشاركونا في الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدري اه فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا في الملائكة هل أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمي أنه صرح بانه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمي أيضا في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفي تفسير الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الآية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وفي نقل البيهقي ذلك عن الحليمي اشعار بالتبري من عهدته وبتقدير أن لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضي عنده قال وأما الحليمي فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة

في الباب الخامس وخمسمائة ما نصه انما قال تعالى فانك باعيننا ليعلمه أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم الا بما هو الاصلح له عنده سواء سره أم ساءه هذا مراده بقوله باعيننا أي ما أنت بحيث نجهلك وننساك والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلثمائة قال ابليس للحق جل وعلا يا رب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جل وعلا متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبل ذلك فقال ابليس ما علمت بذلك الا بعد ما وقعت مني الاباية فقال الله عز وجل له بذلك آخذتك فلله الحجة البالغة * وقال في حديث البخاري في الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم أن من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام تلاوته للقرآن انما يتلو حروفا ممثلة في خياله وحصلت له من الفاظ معلمه ان كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة ان كان أخذه عن كتابة فاذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر اليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا فهم ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله فالمولهذا التالي أجر الترجمة لا أجر القرآن لانه ما تلا المعاني وانما تلا حروفا تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ الى اللسان فيترجم به لا يجاوز حضرته الى القلب الذي في صدره فلا يصل الى قلبه منه شيء وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة من شرف هذه الامة المحمدية

على الانبياء ومانقل عنه هنا أي من أنه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه وأطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال ومع ذلك فالاليق بالعلماء الوقف عن الخوض في هذه المسئلة على وجه يتضمن دعوى القطع في شئ من الجانبين اه (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين الاول انه أرسل الى الملائكة والثاني لم يرسل اليهم والذي صححه السبكي وغيره انه أرسل اليهم وزاد البارزي رحمه الله انه أرسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب الخصائص ونقل فيها أيضا عن السبكي انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبياء كأمراء العساكر ولو أدركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها اه * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق أجمعين في عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته) يقول الملائكة على ثلاثة أقسام (قسم) أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهي معا وهم الملائكة الارضيون ومابين الارض والسماء الاولى (وقسم) أرسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات فانهم لا يذوقون للنهي طعما اذ شأنهم في الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (وقسم) لم يرسل اليهم أصلا لا بامر ولا نهي وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكارا أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها لا يحتاجون الى رسول بل هم مهيمون في جلال الله تعالى لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره اه فليتأمل القسم الاول ويحرر فانه غريب في كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة أخرى يقول ملائكة الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم بالنهي ولا يرسل نبي الى أحد بالنهي الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبي الى نبي ومن سمى ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقالوا انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم في قصة آدم عليه الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم في الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه اه وعلم من كلامه سابقا ولاحقا أن من قال انه أرسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهي معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل اليهم مطلقا كذلك فما حقق الامر ومن فصل في ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القلشاني ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال (ان قيل) كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض في قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض ومابينها وبين السماء لكونهم لا عصمة عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة تصريح بان هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والارضية وانما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة للعتاب قال ويؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فما وقع منهم النزاع الا من علمهم باحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لا يفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحدهم دم في جسمه يسيل أبدا وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك أن الاعتراض والطعن في آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لا يكون الا ممن ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها لا يكون الا على حكم الاصل اه قال بعضهم ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والارض

الانبياء التشريع وأعطى هذه الامة الاجتهاد في نصب الاحكام وأمرهم أن يحكموا بما أدى اليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الانبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فان المتأخر يرث المتقدم بالضرورة وأطال في ذلك *وقال فيه في معنى حديث جعلت لي الارض مسجدا اعلم أن في هذا الحديث اشارة الى أن جميع الارض بيت الله ليلازم العبد الادب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فاهل الادب من هذه الامة جلساء الله على الدوام لانهم في مسجد وهي الارض أحياء وأمواتا فانهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الارض الى بطنها وحرمة المسجد الى سبع أرضين *وقال فيه قد أنزل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الانبياء وهي انه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات وانزاله على القلب والاذن وأعطاه أيضا علم الاحوال كلها لانه أرسله الى جميع الناس كافة وأحوالهم مختلفة بلا شك فلابد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الاحوال وأعطاه أيضا علم احياء الاموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي

نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له (فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام فى قوله ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون وفى قوله فى الحديث قلت يارب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو فى الاعتراض على أحكام الله وتقديره فى خلقه وانما خصامهم فى بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى أنهم يتبادرون الى بنى آدم يدعونهم بلسانهم ويرغبونهم فى فعل ما فيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما اجره يسير فهم كالرجلين المتناظرين فى مسائل الحيض التى لا نصيب فيها للرجال (فان قيل) فهل هم فى هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو فى ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن الا فى أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم لان الله تعالى ما شرع لعباده أمرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين فى الاجر والثواب (فالجواب) نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالفهم وأن يكونوا مخلصين فى عملهم لا يشوبهم غرض نفسانى فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى فى تفرقة الدين ولو باللازم فقد أضجعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال فى دين الله بغير نص وقال عندى لا ينبغى التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده فى الادب كحكم حضوره عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

(المبحث السابع والثلاثون فى بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم الاعتراض على شئ منه)

اعلم أنه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيى الدين أواخر الحج من الفتوحات ما نصه اياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع فى نفسك من فعلها حزازة وتقول لو أن الحكم لى فيها لحجرتها او حرمتها على الناس وترجح نظرك فى ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط فى سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يعاشروا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التى أباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها أى شئ أصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره فى نفسه على استعمال الناس شرع ربهم وهذا من أعظم ما يكون من سوء الادب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس فى العصر الاول وأما اليوم فقد فشا فى غالب الناس ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم أن الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيأ مما أمره بتبليغه ان هو الا وحى يوحى وما كان ربك نسيا وما قرر تعالى من الشرائع الا ما تقع به المصلحة فى العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أو لم يعمل بما قرره الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقرره من الاحكام وقد عاب بعض أكابر الصحابة على عائشة رضى الله تعالى عنها فى قولها لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع

خلقوا من الارض علم ان خلق عيسى الطير انما كان باذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها الى الله لانه ماذون له فى ذلك فما أضاف تعالى الخلق الا لاذن الله وعيسى عليه السلام عبد والعبد لا يكون الها فال وانما جئنا بهذه المسئلة فى هذه الآية لعموم كلمة ما فانها تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه فى العلم باللسان فان بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال وهو قول غير محرر وقد رأينا فى كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على من يعقل وانما قلنا هذا لئلا يقال فى قوله ما تدعون من دون الله انما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل فى هذا الخطاب قال وقول سيبويه أولى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة كل علم لم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا * وقال فى الباب الحادى والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر فى كتب الملل والنحل لاحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أى وجه تفرعت أقوالهم لا غير وهو آمن من موافقتهم فى الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح وقال فى الباب الثانى والاربعين وثلثمائة مما يؤيد قول من يقول ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربى وليس هو غير أسمائه فانه القائل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى

وانه لم يعلم أن ذلك يقع من الناس وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك ثم قال فعلم أن من سلك كمال الادب لايجد قط فى نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وقولا عام اللهم الا أن يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا منع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغى له أن يغار الا فى مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهى خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان أن يغار على كشف زوجته وجهها فى الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع أن الله تعالى أغير من جميع خلقه كما فى الصحيح ان سعد الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى ومن غيرته تعالى أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكأنه ادعى أنه أغير من الله تعالى لكونه غار على أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما أحسن قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وأدخله فى هذا الميزان لعلم أنه بعيد عن مقام الايمان الذى ذكره الله تعالى فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فانها انما نزلت باستدعاء بعض النفوس وأهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهى اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهى اذا نزل مطلوبا لبعض العباد وكانه تعالى سئل فى تنزيله فاجاب السائل اذ لولا ذلك ما نزل وفى البخارى عن محمد بن كعب القرظى التابعى الجليل انه كان يقول ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من أجل مسألته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الاحكام لئلا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج أ كل عام يا رسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا وأطال فى ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف ان يعتنى بالامر المنزل ابتداء أشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لانخرج عنه ولا حرج أحد منا واشياء اسكت الشارع عن بيانه تكون معانية للعبد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة أو مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى أن يفعلها على وجه التاسى به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة أو مندوبة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا تمنى يوم القيامة انه لم يكن رجع شيأ ثم ان المرجح باهو يتهم خلاف ما رجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثانى يغلب رفع الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله أقرب منزلة من الذى يغلب الحرمة اذ الحرمة أمر عارض عرض للاصل ورافع الحرج دائر مع الاصل واليه يعود حال الناس فى الجنان يتبوؤن من الجنة حيث شاؤا وما أغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يا أخى وهوس الطبيعة فان البدن فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا فى هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت أهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهذه وأشار الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى أن يجيبه الى ان أنعم له فيها ان تأتى معه فاقبلا يتدافعان يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فان اعانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران فى أذيالهما ثم عاد الى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلى لما سمع قارئا يقرأ ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فقال انه

والا ربعين وثلثمائة انما قال الله تعالى فى الحديث القدسى كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به الى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال والفكر والحفظ والتصور والوهم والعقل لان هذه مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينتزل منزلة من يفتقر الى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فانها انما هى مفتقرة الى الله تعالى لا الى غيره فتنزل تعالى لمن هو مفتقر اليه لم يشرك به أحدا فعلم ان الحواس أتم لكونها هى التى تهب القوى الروحانية ما تتصرف فيه وما به تكون حياتها العلمية * وقال لما كان تجلى الحق تعالى فى الثلث الآخر من الليل يعطى العلوم والمعارف أكثر مما يعطى الثلث الاول والاوسط كان علم أهل الثلث الآخر من مدة عمر هذه الامة أكمل وأتم وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة الا الى الايمان خاصة ولم يظهر لهم شيأ من العلم المكنون وصار يترجم لهم بما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه الى عموم ذلك القرن فكانت الصحابة أتم فى مقام الايمان والتابعون أتم فيه العلم وتابع التابعين أتم فى العمل * قال والحكمة فى كون الصحابة أقوى ايمانا ان نشأة الانسان فطرت على الحس فلما بعث اليها

شغلهم بالجنة عنه تعالى انهم لاتحجبانى منهم وقالوا للشبلى ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وأنهم هم وأزواجهم فى ذلك الشغل وما عرفنا تعالى بمن تفكههم وأزواجهم فيما اذا يحكم الشبلى عليهم بانهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محيى الدين وقد عدوا هذا من قصور نظر الشبلى حيث جرح أهل الجنة ببادى الرأى ولعل ذلك كان فى بدايته وأطال فى ذلك ثم قال فعليك يا أخى بالغيرة الايمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغى الاعتراض عليه وأما فى الآخرة فلأنه يؤدى الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه ومعه من الاعتراض بالحال على الله تعالى فى أحكامه وحصول الكراهية فى النفس مما أباحه الله تعالى انتهى وقال أيضا فى الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم أن الله تعالى قد شرع الزينة والشغل باحوال النفوس من أكل وشرب ولعب فى يوم العيد فمن أدب المؤمن أن لا يشتغل فى هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة فى الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل فى ذلك اليوم يشبه الاركان فى الصلاة فلا يزال العبد فى يوم العيدين فى أفعال تشبه أفعال المصلى ولهذا سمى يوم العيد أى لانه يعود على العبد بالاجر فى كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم انما سمى عيدا لعود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدى الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبط بالزينة (قلنا) والزينة مشروعة فى كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأيضا فان الصوم فى يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء النفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع فى ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم فى المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفى هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا فى بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر أن يمنعهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع أيضا تكرار التكبير فى الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغى للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال وبما قررناه يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذا المقصود فى هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل فى سائر الايام فلا يتنفل فى ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وأيضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة فى هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه فى ذلك اليوم مباحا فيما بعده من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل فى القضايا فان لنفسك عليك حقا واللهو واللعب والطرب فى هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخى ظالما لنفسك وأعطها حقها اه (فان قلت) فهل يلحق بالسنة الصحيحة فى وجوب الاذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين ومائتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما أشار اليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وكما أشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين يحشر أمة وحده يعنى بغير امام يتبعه فجعله خيرا وألحقه بالاخيار كما قال فى حكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها فى الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك وقال أيضا فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى اليه وفى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان

نبى من جنسها لم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشفوف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان معظم اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار تفعوا علينا بقوة الايمان ولكن جبر الله نقصنا باعطائه لنا التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الايمان بالغيب الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم انهم ما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما فى العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم فى ذلك وأطال فى ذلك ثم قال فالحمد لله جاء بنا فى الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا فى أوراق سواد فى بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو اننا جئنا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته صلى الله عليه وسلم هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نحن نفوسنا ونطيعه فكفانا الله ذلك فله الحمد على كل حال وقال فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة فى الكلام على العندية الالهية فى نحو قوله تعالى وما عند الله باق وفى قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال وعنده مفاتح الغيب وفى الحديث صفوا كما تصف الملائكة عند ربها وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة

لم يعلم هو ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء من الوحي على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على أيدي الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى أعني من الوجه الخاص بطريق الالهام وجب علينا أخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى أن نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته فعلم ان أخذك من الرسل واجب على الاطلاق وأخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما تأخذه بغير واسطة فانظر ما أعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد مع أنه تعالى مطلق فان في هذا ظهور الاطلاق والتقييد في الجانبين وايضاح ذلك أن تعلم أن الله تعالى ما أرسل رسوله ليمكر بنا وانما أرسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا أطلق لنا الاخذ عن الرسول ولو توقف عند قوله من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالى من طريق الالهام ليس أحد على أمان من المكر فيه فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان لله تعالى في عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم فيها قدما لانهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق وأعطى رسوله الميزان الموضوع فمن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه في ذلك الميزان فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله أهمله لله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال ذلك فان كان من عند الله ثبت وأخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجده عند قوله لا خلابة اذ الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه حين ظن به خيرا كما في حديث فليظن بي خيرا وأطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب الثامن والاربعين أيضا في قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أي لاني جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا الى عبادنا * وقال فيه أيضا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله وأطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شئ فلذلك استأنف القول وصرح بقوله وأطيعوا الرسول بخلاف طاعة أولي الامر لم يستأنف فيها بقوله وأطيعوا أولي الامر منكم فهم لا تشريع لهم انما هو بحكم التبع للشارع وأطال في ذلك * وقال في باب أسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولي الامر بما لم يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل أنت به اذ لا يشترط في الداعي ان يكون عاملا بكل ما يدعو اليه فقد يدعو وبئس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منهم صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو أمان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو ان مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف اهواءهم كما ان مقامهم يعطي التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا أن نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنما نقول له أنت يا رسول الله في أمان منا أن نعترض عليك في شئ أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا منه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفي

وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اعلم ان هذه العندية اختلفت اضافاتها بحسب ما أضيف اليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث فانه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان خاص بل ما هو ظرف مكان جملة واحدة على الاطلاق قال وكذلك في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي فتعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والانسان وأطال في ذلك ثم قال

فعندية الرب معقولة * وعندية الهول لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عنديتا الحق والخلق والله أعلم * وقال في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية اعلم ان الشجرة التي توقد منها المصباح مثال لهويته تعالى فان هويته تعالى لا هي شرقية ولا هي غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هي مادة الزيت الذي هو المادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لان الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو التضاد لان الهوية حاملة للاسماء المتقابلة كلها كالعز والمذل والنافع

الحديث

الحديث انى شرعت لكم مثل القرآن أو أكثر رواه الطبرانى وغيره فاذن علة اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ فى الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما أدركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر فى حكمه لابد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصى الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى (فان قلت) فهل تخلف أحد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والأحجار على ما مر فى مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالانس والجن (فالجواب) لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ فى الباب التاسع والاربعين فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التى هى العبودية أحدا غير الثقلين مع أنهم لم يكونوا حين خلقهم أذلاء وانما خلقهم ليذلوا فى المستقبل وأما ما سوى الثقلين فانه خلقهم أذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على الرسل الا الثقلين (فان قلت) فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب المذكور آنفا أن سبب تكبرهم كون المتوجه على ايجادهم من الاسماء أسماء اللطف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهى فلما أبرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت فى وجودها الى لطف وعطف لكون الحق تعالى لم يبد لهم شيأ من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم الى الدنيا فقال الوارث بما لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدونى أى لتكونوا أذلاء بين يدى فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه تعالى قال لهم ما خلقتكم الا اذلالكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهى فلم يتمكن لاحد منهم أن يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا أن يجد فى نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده فى كتاب والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والثلاثون فى بيان ان أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء الذين أرسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونسكت عن الخوض فى تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الا بنص صريح)

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققى الصوفية فنقول و بالله التوفيق * قال الامام صفى الدين بن أبى المنصور والذى نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة باسرها على خلاف بيننا و بين المعتزلة وان خواص الملائكة أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة أفضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لاحد معهم مشاركة بالمقام النبوى الا بحكم الارث التبعى وسيأتى فى المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى وعبارة صاحب المواقف لا نزاع فى أن الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع فى الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوى رحمه الله الانبياء من بنى آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم أفضل من عوامهم و بنات آدم أفضل من الحور

والضار فانظر يا أخى ما أكمل العبارات الالهية فى الاخبار بما هو الامر عليه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك اعلم ان فى هذا الحديث اشارة الى أمة الاختصاص وهم الاولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدى المقام وانما هو وارث لمن شاء الله من الانبياء من آدم عليه السلام الى خالد بن سنان عليه السلام وأطال فى ذلك * وقال فى حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب أى لم يكن ذلك فى حسابهم ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه وأطال فى شرح كلمات الحديث * وقال التجلى الربانى فى الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه فى النهار فيتجلى تعالى فى الثلث الاول من الليل للارواح المهيمة وفى الثلث الاوسط للارواح المسخرة وفى الثلث الآخر للارواح الطبيعية المدبرة للاجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى فى الثلث الاول منه للاجسام اللطيفة التى لا تدركها الابصار وفى الثلث الاوسط للاجسام الشفافة وفى الثلث الآخر للاجسام الكثيفة وأطال فى ذلك وتقدم نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه * وقال الشمس غير غائبة عن الارض فى طلوعها وغروبها وانما تطلع وتغيب عن العالم الذى فيها والظلام الحادث فى الارض انما هو

العين انتهى * وعبارة شيخ السنة الامام أبي الحسن البيهقي رحمه الله والاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة يعني الصلحاء من البشر أفضل من الصلحاء من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم فاسق قاله ابن أبي شريف انتهى * وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم أفضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم أنه لا ذوق لنا في مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية أمرنا ان نتكلم بحسب الارث المناسب لمقامنا وأين المقام من المقام فلا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول الا رسول ولا في مقام الانبياء الا نبي ولا في مقام الوارثين الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي ولولا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه سيد ولد آدم لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهى * وقال في الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات لقد أطلعني الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل على الترتيب ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء لعينت ذلك ولكن تركته لما يؤدي اليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا فليحقه قال به انتهى * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة لا نعرف مراتب الرسل والانبياء الا من الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم وأما نحن فلا سبيل لنا الى ذلك انتهى * وقال في شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا في مقام الانبياء حتى نتكلم عليه انما نراه كما نرى النجوم في الماء كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث الولاية * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل الانبياء على التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا لا يؤخذ منه تفضيل أحدهما على الآخر على القطع للجهل باي المقامين أفضل الخلة أو الكلام انتهى * وسمعته أيضا يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل وكذلك الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وانما فضل الانبياء والرسل باحوال أخر ليست هي عين ما وقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام الاوهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة يؤدي الى التساوي كما هو مذهب الامام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بامر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بامر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذي عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ما عند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع ولا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى * ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ما حرر القول على ما يقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من أهل الكشف قال والذي نقول نحن به أن معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نعط هذا وأعطينا هذا ما لم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف (فمنهم) من فضله الله بان خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم

..اتصال ظلا لاتساعها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسميه ظل الارض لما هي عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ولانه سار الله نور السموات والارض أي منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم * وقال لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف في الخاص والعام كلما قربت الساعة كان الكشف في الناس أكمل وأتم * وقال يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وانما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الارض فاذا كان يوم القيامة عادا الى الجنة (قلت) ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم الى دخول الجنة أم لا أحد يشرب حتى يدخل الجنة أو يرد الحوض فمن وجد شيئا فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير * وقال في قوله ان أحسنت أمتي فلها يوم وان أساءت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب الذي هو كالف سنة مما تعدون والمراد باحسانها نظرها الى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم وانما قال صلى الله عليه وسلم ان أحسنت وان أساءت ولم يقطع بشيء لعلمه صلى الله عليه وسلم أن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومها مقدار معلوم

عليه

عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام (ومنهم) من فضله بالخلة كابراهيم (ومنهم) من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وأيضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكأنه يقول الاسماء الالهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى وأما التفاضل والخلاف المنسوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار لم يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل أن يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم الا أن يقال ان التفاضل حقيقة انما هو في الحقائق التي هي الارواح وأرواح البشر ملائكة فالملك اذن جزء من الانسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقي في العلم والملك لا ترقي له ولم يقيدوا ذلك بمرتبة من المراتب التي يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقي في العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق في العلم وحرمت المزيد فيه ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما الهيا بالاسماء لم تكن عندهم فسبحوه تعالى وقدسوه (فان قلت) فاذن الملائكة مساوون لنا في الترقي بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن في الجنة بالاعمال التي نعملها هناك لزوال التكليف فنحن واياهم في ذلك سواء في الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا بالعلوم والاعمال من باب الشرف لنا على غيرنا أو من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لا غير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا أن ذلك ابتلاء ما فضلوا به انتهى وقال الشيخ في أواخر الباب السابع والستين وثلاثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤي في المنام قط الا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائي في المنام في كل صورة في العالم ومن هنا يعلم أن المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبددة في العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك مقام معلوم أو ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق في علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهي كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادي من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوك العلم الذي عين له فمنهم شقي وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو في مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج أن يؤمر بالسلوك اليه لاقامته فيه سواء كان ذلك ملكا أو حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك أن الثقلين داخلان في قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله أعلم * واعلم يا أخي ان القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رأيته في نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا في الخطبة أن نسخ مصر مما دس فيها على الشيخ والذي رأيته في النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل

* وقال في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة من أدب العارف بالله تعالى اذا أصابه ألم أن يرجع الى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه

عندنا بل يجزم بانه لا يعلمه الا الله (ذات) وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة سنة المحسوب بثمن ولا يمعاوية فالحمد لله رب العالمين * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلاثمائة قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة حتى لم يبق أحد منهم الا ورأيته وعرفته وكذلك جمعني تعالى على ورثتهم من الاولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون في كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة قد ذهب بعض العلماء الى أن الاكراه على الزنا لا يصح وذلك لان الآلة لا تقوم الا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال وعندنا أنه مجبور في مثل هذا مكره على أن يريد الوقاع ولا يكون الوقاع الا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أو ضرب أو حبس ان لم يفعل فصح الاكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فانه يقنع فيه بالظاهر وان خالفه الباطن فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة من حيث ايمانه ولولا ان الشهوة ارادة بالالتذاذ لقلنا انه غير مريد لما اشتهاه وأنشد

من يشتهي الامر قد تراه
غير مريد لما اشتهاه
لكنه اضطر فاشتهاه
في ظاهر الامر اذ رآه

وليس يدرك ما قلناه سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملا انتهى

فإياك أن تنسب الى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

(المبحث التاسع والثلاثون في بيان صفة الملائكة وأجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بهم لا توجد في كتاب أحد ممن صنف في الملائكة فإن منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة)

اعلم أنه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه والذي يخصنا هنا أن تعلم أن الملائكة عند أهل الحق أجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما سيأتي ايضاحه في هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فإن قلت) هل النجوم والشمس والقمر أملاك أو منصات أملاك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لأن الله تعالى قد جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا يفوتهم شيء من أحوال المملكة السماوية والارضية وأملاك هذه المنصات منهم جنود وامراء ووزراء وملوك وأطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذي يليق بهم فقد استحق العزل (فإن قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمدهم الى ولاة أهل الارض بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذي امتد اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والي عدل وامام فضل وأما من كان استعداده رديئا فإنه يقبل ذلك الامر الطاهر فيرده الى شكله من الرداءة والقبح فكان والي جور ونائب ظلم فلا يلومن الا نفسه اه وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية (فإن قلت) فهل في قوة الملك أن يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر أول المبحث (فإن قلت) فهل في قدرة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وثلثمائة أن في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر في صورة غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم أن في قوة الانسان ما ليس في قوة الملك (فإن قلت) فأي الملائكة أكبر مقاما على الاطلاق كما هو الحال في محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغي لأحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل أفضل من اسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذي هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فإن قلت) فهل يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء لأنهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الاسماء التي علمها لهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة بأسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فإن قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فإن قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم أعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذي يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بأن ينفقه في مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لأن الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم أعط ممسكا تلفا أي اجعل الممسك ينفق ماله في مرضاتك فخالفه عليه وان كنت بارا بنا لم تقدر في سابق علمك أن ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كما لا كما يظنه من

السلام أدبا مع الله وإظهار العجز حتى لا يقاوم القهر الالهى كما يفعله أهل الجهل بالله ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فجمعوا بين جهالتين وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآية اعلم أن الانسان مجبول على حب من أحسن اليه لاجل احسانه وعلى استجلابه الود من اشكاله بالتودد اليهم ولما علم الله أن الانسان منطو على ما ذكرناه لم يكتف تعالى بقوله لا تتخذوا عدوي فقط لعلمه أنا لا نقوم في هذا النهي في جانب الحق مقام من يخافه حقا بل زاد تعالى وعدوكم ليبغضهم الينا بدل محبتهم التي كانت عندنا ولا نؤثر هوانا على مرضاته تعالى قال وليس في مذام القرآن أعظم من هذا فإنه تعالى لو علم منا انا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله عدوي وأطال في ذلك * وقال في الباب الستين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه فيه اشارة الى مباينة نور الحق لسائر الانوار فلا يدرك لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور ادرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم بأنه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلا وحسا وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى الملائكة

لامعرفته بمقام الملائكة فان الملك لايدعو بشر لاسيما في حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك أن دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني كونه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه أي الملك غاير بين اللفظين والله أعلم (فان قلت) فهل في قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد (فالجواب) ليس في قوة البشر أن ينزل واحدا من الاملاك من السماء باقسام عليه أو غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك فلا يؤثر في مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بامر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تنزل بالاسماء والبخورات وأشباه ذلك لانه تنزل معنوي ومشاهد تصور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح في السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها في عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الري عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور من قولهم في الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك (فالجواب) المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا في مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين أعين الناس حجابا مستورا فكان الحجاب مستورا عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم الا اذا شاؤا أن يظهروا لنا ذكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان و يتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا أراد الله عز وجل لاحد من الانس أن يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم أو برفع الغطاء عنا فنراهم رأي العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولي فان رأى الملك لا يراه مكالما وان كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبي (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذي أمرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه في أحسن تقويم أو لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه في أحسن تقويم وسيأتي تربيان سبب السجود كان عن اغضاب خفي على الملائكة (فان قلت) فلم أمروا بالسجود لآدم قبل أن يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما أمروا بذلك قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله من الاسماء امتحانا للملائكة ولو ان السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما أبى ابليس ولا قال أنا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال أأسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أقرب الى الملك النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعد ما أخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فاتى بالماضي من الافعال وباداة اذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا لماذا نهى الشرع أن يسجد انسان لانسان فانه سجود الشئ لنفسه فانه مثله والشئ لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحناء أيضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة أولا أمر آخر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن اغضاب خفي لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الارض ولو أنها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم

أنبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في هذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول هل سبحتموني أو قدستموني بهذه الاسماء حيث قلتم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فزكيتم نفوسكم وجرحتم خليفتي في أرضي ولم يكن ينبغي لكم ذلك فما قدرتموني حق قدري قال فالمراد بالاسماء هنا الاسماء الالهية التي استندت اليها المشار اليهم بهؤلاء في ايجادهم وأحكامهم وأطال في ذلك * وقال ليس للملك والحيوان والنبات ارادة تتعلق بامر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه واما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان * وقال في قول أبي يزيد بطشي أشد أي من حيث نفسه الحيوانية وذلك لانه يبطش بمن لا يخلقه فلا رحمة له فيه والحق تعالى اذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة في بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد * وقال الانكار في التجلي الاخروي خاص باهل النظر العقلي لا باهل الكشف وذلك لان أهل النظر العقلي قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به في الآخرة أنكروه الا تراهم اذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه كان تجلى لهم أولا بهذه العلامة لما أنكروه فافهم وقال في قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم ثم قال وصدقت بكلمات ربها وما هو الا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لانه عليه

لا تكون الابعد اغضاب خفي أو جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ به اهـ (فان قلت) فدورد صفوا يعني في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انها تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربها أيضا (فالجواب) نعم وايضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لها مكان آدم فامامنا يسجد لله والله تعالى في قبلة الامام كما يليق بجلاله والامام قبلة الملائكة فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهي والامر اذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلى الى يوم القيامة كما نسي آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل أخاه هابيل ظلما فما زال القتل في بني آدم ظلما الى يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما الفرق بين السجودين أعني سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق بين آدم وبنيه ان الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم للمعلم فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله أعلم (فان قلت) فلم لم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المنفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف في صفهم ولو انه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغي ان يقال في الجواب عن الرجل الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بان السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الامام فنحن عند الله في حال امامتنا كامر والملائكة تبع لامامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربها الان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام لمن خلفه بالغا ما بلغ (فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله تعالى بنافلة أبدا انما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم (فان قلت) فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي أخبر الحق تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر النسق كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا أيضا من حيث انه ليس لهم فكرة وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم أيضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم اهـ (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيحفظه له عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في

عليين

السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ومن حيث ان كل جزء منه باطنا أو ظاهرا هو كلمة فلهذا قال وصدقت بكلمات ربها فافرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار * وقال في قوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اعلم ان الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الامر على ما قاله مخالفوا أهل الحق من بقاء الاعراض لم يصح أن يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوق وهو معكم اينما كنتم يحفظ عليكم وجودكم وكنتم أمرا وجوديا بلا شك لا يعلم منه الا الايجاد والوجود ولهذا لا يقال للموجود قط كن عدما ولا كن معدوما لاستحالة ذلك * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة انما لم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا ان كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالايمان كقس بن ساعدة واضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها ويصاحبها فقس رضي الله عنه موحد لا مؤمن فتامل * وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله الآية فانث ثم قال بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فان النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لاجل التناسل الواقع بين الذكر والانثى ولذلك جاء في الايجاد الالهي القول وهو مذكر والارادة وهي مؤنثة فاوجد العالم عن قول

عليين وتصعد بالعمل وهى تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما فى نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هى التى تحدث بحدوث الكون فى الشهود وسبب ذلك أنه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهى فى كل كائن فجميع ما يتكون فى الكون فعن القول الالهى فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا أتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذى هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلابد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال أيضا لكون الله تعالى أخبر أنهم يعلمونها وما يعلمونها الا ليكتبوها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أو غير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة ان المراد بالصحف المكرمة هى علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أى محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا أراد الله تعالى انفاذ أمر فى خلقه أوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسى فيلقى الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بان يوحى به الى من يليه ويوحى اليه أن يوحى الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا وينادى ملك الماء فتوضع تلك الرسالة فى الماء وينادى ملائكة الالمات وهم ملائكة القلوب فيلقونها فى قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتى بأمثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده فى القلوب وهى الخواطر قبل التكوين بانه كان كذا واتفق كذا ما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك فى العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك الماء اذا ألقى ما أوحى به اليه فى الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين اه (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن أم لا (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك أنهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن فى التجلى الاجمالى دنيا وآخرة والاجمال هنالك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحى كأنه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذى هو نظير المحكم فينا فالامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات فهم الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكورين الملأين الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة فى العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم لكن من غير ترق لانهم على مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما فى قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك أن الملائكة أرواح فى أنوار ولها أجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحى على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان كما مر ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا أى يقول بعضهم لبعض ماذا يقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بان كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أى الحق يقول وهو العلى الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلى الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله أعلم (فان قيل) فهل للعالم البشرى التصرف فى عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه

وارادة فظاهر عن اسم مؤنث ومذكر فقال انما قولنا لشئ والقول مذكر اذا أردناه والارادة مؤنثة أن نقول له كن فيكون فظهر التكوين فى الارادة عن القول والعين واحدة وأطال فى ذلك بكلام نفيس فى التوحيد والله أعلم * وقال فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى فى آدم لما خلقت بيدى بالتثنية اعلم ان كل مخلوق فى العالم فهو مضاف خلقه الى يد الهية قال تعالى مما عملت ايدينا انعاما فجمع الايدى وقال فى الحديث ان الله تعالى غرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فوحد اليد وثناها وجمعها قال وما أضاف الحق تعالى آدم الى خلقه بيديه الا تنبيها على شرفه عنده وانه هو المقصود من العالم فان الانعام خلقها بايديه مع انها تحت تسخير بنى آدم وايضاح ذلك ان التثنية برزخ بين الجمع والافراد فهى تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال فان المفرد لا يصل الى الجمع الا بها والجمع لا ينظر الى المفرد الا بها فافهم (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه والله أعلم * ثم قال فى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ ترابا لزجا وخلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله اذ ليس كمثله شئ ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذى يتخلل اجزاء طينته فتخمر وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح قال الشيخ ومن أراد أن يرى صدق ذلك ان كان فى

الصور (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب السادس والستين وثلثمائة قال وما عدا هذين الصنفين فما للعالم البشرى عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم أن العالم النورى من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشرى عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بامر ربه فن أراد أن ينزل واحد منهم فليتوجه فى ذلك الى ربه ورب ه يأمره و يأذن له فى ذلك اسعافا لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء (فان قيل) فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذى هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن عدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذى يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدى اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ فى الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل فى الملائكة أحد يجهل صفات الله عز وجل كما يقع لعوام الجن والانس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انه ليس فى الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ثم قال فى حق الناس وأولو العلم فلم يطلق الامر كما أطلقه فى الملائكة وأطال فى ذلك ثم قال فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود بخلاف التوحيد فى الذات أو فى المرتبة يجهله بعض الناس (فان قيل) فهل اختصت الملائكة عن البشر بشئ من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك أنهم اختصوا بالعلم الذى لا يعرفه أحد من البشر الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة فيقوم فى عبادته لله تعالى مقام الملائكة فى عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا أننا اذا علمنا هذا العلم لاحد يدعيه كذبا لبيناله منها ما تقر به العيون (فان قلت) فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة ولكن يحميه الله تعالى أم لا شهوة له أصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس للملائكة شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (فان قلت) فعلى ماذا فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص فى الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية فليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهما الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلم وانما هو آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا به الشهوة فى هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق الفكر بالموافقة فعلم أن العلوم التى فى الانسان انما هى بالفطرة والضرورة والالهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلوم التى فطره الله عليها الا غيرفه و يرى به معلومه وأما بالفكر فمحال أن يصل به الى العلم (فان قلت) فن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهى وذلك أن النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية أمره أن لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كما أن غاية مقام يصل اليه العبد بالنظر الصحيح فى المعرفة بالله تعالى الحيرة فى الله وهذا مبتدأ البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج عنها فلا يقدر أبدا (فان قلت) فكم أصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ فى الباب الرابع وخمسين ومائة الاول الصنف المهيمون فى جلال الله تعالى كما أوجدهم فانه تعالى تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا ادركناهم من طريق كشفنا فهم فى الحيرة سكارى وقد أوجدهم الله تعالى من أبنية العماء الذى ما فوقه هواء وما تحته هواء يجعل

أيمانه خلل فليدلك ذراعه بذراعه دلكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فانه يجد فيه رائحة الحناء وهى أصله التى خلق جسمه منها وأطال فى ذلك بكلام نفيس منزعه الكشف * وقال بالعلامة من ادعى انه صار يذكر الله بالله ان يجد الاحتراق فى لسانه حسا حتى يحرق لسانه ولا يكون له أثر قط فى النطق فمن لم يشاهد هذا الحرق من الاشياخ فليس هو ذاكرا لله بالله وانما ذلك توهم قال وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ذلك ست ساعات ثم رد على لسانى فذكرته بالحضور معه لا به وأطال فى ذلك فراجعه وقال فى حديث ان الله خلق آدم على صورته اعلم ان الصورة تطلق و يراد بها الامر والشان والحكم أى جعل آدم يأمر وينهى و يعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويصفح ويرحم ونحو ذلك فهذا هو المراد بالصورة فافهم * وقال الانسان مجبور فى عين اختياره عند كل ذى عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بايدينا ولكن ما وقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بايدينا اذ الاعمال لا تظهر أحكامها الا فى جسم (قلت) وان كان هذا حقا وصدقا فقد أخذ بطرف دون طرف والكمال أن نقول ان الاعمال لله خلقا ولنا اسنادا فنضيفها الى الله بوجه والينا بوجه كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان ذلك حكاية عن قول السيد ابراهيم فقد أقره الحق وارتضاه من حيث ان ممقلم

ما ينافيه وهم أرواح في هيا كل أنوار كسائر الملائكة الآن وليس لها ولا الملائكة من الولاية الا ولاية الممكنات * الثاني ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن في الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين بالممات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين أفضل من هؤلاء كما مر في المبحث قبله * واعلم أن رأس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجود هؤلاء مع العالم الهيم غير أن الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم * الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه ولا تكسب قط مقاما وان زادت علوما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان (فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة هي القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الا فيما كان من مقامها فلا تتعدى مقام صاحبها من الافلاك كما مر في مبحث الاسراء أن غاية كل شئ أن يرجع للمحل الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة الا لينزلوا بها الى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوي بلا أجنحة ويصعد بها فان أجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فعلم ان الاصل في أجنحة الطائر أن تكون للصعود والاصل في أجنحة الملائكة أن تكون للهبوط فالطائر اذا نزل نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له أن يتصرف الا على قدر ما حد له (فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم الينا عروجا أيضا لظهار الاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له جهة العلو على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلو سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك ان الله تعالى أعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شئ ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من أي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع الى الحق من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول الى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (فالجواب) المراد به استكبرت أي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله أخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من آدم فهنا جهل ابليس (فان قلت) فهل العالون أرواح أو ملائكة (فالجواب) هم أرواح ما هم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح كجبريل وأمثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فانه ما ذكر أنه خاطب الا الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون ونصب ابليس على الاستثناء المنقطع

الانبياء اجل عن أن يحكى خلاف ما الامر عليه في نفسه والله أعلم * وقال في الباب الثالث والستين وثلثمائة من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الايمان بها اذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فان البحر واحد واذا لم يؤمنوا بما جاءت به الاولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الانبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الاصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة أطال في ذلك *وقال الكلام في كاف ليس كمثله شئ فضول فان ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر بل يرجع الى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما في نفس المتكلم الا بافصاحه عما في نفسه ولم يفصح لنا سبحانه وتعالى عن هذه الكاف هل هي أصلية أم زائدة وأطال في ذلك (قلت) فقد ذكر الشيخ في الباب الستين وثلثمائة السابق انه ما قال ان الكاف زائدة في كمثله شئ الا من لا معرفة له بالحقائق قال والحق أنها كاف الصفة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال في الباب الخامس والستين وثلثمائة في قوله تعالى فاذكروني أذكركم وفي نحو حديث ان الله لا يمل حتى تملوا اعلم ان الحق تعالى لا يعامل عباده الا بما يعاملونه به فهو تعالى بحكم التبعية لهم في ذلك وان كان ابتداء الامر منه ولكن هكذا علمنا

لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس أم كنت من العالين أى من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود فى اللسان هو التطأطؤ لان آدم خلق من تراب وهو أسفل الاركان لا أسفل منه وسمعت بعض أشياخنا يقول انما لم يؤمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلانهم ما جرى لهم ذكر فى تعريف الله ايانا ولولا ماذكر الله تعالى ابليس بالاباية ما عرفنا انه أمر بالسجود ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة * وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة ارفع الارواح العلوية العالون والرسل الملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مألكة والالوكة الرسالة ولا تختص بجنس دون جنس ولهذا دخل ابليس فى الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل فى الرسالة فى الجملة فالملائكة جنس يعم الارواح المسخرة والجن والانس فكل صنف فيه من أرسل وفيه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهموزة لا ينالها الا الطائفة الاولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أو الافراد من ملائكة الكرسى والسموات وملائكة العروج قال وآخرنى من الملائكة اسمعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الارواح مغيا بغاية وذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا أوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحى فضربوا بأجنحتهم وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التى استند اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله أنبئونى باسماء هؤلاء فى ايجادهم وأحكامهم (فالجواب) هى سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كأنه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتمونى وقدستمونى بهذه الاسماء قط مع انكم ادعيتم تسبيحى وتقديسى وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة فى الارض ولم يكن ينبغى لكم ذلك (فان قلت) فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة تتعلق بأمر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان (فان قلت) فهل فى الارواح قوة مصورة كما فى الانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذى هو صفة القوة المفكرة وكذلك الارواح التى فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين فى جلال الله والله أعلم وفى هذا القدر من أحوال الملائكة كفاية وسيأتى نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام فى مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

*(المبحث الاربعون فى مطلوبية بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض
فى حكم أبوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفطرتين بين نوح وادريس وبين
عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة
وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)*

اعلم انه يستحب بر الانبياء كلهم والدعاء لهم بان الله يزيد فى درجاتهم رجاء رضا الله عز وجل عنا وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين وأربعمائة اعلم انه ينبغى لكل مؤمن بر أجداده وآبائه المسلمين وغير آبائه من أكابر الاولياء من آدم الى أبيه الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم عليه السلام وأمرت أصحابى بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التى فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصى عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة أبينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس

وقررلدينا فننسب اليه تعالى ما ينسبه لنفسه ولا يمكن لنا الا ذلك فهى من حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق تنزلا للعقول وأطال فى ذلك * وقال فيه سبب غلط منكرى النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش فى نفسه ما فى العالم العلوى من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط والامر عند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه فى بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبى ولا حكيم انه أحاط علما بما يحوى عليه حاله فى كل نفس الى حين وفاته بل علم بعضا وجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك وأطال فى رد أقوال منكرى النبوة (وقال) فيه لقد عملت على تحصيل ايمانى بما جاء من عند الله ولم أكتف بالسماع حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت لكن مجملا وما زحزحنى علم ما رأيته وعاينت عن ايمانى فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا لعلمى ولا لشهودى أنا فواخيت بين الايمان والعيان قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال وكذلك أشهدنى الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم الى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك فى الباب التاسع والاربعين

قال

قال ولقد ألهمني الله تعالى صلتهما فوصلتهما وصلت بسببي أيضا وكان ذلك عن توقيف الهي لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا تعالى بأبينا آدم عليه الصلاة والسلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه أحد لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا أخت هرون وأين زمن هرون من مريم * وأما وجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة فللشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في هذه المسئلة ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى أن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وأن من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وفي القرآن العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما أراد نحر عبد الله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد بأي وجه كان توحيده كما سيأتي قريبا في حكم أهل الفترات قال الجلال السيوطي وقد ورد في الحديث أن الله تعالى أحيي أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص ابن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي وابن ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ولفظ السهيلي بعد ايراد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبويه فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني القائم يومئذ المقام المحمود قال ففي هذا الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث قال المحب الطبري والله تعالى قادر على أن يحيي أبويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما أكرم الله تعالى به سيد الاولين والآخرين اه وقال القرطبي ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم يمتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن احياء قتيل بني اسرائيل حتى أخبر بقاتله اه (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل احياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم أي الى تكملة آجالهم وعلى ذلك فما آمن أبوا النبي صلى الله عليه وسلم الا في زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض المحققين في سجدة أهل الاعراف من أن ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع أنها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخ له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة والله أعلم وكان الامام أبو بكر بن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول ما عندي أحد أشد اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان أبويه في النار وفي حديث مسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فيحرم جزما أن يقال ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في النار اه قال الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد صرح جماعات كثيرة بان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطي رحمه الله ومما يوضح لك أنهما لم تبلغهما الدعوة أنهما ماتا في حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائي وغيره أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثماني عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الغوص على المطلوب في التوحيد على القول بان الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع أن ذلك الزمان الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة اه * ولنذكر لك جملة من أحكام أهل الفترتين ليدخل أبوا النبي صلى الله عليه وسلم في أشرف أقسامهم فنقول وبالله التوفيق اعلم أن الموحد سعيد بأي وجه كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك أن متعلق الايمان انما هو الخبر الذي يأتي به الانبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهري أهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى

والثمانة (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة أنه رأى جميع المومنين كذلك من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة في صعيد واحد وانه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله في الطريق وموسى أعطاه علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار قال ومن حين حصل عندي هذا العلم زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغب شمسي ولم تطلع وكان لي هذا الكشف اعلاما بانه لا حظ لي في الشقاء في الدار الآخرة قال ولم يكلمني الاهود عليه السلام انتهى وقد ذكرنا في أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه الاهود عليه السلام فراجعها والله أعلم * وقال سعي الانسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه وذلك لامور منها أنه اذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم الا اعلام أمته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة ولا يمشون في ذلك اليوم الى نبي بعد نبي كما تمشي الامم فيقتصرون على محمد صلى الله عليه وسلم بما أعلمهم من ذلك بان الرجوع اليه آخر الامر والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جملة الامور التي ينفذ فيها

يؤمنوا بهما وحينئذ يصح أن يلغز بذلك فيقال لنا شخص مات على غير الايمان و يدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده في قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيي الدين أهل الفترتين في الباب العاشر من الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة ولاربعة بالشقاء ولثلاثة بأنهم تحت المشيئة (فأما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فان قسا كان اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال وأما سعيد بن زيد فكان يسجد و يقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول أيضا اني لانتظر نبيا من ولد اسمعيل من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ومن طالت به مدة و رآه مرة فليقرئه مني السلام اه * ذكره ابن سيد الناس في سيرته قال الشيخ محيي الدين و يسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث أمة وحده كما وردلا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر في كون من الاكوان و يحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابرياء (وقسم) ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه و بينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه أي يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضياء من من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر واتبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء حين علم وأعلم أنهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة و يتميز في زمرته في ظاهريته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر (وقسم) طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم لا سيما ان كان قد أتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهرية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران فهؤلاء ستة أقسام كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (وأما) الاشقياء (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء نظر او تقليد فذلك شقي (وقسم) أشرك عن تقليد محض فذلك شقي (وأما) من هو تحت المشيئة (فقسم) عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه اضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) اشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) أقسام أهل الفترات التي بين ادريس ونوح و بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك أن تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم نجده لغيره والله تعالى أعلم

* المبحث الحادي والاربعون في بيان أن ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك أنها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل

حكم الحاكم ثلاثة الدماء والاعراض والاموال لا غير * وقال فيه في قوله تعالى غضب الله عليهم الآية اعلم أن غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر باقامته عليهم من الحدود والتعزيرات وأما غضبه في الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار وهو تطهير الا في حق الكفار فافهم * وقال انما نهي الحاكم عن الحكم حالة الغضب لانه ربما خالط مع اقامة الحدود التشفي من المحدود لحظ نفسه فيحرم الاجر من تلك الحيثية لان الامر لا يحتمل الشركة وعلامة الصادق في انه خلص من حظ نفسه أن يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من اقامة الحد حتى ربما قام اليه وعانقه وآنسه وأظهر له السرور والبشاشة من حيث ان الله تعالى طهره قال تعالى ونبلو أخباركم فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فاذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها بخطاب الحق أم عملوها لغير ذلك وهو قوله تعالى يوم تبلى السرائر وأطال في ذلك ثم قال وان كان ولا بد للحاكم من الفرح باقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما أسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة * قال وليس عندنا في مسائل الاحكام الشرعية أصعب من الزنا خاصة فانه ولو أقيم عليه الحد فانه يبقى عليه بعد اقامته مطالبات من مظالم العباد انتهى فليتأمل ويحرر وقال من أراد الاجر التام فلا يقدم شيأ على تلاوة القرآن لاجل سماع الملائكة السائحين

منهى عنها الا ويقابله أمر مامور به يكون كفارة له)*

اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التى أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف فى مقابلتها كفارة لها وتطهيرا لمحلها انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه ولا يخفى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا فى محظور ولان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينقلون قط من مقام أو حال الا الى أعلى منه كما مر بسطه فى مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهر الارتكاب بنيه النهى فعلا أو هما حراما أو مكروها أو خلاف الاولى ولكل أهل وان تفاوتت مراتب الناس فادونهم من يرتكب خلاف الاولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذى عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصى فى حق الانبياء فمحمول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فانما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فلهم فى ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له وأما معاصى غير الانبياء فان كان الولى محفوظا حفظه المكر ومادامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع فى الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون فى الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم فى ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم فى خلاف الاولى معصية وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامة أحد الا وقد وقع فى النهى ولو فى خلاف الاولى الذى هو كناية عن أكله من الشجرة وكانت جميع التكاليف فى مقابلة وقوع بنى آدم فيما ذكرنا وكان فى أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر فى كل ما يتحركون ويسكنون فيه من أمر ونهى ومباح * وانبين لك أحكام التكاليف من حيث انها كفارة من باب الطهارة الى باب أمهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من شجرة النهى الذى هو فعل خلاف الاولى بغير اذن صريح من البارى جل وعلا فى حال نسيانه وفى حال ظنه ان ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد فى اعتنائه به بانه جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه فى تلك الجنة وكان آدم عليه السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كر به تذكر ما وقع منه فزاد فى الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت شريعتنا بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته وزادت حواء وبناتها على آدم وذكور بنيه الحيض فى كل شهر زيادة على البطنة التى بينها آدم عليه السلام الا كل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف فى ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتى المخالفات وهو مستحسن لها أشد من يأتيها مستقبحا لها اذا التائب يذهب قبح المعصية واعلم يا أخى ان تلك الجنة التى كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر الذى تولد من تلك الاكلة فلذلك أنزلا الى الارض التى هى محل العفونات ثم لما أنزلا اليها تولد فى بطنهما من تلك الاكلة التى أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أو غيره وتولد فى ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمقاماتهم زيادة على ذلك وهو الجنون والاغماء بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد فى الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرنا ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط الا وهو متولد من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة فى عدم وقوعه فى شئ ينقض الطهارة مما ذكرناه وما سنذكره فان الملائكة لا تبول ولا تغوط ولا يجرى لها دم أصلا وكذلك لا تشتهى لذة اللمس

فانهم لا يقدمون شيئا على سماع القرآن لانه أشرف أرزاقهم وأعلاها ومن لم ينبسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لاجل الارواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن قال واعلم ان جميع ما أتكلم به فى مجالسى وتصانيفى انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فانى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه اعلم ان حركات جميع الائمة العادلة لا تكون قط الا فى حق الغير لا فى حق نفوسهم بالاصالة فاذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون اليه فاعلموا انه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله فى عين حاجته وهى النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذى كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خصه الله به بشاربه ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه فى حق الغير قال ولقد لقيت الخضر باشبيلية وأفادنى التسليم لمقالات الشيوخ وأن لا أنازعهم وان كانوا مخطئين فى نفس الامر (وقال فى) قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا مرادهم أولاء الذين أبهم باسم الايمان هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله كما قال تعالى وان يشرك به تؤمنوا فسمى المشرك مؤمنا

ولا الجماع ولا تجن ولا يغمى عليها ولا تنام ولا تعصى الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها اصنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان العبد لا يعصى قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل ويشرب فلولا انه حجب بالاكل والشرب ماوقع فى معصية قط فصح قول الامام على رضى الله عنه من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو صليبا فليتوضأ ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما ألحقه بالمريض أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم وأتباعه المجتهدون بالتطهر بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شئ تولد من الاكل والشرب وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء أو التراب بل أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بنضح السراويل التى تمس الفرج وقال بذلك أمرنى جبريل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس فى حقه صلى الله عليه وسلم كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررنا ذلك * وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لى فيه بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذى هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتهما وانما هما لكونهما محلا لخروج النواقض وملامستها اذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع أعضاء البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونمت به وقد جاءت أقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة فى النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط فى الناقض وفى الماء الذى يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا فى النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذى فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولى النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين فى أيام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص فى ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا لعذر شديد وكذلك القول فى كل ماجاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى فى مبحث أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم أن الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا انما الناقض حقيقة ماعلى الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هى التى تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس فى الحصاة والعود امارة شهوة ولو ابتلعهما المكلف ثم خرجا منه وأما بطلان الصوم ببلعهما فانما حكم به العلماء سد الباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذى هو المقصود بالنهى وكما حكموا ببطلان الصوم بأكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان أصل علة لتحريم هى الاسكار وقس على ذلك دخول الميل فى ذكر الصائم أو دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا (فان قيل) فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المنى مع انه دون الغائط فى الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن فى الغسل من الجنابة بخروج المنى لانه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن فى ذلك الا من حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فان المجامع لما كان يحس باللذة أنها قد عمت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذى حصل للبدن عقب خروج المنى فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضى الله عنه ان القهقهة فى الصلاة تنقض الوضوء ولما كانت لا تقع

وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بروحى عيسى عليه السلام فى السماء الثانية وتبت على يديه وكان له بى عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتى الى الآن وأطال فى ذكر ماوقع له معه وكذلك الانبياء الذين فى السموات ثم قال ولما اجتمعت بابراهيم عليه السلام قلت يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التى اتخذوها فقلت له فما اشارتك بقولك هذا فقال لى أنت تعلمها فقلت له انى أعلم أنها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم منهم فقال لى عليه السلام مازدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما قولك فى الانوار الثلاثة يعنى الكوكب والقمر والشمس أكان ذلك عن اعتقاد فقال لا انما كان عن تعريف اقامة للحجة على القوم ألا ترى الى قول الحق تعالى فى كتابكم وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد القوم فى الاله الا انه نمرود بن كنعان لا تلك الانوار قال ولم يكن القوم يعتقدون فى النمرود انه الاله الحق لانهم انما كانوا يعبدون الآلهة التى نحتوها وأطال فى ذلك بكلام دقيق فليتأمل ويحرر (وقال) فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اعلم ان جماعة من أهل الله غلطوا فى هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال

الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها انما شأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء (فالجواب) أن وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم فى محلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان أعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصى الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضئ الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصى واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرجت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصى ربما لا تخرج له خطايا بغسل أعضائه بالماء فافهم بخلاف ما اذا تاب وندم فان خطاياه تخرج فثبات توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التى هى الصلاة على أكمل حال يليق به (فان قيل) فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمى دون البهائم التى تؤكل مع أن الآدمى أشرف من البهائم كلها (فالجواب) أنا نقول وما جاءنا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم فلما أكل من شجرة النهى بالمعنى السابق أول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف فى بولها وغائطها والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح المقرب ويؤاخذ المبعد وكان ينبغى لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من المآكل والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود تخرج خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما وتخاطا وصنانا حين صاحبته نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (فان قيل) يفهم من تقريركم هذا أن من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته أن يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أفتى به شيخ الاسلام البلقينى والسبكى والجلال السيوطى وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقينى والله لو وجدت شيأ من بول النبى صلى الله عليه وسلم وغائطه لأكلته وشربته وفى الحديث ما يؤيد ذلك فروى الطبرانى وغيره نحن معاشر الانبياء بنيت أجسادنا على أجسام أهل الجنة اه ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم وأما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبى صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم كان يتنزه عنه ويغسل ما أصابه منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشرى (فان قيل) فلم لم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمى كلها من مخاط وبصاق وعرق ابطه لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر فيها وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا لون أصلهما (فان قيل) فما وجه الامر بالجمع بين الماء والتراب فى نجاسة الكلب (فالجواب) وجهه ان الله تعالى جعل سؤره نجسا لميت القلب اذا أكل أو شرب ومعلوم أن من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدى لتوبة اذا وقع فى ذنب وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فسماها تعالى رجسا من حيث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك صح تسمية سؤر الكلب نجسا بالنظر لما يورثه من القساوة فى الانسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك أمرنا الشارع بالجمع بين الماء والتراب فى الغسل من سؤره أو غيره ذلك من فضلاته لكون الماء والطين اذا اجتمعا أنبتا الزرع بخلاف أحدهما بمفرده اذا وضع على الحب لا ينبت ثمره ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء فقط أو التراب فقط بان مسحها به لا يزيل ذلك الاثر الذى يميت القلب (فان قلت) فأى المذهبين أولى بالعمل من يقول بطهارته أو من يقول بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته أولى وأحوط فى الدين وان لم يصرح الشارع بنجاسته لفظا وقد

تعالى فى تمام الآية تعالى عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى الملتبس بالحق فالباء هنا هى عين اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فما خلق الله شيأ الا للعو وهو أن يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به وأطال فى ذلك فليتأمل * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا فى هذا النوع هل ينقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه ومن كشف قال بعدم انتهائه وان التوالد فى النوع الانسانى باق فى الجنة وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى فمالكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به فان الشرع كله حديث وخبر الهى بما يقبله الوهم والعقل ويا علماء بالله انما تعلمون قدمه وان حدث عندكم فما هو حديث العين قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو الا كلام الله الازلى فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الاتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل ان يأتى وقد جاء القرآن فى مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه وأطال فى ذلك * وقال لا يطلب العبد بان يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات الى الله

تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب فلم يجده فاستدل على نجاسته بانه صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل ثمن الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم الله تعالى علينا اكل ثمنه انتهى * ومما وقع أن سيدى عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من المالكية عن شرب لبن شرب منه الكلب فقال الفقيه مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فضلته يبست قلبك فلم يسمع للشيخ فقسا قلبه تسعة شهور وصار يجىء للشيخ و يقول يا سيدى تبت الى الله تعالى فان قلبي صار لايحن الى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك فلم تسمع ولولا ان هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ ومارأيت أحدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله عنه (فان قيل) فما الوجه الجامع بين أقوال الائمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما لحظهم في ذلك (فالجواب) ان ملحظهم الاعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل انباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طواب باستعمال الماء الذى لم يستعمل قط الا أن يكون مستبحرا ولاشك أن الماء الذى لم يستعمل أنعش لبدن العاصي ومن شك فليجرب وللامام أبي حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات (أحدها) أن المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) انه كبول البهائم سواء (ثالثها) انه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه أعدل الروايات وأما الامام مالك فجوز الطهارة بالماء متكررا مالم يتغير جدا على مابلغنا فهو أوسع الائمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كانها غسالة الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر ومواقعة في الناس وغيبة العلماء العاملين والاولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر اذا خرجت في ماء قذرته ضرورة وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكاب هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة (فان قيل) ان الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك سوء ظن انما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل اثبات المعاصي في حقهم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا انما قال الامام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من أهل الكشف فكان اذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لايقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدى على رحمه الله يقول من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما اهـ وأما وجه الرواية الثانية فهو ان غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها صغائر والاصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم أن الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها وأما وجه الرواية الثالثة من قول الامام أبي حنيفة ومن وافقه رضي الله عنه فهو أن احسان الظن بالمسلمين واجب بالاصالة ولان الاصل عدم ارتكاب المتطهرين للكبائر والصغائر وانهم ان ارتكبوها كفرت عنهم باعمال أخرى فأتوا الماء للطهارة الاوليس عليهم خطيئة اللهم الا أن يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فوراولم يعمل أعمالا تكفر عنه ما جناه فهذا ربما يندب للمتورع أن يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء أهل الرواية الاولى فرضى الله تعالى عن الامام أبي حنيفة ماأدق نظره وما أنصحه لدين الله ولعباده ورضي الله عن بقية المجتهدين آمين * ثم لا يخفى أن التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال انا أسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا أسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لابد من غسل الرجلين أو مسح الخفين والله تعالى أعلم * فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة بالاكل فتأمله فانه نفيس * وأما وجه تعلق مشروعية الصلاة بانواعها بالاكل من شجرة النهى كل أحد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فهو أن تعلم أن الصلاة ماشرعت

عزوجل وكل من اولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فيا أعظمها من حسرة * وقال ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتامل ويحرر * وقال صلى الله عليه وسلم مافضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره اعلم ان الاشارة بهذا السر والله اعلم الى ماوقع له رضى الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات حين اضطربت عقول الصحابة ذلك اليوم مالا يمكن ان يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضى الله عنه لم يتغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الامامة والتقدم وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه السر الذى وقر في صدره أو من كان في محل تطر من ذلك أو متاولا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذى وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر الا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل ثبات أبي بكر وصوله الى مقام شهد فيه انه بوت رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وانه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهناك تجرد أبو بكر بقلبه الى

الا توبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا الباب برضا الحق سبحانه وتعالى عنا حين أكلنا من شجرة النهى أو هممنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفير الذلك وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يا بنى آدم قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها وقد جمع لنا الحق تعالى في الصلاة جميع عبادات الملأ الاعلى والاسفل لمن يعقلها (فان قلت) فما وجه تكرارها في الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصي والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما توضأ وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلي لرأى ذنوبه تتحدر عينا وشمالا عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التي هي أقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجي ربه عز وجل في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة الا كفرت بالافعال والاقوال التي في الصلاة فأى فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعي كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصي أو يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى أو يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالي الغفلات أو يضعف أو يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيي ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى في صلاته فيعبد الله تعالى كأنه يراه فهو ما بين تكبير لله عز وجل وتحميد له وثناء عليه بما هو أهله وسؤال أن الله تعالى يعينه على أداء ما كلف به في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة لامام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه أي الخاصة بالصلاة والا فقد ورد أن من توضأ كما أمره الله خرت خطايا أعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فرادنا بالذنوب التي تبقى الى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم أنه لا يخر مع الوضوء الا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التي تخر في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق لغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشرع بعة شيء يكفر فافهم * وقد قدمنا ان كل منهي له مأمور يكفره هذا اذا أتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب اسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما أظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون وفي قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت أن المراد بالسيآت هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا في أحكام الدنيا وأما أحكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة الزاني برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم أمرنا بالنوافل (فالجواب) انما أمرنا بالنوافل جبرا لما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا خلل ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمل قوله لك تعثر على ما قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك أيضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما قيس (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها أن يكمل الخلل الذي في أركان الفرائض بأركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالاذكار المستحبة بالسنن التي في النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات والله أعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل دون بعض (فالجواب) وجهه أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على أمته اذ لو أكدها كلها لربما شق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على أمته ويقول اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي شققت على أمتي انتهى أي اذا تأسوا بي في ذلك فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال

جانب الحق وتوكل على الله وحده واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وانه صار يترقب لما يوحي الله به اليه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال (قلت) ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزان الكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه محلا لجريان الاقدار وان الامر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه اذا فقد بموت أو سفر بعيد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله واستحق الفطام وأطال في ذلك وتقدم في الباب الثالث والثمانين الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الاربعة فراجعه * وقال فيه من قال ان الحق تعالى يحل في الصور فهو أعمى البصر والبصيرة لان غاية الناس مرتبة الاحسان ثم الايقان المشار اليها بقوله اعبد الله كأنك تراه فتمثله في خيالك مرئيا ولم يحجر الشارع علينا أن نجعل معبودنا محسوسا كالاصنام لا أن نتخيله صورة فان الشارع يعلم ان من مرتبة الخيال أن يجسد ويصور ما ليس بجسد ولا صورة وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شيء ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو امامه فانه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الايمان بالله فانه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك * وقال لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فأتاهن في الخيال

لمن شاء انتهى أي كراهة أن يشدد أحد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهي (فالجواب) وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا احتجب تكلف العبادات ومل منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخروج عن كمال طاعة الشارع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب نظام ديننا أو يضعف ولو علم الشارع أن نظام الدين في الصلاة يحصل بلا جماعة ما أمرنا بها في الجمعة والصلوات الخمس وما ألحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم أن أصل ذلك كله الاكل فان من لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل من عبادة ولا يأنف من طاعة امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو أبدا فان الخوف انما حصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتجزف مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتأمل ذلك (فان قيل) فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا أو كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهي فانهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لا سيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التي تبلغها عقولنا أو تكبيره عن أن يخرج شئ في الوجود عن ارادته ومعلوم أن من يأكل الشهوات لا يؤدي حق اخوانه لا أحياء ولا أمواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق اخواننا التي أخللنا بها في حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى أن يغفر لهم وان يسامحهم (وأما) الحكمة في مشروعية جماعة العيدين فهي تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاححة فيها حتى ربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه فلا يكون وأصل ذلك كله الحجاب بالاكل وكذلك الحكمة في مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذ ذاك الفرح في العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلي للغلمان والنساء والبنات فلا ينبغي لمؤمن أن يفارقه العيد وفي قلبه كراهية لاحد من المسلمين الابطريق شرعي وهذا وان كان مطلوبا في كل وقت ففي العيد آكد لا سيما الحجاج في الحرم المكي فان الله تعالى توعد بالعذاب من أراد فيه بأحد سوأ ولو لم يفعله (وأما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا أو كسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فأمرنا الشارع باقامة الحد عليه وان أدى الى قتله كفارة لذلك الفعل الا أن يترك الصلاة جحدا لوجوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بانواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهي والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق الزكاة بانواعها بالاكل من شجرة النهي فظاهر وذلك اننا لما أكلنا ما لا ينبغي لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى في الاموال والاقوات فادعينا الملك فيها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشححنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا أن نعطي منه شيأ لمحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع

ويقف

ولم يأثم في الحس ومن هنا قالوا ان السحر له وجه الى الحق ووجه الى الباطل اذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لاحد الجانبين قال ومن أراد ابطال السحر فلينظر الى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كانت ما كانت فان نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شئ ضرورة فلا يزول السحر الا بحل جميع العقد والسلام قال وهذا من العلوم الالهية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث في روعي ولا يكون النفث الا ريحا بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفس فانه ريح مجرد وأطال في ذلك بذكر غرائب * وقال انما كان حديث النفس مغفورا ما لم تعمل أو تكلم لان الكلام عمل فيؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فانه يؤاخذ بحسب ما يؤدي اليه ذلك اللفظ وان كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه الاوزر عين ما تلفظ به فهو مسؤل عند الله من حيث لسانه قال ولا يدخل الهم بالشئ في حديث النفس كما توهم اذ الهم بالشئ له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي الحادا بظلم يذيقه الله من عذاب أليم سواء وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع وأما في غير الحرم المكي فانه غير مؤاخذ بالهم وان لم يعمل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك من أجل الله خاصة فان لم يتركها

و يتخذ الحلى الذى لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشى والنقود من المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى ألزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انه لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور أمرنا الشارع باخراج نصيب معين من كل نوع من أموال الزكاة تطهيرا لنا ولاروا حنا من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة فى الرزق وما سماها الله تعالى زكاة الا ليتنبه المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله اذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم مانقص مال من صدقة * وأما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو أن العبد اذا أكل مالا ينبغى حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فأخرجها كارها لها أو ناقصة العدد أو رديئة فامرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره فى نوافل الصلاة * وأما زكاة الفطر فانما أمرنا بها ليصعد صومنا الى محل القبول فقد ورد فى الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض حتى تؤدى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع فى الصوم من حجاب الاكل فى الليل ولولا الاكل ما نقص للمكلف عمل ولكان يأتى به كاملا من غير أن يخرقه بغيبة أو نميمة أو شتم أو أكل حرام أو نظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو أن الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى فى قبول توبتنا من سائر الذنوب التى وقعنا فيها لما حجبنا بالاكل وذلك ان الصوم يورث رقة القلب وزوال الجسد ويسد مجارى الشياطين التى انفتحت بالاكل فى سائر البدن حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط ولم يزد فى السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجارى حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام جنة يعنى على البدن مالم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعى ولم يخرق صومه بشئ لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان رمضان ثلاثين يوما أو تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب) قد ورد أن تلك الاكلة التى أكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت فى بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة فى بنيه فلولا أكله عليه السلام من الشجرة التى هى مظهر خلاف الاولى كما مر ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لاسيما من أكل من الحرام والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع فى صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة فلما علم الشارع من أمته أنهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده اما باعتبار البنية فى نظر أهل الحجاب واما اظهارا لحصول سيادته بذلك فى نظر العارفين اذ الانبياء لا ينقلون قط من حالة الا لاعلى منها لدوام ترقيهم فى المقامات لعصمتهم كما مر بسطه فى مبحث عصمة الانبياء فامره الله تعالى لما اسود جسده أن يصوم ثلاثة أيام الليالى البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع فى مخالفة الامر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته وما منا الا من وقع ولو فى مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضى الله عنه انه نظر الى أمرد جميل فاسود وجهه فى الحال حتى صار كالزفت الاسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة فى صوم هذه الثلاثة أيام أيضا ان كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتاليه (فالجواب) انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو فى وسط المدة أو قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليطارق الشهر

من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسى والارادة التى هى الهم (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة قول الشيخ اعلم ان الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد أن الله تعالى يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه فانه ليس فى قوة الانسان أن يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك قال قد أخبرنى سليمان الدنبلى على وجه التحدث بالنعم أن له منذ خمسين سنة ما أخطر الحق تعالى فى قلبه خاطر سوء انتهى قال وانما نكر تعالى الظلم بقوله بظلم ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم من كبير وصغير والله أعلم * وقال فى حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما اما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فان تنصره على ابليس الذى يوسوس فى صدره بما يقع منه فى الظلم بالكلام الذى تستحليه النفوس وتنقاد اليه فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته اذا كان ظالما وكذا جاء الخبر فى نصرة الظالم ان تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلابد أن تكون النصرة واردة على شئ فافهم * وقال الشهادة بالوحى أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة فى قصة بيع الجمل فانه لم يكن حاضرا وانما قال أشهد بتصديقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم

ذلك العبد على أثر الاكرام (فان قيل) هل تحصل السنة بصيام الثلاثة أيام متفرقة فى غير الثالث عشر وتاليه (فالجواب) نعم لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة لمن جامع فى نهار رمضان بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهى العقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الاكل فانه لما أكل ما لا ينبغى له حجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للمظاهر والقاتل والحالف فان البلاء اذا أراد أن ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصى فى ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا * وأما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد فى أى وقت شاء بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا أكل حجب فغفل فنسى مراقبة الله عز وجل فوقع فى المخالفات فشرع الشارع للعبد كل ذلك أن يعتكف بقلبه وبدنه فى بيت الله الخاص مستشعرا به انه بين يدى الله تعالى ليجبر ذلك الحال الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان فى تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع ان يباشر امرأته أو حليلته فى المسجد لاسيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الادلال فى حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الى العطف فلا يناسبها الا الخوف المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافى الادب ولو انه وقع فى شئ من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم فى الاعتكاف سدا لباب الترفه جملة واحدة أدبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغى للمعتكف أن يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه فى حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وأرفع والله أعلم وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو أن الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التى لا يكفرها شئ الا الحج وقد تقدم فى الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة أن لكل مأمور شرعى تكفيرا خاصا للمنهى خاص وأصل وقوعنا فى الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخر ما وجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه فى تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن عباس والكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم فى مبحث عصمة الانبياء أن ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا فى الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا فى مخالفة كيف يتوبون فلذلك امره الحق تعالى بالحج تكفيرا لتلك الاكلة التى صورتها صورة المخالفة فافهم (فان قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة فى العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما (فالجواب) انما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا لضعفنا ولكثرة المشقة علينا فى السفر للحج كل سنة لاسيما فى حق أهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة فى عمره لم تمسه النار أبدا (فان قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك اشارة الى ان من أدب كل داخل للحضرة الالهية ان يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد الالهية انما هى الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد أجمع أهل الله قاطبة على انه لا يصح دخول حضرة الله قط لغنى ولا متكبر قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون بما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفى الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكأن المحرم ولد هنالك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب دعوى الغنى والتكبر انما هو الاكل فانه لما أكل حجب فنازع الصفات الالهية فى الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة امداده تعالى (فان قيل) فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة (فالجوب) ان ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه اذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه والاولى أدب الاكابر عدم التعلق باستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من أكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال

بشهادة خزيمة وحده لانه شهادة بالوحى ولو ان خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبذلك حفظ الله علينا لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فانها اثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الى هذه الآية * وقال مما يدلك على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعنى القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله سواء فاذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فان الذى يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط (وقال) فى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية اعلم ان الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط الا حفظه قبل اصطفائه من الغوص فى علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الايمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صاحب النظر العقلى وان سعد لا يكون أبدا فى مرتبة الساذج الذى لم يكن عنده علم بالله الا من حيث ايمانه وتقواه وهذا هو وارث الانبياء فى هذه الصفة قال وما بلغنا أنه تقدم لنبى قبل نبوته نظر عقلى فى العلم بالله أبدا ولا ينبغى له ذلك قال وكل من تقدم له من الاولياء النظر العقلى فليس هو ممن أورثه الله الكتاب وأطال فى ذلك

توبتهم

توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها الا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من أجل ان الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لابد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد اليه عقله بعد الزلة ومعلوم ان الندم هو معظم أركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الاركان وقد ورد أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال يارب اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل أما أنت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت وأما بنوك فمن أتاني لا يشرك بي شيأ غفرت له ذنوبه فهذا كان أصل مشروعية الحج وتعلقه بالا كل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالا كلة المذكورة فهو أن الانسان اذا أكل حجب واذا حجب خاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعي دفعا للحيف والجور فان الانسان اذا حجب ربما أكل أموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان و يبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين الا ان راباهم وربما باع وندم أو اشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الاموال واحتكر الطعام على الناس لغلاء السعر بعثه بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع أو الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشتري أو اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له أحكام باب بيع الاصول والثمار وأمر باعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع اليهم عند التنازع كما هو الغالب على أهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الا كل فانه لما أكل حجب عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم حجاب أمته بالا كل عن ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة باخوة الاسلام وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه دون الناس ولا يجد لها قضاء حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فان الله تعالى قد جعلها له قياما وأصل وجود السفه في الانسان انما هو من الا كل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وأمرهم ان يقروا بما عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الدار الآخرة وأصل ذلك كله حجابهم بالا كل عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته أن يضمنوا بعضهم بعضا و يصالحوا بعض دونهم اذا عجز المدون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن أمته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم في احياء الموات وأمرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع اخوانهم وأصل حجابهم الا كل فلولا الا كل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا في خير ولا يقعون في شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شيء من هذه الامور لعدم حجابهم وأما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبرا للخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا أعطاه حاجته أولا فأولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالا كل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما أكل حجب فشرهت نفسه عن أن يعطي غيره من ماله مورثه شيأ فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت أو غيره كالنافلة مع الفريضة لجبر خلل ما أخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه أي فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع

(قلت) وتقدم قبل الباب الثامن والستين وثلثمائة ان استدلال السيد ابراهيم بالكواكب (٦١) انما كان لاقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم * وقال للملك أن يعفو الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وافشاء سره والقدح في الملك * وقال في الباب السبعين وثلثمائة لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ولابد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع انه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائرا لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل الا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش واحاطة بالجهات كلها بقوله فاينما تولوا فثم وجه الله وبقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وحاصله ان الله خلق الامور كلها مراتب لا للاعيان والله أعلم * وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به كان له أجران اتبع جميع الانبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الايمان بهم لا أجر من عمل باحكامهم كلها فافهم * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة لو أن العاصي علم ان الله يؤاخذه على المعصية ولابد ما عصى فلا يصح أن يكون على بصيرة في العقاب أبدا قال وهذا هو

البيع كله ونعلقه بالاكلة المذكورة والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة فظاهر وذلك ان شهوة النكاح مانشأت الامن الاكل فلولا الاكل لما وجد فى الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عزابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعى شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحى من فعل ذلك بل أكثر الناس يستحون من ذكره فضلا عن فعله وأيضا فانما أمرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى فى حال جماعه كما يحضر معه فى حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وأيضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذراريناليستغفر والنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فاننا كالسبب لوجودهم فينا ومنا وليس علينا من أوزارهم شئ كما أنه ليس على آدم عليه السلام من أوزار أولاده المخالفين لامر الله عز وجل شئ ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وأن يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل فى الغرض بالنكاح * وأما حكم دفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من أولادنا * وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما أكل مالا ينبغى أظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا * وأما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالاكلة من الشجرة فلأن نفرة أحد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات انما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منهما الملك لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالاكل ماخفى عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه فى مهماته ليلا ونهارا * وأما وجه تعلق هدايا الاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالاكلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولى والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولى والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة أسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج وأصل وقوع المنغصات كلها من الاكل فانه اذا أكل حجب واذا حجب عمى عن اكرام أصهاره ومن أمره الله تعالى بهم والانهم من المسلمين وكذلك القول فى سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الاكل فلولا الاكل لما حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض النفسانية حينئذ وكذلك لولا الاكل لما أخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغى لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الانبياء والاولياء * وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالاكلة المذكورة فسببه أيضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطر جاعت جوارحه لخادمهم وبخر وكان من أقرب الناس اليه فى ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسرارى حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخلعها أو طلقها هو ابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن يتزوج أعلى منها وحلف ان لا يطأها فظاهر منها ثم اذا ذاقت نفسه من ذلك النكد والخصام ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكرا أو أنثى أو موت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به ولئلا يتزوج الانسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة بأجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل * وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين فانما كان ذلك لحجابنا بالاكل فانا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب ما احتجنا الى أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان فى الحق علينا لكونهما كانا سببا فى ايجادنا مع

الذى اجزأ النفوس على ارتكاب المحارم الامن جاءالله تعالى بخوف أوحياء أورجاء أوعصمة على الله خارجة من هذه الثلاثة ولاخامس لهذه الاربعة فتأمله وقال فى قوله تعالى وانشقت السماء فهى يومئذ واهية انما انشقت لذهاب عمدها الذى كان يمسكها وهو الانسان الكامل فاذا زال سقطت الى الارض والسماء معلوم أنها جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حلل جسمها حرالنار فعادت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور وسبحت فى النار لكن على غير الوجه التى كانت فى الدنيا عليه من السير وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان آخر من تقبض روحه من بنى آدم الانسان الكامل الذى يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لوقدر فقده وهذا هو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يبقى أحد على وجه الارض يقول الله الله فما أمسك الله تعالى صور السموات أن تقع على الارض الا لاجل هذا الانسان الموحد الذى لا يمكنه أن يتكلم بالنفى اذ ليس فى خاطره الا الله الواحد الاحد قال وهذا الذكر الذى هو الله الله هو ذكر الله الاكبر المشار اليه بقوله تعالى ولذكر الله أكبر ولا يعترض علينا بالمعطلة فانهم كالعضو الاشل من الانسان الكامل وأطال فى ذلك وقال فى قول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعم لهما اهم ومنا وغموم منا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا * وأما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شئ لا يستطيع أحدنا الاقامة عليه وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا الى البلاد البعيدة التي لا يستطيع أحدنا أن يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا متاعنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان أصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الا كل والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالا كلة المذكورة ومايذكر معها فهو ظاهر فان الانسان اذا أكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو أو جرحه أو شج الرأس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جناه فأحوج الناس الى ان تحلف خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة و يكثر من الصادقة وبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه أن يعطيه لاحد من عباد الله الان شفى الله تعالى مريضه أو ردضالته أو أخذ بيده في الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه انها تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته في الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الا كل ولو انه ترك الا كل جملة أوجاع وأكل سد الرمق أوالا كل الشرعي لضعفت جوارحه عن تعدي هذه الحدود التي قدمناها كلها بل ربما يكلمه أخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الا كل ماحجب العبد حتى ادعى الدعاوى الباطلة التي يقول الله فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو أنه كان لا يأكل طعاما أو أكل الا كل المشروع فقط لما وقع منه شئ من ذلك فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الصفات أن ينقادوا لاصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا لنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالا كل وانما شرع في بعض الحدود الكفارة بعتق أواطعام أو كسوة أوصوم لزيادة القبح في ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصي كما مرت الاشارة اليه في الكلام على صوم رمضان والله أعلم (وأما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الاولاد بالا كلة المذكورة) فهو أن سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير مافعل مع سيده من الخدمة ولولا أن الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالا كل عن ادراك القبح تحمل من الخلائق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وانما الملك فيه لله رب العالمين ولوان الله عزوجل جعل الرقيق خفيف العقل ماأدخله تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل في يدوليه لولاه لضاعت مصالحه فافهم ويؤيد ماقلناه حديث اخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم * وأما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع أمهات الاولاد بالا كلة المذكورة فهو أن السيد لما أكل مالا ينبغي حجب ونسي حقوق أم ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الا كل والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالا كلة المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه مانفذ شئ من الاحكام ولا أقيم شئ من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله وأصل الاختلال بذلك كله حجاب الخلق بالا كل فلولا الا كل ماتعدى أحد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان الانسان يعطي الحقوق التي عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الاولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة الى الحاكم ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وأيضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ماانتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ماحضرني الآن في حكمة وجود التكاليف التي جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى أعلم

بذكر الله على كل أحيانه أي في جميع الاحوال ففيها اثبات المجالسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه عزوجل في جميع الاحوال وجلوس كل عبد مع ربه على قدر ذكره له فاما علمت عائشة ذلك من طريق كشفها واما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأطال في ذلك * وقال خلق الله الارض مثل كرة وهي مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها الى بعض ولما خلق الله السماء بسط الارض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة مامادت فخلق الله الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة وجعل اطراف قبة السماء عليها قال وأما الزرقة التي ينسبها الناس الى السماء فانما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال اذا بعدت سودا وزرقا وهي بيض * وقال ماأخذ الله من أخذ من الامم الا في آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فان اليوم دائرة الفلك الاطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين الى آخر السنة فاذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعني زوجته وذلك لان أسباب التأثير الالهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وماأثرت فيه فدل على أن العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما اذ كان النكاح موضوعا للالتذاذ أو للتناسل أولهما معا أو في حق طائفة بكذا وفي حق أخرى بكذا وفي حق أخرى بالمجموع وكذلك اليوم في حق من أخذ من

(المبحث الثاني والاربعون في بيان أن الولاية وان جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهودا او وجودا)

فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو ان نوليا تقدم الى العين التي يأخذ منها الانبياء لاحترق وغاية أمر الاولياء انهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالاخذ عن الله أبدا وقد تقدم في المباحث السابقة ان جميع الانبياء والاولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام أو غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما أوحي به اليه وكذلك القول في الولي غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الالهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا صح للولي قدم الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة فهنالك يصح أن يرشد الامة المحمدية ويتصدر لدعائهم الى الله عز وجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني الآية فقد بان لك ان الولاية لا تلحق النبوة أبدا ومن قال من العارفين ان مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فراده كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات ان مقام ولاية النبي في نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام في الدنيا والآخرة والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد أحد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الانبياء فان هذا لا يقوله الا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الاولياء من ذلك وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح انها تفضل ولاية نبي فقال لم يرد لنا في ذلك شئ والذي نميل اليه أن ولاية كل نبي فاضلة على ولاية أعظم الاولياء وهو الذي يليق بمقامهم لان الولاية آخذة عن النبوة كما مر واعلم ان من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين أنه يقول مقام الولاية أتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه بري ممن ذلك فقد قال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم أن الحق تعالى قصم ظهور الاولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ولو أن أحدا من الاولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الى وحي على لسان غيره وانما غاية لطف الله تعالى بالاولياء انه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي اه وقال أيضا في الكلام على التشهد من الفتوحات اعلم أن الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وانه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا اه * وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق الارث النظر اليه كما ينظر من هو في أسفل الجنة الى من هو في أعلى عليين وكما ينظر أهل الارض الى كواكب السماء وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد أنه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد أن يحترق * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات اعلم أنه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الارث فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم على الماء * وقال في الباب السابع والستين والثلثمائة لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به اه فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه أنه يقول الولاية أعظم من النبوة والله تعالى أعلم

النار ولا أبالي اعلم ان الجنة دار جمال وانس ومنزل الهي لطيف واما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وانما كان الحق تعالى لا يبالي بذلك لان رحمته سبقت غضبه في حق الموحد دون أوفى حق المشركين ويكون المراد بالرحمة الايجاد من العدم لانها سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالي بما فعل بالفريقين قال ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الاخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالماخوذ فلولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى هو الله الواحد القهار اعلم ان القهر عذاب ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر في كل ما يقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال من هذه حالته مقيما في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة * قال وما رأيت لهذا المقام ذائقا غيري وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه أو

(المبحث الثالث والاربعون في بيان أن أفضل الاولياء المحمديين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين)

وهذا الترتيب بين هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعي عند الشيخ أبي الحسن الاشعري ظني عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومما تشبث به الروافض في تقديمهم عليا رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه حديث أنه صلى الله عليه وسلم أتى بطير مشوي فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فأتاه علي رضي الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأفرد له الحافظ الذهبي جزأ وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله في المستدرك ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهو نص صريح في أنه أفضلهم وفي البخاري عن ابن عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا وقال الشيخ أبو الحسن الاشعري ومما فضل به أبو بكر رضي الله عنه انه ما زال بعين الرضا من الله عز وجل أي بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اذ حكم السعادة دائر مع حكم التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذي جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب في زمن الفترة التي قبل النبوة حتى يتعلق به ايمان أبي بكر رضي الله عنه أو ايمان غيره فصح حينئذ قولهم ان أبا بكر ما زال بعين الرضا قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذي ذكرنا أما الصحابة فلانهم شاهدوا فضل أبي بكر بقرائن الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم وبفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى وأما التابعون فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم أعرف بعقائد الصحابة في أبي بكر وغيره * قال العلماء وانما كان أبو بكر يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خليفته في أمر الرعية واستخلافه للصلاة بالناس في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فأبو بكر أفضل الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخل في قولنا ان أبا بكر أفضل الاولياء المحمديين أولياء الامم السالفة فأبو بكر أفضل منهم بناء على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم في حق من تقدمه وفي حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا في الترجمة بعد الانبياء والمرسلين يعني الاحياء والاموات غير عيسى عليه السلام فانه أفضل من أبي بكر يقينا وكذلك خرج الخضر عليه السلام فان مقامه برزخي بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ في الفتوحات وعبارته ومقام الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما أخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال ويسمى مقام القربة وأنكر الامام الغزالي هذا المقام اه (قلت) وذكر النووي في تهذيب الاسماء واللغات ما نصه الخضر عليه السلام نبي وانما اختلف في رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته اه والله أعلم وعبارة الشيخ في الباب الثالث والتسعين من الفتوحات اعلم أنه ليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من أبي بكر غير عيسى عليه السلام وذلك أنه اذا نزل بين يدي الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر في زمرة الرسالة بلواء الرسالة وحشر في زمرة الاولياء بلواء الولاية اه وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته الذي يتجه ان عيسى عليه السلام لا يعد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل في دعوته فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة اه وقال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته و يعتقد أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من سائر الامة المحمدية وسائر أمم الانبياء وأصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى في ميثاق الانبياء ولذلك كان أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الشيخ في الباب الثالث وثلثمائة من الفتوحات اعلم أن السر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه وفضل به على غيره هو القوة التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة

فيه أو من غيره أو في غيره فان اقتضى ذلك الواقع التغير له تغير لطالب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لانه هو الواقع اذ ذاك وليس بمقهور فيه بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل قال وايضاح ذلك ان الانسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لامر ما واذا كانت حقيقة الانسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين الا من جهة واحدة وهو أن يكون متعلق طلبه ما يحدث الله في العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر فللخير الرضا والفرح وللشر السخط والكراهة ومن عرف هذا الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال فقال لمن قال له ما تريد أريد أن لا أريد وانما الحق انه كان يقول أريد ما تريد فيتصف بالارادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مراد معين وأطال في ذلك * وقال الرؤية لله تعالى لا تكون بالطلب لانها امتنان من الله تعالى وما كان امتنانا لا يصح طلبه انما يصح طلب ما كان سعاية وأطال في ذلك ثم قال واذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لان مطلوبه من المرئي انما هو أن يراه على ما هو عليه في نفسه وذلك محال فان التجلي لا يقع للعبد الا على صورة علمه به والا أنكره فما تجلى تعالى لطالب الرؤية الا في غير ما طلبه فلهذا كانت الرؤية اذا وقعت امتنانا على العبد

فقوى حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضي الله عنه هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهية بعض الناس فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض كرها لا طوعا فكيف بحال أبي بكر أو غيره فعلم أنه لا بد من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فبتقديم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في خلافتهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة أهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور كان ترتيب الخلفاء الاربعة كما ذكرنا متعينا الترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامة وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته اعلم أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلالة مجموعها على تقديم أبي بكر حتى يظهر ذلك للواقف عليها كفلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على امارته وكانت امارة علي رضي الله عنه باجماع كبراء المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضي الله عنهم اه كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة مما يدل على فضل أبي بكر رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد أبو بكر الى جانب الحق جل وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا مخلصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أبو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شيء يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه ما من أحد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل نظر من ذلك أو متأولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه بشيء في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر أنه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم أنه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة وبلغت فيه الغاية فانا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شيء من دعوى الربوبية على شيء من العالم قال ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري أنه قال لو اجتمع الناس على أن ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخشية والتواضع لم يستطيعوا فانا وان كان الناس يستفيدون مني العلوم فانا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ في كتاب لواقح الانوار أن الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما أخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته

لا استحقاقا وجزاء ثم اذا وقع الالتذاذ بما رآه وتخيل انه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلي امتنانا الهيا وأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كتنعيم أهل الجنان قال وهذه مسئلة ما نبه عليها أحد غيري فيما اعلم وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اعلم ان كل جاهل متنعم بجهله بالامور ولكن لا يعلم انه جاهل بها فانه لو علم ان ثم علما خلاف ما يعلمه هو لادركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا وانما ذلك في الآخرة وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم * وقال في قوله تعالى في المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم اعلم ان المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فاذا انقلب تخلص الى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للايمان اذ لو تخلص هنا للايمان ولم يكن برزخا لكان اذا انقلب لا ينقلب الا الى الله في دار كرامته فما أخذ المنافق الا بامر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فلو أنهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم أي لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم انما نحن

(فان

(فان قلت) فهل فى الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تفاضل فى الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذى وقر فى قلب أبى بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر وقال فى الباب التاسع والثمانين اعلم أن رأس الاولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون فى الاسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون فى العلم وفى العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الامام أبى بكر رضى الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفى من أحواله فكانت أعماله قلبية مع أن كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضى الله عنه قال الشيخ رضى الله عنه ومما يدل على تفضيل أبى بكر على عمر رضى الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت فى الاحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شئ يقوتهم فأتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا أبا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضى الله عنه بذلك فأتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث وقال الشيخ فى الباب الثامن والاربعين ومائتين وجه التفضيل أنه صلى الله عليه وسلم لم يحد لهما فى مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه والا فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبى بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الا بيان ظهور فضيلة أبى بكر على عمر رضى الله عنهما قال وفى قول أبى بكر تركت لاهلى الله ورسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فتح الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر أنه رد على أبى بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضى الله عنه ترك رسول الله لاهله بقولهم فما حكم أبو بكر فى ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا أخى ما أشد معرفة أبى بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل أنه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا أسبق أبا بكر بعد اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على أبى بكر شيأ من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق أبى بكر فى المحبة فانه لو رد على أبى بكر شيأ من ماله لتطرق الاحتمال فى حق أبى بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على أبى بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فانه جاء مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه أنه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه اه وقال الشيخ فى بعض كتبه اعلم أن استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف بامور منها نص من يجب قبول قوله من نبى أو امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم عمر بنص أبى بكر رضى الله عنه عليه * ثم عثمان بنص عمر عليه ثم على بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم على المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بنى أمية وبنى مروان حتى انتقلت الخلافة الى بنى العباس وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى أن جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام على رضى الله عنهما باطل ويلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضى الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول تقديم أبى بكر فى الفضل على عمر قطعى وتقديم عمر على غيره ظنى قال والذى اطلعنا

مستهزؤن فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فما أخذوا الا بما أقروا به والا فلو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا ألا ترى ان الله تعالى لما أخبر عن نفسه فى مؤاخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما أخذهم بقولهم انا معكم وانما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم انما نحن مستهزؤن كما مر وفى الحديث مداراة الناس صدقة والمؤمن يدارى الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيأ من الاستهزاء فيجنى ثمرته قال فتفطن لذلك فانه سر غامض فى القرآن ووضوحه اخفاه وانظر الى صورة كل منافق تجده ما أخذ الا بما زاد على النفاق قال فالمؤمن المدارى منافق لكنه ناج وفاعل خير لانه اذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض الى ذكر الفريق الآخر الذى ليس بحاضر عنده فاذا انقلب الى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن فى الحالتين مع الله عز وجل وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وذلك عين المداراة فانه يتخيل فى ذلك المقام انك معه * قال الشيخ رحمه الله ولما صح لى هذا المقام واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة الا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا الى شفاعة فى أحد قط وذلك انى كنت أبسط للملك بساطا استدرجه فيه حتى يكون هو السائل فى قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال ولقد كلمت السلطان

الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا ابراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمار التي قدرها الله عز وجل أيام ولاية كل واحد على التعيين مع أن كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله أنه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر أن المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد له من الولاية عند الله تعالى فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم ان الخلفاء الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب أعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق في علم الله تعالى ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة قال وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو قدر ان الناس بايعوا أحدا من الثلاثة دون أبي بكر مع كونه لا بد لأبي بكر من الخلافة في ذلك الزمان فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وان قدر خلع أحد من الثلاثة وولي أبو بكر الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان قدر ان من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير ان يلي الخلافة وقد سبق في علم الله انه لا بد له أن يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك الامع وجود نص صريح مع اننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الاربعة كما عليه الجمهور وانما خالفناهم في علة التقديم فهم يقولون هي الفضل ونحن نقول هي تقدم الزمان ولو أن كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منه ولا قائل بذلك من المحققين اه فليتأمل ويحرر قالوا وأفضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض في تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الاولياء * وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من أهل بدر أو من أهل أحد أو ممن صلى للقبلتين في ذلك أقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه *(خاتمة)* ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السادس والاربعين وثلثمائة ان أهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة في العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب التابعين في العمل (فان قيل) فما الحكمة في كون الصحابة أقوى في الايمان مع انهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ورأوا معجزاته وأخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب أشد في حق صاحبه من الايمان بالحاضر (فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى أمة رسول من جنسها ثار الحسد في الناس فلم يؤمن به الا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشغوف ولا سيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول الاسلام وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم مانعا لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار لنا ففاقونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك فالحمد لله الذي جاء بنا في الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه

الملك الظاهر بامر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب في حوائج كثيرة للناس فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معي ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لي قال ومن علم ان الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جدا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وثلثمائة وجه من قال انه ليس للحاكم ان يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة الا بعد اقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام في الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ومن هنا يعلم ان الحق تعالى لا يؤاخذ عباده الا على صورة ما شرعه لهم في الدنيا ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر ربه رب احكم بالحق يعني بالحق الذي بعثتني به وشرعته لي أن أحكم به فيهم أي لانه رحمة فسأله الرحمة لامته بهذا القول على سبيل التضرع * وقال فيه في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحوهما من الآيات اعلم ان للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لانه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده فله تعالى ان يخلف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر اذا لم يقم به عقوبة له حيث أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه وزاحم في التشريع ولهذا نهى الشارع

عن النذر فانهم ثم اذا وفوا بنذرهم أجرهم الله عليه ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة

منقولا في أوراق سواد في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانعرف كيف تكون أحوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم تغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة والصحابة رضي الله عنهم فوقنا في كل علم وايمان وآراؤهم عندنا أجل من آرائنا لانفسنا انتهى

(المبحث الرابع والاربعون في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون)

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا لاحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد فان تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور وقال ابن الانباري وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شئ يقدح في عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض أهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا ومن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لاسيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسئلة نزاعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة نزاع بين أولاده وأصحابه قال الكمال بن أبي شريف وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان رأى ان تأخير تسليمهم أصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب أمر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى* (خاتمة)* قال العلماء ويجب اعتقاد براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ما قاله المحدثون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجوب محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص ونكره كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان من أعز أصحابنا وفاء بقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف أو طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والاربعون في بيان ان أكبر الاولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم القطب ثم الافراد على خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضي الله عنهم أجمعين)

فاما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يمكن القطب أن يقوم في القطابة الا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل الم والمص ونحوهما فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا قد ادعوا

*وقال في حديث يقول الله عزوجل يوم القيامة أكملوا العبدي فريضته من تطوعه أي ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذي في النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التي في النوافل كل شئ بمثله *قال واعلم ان النوافل هي كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فان لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة في الاجر ليست للنوافل *وقال في حديث لا يقبل من صلاة الرجل الا ما عقل منها اعلم ان في حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين اشارة الى أن أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فانه قال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وما ذكر النصف الا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعيناه في جميع أفعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الاعمال فاما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث الرحمن الرحيم الرابع مالك يوم الدين الخامس اياك نعبد السادس واياك نستعين السابع اهدنا الصراط المستقيم الثامن صراط الذين

القطبية وليس معناعلم يرده واهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمس عشرة علامة أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليها انتهى * وقال في الفتوحات في الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفي الروحانية حقها على الحد الالهي يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده حاله دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والاشخاص تأتيه الارواح في أحسن الصور يذوب عشقا يغار لله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق في المظاهر من غير تقييد لا تظهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه صاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته الا لضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الى الله تعالى في حاجة طبيعته لانه مسؤل عنها ومتولى عليها ثم ينتظر الاجابة عن الله فيما سال فان شاء تعالى أعطاه ما سال عاجلا أو آجلا فمرتبته الالحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الاحوال فان الاشياء كلها تتكون عن همهم لان الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم في الجنة فهم بائنون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فان أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شئ من خرق العوائد الا في النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا أو يصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شئ أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلوم أمر في هذا المقام جهله أكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الاكثار منها * واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك وأطال الشيخ في ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل الاربعة دنانير التي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضي الله عنه * وقال الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقي الله عز وجل فهو كالحاجب الذي ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى الا صفة الخطاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب في توليته الى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب

أنعمت عليهم التاسع غير المغضوب عليهم ولا الضالين فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه التسعة الاقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر الى النصف فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فان حكم الله تعالى في الاشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده الى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست بآية منها جعل الله الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فانها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام انه لا يقبل منها الا ما عقل فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيئا في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فان لم تف قراءتها في النوافل فما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وان كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو ذلك المطلوب له الا

السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم أن الحق تعالى لا يولى قط عبدا مرتبة القطابة الا و ينصب له سريرا في حضرة المثال يقعده عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبئ صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى علما بكل شئ ولله المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الاسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حلاوزينة متوجا مسورا مدملجا التعمه الزينة علوا وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم بيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره ودخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بامر الهي ظاهر على لسان رسول واعلم أن أول من يدخل عليه الملأ الاعلى على مراتبهم الاول فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شئ الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لها طعما لعدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا ويسأله عن مسئلة من العلم الالهي فيقول له يا هذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسئلة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا أحد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد أن جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الاول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا العالين من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذ هم كل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضى أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وانما هو بسبق العلم فيه بان يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب أن يختلى بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء أبدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد فقط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ما ورد في الآخرة من أن الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهموا واكتم اه * ثم اعلم أنه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب أن يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف أيضا قطب الوقت كابي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم أن القطبية كما أنها قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين * قال الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد الاربعة فسألته عن مقام الامام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم المراد بأولي الامر الاقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا ما مورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا أمرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فيحصل لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة

باعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من (٧١) رؤية صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه علما ضروريا من غير سبب ظاهر ان ذلك المرئي هو الرسول ان كان الرسول أو الحق تعالى ان كان هو الحق وذلك لوجدانه حقا في نفسه مطابقا لما هو الامر عليه فيما رآه هكذا العلم بالله فلا يدرك الا هكذا وأما النظر والفكر فلا * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم فاقول سحقا سحقا يعني في حق الطائفة الذين أخذ بهم ذات الشمال انما قال صلى الله عليه وسلم وهو الرؤف الرحيم سحقا سحقا لان من كان عالما بالامور لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت ولذلك قالوا الصوفي ابن وقته ثم انه اذا زال الحال تلطف في المسئلة وتشفع في كل موحد هو تبه الريح من أمته في مكان سحيق * وقال في قوله تعالى واذا الارض مدت اعلم ان مد الارض هو ندكدك جبالها حتى تصير أرضا فما كان منها عاليا في الجو اذا انبسط زاد في بسط الارض قال ولهذا جاء في الخبر ان الله يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شئ لم يكن في عينه فما زاد الا لما كان فيه من التقبض والتثنى فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك التثنى الذي كان فيه فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى يبسطه فزاد فيها ما كان من طولها من سطحها الى القاع منها كما يكون في الجلد سواء فلا

منه بامر هـذا الامام الذي بايعتـه وأطال الشيخ في ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المـراد بقولهـم القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسـبعين من الفتوحات أن المراد به أن العالم لا يخلو زمانا واحـدا من قطب يكون فيـه كما هو في الرسل عليهم الصلاة والسـلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسـل الاحياء باجسادهـم في الدنيا أربعة ثلاثة مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحـد حامل العـلم اللـدني وهو الخضر عليـه السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفي له أربعة أركان كاركان البيت وهم الرسـل والانبياء والاولياء والمؤمنـون والرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجـلاله ومن هذا القطب يتفرع جميـع الامداد الالهيـة على جميـع العالم العلوي والسفلي قال الشيخ محـيي الدين ومن شرطـه أن يكون ذا جسم طبيـعي وروح ويكون موجودا في هـذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجودا في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم بعـد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلهم في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حي بجسمه اذ هو قطب العالم الانساني ولو كانوا في العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس في السماء الرابعة وعيسى في السماء الثانيـة والياس والخضر في الارض ومعـلوم ان السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها صورة فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الآخرة فان في يوم القيامة تبدل الارض غـير الارض والسموات يعني يبدلن بغـيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السـعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهـي نشأة طبيعيـة جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبـار وقد أبقى الله في الارض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون في الارض بالدين الحنيفي فما زال المرسلون ولا يزالون في هـذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السـلام وهو أحـد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهـم هما الامامان وأربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابـع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحـد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة في كل زمان شخص على قلبـه نائب عنه مع وجودهم وأكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد الا النواب لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهـذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا خصوا بها عرفوا عنـد ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقي في سري من اظهارها ما أظهرتها اهـ (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهـم بالقطب في عرفهـم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون في هذا الاطلاق فيسمون القطب في بلادهم أو بلدهم كل من دار عليـه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان الا واحـد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمي وسيدي أحمد الزاهد وسـيدي مدين واضرابهـم (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون أحـدهم قطبا فان مقام القطبانيـة عز وجـل ان يلمح سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به وما ظهر على يديهـم من الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطب بضعة عشر عالما احاطيا الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم

وهذا

ترى في الارض هنالك عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله في الفصل والقضاء في عباده وأطال في ذلك

* وقال في الباب التاسـع والسـبعين وثلثمائة انما سمي القرآن قـرآنا لانه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم يـنزل فيها ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحـة ان الله تعالى أعطاها نبيه محمدا صلى الله عليه وسـلم خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فـلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة الا في القرآن خاصة

* وقال في قوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحـد وان أباكم واحد انما لم يقل صلى الله عليه وسـلم ان أبويكم اثنان يعني حواء وآدم كما وقع في الظاهر لان حواء عين آدم اذ هي عين ضلعه فلم يكن الا أب واحـد في صورتين مختلفتين وليس أبوك الا من أنت عينه فما ثم الا أب واحد وأطال في ذلك

* وقال في حـديث حبب الى النساء والطيب لم يبين صـلى الله عليه وسـلم من حبب اليه ذلك ولكن نحن نعلم يقينا من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى اليـه ذلك فانه معصوم عن ان يحب لطمع أو طبع أو حذر فعـلم أن من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلا فليس بوارث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وسيأتي معنى وجعلت قرة عيـني في الصلاة في الباب

وهذا أمر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور فالجواب هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات ان الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب المكملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدسي في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء الماضي والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرافي والواسع والبحر والمنصف والهادي والاصلح والباقي فهؤلاء هم الاقطاب الذين هم والنامن آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة واعلم أن لكل بلد أو قرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه * قال الشيخ وقد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام التوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الاندلس وصحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار على أن أستره عن الحاضرين ففعلت (فان قلت) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي (فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الى يوم الى ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الارضية كلها ملوكها ورعاياها * وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا أقطابا بلا شك انتهى * وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم أن بالقطب يحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء لانه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فان قلت) فهل للقطب تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده (فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض الاقطاب سأل الله أن تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر وأما الارث الباطن فذلك الى الله وحده الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى نعم لم انه ما حفظ من حفظ من الاولياء وغيرهم من جهاته الاربع الا بالاوتاد الذين كان منهم الامام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قدرة تمد من روحانية الانبياء الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء قال وكذلك امداد الايام السبعة تتنزل من هؤلاء الابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل (فان قلت) فهل يزيد الابدال وينقصون بحسب الشؤون التي يبدلها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون (فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب

الثامن والثمانين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم انه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بادراكه دون الاخبار فان ذلك ليس بوراثة وانما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بادراكه من حيث نظرها بل تحكيه بادلتها فاعلم ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين وثلثمائة انما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لان مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية فان هممهم منحصرة الى غايات ونهايات فكلما وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا اليها بدايات لهذه الغايات الاخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ولا يزال هذا الامر لهم دائما بخلاف الكمل من الرجال * وقال فيه اعلم ان للخيال سلطانا عظيما على الطبيعة حتى انه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الاسلام قبة والقرآن سمنا وعسلا والقيد ثباتا في الدين قال ومن أراد نجابة ولده فليقم في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وان أراد أن يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلا من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضا الامر أنه ويستفرغان في النظر الى حسنه فانه ان وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه

السيارة من الامور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة (فان قلت) فلم سموا أبدالا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين أنهم سموا ابدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي أنه ذلك البدل (فان قلت) فهل ترتيب الاقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة له فالاقليم الاول للسماء السابعة وهكذا (وايضاح ذلك) أن تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الارض التي نحن عليها سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الابدال وجعل لكل بدل اقليما يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الاول ينزل الامر اليه من السماء الاولى التي هي السابعة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثاني ينزل الامر اليه من السماء الثانية وينزل اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الامر الالهي من السماء الثالثة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب هرون ويحيى بتاييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم الرابع ينزل اليه الامر والنهي الالهي من السماء الرابعة قلب الافلاك كلها وينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الى الآن والاقطاب فيه نوابه كما مر والاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السماء الخامسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام بتاييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل اليه الامر من السماء السادسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من السماء الدنيا وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام * قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الابدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هنالك فسلمت عليهم وسلموا على وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا أكثر شغلا منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم الا سقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضي الله عنه وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الاولياء في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم

(المبحث السادس والاربعون في بيان وحي الاولياء الالهامي والفرق بينه وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك)

اعلم ان وحي الانبياء لا يكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة وأما وحي الاولياء فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي حينئذ متخيل والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيرا للاولياء وبه كان يوحى لابي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة اه (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) ان علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا انها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها الا ان وافقت الشريعة التي بين أظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فالهمني الله تعالى اني قلت لها انوى

بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولابد فان لم يخرج كذلك فانما هو لامر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الامر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران قال ويعبر عما ذكرناه عند العامة بالتوحم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في اخلاقه على صورة ما تخيلاه حسنا وقبحا وأطال في ذلك ثم قال وتامل كيف أثر الخيال في زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولا يعني منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله أن يهبه ولدا من لدنه ولما يأتي من عنديه الله من حيث الرحمة واللين والعطف وكانت مريم في خياله من حيث مرتبتها فجاء يحيى على صورتها حصورا أي منقطعا عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال قال واسمها حنة ومريم لقب لها * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة في قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اعلم ان الحق تعالى ختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه أنه رب اله بل كل أحد منهم يعلم من نفسه أنه عبد ذليل مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار أن لا يدخله كبرياء الهي أبدا الختم على باطن كل عبد أن يدخله تأله وأما الالسنة فلم تعصم

بقلبك

يقابل أنه اذا فتح الله كفك أن تبتلعها فنوت وقربت يدها الى فيها فدخلت الورقة فى فيها فهرأعلها فقالوا لى
بم عرفت ذلك فقلت ألهمت ان الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحدا عليها قال وقد أطلعنى الله تعالى على الفرق
بين كتابة الله تعالى فى اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه اه
(فان قلت) فما حقيقة الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان
حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة فى غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود منها
ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التى هى الوحى فانها ذات المشار اليه والوحى هو المفهوم الاول والافهام
الاول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخى معرفة هذه
النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذى يكون للاولياء ألا ترى أن الوحى هو السرعة ولا أسرع
مما ذكرناه اه (فان قلت) فما صورة تنزل وحى الالهام على قلوب الاوليا (فالجواب) صورته أن
الحق تعالى اذا أراد أن يوحى الى ولى من أوليائه بامر ما تجلى الى قلب ذلك الولى فى صورة ذلك الامر فيفهم من
ذلك الولى التجلى بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولى به من تفهيم معانى كلامه أو كلام نبيه
صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولى فى نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبى صلى الله
عليه وسلم العلم فى الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم فى شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من
الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا فى خاطرى ولا يعلم من أتاه به ولكن
من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال فى ذلك فى الباب الثانى عشر وثلثمائة * وقال
فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم أنه لم يبق لنا خبر الهى أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى
تشريع أبدا انما لنا وحى الالهام قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحيا
أبدا وقد جاء الخبر الصحيح فى عيسى عليه السلام وكان ممن أوحى اليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
اذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا الا بنا أى بشريعتنا وسنتنا مع أن له الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذى
يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهى (فالجواب) نعم وهو كذلك اذ هو اخبار
من الله تعالى للعبد على يد ملك غيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الالهام بلا واسطة أحد (فالجواب)
نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذى بين كل انسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم
هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى
فى انكاره أن الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق فعلم أن
الرسول والنبى يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى اليهما وغير الرسول يحس باثره ولا يراه فيلهمه
الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الالقاء وأشرفه
اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع فى هذا الرسول والولى أيضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد
(فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها أى ان الله تعالى ألهم النفس فجورها
لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق
ولذلك قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الحاق خفى بازدحام فقد ألحق هذا الجاهل العمل بالفجور
بالعمل بالتقوى وما فرق فى مواضع التفريق فاخطا قال وسبب خطئه رميه ميزان الشريعة من يده ولو أن
الميزان كانت فى يده لرأى أنه مامور بالتقوى منهى عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) فقد ذكر
الغزالى فى بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحى على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان
الولى يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبى لا بد له فى الوحى من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله
الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة أن ذلك غلط والحق ان الكلام فى الفرق بينهما انما هو فى كيفية ما
ينزل به الملك لا فى نزول الملك اذ الذى ينزل به الملك على الرسول أو النبى خلاف ما ينزل به الملك على الولى التابع
فان الملك لا ينزل على الولى التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه لحديث قال العلماء بضعفه

من التلفظ بدعوى الالوهية كما تعصم الانفس ان تعتقد الالوهية فى غيرها فعصمت ان تعتقدها فى نفسها دون أمثالها وأطال
فى ذلك * وقال من أراد
الدخول الى فهم كلام ربه
فليترك عقله ويقدم بين
يديه شرعه ويقول لعقله
أنت عبد مثلى كيف أترك
ما نسبه الحق الى نفسه
لعجزك عن تعقله مع انك
قاصر عن معرفة ربك ولو
ألزمت نفسك الانصاف
لالزمت حكم الايمان
والتلقى وجعلت النظر
والاستدلال فى غير ما لم يرد
عن ربك وأطال فى ذلك
* ثم قال فى قوله تعالى ما يأتيهم
من ذكر من ربهم محدث
اعلم انه لا يلزم من حدوث
الامر عندك أن يكون حادثا
فى نفسه لا عقلا ولا عرفا ولا
شرعا فانك تقول حدث
عندنا اليوم ضيف وهو صحيح
حدوثه عندك لا حدوثه فى
نفسه ذلك الوقت بل كانت
عينه موجودة من قبل
بنحو سبعين سنة وأكثر
وأطال فى ذلك وقد ذكرنا
ذلك أيضا فى أجوبة شيخنا
والله أعلم * وقال فى قوله
تعالى منه آيات محكمات هن
أم الكتاب وأخر متشابهات
اعلم ان المحكم من الآيات
كله عربى والمتشابه كل
موسوى لانه أعجمى
والعجمية عند أهل العجمية
عربية والعربية عند
الاعاجم عجمية وما ثم عجمة
الا فى الاصطلاح والالفاظ
والصور الظاهرة وأما
المعانى فلا عجمة فيها بل
كلها عربية فمن ادعى علم المعانى وقال بالتشابه فلا علم له أصلا بما ادعى انه علمه من ذلك فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لانها بسائط

مثلا فيخبره ملك الالهام بانه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لا مطلقا وقد ينزل الملك على الولي ببشرى من الله بانه من أهل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده قال الشيخ وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بانفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بان زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا فلله الحمد (فان قلت) فهل ينزل ملك الالهام على أحد من الاولياء بامر أونهي (فالجواب) أن ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بامر ونهي أبدا وانما للاولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له وهي حق ووحي غالبا لانها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحي المبشرات في غير النوم كما هو في النوم (فالجواب) نعم وعلى كل حال فهي رؤيا بالخيال وبالحس لا في الحس والتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من تخارج تمثيل روحاني أو هو التجلي المعروف عند القوم اذا كان المزاج مستقيما سماها بالحق وهو خيال حقيقي وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه في فعله أمرا من الامور ما فعلت ذلك الا بامر من الله تعالى كما نقل عن سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أنه ما قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى الا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح (فالجواب) الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن يطلق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى أمره بشيء فهو تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) أنه ليس في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء الا سماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشيء كان لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم ان المناجاة لا أمر فيها ولا نهي انما هو حديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف انه مأمور بامر الهي مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن أن بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن أن الحق تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالاحكام الشرعية لا شرعا جديدا فان ذلك باب قد أغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (فان قلت) فاذن وحي البشائر هو الاعم الاغلب (فالجواب) نعم اذ هو الوحي الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فيناجيه منه في سر محال وجوده وغيره فلا يجد أحدا أقرب اليه من الله تعالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين اعلم أن الفرق بين وحي الاولياء ووحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون الملك النازل بخلاف النبي والرسول فان شهد الولي الملك لا يشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لا يشهد الملك فيعلم أنه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولي وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما أغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة في دعائهم الى الله بها كما كان موروثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى

وثلثمائة في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لبلال يستفهمه بم سبقتني الى الجنة مع أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن السبق له هو أي بم صرت مطرقا بين يدي في الجنة كالمطرقين في الدنيا بين يدي الملوك قال فافهمنا صلى الله عليه وسلم أن من فعل مثل بلال من أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبلال الاولية وغيره تبع له * وقال في الباب الخامس والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم ان الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تعقل موجدها الا على ما تصورته في نفسها خاطبها بذلك ولو انه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة يعني مصدقة بوجود الله ولم يقل انها عالمة لانها صدقت قول الله تعالى وهو الله في السموات ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء فعلم ان للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلا لعقله والجاهل لا يقدر على

قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو أخذ لا يتطرق اليه تهمة قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فباطنك ٣ بعلم علم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الاصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل وأما في الاصول فلما يتطرق الى الناظر في الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخلل وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين أى حق استقراره في القلب فلا يزلزله شئ عن مقره يقال قر الماء في الحوض اذا استقر وهنالك يحصل له السكون والاستقرار و يزول التردد والاوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار ان أضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان أضيف الى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وان أضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان أضيف الى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين لما أغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم و بين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان ابقى عليهم اسم الولى الذى هو من جملة أسمائه تعالى جبرا لمصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول اللذين لا يليقان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمته من تجرع كاس انقطاع الوحى والرسالة جعل لخواص أمته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا تبعا له صلى الله عليه وسلم اذ أشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فامرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها يعنى حرفا بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربهم بالالفاظ الذى يلقيه الله اليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التى سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروى الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكأنه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة فى صفوف الرسل الامن بلغ الوحى من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحى على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا فى المبلغ الينا انه رسول رسول الله وان شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل أو ملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن تسمية العبد بالولى ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد أن لا ينقص وليامن مقام عبوديته فليسمه محمدنا بفتح الدال المهملة فانه أولى له من اسم الولى انتهى (فان قلت) فهل جميع الاولياء يعرفون الروح النازل عليهم (فالجواب) ليس كل الاولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدرى عمن جاءته كما يقع للكهنة وأصحاب الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الافهام فكل هؤلاء يجدون العلم فى قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالادب و يأخذون عنه الادب رضى الله عنهم أجمعين * وقد قال الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الاجوبة عن أسئلة الحكيم الترمذى اعلم ان مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم فى نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال ورأس المحدثين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والناس كلهم من الامة ورثته فى ذلك (فان قلت) فبم يحفظ الولى من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحى الالهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له فى ذلك علامة بينه و بين الله عرف الوحى الحق الالهامى الملكى من الوحى الباطل الشيطانى وحفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل قال الشيخ فى الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كابى حامد الغزالى وابن سيدلون رجل بوادى اشت قولهم اذا رقى

بعبة العالم بغير تنزل قال وايضاح ما قررناه فى الاينية ان الشرائع كلها انما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطؤ فى ألسنة الامم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ماهى الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تعالى تابع لهم فى ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وما وعد به وأوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الاينية فى حق الحق الامن أجل التواطؤ الذى عليه لسان المرسل اليهم قال ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلى بجهل القائل فانه لا أينية لله تعالى فلما قالها الرسول و بانت حكمته وعلمه علمنا انه تنزل للعبارية والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة ليس المراد به المناجاة وانما المراد به شهود من ناجاه فيها قال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله فى قبلة أحدكم * وقال اعبد الله كانك تراه خطابا لمن ليس فى مقامه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان يراه فى عبادته ما كان كانه يراه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة سالت شيخنا عن هذه الزيادة فقال ما لا يخطر بالبال * وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى فنكر ونفى العلم بما أخفى لهم من قرة أعين فعلمنا على الاجمال أنه أمر مشاهد لكونه قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادراكات وفى الحديث أن فى الجنة ما لا عين رأت ولا

الولى من عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لانه حينئذ فى عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هنالك حق قال الشيخ محيي الدين وهذا الذى قالوه ليس بصحيح وانما يصح ذلك أن لو كان المعراج باجسامهم مع أرواحهم ان صح أن أحدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت وجسده فى بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا أن يكون له علامة فى ذلك كما مر وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أن الشيطان لا يزال مراقبا القلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لان له حرصا على الاغواء والتلبيس لعلمه بان الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجى ويقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظا وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل الى جسد ذلك العبد فيظهر له فى صورة الحس أمورا عسى يأخذه بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فاذا عجز عن أن يوقعه فى شئ يقبله منه بلا واسطة نظر فى حال ذلك الولى فان رأى ان من عادته الاخذ للمعارف من الارض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فان أيد الله تعالى ذلك العبد رده خاسئا لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس ما ألقاه اليه من الله لا من ابليس فيرده أيضا خاسئا وكذلك ان رأى ابليس أن حال ذلك الولى الاخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التى يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه فى شأن الارض المتخيلة والاصلية وان رأى ان حال ذلك الولى الاخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى اليه ما عرف ان ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه ابليس ويرمى ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان أن حال ذلك الولى الاخذ من العرش أو العماء أو الاسماء الالهية ألقى اليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والثمانين ومائتين (فان قلت) فهل يصح ان الحق تعالى يمكر بابليس فيجعله طريقا لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح أن الله تعالى يمكر بابليس كما ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين وعبارته واعلم ان من مكر الله تعالى بابليس أن يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر ابليس وذلك انه يوسوس فى قلب العبد بلمته فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته ابليس الاجر فلو علم ابليس أن ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما ألقى اليه شيأ قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذا المكر أبدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم باحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار فى صلاة الكسوف ورأى فى النار عمرو بن لحى الذى سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التى حبستها حتى ماتت وفى بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار فى عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والاربعون فى بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضى الله عنهم أجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء فى المعارف والاحوال التى ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لا بد لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه فى كل منزل من العلوم ما لا يحصى قال الشيخ محيي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها أحد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * وقال فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت أظن قبل أن يطلعنى الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كونى وارثا لهم أن من الادب أن يقال فلان على قدم الانبياء ولا يقال انه على قلبهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الانبياء لنالوا ما نالته الانبياء أصحاب الشرائع

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون البشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذى لم يخطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول * وقال كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة مع عدم معرفة العلة أطهر من العمل المعلل فان العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة واذا لم يعلل لم يقمه الى ذلك العمل الا العبادة المحضة امتثالا لامر الله لا غير (وقال) ثم مقام للانبياء يطلب منهم أن يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلب موسى الرؤية وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة من أراد فهم المعانى الغامضة فى الشريعة فليتعمل فى تكثير النوافل فى الفرائض وان أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى اذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فانه اذا فعل ذلك أحبه الحق واذا أحبه صار من أهل الله كاهل القرآن واذا صار من أهل القرآن كان محلا لالقائه وعرشا لاستوائه وسماء لنزوله وكرسيا لامره ونهيه فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال فى ذلك * وقال فى

قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اعلم ان الانبياء لا انهم زم ولا تقتل في مصاف وقد وصف الحق رسول

فلما أطلعني الله على مقامات الانبياء علمت أن للاولياء معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ماعدا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لكن من حيث هم أولياء أو ملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الانبياء أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وماعدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة اعلم ان ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التي تفهم ببادي الرأي وقد ورث هؤلاء أيضا الانبياء في الاحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولي والا فالعلماء حقيقة هم الاولياء فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولي عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم في الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه أول مبحث المعجزات * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة من علامة الوارث المحمدي ان يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت صورته خلف جميع الانبياء يصير يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين فاي ولي رأى قدما أمامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على الكمال أبدا لانه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عن أخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس اه (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون أو مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله العقول من حيث نظرها ليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بادراك علمها فان ذلك لا يكون وارثه فافهم * واعلم أنه لا يصح ميراث لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا وخليفة لا وارثا * قال في الباب الثامن والثلثمائة ولا يخفى أن الارث كله يرجع الى نوعين معنوي ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وأما المعنوي فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو أعظم الورثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين أن أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فاما خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فيعلم أن عيسى عليه السلام وان كان بعد من أولي العزم وخواص الرسل لا تقدح في حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم شرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء

الله صلى الله عليه وسلم بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن توليه لرؤية أجسامهم لانهم أناس مثله وانما توليه من شهود أمر يهوله مما قام بهم قال وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لانا ما شهدنا منهم الامور أجسامهم فرأيناهم أمثال الناس مع انه صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الاسراء أمورا مهولة ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشي على جبريل ... ولم يغش على من ذاك ... فضل جبريل علي ... بذلك قال وهنا نكتة ... ان الله تعالى ماذ ... رؤيته عليهم بذكر الا ... عليهم فهم أسفل منه ... ومع ذلك خاف أن ... فينزل عن مقامه ... بذلك رعبا التلا يؤثر وادنيه تأثير الادنى في الاعلى الرضا عنه والسخط عليه فلذلك كان حقيقا أن يولي منهم فرارا كما يفر الانسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه * وقال في الباب التسعين وثلثمائة لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعينا وقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت

المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم أول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى * قال الشيخ وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو فى زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها لى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به فى سره من العلوم الربانية وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغى التسليم لهم مالم يخرج أحدهم عن الشرع كأن زعم أحدهم أن الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفى القرآن العظيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمى الانسان بشرا (فالجواب) سمى بشرا لمباشرته للامور التى لا تعوقه عن العروج بدرجة الروح فلو أنه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلام الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزأها يدق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت مرتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان أهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما أن مقام الكلام لابد أن يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمجتهدين فى الاسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه ومن بعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لاحد من الاولياء ويقول المراد بحديث ان يكن من أمتى محدثون فعمر هو المناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكليف وذلك أن النبوة لابد فيها من علم التكاليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه بجملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدى أنبيائهم ولكن ليس لهم أتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم أتباع ذكره الشيخ فى الباب المذكور أيضا (فان قلت) قد رأينا فى كلام بعضهم تكفير الاولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التى قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم فى ذلك لانه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعى للحنفى حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم فى كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل فى الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيى الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك الولى مخطئ فى مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان أقل الاحوال أن ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم اه وكذلك قال الشيخ أيضا فى أواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة ولفظه اعلم أن من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والاولياء فان العبر واحد وبالهم اذ لم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما يحيله العقل وآمن الناس به كذلك ينبغى الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ما تهب نفحة من نفحات

الانبياء

قال لى بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لى عن أى آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أو عن غيره فتذكرت حديثا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذى نسبنى اليه من أولئك والتاريخ فى ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك فان العالم لا يصح له مرتبة الاولية لانه مفعول الله تعالى * وقال فى الباب الاحد والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على ولذا بل أعقب الاثبات وأطال فى عقب النفى اثباتا * وقال ولكن الله قتلهم والنهم ولكن الله رمى فما أراد في الآ مانفى وما أسرع لعين واحدة قال تكثير ذلك ان الله تعالى وان أمرهم فأظهر أمرا وأمرا أوما وراى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل فكما أن القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم يقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فانهم * وقال فى الباب الثانى والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية اعلم أن كل من غضب عن العالم وانتقم

الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة فى الالفاظ التى جاءتهم الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا فى الاصل فكذلك نسلم فى الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران اهـ * وقال أيضا فى الباب الاحد وثلثمائة كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الاولياء أمور لا تقبلها العقول وترمى بها واذا قالها النبى صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاولياء اذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهى تكشف لهم عما شاء الله من أعيان تلك الامور الالهية التى قبلت من الانبياء فاذا جاءهم بها ولى كفروه مع أنهم يؤمنون بها عينها اذا جاءهم بها النبى فبأى بصيرة هؤلاء المنكرين وأقل الامور أن يقولوا له ان كان ما تقول حقا وانك نحوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من أهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد ورد فى الخبر النبوى ما يشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع فى كتاب ولا سنة اهـ (فان قلت) فان سلمنا للاولياء ما جاؤا به فما حكمه اذا خالف ما جاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولى اذا أتى فى كشفه بما يخالف ما كشف للرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا أن ذلك الولى قد طرأ عليه فى كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقو مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر عما رأى وكشفه صحيح ولكن أخطأ فى التعبير فان الكشف لا يخطئ أبدا وانما المتكلم فى مدلول ذلك يخطئ ويصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى فى ذلك اهـ قال الشيخ أبو تراب النخشبى رحمه الله اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم أنهم لابد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية أو حديث له عندهم وجهان وجه يرونه فى نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فيسمون ما يرونه فى نفوسهم اشارة ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على ان ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج فى تلك الكلمات الالهية التى نزلت على لسان العامة علوم معانى الاختصاص الخاص فهمها الخاص قال ولو أن هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا فى نفوسهم اذا نظروا فى الآية بالعين الظاهرة التى يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون فى ذلك ويعلو بعضهم على بعض فى الكلام فى معنى تلك الآية مثلا ويقر القاصر منهم بفضل الافضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشئ مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد فى عرفهم وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحانى الربانى فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وقال فى حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطؤا فى اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس نبيا ولا رسولا قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا فى زعمهم أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معانى كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقى وأطال فى ذلك * ثم قال فلهذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا يرون الاشارات وأين هؤلاء المنكرون من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدنى الذى أعطاه الله تعالى فى القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد

فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء له مما يجد من ألم الغضب وصدقة الانسان على نفسه من أفضل الصدقات ثم اذا رحم نفسه وزال الغضب لابد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذى يجده الانسان فى نفسه اذا عاقب أحدا ويقول لو شاء الله كان العفو عنه أحسن لابد أن يقول ذلك اما دنيا أو أخرى يعنى فى انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن اقامة الحدود من هذا القبيل فان اقامة الحدود شرع من عند الله ما للانسان فيها تعمل وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يات فى القرآن قط أن الله خير الآخذين ولا خير الباطشين ولا المعذبين ولا المنتقمين وانما جاء خير الراحمين خير الفاصلين خير الشاكرين خير الغافرين وأما خير الماكرين فالحكمة لا ينبغى أن تذكر الا بين أهل الله تعالى فتأمل ما تحته * وقال فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة فى قول الله تعالى وان منها أى الحجارة لما يهبط من خشية الله هذا دليل سمعى شهد للحجارة بالخشية ولا يخشى الا حى دراك قال وقد أخذ الله بابصار الانس والجان عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها قال وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولا ما عنده من العظمة لما اندك كذلك لان الذوات لا تؤثر

كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لطلبة المنكرين عليه في زمانه قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا القديد أطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة أصحابه كانه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد في فهمكم لكلام الله أو كلام رسوله فعلم ان أهل الله تعالى ماوضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ماهم فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيأ لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب أن ما أحد أنكر شيأ على أحد من العارفين الا وحرم ذلك الشئ عقوبة له وأطال في ذلك ثم قال وأصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشري ولو أن الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيي الدين الكلام على ذلك في الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون في بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والاسرار كما هو شأن الائمة المجتهدين في الفروع الشرعية ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظائر ذلك وأبطلوا أي مجتهدو القوم العبادات والعقود بالاخلال بها أو بجزء وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه وهذا شأنهم رضي الله عنهم فما من أحد منهم حق له قدم الولاية الا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الامة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون اهـ * ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودي أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عادي لها يقولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرفع حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن أدهم رضي الله عنه فاذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب في الدنيا لا تصغي لهم ولو انك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ولا يهتدي للطريق الى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولو أن المنكر لزم الادب لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت في كتاب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تتزلزل * قال ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من المنقول ثم يقول من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطل يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالي رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين أولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة أي لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق ان الاشتغال بالفقه ليس هو ببطالة انما هو أساس للطريق فان من شان أهل الطريق أن يكون جميع

في أمثالها ذلك وانما يؤثر في الاشياء معرفتها بقدر من تجلى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذي أثر لا الذات التي انها الكامنة فيها قال وانظر الملك اذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا تقدم في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتادب وخضع له فاذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك وان منزلته تعطى أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل الا مع الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له وتبادروا الرؤيته واحترامه فهل أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لصورته لانها كانت مشهودة لهم حين لم يعلموا أنه الملك فان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته فتامل ذلك فانه نفيس * وقال في الباب السادس والتسعين وثلثمائة مراد الحق تعالى من عباده بجميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فاته المقصود الاعظم وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها فما منها علم الا وهو طريق للعلم بالله تعالى ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين

أركانهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالي ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل في حاله لعرف ما قلناه من أن الفقه أساس الطريق وأن غاية الصوفي انه عالم عمل بعلمه لا غير (وقد كان) سيدي ابراهيم الدسوقي رحمه الله يقول لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن أحد منهم انه دون شيأ في علاج الامراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم يقينا من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لأي شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتنجلي قلوبهم كما يفعل الصوفية فانه لا يقول عاقل قط عن أحد يعني من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو غلا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو أنهم علموا أن فيهم شيأ من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فانهم فقد بان لك أن سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وأنه لا ينبغي لاحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد أن يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا في الطريق وأما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب تحرير الذهب اذ هم حماة الدين رضي الله عنهم أجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبي القاسم الجنيد بمزيد التقويم وان كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلي وغيره طريق خال عن البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبري من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهي كطريق الشيخ أبي الحسن الاشعري في العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد أن طريق الشيخ أبي الحسن الاشعري في العقائد الدينية طريق مثلى لكونها بين التفريط والافراط قال الجلال المحلي ولا التفات الى من تكلم في الشيخ أبي الحسن من أهل الزيغ ويكفينا في امامته وجلالته اكباب علماء الاسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قوله في العقائد وكذلك يكفينا في امامة أبي القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما تعلم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا اذا رأيتم شخصا متربعا في الهواء فلا تلتفتوا اليه الا ان رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله أو ليس لي فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفي غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها قال الجلال المحلي وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيد في جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى أنه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا أنهم كلهم أمسكوا الا الجنيد مع أنه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم وكان يتستر بالفقه والافتاء على مذهب أبي ثور وكان اذا تكلم في علوم القوم أغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصري رضي الله عنه وكانا يقولان أتحبون أن يرمى أولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد أنه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن أبي يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلي ولما بسط النطع لضرب أعناق الصوفية الذين أمسكوا تقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن النوري وقال للسياف اضرب عنقي قبل أصحابي فقال له السياف لم ذلك فقال لاوثر

أصحاب هذه العلوم حيث حجبتهم عما فيهما من الدلالة وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع والتسعين وثلثمائة انما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلي بالتصريف في الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لان مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فاعطاه مقام الصولة والهمة والشطح واظهار العلو على أمثاله وأشكاله بل على من هو أعلى منه في مقامه قال وهذا المقام وان كان رفيعا فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الادب واظهار الذل والمسكنة قال ومن شطح على أحكام الله أكثر أدبا ممن شطح على عباد الله لان الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه قال وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لانهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم انهم لا يرفعون بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة في قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله اما غيرة واما تعظيما وقوله مثنى أي بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن هوى نفسي ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله وفرادى أي بالله خاصة أو برسوله خاصة * وقال لا يجوز لاحد المبادرة الى الانكار اذا رأى رجلا

أصحابي بجباية ساعة فبهت السياف وأنهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضي اسماعيل بن اسحق المالكي فسال النوري عن مسائل فقهيـة فاجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فقبل القاضي قوله وأرسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضي الله عنهم أجمعين * وحكى ابن أعين في رسالته عن الامام أحمد رضي الله عنه أنه كان في أول أمره ينهى ولده عن مجالسـة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهـم في الليل من الهواء فسالوه عن مسائل في الشريعة حتى أعجز وه ثم صعدوا في الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم أدركوا من خشـية الله وأسرار شريعته مالم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسـئلة يقول للشيخ أبي حمزة البغدادي ما تقول في هذا يا صوفي فاذا أجابه بشيء أخذ به * وحكى القشيري عن ابن سريج أنه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجالس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رأيت في كلام هذا الرجل فقال لم أفهم من كلامه شيئا الا أن صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم أن الانكار لم يزل في العلماء على الصوفية في كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة في نفس الامر معاذ الله أن تقع الاولياء في ذلك وان جاز ذلك في حقهـم وقد بسطنا الكلام على ذلك في مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والاربعون في بيان أن جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما أدى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان أخطؤا)

على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا أخي أن مبحث الجواب عن الائمة يكتفى فيه باي وجـه كان وأما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغي الاعـتراض علينا اذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين أولى من الغاء أحدهـما وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء ومن وصـل الى مقام الكشف وجد جميع الائمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسـنة في شيء من أقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما أنه يجب عليك يا أخي الايمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسـلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما آية أو حـديث أو أثر أو قياس صحيح على أصـل صحيح لكن من أقوالهم ما هو ماخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثـلا ومنها ما هو ماخوذ من المفهوم أو ماخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الاصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولـكن كلما قرب الشخص منـه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقليد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهـذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق بصره هذه الادوار كلها حتى يشـهد اتصال أقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سـيدي علي الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها في سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الاولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الاسـلام بحـق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال وعلى ما قررناه ينزل القولان من أن كل مجتهد

ينظر الى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصد الخطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للانكار الا فيما لا يتطرق اليه احتمال وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لان صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الانكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى الى حسن الظن بالناس لا الى سوء الظن بهم فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لانه يعلم ان بعض الظن اثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض واثمه أن ينطق به وان وافق العلم في نفس الامر وذلك انه ظن وما علم فنطق فيه بامر محتمل وما كان له ذلك قال ومعلوم ان سوء الظن بنفس الانسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه ان فلانا أساء الظن بنفسه لانه عالم بنفسه وانما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعا للتعبيرنا بسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام قال والى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يعني في حق راكب البحر اذا اشتد عليه الريح ويرد فيما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة والخوف يطلب منه الصبر قال ومما يغفل عنه كثير من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك انه ما من نعمة ينعمها الله على عباده الا وهي محفوفة ببلاء وذلك ان الله يطالبه

يب أوالمصيب واحد والباقى مخطئ و بالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربى وغيره و بالثانى قال الجمهور اهـ وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا أوضحت فيها أدلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الانكباب على قول امامهم وعدم التدين باقوال غيره الالضرورة رجعت عنه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا وأصله مجمل فى الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفى بتبليغه القرآن من غير بيان قال ولما كان من المعلوم أنه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى فى تفصيل ما أجمله تعالى فى كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام فى تفصيل ما أجملوه فى كلامهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما أجملوه من كلامهم وهكذا القول فى كلام أهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذى قبلهم ولولا أن حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشى بل ربما وضعوا على الحواشى حواشى والسر فى ذلك أن غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم على حكم شرعى لا يمكنه أن يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يفصح عنها فى تلك العبارة بل ينسى أكثر الاحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فانه لا يتكلم الا بوحى من ربه عز وجل معصوم من الخطأ ونقص المعانى وصحة الارادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم ان أهل كل دور رحمة على من بعدهم كما أن للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك فى صحائفه فعلوم جميع الامة المحمدية وعلمهم فى صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم المادة التى يستنبطون منها الاحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم انما لهم المنة على من قلدهم الى يوم القيامة ولولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق فى كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما أجمل فى القرآن باحاديث شريعته لبقى القرآن على اجماله الى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل فى الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام فى كل دور بعدهم الى يوم القيامة يفصل كل دور ما أجمل فى كلام من قبله ومن زعم أن المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده (وايضاح ذلك) انه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما أن كشف الاولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقدير أنه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفى سنن البيهقى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك فى كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسألن عنه أحدا وما لم يتبين لك فى كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك فى السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فآمرنى ولا أرى مؤامرتك اياى الا أسلم لك اهـ وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول فى دين الله بالرأى كما أوضحنا ذلك فى مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين فى بيان أدلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف فى الاسلام مثله فراجعه * وملخص أقوالهم فى ذلك ان البيهقى روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول اذا أفتى الناس هذا رأى عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر و يقول أستغفر الله وروى البيهقى أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس رضى الله عنهم انهم كانوا يقولون ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى حنيفة رضى الله عنه انه كان يقول لا ينبغى لمن لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى وكان رضى الله عنه اذا أفتى يقول هذا

ولم يحققها من الشكر عليها او اضافتها الى من يستحقها بالايجاد وصرفها فى الموضع الذى أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الامور حتى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون فى حقه نعمة خالصة وكذلك القول فى البلايا والرزايا هى فى نفسها مصائب و بلايا وهى محتفة بطلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق فى رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا وبالصبر الذى هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة فى المصائب ما فيها من الاجر فى الآخرة وتواضع النفس فى الدنيا للخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة * وقال فى الباب السادس عشر واربعمائة اعلم أن كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكنانى امام المتكلمين بالمغرب يقول * وقال فى الباب السابع عشر واربعمائة فى قوله تعالى عن نوح عليه السلام ان أجرى الا على الله انما كان أجرهم على الله لانه تعالى هو الذى استخدمهم فى التبليغ وأطال فى ذلك ثم قال ولا يخفى ان أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا يعلم ذلك الا الله فصح طلب الاجر المجهول عند الرسول من الله لان الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لابد من تقديره قبل الطلب قال فكل من رد رسالة نبى ولم يؤمن بها أصلا فان لذلك النبى أجر المصيبة وللمصاب أجر

رأى النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب وكان الامام مالك يقول ما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كثر ولا في قياس ولا في شيء وما ثم الا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الرأي في كراسة وكان الامام أحمد رضي الله عنه يقول ليس لاحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا أبدا في الفقه وجميع مذهبه الآن انما هو ملفق من صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسئلة وساله رجل مرة عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة اه وهو محمول على من أعطى قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهلا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شان الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل فان الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيا ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على أمته تطلبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من ثقل تلك التكاليف فلما بقي حائرا أخذ يطلب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وأمضى ذلك في أمته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الاحكام باذن الله تأنيس لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا يستوحش مع ان ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا فان موسى لا بد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثرها على العبيد وعلم أيضا أن الله تعالى لو أمضى عليهم الخمسين صلاة فلا بد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله في شان المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك سر بهذا القول وعلم أن من القول الالهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما أجرأ الائمة على استنباط الاحكام قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فافهم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن في قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن في حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لله بتقرير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسئلة يقع في محظورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من الفتوحات * وقال في باب الوصايا منها اياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل مقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيوب فهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم

على الله بعدد من نوذر السمن أمته بلغوا ما بلغوا فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد أكثر أجرا من نبينا لاقرب

صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي أمته اجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته خارجين عن الاجابة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فاجره على الله المراد بالاصلاح هنا ان يحسن الى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله اذا عفوا ما جازى أحد أحدا باساءة وما كان في العالم الا عفو واصلاح ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليست سوى الاغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة ومن أحسن الى من أساء عليه فقد أزال ما قام به من الموجب للاساءة ولا شك ان ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في احسانه المعبر عنه بالاصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شيء لكان فيه كفاية في الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار اليه قوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسيء باساءته اساءة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعال السوء الا ما يتكلم به وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو الكاتب فهم وان كانوا يعلمون ما يفعلون لا يكتبونه (قلت) يرد على كلامه مرضي

كما

لى عنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الا أن يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم

شرعت الرسل لامهم اهـ * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فى مدح المجتهدين فعلم ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم فى منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أباح لهم الاجتهاد فى الاحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث التشريع بالاجتهاد كما أن كل نبى معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم فى الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية فى صفوف الانبياء والرسل لا فى صفوف الامم فما من رسول الا وبجانبه عالم من علماء هذه الامة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم منهم له درجة الاستاذية فى علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى أن ينتهى الامر فى ذلك لخاتم الائمة المجتهدين المحمديين الذى هو المهدى عليه السلام اهـ * وقال أيضا فى باب الجنائز من الفتوحات انما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدون من الوحى مثل ما كان لآل ابراهيم الذين هم اسحق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم وجعل وحى المجتهدين فى اجتهادهم اذ المجتهد لم يحكم الا بما أراه الله تعالى فى اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى اليه الاجتهاد كما حرم على الرسل أن تخالف ما أوحى به اليهم فعلم أن الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم أى كما جعلت آل ابراهيم أنبياء ورسلا فى المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحى فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص أمتى مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا اهـ * وقال فى الباب الحادى والستين ومائة اعلم أن جميع المجتهدين لهم فى مقام الارث النبوى القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم فى ذلك المقام ولذلك ناظر بعضهم بعضا لسريان الامداد الالهى بالعلوم اليهم من هذا المقام فطلب كل واحد من صاحبه أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكما انهم لا يعرفون أنهم فى ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما ان كل نبى تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء فى التشريع لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التى أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور فقد قامت لهم أدلتهم مقام الوحى للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقينى فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بأمر جديد ورد عليهم من الله تعالى ينسخ حكمه فهم فى حال علمهم وفى حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأى نفوسهم كما أشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله وقال فى خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله نص سبحانه وتعالى حكم محمد وغيره بما أراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه فى قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقال يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين أن المراد بقوله بما أراك الله أى ما أوحى به اليك لا ما تراه من رأيك فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من كل رأى وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك فى الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرته نفسه فكيف برأى من ليس بمعصوم والخطأ أقرب اليه من الاصابة وأطال فى ذلك ثم قال ويدل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد فى طلب الدليل على نفس الحكم فى المسئلة الواقعة لا فى تشريع حكم فى النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم يأذن

انتهى فليتامل ويحرر * وقال فى الباب الثامن عشر وأربعمائة فى قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وفى قوله كلا بل ران على قلوبهم وقوله تعالى أم على قلوب أقفالها ونحو ذلك اعلم ان المراد بالكن ان يكون العبد فى بيت الطبيعة مشغولا بامه عما عنده خبر من أبيه الذى هو الروح فلا يزال هذا فى ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقوله ومن بيننا وبينك حجاب ومن كان فى حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم واما الوقر فهو ثقل الاسباب الدنياوية التى تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه فى الآخرة واما الران فهو صدأ وطخاء فى مرآة القلب يحدث من النظر الى ما لم يأمره الله بالنظر اليه وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه واما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فانهم يقولون يا ربنا اننا لم نقفل على قلوبنا وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج فخفنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذى قفل عليها عسى يكون هو الذى يتولى فتحها فلم يكن بايدينا من ذلك شئ قال وكان عمر بن الخطاب واضرابه ممن اسلم من الصحابة من أهل تلك الاقفال فلما تولى الله فتحه وأسلم شيد الله به الاسلام وعضده رضى الله عنه (وقال) من أوتى الفهم فى

به الله (فان قلت) فمما اشتق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمم بعضهم الحكم في حصول الاجر للمجتهد اذا أخطأ ولو في الاصول ولكن الجمهور خصصوا الاجر بمن أخطأ في الفروع دون الاصول مع ان تخصيص الخطأ بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه مخالفته (فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد سؤالا للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك أما بعد فانك يا أخي امام هدى وحكم الله في هذه المسئلة ما أدى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران (فالجواب) أن المراد بالخطأ في هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسئلة من الكتاب أو السنة فهذا له أجر واحد وهو أجر التتبع ولو أنه كان وجد الدليل لكان له أجران أجر التتبع وأجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهري وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم أن الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا أو للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا أخطأ في الحكم بل هو مأجور وهذا على ان المراد بخطإ المجتهد خطؤه في نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهري فلا يصح خطأ المجتهدين في الحكم لانه لو صح خطؤه في الحكم لخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا أجر فافهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية أم هو فيها وفي غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة أم لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ في الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدي عليه السلام فله أجر مجتهد قال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا أن يكون دليل شيخه أوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ما شرعه المجتهد سنة أو يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة وأما قول عمر بن الخطاب في التراويح نعمت البدعة فلا يقدح في ذلك فان قوله ونعمت البدعة هي مدح لها فرجعت الى انها حسنة (فان قلت) ما قررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح في ان الاجتهاد كان في الامم قبلنا لانه من جملة ما نفس الله به عن عباده وذلك يقتضي العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا لانهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة يقتضيها أدلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى أثنى على من رعاها حق رعايتها وما أثنى عليه الا لحسن القصد والنية في ذلك مع انهم انما شرعوها الا لنفسهم لا للناس قال وعلى هذا ففي الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فاذموا الامن حيث قلة مراعاتهم لما ابتدعوه لا غير اه وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا من ورثة الانبياء أم هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أيضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع أما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد أبدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ أو وجوبه أو استحبابه أو كراهيته فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو ندر أن مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب في قصة تزويج علي على فاطمة ابنة أبي جهل ان فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها وانه ليس لي تحريم ما أحل الله ولا

القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا انما كثرها لما فيها من الوجوه قال وايضاح ذلك ان الفهم في الي على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم واما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم فاذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففيه تفصيل فان علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة بخلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وان لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها او أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم في القرآن وانما اعطى العلم بمدلولات تلك الالفاظ بالاصطلاح الذي عرفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان كلام الله تعالى قد انزل بلسان العرب فاذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا اراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة او الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها وذلك لان الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها الا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضا لذلك الشخص المتكلم مالم يخرج عن اللسان فان

تحليل

تحليل ما حرم الله ولكن ان أراد ابن أبي طالب ذلك يطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد أبدا انما طلب صلى الله عليه وسلم مع معرفته بهذا الوجه الالهي الابقاء ما هو محرم على تحريمه وما هو حلال على تحليله فلم يحرم على علي نكاح ابنة أبي جهل اذا كان ذلك حلالا له وانما قال ان أراد ابن أبي طالب ذلك الى آخره فرجع ابن أبي طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين أن يحرم ما أحل الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وما فعل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ في الباب الثاني والمائتين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بحديث العلماء ورثة الانبياء هل هم الاولياء أم الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون لجمعهم في الارث بين القال والحال كما كان عليه علماء السلف في الزمن الماضي فان حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل سموا هم الناس فقهاء لا صوفية وانما قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبي خاص لان كل عالم على قدم نبي ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل ما قلناه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر أن الارث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحتها بنيه وطلبا للثواب فحملها مشاق التكليف التي لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعد بها في الآخرة وذلك كحال أبي الدرداء وأمثاله من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا وأخذوا بالعزائم دون الرخص فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقام أكمل منه كما أشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر في الآية ما ظلم نفسه الا ابتغاء مرضاة الله فاحتقر عملها في جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصي اذا مات على الاسلام لانه مصطفى في العموم بالنسبة للكفار فلنا مصطفى في الخصوص ومصطفى في العموم فافهم انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول أكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفاء فانهم معدون لتعليم الاخلاق الباطنة في الغالب اه (وسمعته) أيضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع لكون الشارع أمره أن يعمل بكل ما أدى اليه اجتهاده (وسمعته) أيضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب) حقيقة علم اليقين انه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بباطن ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل في النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم باعلام الله تعالى تلك الخصوصية فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذي حق استقراره في القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار والامان يقين الانبياء من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء في الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح في علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك في علم اليقين وان كان هبوب النفس في ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك في علمه لاعتقاده أن الحق تعالى هو الفاعل فان شاء أزال ذلك الامر بالاسباب أي عندها وان شاء أزاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهي دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير أن أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي

حتى يحسن لسان العرب فلا فهم ولا علم قال وليس هذا الحكم الذي قررناه لكلام أحد من المؤلفين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي اعلم أن من التوفيقات الالهية المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال وله العمل بما من الحكم فيها في حق نفسه فقط بشرط أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصورة الجسدية التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل اليه من الوجه الذي صح عنده حتى انه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية العليا فان لم يره بهذه العلامة فما هو ذاك وان تحقق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا لكن رآه شيخا أو شابا مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها أو رآه في حسن أزيد مما وصف له أو في أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك راجع الى الرائي لا اليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لاسيما ان خالف نصا صريحا في الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك انتهى وقد رأيناه على الصورة التي كان عليها ولو سألناه عن عدة

وداود وسائر أئمة المسلمين على هـدى من ربهم وأن مذاهب الائمة كلها منـتزعة من الكتاب أو السنة وأدلتها ولحمتها منهما وجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا ويقينا واما نظرا واستدلالا واما أدبا وتسليما وما بقى لك عذر فى تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول أحـد غير امام مذهـبه يجد بذلك حصر وضيق حتى كأنه قد خرج عن الشريعة فاين دعواه انه يعتقد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا وبالجـملة فلا يصل الى اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التى يستمـد منها جميع المجتهدين وقد وضعت فى تقرير مذاهب جميـع المجتهـدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون فى ان كرامات الاولياء حق اذ هى نتيجة العمل على وفق الكتاب والسـنة فهى فرع المعجزات وان من لا حال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة فى العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدم فى مبحث المعجزات ان كرامات الاولياء ثابتة شائعة بين أهل السنة والجماعة وانما أنكرها أكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من أدل دليل على انهم أهل بدعة كما تقدم بسطه فى المبحث المـذكور ومن شبه المعتزلة فى انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها على يد الاولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة (والجواب) لا تعجيز لان المعجزة هى التى تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شـعبذة ثم ان ذلك يؤدى الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت فى الكتاب والسـنة وكان أبو منصور الماتريدى رحـمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب المعجزة مأمون من الاسـتدراج وصاحب الكرامة لا يأمن أن يكون حاله كحال بلعام ابن باعوراء قال وانما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدى بالنبوة والاقتران بدعوة النبى ألا ترى ان آيات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزة انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحـمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجـلا وخوفا لاحتمال أن تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فان الانبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين والاولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكـثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق له العادة اذا شاءها وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم فى أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال ومن أدل دليـل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها أفعالا خارقـة للعادة فاذا لم تؤد الى سـد باب النبوة جاز ظهورها على أيدى الاولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ورؤيته جيشه وهو أى الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش يا سارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لمكر العدو به هنالك وفى ذلك كرامتان احداهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا ثعبانا واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق * وقال الاستاذ أبو اسحق القشيرى رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكى وهذا حق نخصص به قول غيرهما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى أى فلا فارق بينهما الا التحدى فقط وتقدم فى مبحث المعجزات تقييـد قولهم ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى بما اذا أظهر الولى الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع الشرع وبما اذا لم يقل النبى هـذه المعجزة لا تكون لاحد بعدى فراجعه وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم

أحاديث قيل بضعفها فأخبر بها صلى الله عليه وسلم بصحتها فأبلغ وقد ذكر الامام مسلم فى مقدمة كتابه عن شخص انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فعرض عليه ألف حديث كان فى ذهنه انها صحيحة فاثبت له صلى الله عليه وسلم من الالف ستة أحاديث وأنكر صلى الله عليه وسلم ما بقى فعلم أن من رآه صلى الله عليه وسلم فى المنام فقد رآه فى اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فان الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا فهو معصوم الصورة حيا وميتا فمن رآه فقد رآه فى أى صورة لكن منها ما هو أوضح وقد تقدم الكلام على الرؤيا فى الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه (قلت) وكان شيخنا سيدى محمد المغربى الشاذلى رحمه الله يقول فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما يقول به بعضهم المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق واذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم الا روحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجىء والرواح هـذا هو الحق الصراح انتهى والله أعلم

*(وقال) فى الباب الحادى والعشرين وأربعمائة فى قوله تعالى لا تدركه الابصار

رأى

رأى كراماتهم عيانا أو عرف صدقهم (فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعي رحمه الله وقال لا فرق بين وقوعها على يده أو يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولي أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال والكرامة (فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا في المقام فهو كمال في العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب أنه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه فلا غايته أنه ادعى حكما لم يرد امتناع وقوعه ولا أنه خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم وليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعي رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة وأما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي والناس في انكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبني اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بان لله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الامداد في عصره وبعضهم اذا رأى أحدا من أولياء زمانه مثلا يمشي في الهواء قال هذا استدراج لمن لا ولاية له وأطال اليافعي في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في الايمان بكرامات الاولياء لأنها جائزة عقلا وواقعة نقلا أما جوازها عقلا فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال أهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين * وأما وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الآية وفي قوله تعالى لها أيضا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك في غير أوان الرطب * ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء * ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال من أبوك قال فلان الراعي * ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها اني لم أخلق لهذا انما خلقت للحرث كما في الصحيحين * ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكل مع ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة ربو من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف وهي أكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص في الرجل الذي كذب عليه كما في الصحيحين وكان يقول أصابتني دعوة سعد * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية أن عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام في الشمس أظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخاري في قصة خبيب حين كان أسيرا وثقلا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب ومن ذلك قصة الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول اسق حديقة فلان كما في الصحيح ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرمي حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة وحال بين الجيش وبين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ومن ذلك تسبيح القصعة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضر ونحو هذا والذي قبله الحافظ أبو نعيم وغيره * ومن ذلك أن عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن شقيق أنه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا أمطرت علينا فتمطر في الحال * ومن ذلك أن عامر بن عبد قيس كان يعطي عطاءه فيضعه في حجره ويصير يقبض منه ويعطي الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شيء * ومن ذلك أن عبد الرحمن بن أبي نعيم بلغ الحجاج أنه مكث خمسة عشر يوما

يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب فان القلوب ما ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى الا بالبصر فالبصر حيث كان هو والذي يقع به الادراك لكن يسمى البصر في العقل عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين اذ العين في الظاهر محل البصر كما أن البصيرة في الباطن محل لبصر الأعين التي في الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها (قلت) وقد أخبر واسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أن شخصا زعم أنه رأى ربه بعين بصره فقال هذا شخص ملبس عليه وهو أنه خرق من عين بصيرته خرق الى باصرة عين وجهه فرأى ربه حينئذ فظن أنه رآه بعين بصره انتهى ففي هذه الحكاية اشارة الى صحة الرؤية بالبصيرة في دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيي الدين فاني حاولت جمعا فلم يحصل لي سوى أن المتفق عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ولا بعين القلب فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفي الجميع انما يتأتى اذا قررنا الكلام على رؤيته تعالى في دار الدنيا ولغيره صلى الله عليه وسلم أما رؤيته في الآخرة وقد يتفق في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تبين بان ذلك بعين الرأس فتأملوا والله أعلم * وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة قد عفا الله عن جميع الخواطر التي لا تستقر

لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شيء احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شيء قبل ذلك * وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه لم لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان في غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية لقين الضعفاء منهم ويؤيد ذلك قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها في بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا اهـ (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة نعم والامر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف وافظه اعلموا أنه ليس عند المحققين عوائد تخرق أبدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم في نفس الامر عوائد تخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هناك ما يعود وانما هي خرق العوائد في أبصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد أي في الصفات لا في الذوات فافهم اهـ * وقال في الباب الثاني والحسين وثلثمائة اعلم أن أكابر الاولياء يشهدون كونهم في حال خرق العادة في عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم وبين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شمة لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أو سكرا ونحوهما ولم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسمي خرق عادة اهـ (فان قلت) فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هي غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولي الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة موروثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع أن عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بلا ريب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه أسرى به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان اصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها وورثناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير ألا ترى أن المماليك الذين يمسكون نعال أساتيذهم من الامراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم أن الامراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاساتيذهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ في الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم في ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوي فلا تقع كرامة لولي الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو الى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة ويعزل ويولي كما عليه بعض الطوائف بافريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص بأهل الاسلام (فالجواب) نعم هو خاص بأهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين أنه مشي في الهواء أو قتل بالهمة فذلك باستعمال عقاقير على أوزان معلومة فيفعل

راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون في الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا حسنا في ظاهر بدنه وأراد حسنا في باطنه وأما الذي خفت موازينه وهو الشقي فلانه فعل سيأ والسيئة بواحدة نخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد قال ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن الا كفة الخير لا كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل الذي يخرجه الله من النار وما عمل خيرا قط فميزان هذا ليس في كفة اليمين منه شيء أصلا وليس عنده الا ما في قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضروري وليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق في الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان

يزيد بيانا في ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الخير

بم اما أراد وهذا بخلاف حال أهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو ان أهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة فى اتباع الشريعة بخلاف الكفار فان حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع الاسلام (فان قلت) فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذى يقع من بعض الاولياء كمال فيهم أم نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد أعطى الشيخ أبو السعود بن الشبل مقام التصريف فى الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلانى مع أنه تلميذه هكذا ذكره الشيخ فى الباب الثانى والتسعين ومائة وأيضا فان الكامل لا يجد فى الوجود شيأ حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير يرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته فى قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل أو المرض ونحو ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس منه حال حياته ويسرقون ستره وشتمه بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولى الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا غل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا اه (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما أن الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من أجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولى لا يجب عليه اظهار الكرامة انما الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك الولى تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار كرامة على أن يتبعه الناس على ما دعاهم اليه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولى متبع فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول الذى ثبت عند مرسله بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولى الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض أنه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع ويريد نسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى اه وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فاذا أحيا كبشا مثلا أو دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع الامر الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطور الذى يقع للاولياء كمال أو نقص (فالجواب) هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كأهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا فان من غابت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور اذ التطور من خصائص الارواح * وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسميه بيت العظمة فكان اذا دخله ملأه كله بذاته فى عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى علم السيمياء لجهله بأحوال الفقراء فى تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان فى ذلك البيت فما قدر أحد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبى غير منسوب * الى شئ من الحيف
سقانى ثم حيانى * كفعل الضيف بالضيف

والشر وأما اذا وقع الوزن للعبد فيكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الاخرى فذلك الوزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لانها العلو والشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله فامه هاوية فكفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفع صاحبها والموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وليس الا ما نعطيهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الرابع والعشرين وأربعمائة العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون الا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق فى المحبة من الكاذب وأطال فى ذلك * ولا يرد على الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه لانا نقول محبة العبد لله عز وجل من لازم محبة الله العبد وحيث كان ذلك فقد صح كلام الشيخ * وقال فى الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ففيه نفى تعلق العلم لا نفى العلم مع اثبات نفى العلم

فلما ادارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب * مع التنين في الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم في تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم في ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذا لمناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها ذكره الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولي (وأما) الكرامة المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على اداء الواجبات والسنن في أوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الاشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانها رسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التي يعرفها العامة فانه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة ولا يبعد أن يجعلها الله عز وجل هي حظ جزاء أعمال ذلك الولي فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهي بل هي عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شئ من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وان لا يتميز عن العامة بأمر يشار اليه فيه مما عدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل أحد به قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وسمعته) أيضا يقول أسنى ما أكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة وهو الكرامة التي لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فانما موطنه الدار الآخرة انتهى وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة ان أعظم الكرامات أن يصل العبد الى حد لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولي مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش في جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جازى ذلك الولي أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذي يحفظ الولي من المكر الخفي الذي في الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رمي ميزان الشريعة من يده لمن يزن به أحواله في كل نفس لان في الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين وأكثر ما يقع المكر الخفي في المتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه في المخالفات وفيمن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخي هذا الحال من نفسك أو من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى ما أخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما أعاد الضمير في يعلمون الا على الضمير في سنستدرجهم * وقال أيضا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمير قوله هم هو المضمر في مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لا يشعرون وأطال في ذلك ثم قال وكل من لا يدعو الى الله على بصيرة وعلم يقيني فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم

علم لمن فهم * وقال في الباب الخامس والثلاثين وأربعمائة في حديث من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير انما عوقب هذا بالكفارة لان فيه حثا على فعل مكارم الاخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الاخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا اشارة الى ان اخلاف الوعيد اذا لم يكن حدا مشروعا وكان لنا الخيار فيه وعلمنا ان تركه أولى من فعله عند الله فلنا ان لا نفي به وان نتصف بالخلف فيه وأطال في ذلك * ثم قال وهنا دقيقة وهو ان من اساء الينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا انه لم يحسن الينا أحد مثل ما أحسن الينا ذلك المسيء ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي أن يكون جزاء المسيء اليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجازيه ويكفيه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله أو يحسن اليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما أشار اليه قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين الآية فتأمل ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والثلاثين وأربعمائة للعبد أن يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والانكاد والموت بقصد أن لا يزيد التشفي فيه وانما يكون ذلك خوفا عليه ان يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن للداعي لمن آذاه بالاصلاح أولى من أن يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه أعلم

* (المبحث الحادي والخمسون في بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجد هنا دون الاسلام كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى) *

واعلم ان الاسلام الشرعي هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية لا يخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم مجيء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل في حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له * قال أئمة الاصول والتكليف بذلك تكليف بأسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التي هي مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية وأشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال ان التصديق أحد قسمي العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب أن تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختياره بمباشرة الاسباب وصرف النظار وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذي هو أول المبادي في النظار ليس هو باختيار العبد أيضا لانا نقول ما رقي فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي نهي العلماء عن افشائه والايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق أو غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة وأما من حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ من أعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال أئمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به عن عهدة التكليف بالايمان الا مع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لان الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى أن الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجيء الرسول به في أحكام الدنيا والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ورأيت على حاشية الحاشية بخطه أيضا ما نصه حاصل الكلام في هذه المسئلة أن الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف في أنهما مترادفان أم لا خلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين بن السبكي وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذي هو الشهادة شرط للايمان أو شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي انه ليس بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح ذلك ان يقال في التلفظ هل هو شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما فيكون غير داخل في مسمى الايمان أو هو شطر منه أي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه

ومن ذلك ما قاله في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية الآية كانت السكينة في بني اسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله في هذه الامة في قلوبهم فلم تكن في قلوب بني اسرائيل والسكينة هي الطمأنينة كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب فعلوم هذه الامة كلها وأسرارهم في قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منها الا ما كان فيه اقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر وتأمل قصة الاسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة وذكر لاصحابه ما وقع له في تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثرا في الظاهر وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح الرائي اليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائي له عند رؤية وجهه قال الشيخ وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب هو سوى المقام فكان لا يرى أحد وجهه الا عمي وممن رآه شيخنا أبو مدين فعمي فمسح أبو مدين عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال في ذلك ثم قال فمن جعل الله نوره في قلبه فقد غلا بدية من الخير فتأمل والله أعلم * وقال في الباب

من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام البزدوي من الحنفية وكثير من الفقهاء الى الثاني وألزمهم القائلون بالاول بان من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازي وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ أي يتبعض (فالجواب) ان الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء منه في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو منه مذهب الايمان في القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ما وجدته عن أئمة الاصول * وأما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين وأربعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيأ من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى تجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في اعتقاده بين هذه النعوت أنكره ضرورة في كل ما لم يذقه في دار الدنيا اهـ * وقال أيضا في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم أن الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر ويرجع عنه برجوع المخبر لان نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من أشكل المسائل في الوجود فان الاحكام المشروعة أخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للاحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الاول وانما هو أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم أن صدق الايمان نور كشفي لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه أصلا اهـ (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) أنهما شيآن لان الحق ما وجب فعله والصدق ما أخبر به على الوجه الحق الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعني فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا * ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمجرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل وهو محمود كما أن الغيبة والنميمة وافشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لان الصادق يسئل عن صدقه ولا يسئل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة وأشباهها صدق لا حق والسلام (فان قلت) فكم ينقسم نور الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كما أن أهله على قسمين (القسم الاول) من آمن من نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بثبات ايمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشة نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا من خلف حجاب دليله وما من دليل من أدلة أصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذي بينه وبينه (القسم الثاني) من كان برهانه حين حصول الايمان في قلبه لامر آخر ضروري فهذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب ولا يتصور في حق صاحبه شك لان الشك لا يجد محلا يعمره فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل ولا الشك اهـ ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين * وقال قبله في الباب الخامس من الفتوحات اعلم أن الايمان على خمسة أقسام ايمان عن تقليد وايمان عن علم وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة أقسام فهي للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدم في المقدمة أول الكتاب أن من أخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة (فان قلت) فاي

التاسع والثلاثين وأربعمائة ما تولى الله عز وجل عبدا من عبيده الا واحده كلاما من قلبه نثرا ونظما كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا حسان فان روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجعل صلى الله عليه وسلم للشيطان على حسان سبيلا وأطال في ذلك * وقال نشأة الآخرة تشبه في بعض الاحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وفي أماكن مختلفة في الآن الواحد فيدخل الانسان من ابواب الجنة الثمانية في آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الانسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس الحديث قال ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر فيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والاربعين وأربعمائة اعلم ان العلم والمعرفة والفهم في الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينها تميز معقول في الدلالة كالتميز الواقع في ألفاظهم فيقال في الحق انه عالم ولا يقال فيه عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة القلب في الانسان قال ولما أثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم أكثر مما أثنى به على من اعطاه المعرفة علمنا

الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى ايمانا (فالجواب) أعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كأهل زماننا رأينا سوادا في بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا أساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد ولا ينقص وبين قول الجمهور انه يزيد وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما أن يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة ويحمل قول من قال انه يزيد وينقص على ما بين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان لا يموت الا على ما فطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين ومائتين أن يقال الايمان الاصلي الذي لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية في الاخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل في حصر الطبيعة في هذا الجسم الذي هو محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر في الادلة على وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التي يعطيها النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فنظر العبد في الادلة الى أن يرجع الى الحالة التي كان عليها عند أخذ الميثاق كالذي يكون مسافرا والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتي قريبا ايضاح ذلك (فان قلت) فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الامة التي هو فيها (فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لان التوبة تجب ما قبلها فكان ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقي لا غيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه أشرك به حين حال بينه وبين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فايهما أقرب الى الايمان المشرك أو المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني المعطل أقرب الى الايمان من المشرك فانه لا بد لكل انسان أن يجد في نفسه مستندا في وجوده الى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك الذي لا تدري ما هو هو الله الذي خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر كان في محل النظر الذي في ذلك أو يقلد من يعتقد من الموحدين فما ثم على هذا ايمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يعني في العهد الميثاقي آمنوا أي اقولوا رسولنا لكم آمنوا ولولا أن الايمان كان موقورا عندهم ما وصفوا به فقد بان لك بهذا التقرير أن ايمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو فيما طرأ في العمر والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم أن المراتب التي تعطي السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولي لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فأول مرتبة للعلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولي جاهل به أبدا وقد تقدم في مبحث أهل الفترات أنه يصح أن يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسألة عظيمة أغفلها العلماء فانه يدخل تحت ذلك الولاية كل من وحد الله باي طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وأربعمائة أن المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بي أي لا بنفوسهم فيرون لها مدخلا في الايمان بل الواجب أن يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطي الايمان بتوحيد الله وانما تعطي مشاهدة ميثاق الذر به حين أشهدنا الحق تعالى على أنفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى

انما اختصاصه بمن شارك في الصفة أعظم عنده وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والاربعين وأربعمائة في قول الصديق رضي الله عنه ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله أثبت رضي الله عنه انه يرى انفعال الاكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه أثر البتة وليس هذا المشهد لغير المقام الصديقي فافهم * وقال في الباب الثامن والاربعين وأربعمائة في قوله رب أرني انظر اليك الى قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين اعلم ان مراده بقوله تبت اليك أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فاني علمت عند تدكدك الجبل ما لم أكن أعلمه منك يا رب وأنا أول المؤمنين أي بقولك لن تراني لانك ما قلت ذلك الا وهو خبر فلذلك الحقه بالايمان لا بالعلم ولولا أن المراد بالايمان الايمان بقوله لن تراني ما صحت الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة لا ينبغي للاشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الاحساس بمن في المجلس ولا تسلم له حركته الا ان غاب ومهما أحس بمن في المجلس تعين عليه أن يجلس الا أن يعرف الحاضرين انه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على ان هذه الحالة غير محمودة بالنظر الى ما فوقها * وقال في الباب الموفي ستين وأربعمائة في حديث مسلم في

الاوهم مشركون أى حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطرة ظهر الشرك فى الاكثر ممن يزعم أنه موحد وما اداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق أكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم أن لهم اقتدارا نفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو أنهم علموا أن الله تعالى ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوى فى نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم أنه لو كان المراد بالايمان فى الآية التوحيد لم يصح قوله الاوهم مشركون فدل على أنه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما أراد الايمان بالوجود اه (فان قلت) فمن أين شقى الكفار (فالجواب) شقوا بحكم القضاء الذى لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق أبد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فان الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وانما أشركوا معها ربوبية أخرى و زادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا واشقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ فى الباب الرابع وأربعين وأربعمائة فى قوله تعالى ألا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذى خاص لنفسه فى وفاء العهد به وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة فى جنة فانه قد يكون الباعث للمكلف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين و يكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطى المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله أى غير مائلين به الى جانب الحق الذى شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين فى كتابه فقال فى طائفة أنهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعانى فان قرائن الاحوال هى التى تميز فالعهد الخالص هو الذى أخذه الله من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بنى آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذى ما ملكه أحد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه فى نفس الامر طاهرا مطهرا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامى وسهل بن عبد الله التسترى واضرابهما يقولون ما نقصنا من ميثاق الحق تعالى شيأ بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لانه قام فى العبد من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بان يعبدوا الله مخلصين له الدين اذ لا فعل لهم فى الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين فى بعض نسخ الفتوحات والذى يظهر لى ان لسان الامر بالاخلاص عام فى كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى ما قرره الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة أمته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص أمته لا يصح منهم تغيير للعهد الميثاقى فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقدح فى الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد (فالجواب) نعم يقدح ذلك فى ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة انه يجب على كل مؤمن حفظ ايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده فان الله تعالى ما نفى حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فأهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا الذين هما اسما الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الاجل وعدم حكمها فى العاجل لما علم أن فى عباده من حرم الكشف والايمان الكامل وهم عبيد الافكار من العقلاء وأطال فى ذلك * ثم قال فأهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات ورأيناه وأهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون ما سمعنا ولا رأينا قال وتأمل فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى،

تجلى الحق يوم القيامة فى الصور تحين يقع الانكار من قوم اعلم ان صاحب مقام الاحسان هو الذى لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات لانه جاوز مقام الاسلام والايمان وصاحب مقام الايمان ينكره فى تجليه فى مقام الاحسان وصاحب مقام الاسلام ينكره فى تجلى مقام الايمان والاحسان فان كل انسان انما ينكر ما لم يذقه فى دار الدنيا ولا يخفى ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الاسلام الانقياد وشرط الايمان الاعتقاد وشرط الاحسان الاشهاد (قلت) رأيت فى كلام سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه ان وراء مقام الاحسان مقام الايقان ولم أر ذلك فى كلام أحد غيره والله اعلم * وقال فى الباب الثانى والستين وأربعمائة اعلم انه لا ذوق لنا فى مقامات الرسل لنتكلم عليها وانما غاية ذوقنا فى الوراثة خاصة فلا يتكلم فى الرسل الا الارسول ولا فى الانبياء الا نبى ولا فى الاولياء الاولى هذا هو الادب الالهى * وقال لابد فى كل اقليم أو بلد أو قرية من ولى الله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفارا * وقال فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ما ورد فى تفضيل بعض السور أو الآيات على بعض هو راجع الى التالى لا الى المتلو لان المتلو لا تفاضل فيه لانه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع الى ما هى الآية تعلمه من حيث كونها متكلما به لا فى الكلام فليتأمل

لا يؤمنون أي لا يستقر الايمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي قصده الله فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتي في مبحث عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب التحفظ من قبول هدية من أمرنا الله تعالى بمعاداته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان في الحديث تهادوا تحابوا والعطاء أثر قادح في الايمان اذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليها وهذه مسئلة خطرة في حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطلب من يرى العطاء من الخلق أن لا يحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصي اذا قبل برهم واحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق الا من شاء الله لانه خروج عن الطبع فهو وان لم يكن له أثر في الظاهر فله أثر في الباطن اهـ (فان قلت) فاوضح لنا مثالا نعرف به المؤمن الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب وتولاه الله تعالى بالايمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا للاعتقاد في ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم يريد ما قدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وفي رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه (وسمعت) أخي أفضل الدين رحمه الله يقول من شرط كمال الايمان أن يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسري منه الامان في نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير ان يختلج ذلك الامان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالطا ولا يدخل نفسه في كمل المؤمنين (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا أو أكثر فان وجدها لا تتوقف في أعطاء أحد من المحتاجين شيأ ولو أنفقت جميع ما بيدها فليعلم ان ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وان توقفت عن العطاء مع وجود قوت يومها وليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى ولو أن يهوديا جلس بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله تعالى اللطف (وسمعته) يقول أيضا في قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا أخي من يدعي كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم انه في ذلك الحال ناقص الايمان بمرة فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأينا هذا لم ينتفع بالذكرى فلابد أن تقول ان ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة فلا نرى أحدا يتوقف عن العمل بما أمر به الا وفي نفسه احتمال ومن قام له في شئ أخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان مع انك لو سألته لقال لا أشك في صدق ما أخبرنا الله به ورسوله فتنبه يا أخي لنفسك فانك لان تأتي الله تعالى وأنت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من أن تأتيه بأعمال الثقلين وفي ايمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ في الباب التاسع والخمسين ومائتين ان الايمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه القادحة في ايمانه اذ هو ايمان نظري لاضروري والنظري صاحبه أسير الدليل فكل شئ ترجح عنده في وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط في وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه أيضا وجد ممن لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا بدليل ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر غامض لا يعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم * (خاتمة) * قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة اعلم انه لا يموت أحد من أهل التكليف الا مؤمنا عن عيان وتحقيق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والايمان به خاصة وما بقي

ويحرر * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول له ما فعلت من الحسنات فيقول يارب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يارب انه كاذب فيقول الله تبارك وتعالى قد علمت ذلك ولكني استحييت منه أن أكذب شيبته اعلم ان في هذا الحديث حثا لنا ان نظهر لمن كذب علينا بصورة من نصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فان الشارع ما أخبرنا بذلك الا لنكون بهذه الصفة مع الناس * وقال سأل بعض الاقطاب ربه عز وجل أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق تعالى في سره مقام الخلافة لا يكون بالوراثة انما ذلك في العلوم أو الاموال * وقال قد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه قال وقد وقع لي ذلك وأفدت الطالب علوما لم تخطر لي قط على بال قبل سؤاله (وقال) من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين * وقال قد أجمعنا على انه لا موجد الا الله وانه حكيم يضع الامور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا أن كل ما ظهر في العالم فهو حكمه وضعه في محله لكن مع هذا المشهد لابد من الانكار لما أنكره الشارع فاياك والغلط * وقال كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي الطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان

الاهل ينفعه ذلك الايمان أم لا وفى القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال فى أدلة أنه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين أنه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على أنه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضى أبو بكر الباقلانى و بعض الحنابلة قالوا لان الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا اهـ وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن فى اليأس لان من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان اليأس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولان متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والخمسون فى بيان حقيقة الاحسان)

اعلم ان حقيقة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به فى حديث سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلى رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى فى جميع العبادات الشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها فى حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم فى مبحث مسئلة خلق الافعال والكسب ان علم العبد بان الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهوده هو الحق لانه لا يشهد الا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا ان فى الحديث اشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كأنه يراه لم يجد الفعل الا لله وحده وليس للعبد فيه أثر وانما له حكم فيه لكونه محلا لبروز ذمى الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد فهو الذى أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم أيضا فى المباحث السابقة أن من كمال العبد أن يؤاخى بين العيان والايمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز * قال الشيخ محيى الدين فى باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى أن الايمان والاسلام مقدمتا الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام قال والالم يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فأوتره الاحسان لانه أول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم أن الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر فى التخيل فلا بد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهى آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم ير يد الحق التى هى تأييده له ولا تخيلها فانما انقاد الا كرها والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت فى كلام سيدى على بن وفا رضى الله عنه أن وراء مقام الاحسان مقاما آخر يسمى مقام الايقان ولم أر ذلك فى كلام غيره فليتأمل وقد تقدم فى مبحث الاجوبة عن الانبياء ان أهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية ماداموا فى حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء فى حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها فى أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان أن يقعوا فى خلاف الاولى لا فى حرام ولا مكروه كما مر فى الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والخمسون فى بيان أنه يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا فى الحال)

قال الجلال المحلى رحمه الله ومنع الامام أبو حنيفة رضى الله عنه ذلك * وحكى فى المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفى فى عقائده ولا ينبغى أن يقول العبد أنا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على أن الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين أنه لا خلاف بين الفريقين حقيقة فى المعنى لانه ان أريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل فى الحال وان أريد بما يترتب عليه النجاة والثواب فى

الآخرة

عشرة سنة حتى خفت على نفسى المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفهمنى الله معنى حبب علمت ان المراد أن لا يحبهن طبعا وانما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عنى وانا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لانى فى ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعى وأطال فى ذكر قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية (قلت) وتقدم الكلام على هذه الآية أيضا فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات فراجعه ترى العجب والله أعلم * وقال انما نسب الحق تعالى الخلق الى عباده فى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه أثبت ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا وذلك انه تعالى اذا خلق شيأ بخلقه عن شهود فى علمه فيكسوه الخالق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق بخلاف العبد اذا خلق الله على يديه شيأ لا يخلقه الا عن تقدم تصور رأى تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا لا يقال * وقال فى الباب الخامس والستين وأربعمائة أعل هبل أعل هبل هو صنم كان يعبد فى الجاهلية وهو الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه هو بلاط الملوك فوقه البلاط * وقال فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عندنا بلا

الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله فى الحال فمن قطع بالحصول أراد الاول ومن فوض الى المشيئة أراد الثانى اه وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد أنا مؤمن ان شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك فى الحال فى ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان فى الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التى يرجو حسنها ويسال من فضل ربه تحقيقها انتهى ودليل الامام أبى حنيفة ومن تبعه فى عدم جواز الاستثناء فى الايمان قول الله تعالى فى السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يستثنوا وقوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثن وأيضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله وأجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم أن من يستثنى منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع *(خاتمة)* اذا أشرك المؤمن فى عمله رياء وسمعة فلا أجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشى وقال انه الظاهر وأما الامام الغزالى فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوى فلا أجر له وان كان الاغلب هو باعثه الدينى فله أجره بقدره وان تساويا تساقطا والله أعلم

(المبحث الرابع والخمسون فى بيان أن الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة فى زعمهم أنه يزيله يعنى انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلى وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفى الايمان قال الشيخ نجم الدين البكرى والحق الذى نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن أى بان الله يراه أى حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع أن يعصى حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصى من سدل الحجاب عليه حتى يقع فى المعصية وأقل الحجاب ان يقع فى تأويل أو تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبى صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى و بعيد أن الله تعالى يؤاخذ مثلك مادمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا فعل ماقدر عليك فانك لا تستطيع أن ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب وقد أجمع أهل الكشف على أنه لا يصح لعارف أن يعصى الله تعالى على الكشف والشهود أبدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض أن العاصى يشهد أن الله تعالى يراه حال المعصية فلابد أن يشهده غير راض عنه فى تلك المعصية وفى حديث الطبرانى وغيره مرفوعا اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التى تسلب العقول التى تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها لا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى أحدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم أنه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية أن ينتفى عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ماعدا كون الله تعالى يراه فانه لابد من حجابه فيه ليقضى الله أمرا كان مفعولا والا كان ذلك فى غاية قلة الحياء مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت أن الايمان يتخصص فى كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذى هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين أى بانى أنصرهم فانى عند ظن عبدى بى وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكرى فى تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة أشياء لا خامس لها وهى الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء فى ثوابه وعدم التقدير فى علم الله تعالى فمعنى الحديث ان صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أى لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع فى المعصية ثلاثة أشياء وهى الحياء من الله والرجاء لثواب

خلاف عقلا وشرعا فقولنا ليس كمثله شئ لانه لا يصح أن يثنى على الله تعالى بما لا يعقله العبد فما بقى الا أن يثنى عليه بما يتعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فمتى علمت شيأ أو حققته كان صفتك ولابد فحقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هى التوبة من التوبة اذ التسبيح تنزيه ومعلوم انه لا نقص فى جانب الحق قال واذا كان كل شئ يسبح بحمده فسبح بعد ذلك أولا تسبح فانك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت وأطال فى ذلك ثم قال واعلم انا لا نحمد الله الا بما أعلمنا أن نحمده به فان حمده مبناه على التوقيف اذ التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح الا من جهة الشرع ومن هنا كان لا ينبغى للعبد أن يثنى على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وان كان ذلك داخلا فى قول العبد الحمد لله خالق كل شئ ولكن لا ينبغى فى الادب التعيين للمحقرات لئلا ينسب العبد الى سوء العقيدة مع ان ذلك صحيح لو قاله العبد قال ولا أمثل به لانى أستحى أن يقرأ فى كتابى مع انى ما أرى شيأ فى الوجود حقيرا من حيث ان الله تعالى اعتنى به وأبرزه فى الوجود والله أعلم *وقال فى الباب الحادى والسبعين وأربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ما تقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث اعلم ان عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار

الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة الباقية كلو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان معناه كما قلنا في الخوف سواء انتهى وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة في ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا انه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لا يقاومه شئ وقد أشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان قال وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم أن خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه في الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وهنا نكتة جليلة خفية وهي ان العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد ان يشوبها طاعة وتلك الطاعة هي ايمانه بانها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أي يرجع عليهم بالرحمة قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم وقال في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة أيضا في معنى حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع في الذنب كما اذا أوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة لنحرقك بالنار لا يزني بها قط ولو مكثنا نأمره مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين أيضا اعلم أن من لازم المؤمن الكامل أنه لا يأتي معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه الندم عند الفراغ منها وفي الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أي من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لا بد للمؤمن الكامل أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بانها معصية ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شرعا ذو عمل سئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها ومن تأمل في قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر وانما ذكر أنه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته في كلام بعضهم وعليه فتكون الحكمة في الطائفة التي تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا يقبل فيه شفاعة ليعرف الناس مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم * وقال الشيخ في الباب السابع والتسعين ومائتين في معنى حديث لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم أن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم في دار التكليف فان المعاصي والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد في هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو أنها وقعت منهم على الكشف والتجلي لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده ويراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصي عن ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى * وقال في أواخر باب الحج من الفتوحات اعلم أن بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد ابليس خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين وأطال في ذلك اه وفي كلام ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا اه وسيأتي في المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والخمسون في بيان أن المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية)

فاما أن يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما أن يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أو مع شفاعته أو شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووي في الاخير وهو كلام القاضي عياض قال الشيخ تقي الدين السبكي وانما تردد النووي في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد

ذبها راشحة دعوى لانها كالتواضع ومعلوم ان التواضع نعمل لا يقوم الا من له سهم في الرفعة والعبد ليس له سهم في السيادة فلهذا قالوا العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وايضاح ذلك ان علم العبد به ينقص بقدر ما اعتقده من النفل بل من أول قدم يضعه في النفل يتصف بالنقص في العلم بما هو الامر عليه وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار اليه حديث اذا قال العبد لاخيه أنا أحبك فاحببه الآخر فانه لا يلحقه في درجته في الحب أبدا لان حب الاول ابتداء وحب الثاني جزاء فلن يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للانبياء أعلى من حب الكرامة للاولياء (قلت) ومن هنا كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض الا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى انهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فانه لا نفل الا عن كمال فرض ونحو ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض ما في فرائضهم من النقص والله أعلم * وقال في الباب الثاني والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول في هذه الآية نفي للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون

فى السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهى فى اجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وزعمت المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد فى النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما مستندا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهى محكمة غير منسوخة هكذا رأيته فى تفسير الامام سند بن عبد الله الازدى من أقران الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وأجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بانه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك الا أن أضربك وأحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الاصول * وأما قول الشيخ محيى الدين فقال فى الباب السابع والاربعين ومائة اعلم أن من قتل انسانا ولم يقتل به فى الدنيا فامر القاتل الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه قال وأما قوله فى الحديث القدسى فيمن قتل نفسه بادرنى عبدى حرمت عليه الجنة فالمراد به أنه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول كما فى نظائره من الاحاديث الواردة فى عذاب الشيخ الزانى ومدمن الخمر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * وقال أيضا فى باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم أن الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضى بخروج قاتل نفسه من النار وان النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده فى الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوى السلطان لا يمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا أن الشارع انما أخبر بذلك فى حق الكفار لكونه لم يخص فى الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوى بعضها بعضا فكما أن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا فيقوى بعضه بعضا وأطال فى ذلك ثم قال والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أى حرمت عليه الجنة قبل رؤيتى لا سيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو الاليق أن يحمل عليه لفظ الخبر الا أن يأتى لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل وأطال فى ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر فى نظره من الاصول المقررة التى تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشرع بعد عرف ما قلناه وفى الصحيح أخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما أولناه اه (قلت) وفى هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه أنه يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم * وقال فى باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد أن يقبل شفاعتنا فيه واعلم ان النائب من النافيه مقبول وأنه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشئ يقتضى رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه خالد مخلد فى النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذى لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود فى النار على زعمهم وأما على قول أهل السنة والجماعة فلا يخلد فى النار مؤمن ولا موحد وفى الحديث أيضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهى نكرة ثم وما أمرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد أن يرحمه اما بعدم دخوله النار أصلا واما باخراجه منها بعد أن أخذت العقوبة حدها * وقال فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم أن فى هذه الآية ردا على من يقول بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار فى شأن

قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولى وأما السوء الفعلى فقد وقع التصريح بالنهى عنه فى آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الاولى والمراد بالجهر به ظهور الفحشاء من العبد كما فى حديث من بلى منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر يعنى لا يجهر بها وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن السوء على نوعين سوء شرعى وسوء بسوءك وان حمده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوءك لا أن السوء فيه حكم الله كما فى السيئة الثانية فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فان السيئة الاولى فى الآية شرعية لان صاحبها تعدى حد الله والسيئة الثانية التى هى جزاء ليست بشرعية وانما سميت سيئة لانها تسوء المجازى بها فان الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما أطلق فى الاصطلاح فى اللسان على السيئ والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فانهم سموا سوأ وقالوا ان ثم سوأ فاخبرنا الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم أى لا يحب السوء الذى سميتموه أنتم سوأ لكونه لا يوافق أغراضكم فانه الاحسن بالنسبة سيئ بالنسبة فى الحقيقة ولكن كل ما وافق الاغراض من القول فهو حسن كما أن كل شئ من الله حسن ساء ذلك أم سر فليتأمل ويحرر * وقال فى قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون اعلم أن من الادب أن تمشى حيث مشى بك

الانتقام أو وقع منه والحق تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيآت الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم أو الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخوانه قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي * قال ومعنى الآية أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا بسيآتهم مغفرتي وشمول رحمتي ساء ما يحكمون بل السبق لي بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم * قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصي منهم اذا مات تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله أن يلقاه فيه وأما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فذلك في حق الكافر وأما في حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغي تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما له من المخالفات يخاف أن يؤاخذ اهـ فليتامل * وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة لولا ان رحمة الحق تعالى بالمؤمن ممزوجة بغضبه لم يبق للعاصي أثر على وجه الارض فالمؤمن حال مؤاخذات الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع في معصية الا وهو مؤمن بانها معصية خائف من عاقبتها اذ لا يخلد في النار الا كافر والسلام

(المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)

أي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى المتوب منه وقيل انها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة باهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل باعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم ان من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شان أكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بانه تحزن وتوجع لما فعل وتمنى لكونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بان لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان النائم مؤمن بالاتفاق وأيضا فلما في التكليف بتذكر الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور وتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه يستوفيه أو يبرئ منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج عما يتحقق بدونها الا انه لا بد منها في كل توبة اهـ قال الكمال في حاشيته وقولهم وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن أتى باحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال في المقاصد انه التحقيق الا أنه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب اهـ قال ابن السبكي وغيره واذا أحس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى استغفار آخر لأن اللسان اذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الامام

الشرع وتقف حيث وقف بك فتعقل فيما قال لك فيه اعقل وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه انظر بفـئ
تفكر وتسلم فيما قال لك فيه سلم وذلك لان الآيات وردت في القرآن متنوعة فآيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولي النهى وآيات لاولي الالباب وآيات لاولي الابصار ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعد الى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خاطبه بها واجعل نفسك مخاطبا بها فانك مجموع ما ذكر فانك منعوت بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والابصار وغير ذلك فانظر بنظرك في تلك الصفة التي نعتك بها واظهر بها تكن ممن جمع له القرآن وأعطى الفرقان * وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فالاشراك عدم واذا كان الاشراك عدما فلا يغفره الله اذ الغفر الستر ولا يستر الا من له وجود والشريك عدم فانه من يستره فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أنه لا وجود له ولو وجده لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والسبعين وأربعمائة في قوله

السهروردي

السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي باستدراجك من معصية الى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر أي مقدمته فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ايرتفع عنك أثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل يعوقك عن الخروج منه أولا ستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسر مع الخاسرين وان كان عدم اقلاعك القنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب الذي سبق منك أو لاستحضار عظمة من عصيت تخوف عقابه ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو لترجع عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة واعلم يا أخي ان التوبة من أعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم تقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة من الاصرار وهكذا أبدا ما عشنا وما ثم داء بلا دواء أبدا فان لم يصح لنا شئ من ذلك كله فثم رحمة خاصة عن بها على من مات مصرا من أهل الاسلام واعلم أن حقيقة التوبة هي الرجوع الى شهود أن الله تعالى هو القادر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى حديث اذا أذنب العبد فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك فلا يكفيه العلم بان له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فامر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا اخلفوا باعلامهم يحتجون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محجوبا وليس هذا التعليم الا للسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون أي ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وانما كان محض نفوذ أقدار لا غير قال وأما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شئ من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فان في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا أن يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال اه فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بني اسرائيل انه قال يا رب لو فرغتني لعبادتك ووكلتني الى نفسي لاريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقائع الاكابر الا لنتأدب بما أدبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب

تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلم ان شعائر الله أعلامه واعلامه الدلائل عليه الموصلة الى معرفته وياعجبا كيف يصل اليمن هو عنده قال ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أي تجرح ليعلم انها من شعائر الله وما وهب لله لا رجعة فيه الا تراها انها اذا ماتت قبل الوصول الى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلي بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيئا قال واعلم ان الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم من العلوم علم يعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجري على لسان عبد مختص الا في مضايق الاحوال لا غير * وقال في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لا بد أن يوصل لكل مخلوق رزقه الذي قسمه له قال وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد ان يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى بقية الله خير لكم أي ما احل لكم تناوله من الشئ الذي تقوون به على طاعة ربكم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثمانين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم في الغيث

الله حائل لبعده عن عالم الاركان فى خلقه فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر منه فقال وهو صبي فى المهد مخبرا عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة أمه وبرأها الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين وتحنين الجذع اليه هو الشاهد الثانى وقد اكتفى بالشاهدين العدلين فى الحكومات ولا أعدل من هذين قال وكان نطقه أن قال انى عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لانه لم يك ثم أب آتانى الكتاب فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه وجعلنى نبيا فحكم بان النبوة بالجعل وجعلنى مباركا أى خصنى بزيادة لم تحصل لغيرى وتلك الزيادة هى ختمه دورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة فى المرآة المحمدية التى هى أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرى وأوصانى بالصلاة يعنى المفروضة فى أمة محمد ان أقيمها اذا نزلت لانه جاء بالالف واللام فيها والزكاة كذلك ما دمت حيا زمان التكليف وهو الحياة الدنيا وبرا بوالدتى لانها محل تكوينى ولم يجعلنى جبارا شقيا وذلك لا يكون الا من الجهل والانبياء تنزه عن

المباح بالنية الى شئ محمود وفى بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه فى المستقبل وانما عليه أن يعطى ما أبرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه لمخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا فعل ما هو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه فى المستقبل لا ينافى مجاهدة النفس وردعها وأطرها الآن ذلك فى الحالة الراهنة لا فى مستقبل الزمان لانها وجدت وكذلك لا ينافى الاستخارة لفعل شئ فى المستقبل لان الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم * وقال الشيخ محيي الدين فى الفتوحات بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذى يعاهد ربه على ترك شئ أو فعله فى المستقبل اما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة فى المستقبل أم لا فان كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان أطلعه الله على انه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل فى المستقبل لا الذى علم ولا الذى جهل وليست التوبة التى طلبها الحق تعالى من عباده الآن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام وما بقى على العاصى أمر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذنب والتوبة منه لاشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بان يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصى ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هى الفلكية أو غيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد فى حديث اذا أذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل من شرطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية كما أفردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم وكذلك افرادهم رد المظالم الى أهلها والله أعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هى باقية ما دام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق ولا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكسبه من خير بذلك الايمان قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان المؤمن لا يغلق له باب عنه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان فى قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مؤمن أبدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ فى الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية * وقال فى الباب السبعين فى الزكاة فى حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فان أخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون اه (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله أعلم (فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التى ما بعدها ذنب (فالجواب) اذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصى فهنالك يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو أراد أن يعصى ربه لم يجد ما به يعصى وما دام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما تركنا الحق تعالى سدى بل أمرنا بالتوبة * وقد قال الشيخ فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يصح له عصيان الامر لقوة سلطان الارادة عليه فمن أطاع الامر أطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة واياك والتفريط فى التوبة وتقول هذا مقدر على لا أستطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام

ذلك والسلام على يوم ولدت وهو ضد السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الوليد اذا

على ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه *وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول فى قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات اعلم أن من دلامتمن قبل الله توبتمو بدل الله سيئاته حسنات أن لايصير يتذكر شيأ من ذنوبه لكونهم امحيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل اه ويؤيده حديث الطبرانى اذا تاب الله على عبد أنسى حفظته ذنبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الارض أن تشهد عليه وهى قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم (فان قلت) ان من رجال الله من يقع فى المعاصى ولا يهتدى لكونها معصية كالمجاذيب وأرباب الاحوال فما حكم هؤلاء فى التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف فى مباح لزوال التكليف وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الامر ان أهل الله عز وجل فى وقوعهم فى المعاصى على قسمين رجال لاتخطر المعاصى لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال أطلعهم الله تعالى على ماقدره عليهم من المعاصى لكن من حيث انها افعال لامن حيث كونها معاصى فبادروا الى فعلها أو مقدرا عليهم مع فنائهم عن شهود ما يقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصى فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضى عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله فى الآخرة حكم من فعل أمر الايدى اطاعتهم أم معصية * قال الشيخ وهذا افتاء غريب أطلعنى الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم ألق من رجاله أحدا مع علمى بان من رجال الله من ذاقه انتهى (فان قلت) فاذا اطلع الولى على ماقدره الله تعالى عليه فى اللوح المحفوظ وأن ذلك لاتغيير فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فان صور المعاصى قبيحة بين العبد وبين ربه (فالجواب) لايجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتى وقتها ويقع بحكم القضاء والقدر كما انه لايجوز لمن أطلعه الله على انه يمرض فى يوم من رمضان انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فان قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده أن يدوم مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا او ظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لايرى توبته فهل تقبل لعدم خلوصها انها مالنفسه فلا يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات *(خاتمة) *ذكر الشيخ فى الباب السبعين فى الزكاة ما نصه وهنا مسئلة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهى ان العارف بالله تعالى قد لايوصف بتوبة فى بعض الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لاظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيأ من الامر ويجد الامر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة أم لا فانه يرى نفسه مسلوب الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلب جميع أفعاله وهو أصعب الاحوال فان قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شئ عن الحق فى هذا الكشف عند التعبد حتى يوصف بان الله تعالى يتقبله منه بل هو فى يد الحق تعالى وتصريفه موحده لم يخرج موضوع القبول انما هو ممن يأتى بشئ ليس فى مشهده انه فى ملك الحق قال الشيخ والذى أقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذى ظهر لى ان الجزء البشرى المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلابد من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فان الله لايؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم

(المبحث السابع والخمسون فى بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

* قال فى جمع الجوامع لابن السبكى رحمه الله واذا ألقى فى قلبك يا أخى أمر فزنه بميزان الشرع ولا يعدو ذلك من ثلاثة أحوال اما أن يكون مأمورا به أو منهيا عنه أو مشكوكا فيه قال ويعبر عن هذا الذى ألقى فى القلب بالخاطر فى اصطلاح العلماء فالحال الاول وهو أن يكون مأمورا به فلا ينبغى التأخير فيه بل يبادر العبد الى

خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج ويوم أموت تكذيبا لمن افترى عليه انه قتل لانه لم يقتل ويوم أقتل ويوم أبعث حيا فى القيامة الكبرى فكان فى اتيانه الحكم صبيا رضيعا فى المهد بيان تمام وصلته بربه وانه أتم من يحيى ابن خالته لان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعى فيه أنه اله ويحيى سلم عليه ربه تعالى وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الناس انما كانوا يستغربون الحكمة من الصبى الصغير دون الكبير لانهم ماعهدوا الا الحكمة الحاصلة عن الفكر والروية وليس الصبى فى العادة بمحل لذلك فيقولون انه منطق بما افتظهر عناية الله بهذا المحل الطاهر فزاد يحيى وعيسى بانهما على علم بما نطقا به علم ذوق لان ظهور مثل ذلك فى ذلك الزمان والسن لايصح الا ذوقا فان الله آتاه الحكم صبيا وهو حكم النبوة الذى لايكون الا ذوقا *قال الشيخ وقد قلت مرة لبنتى زينب وهى فى سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ماتقولين فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة فى مكة وكنت أذنت والدتها فى الحج فجاءت مع الحاج الشامى فلما خرجت للاقاتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني أمها هذا أبى وضحكت ورمت بنفسها الى قال وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو فى بطنها وكان اسمها الشيخ عبد القادر بدمشق

فعله لانه من الرحمن تبارك وتعالى برحم العبد به ان أراد به الخير حيث أخطره بباله ليفعله فان خشي العبد وقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه في وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل أولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان أوقعها قاصدا الرياء مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثانى وهو أن يكون الخاطر منهيا عنه فلا تنبغى المبادرة الى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فانه من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما ألقى فى القلب مشكوكا فيه بان لم يظهر للعبد أهو مامور به أو منهى عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع فى المنهى ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجوينى رحمه الله اذا شك المتوضئ أيغسل ثالثة فيكون مامورا بها أم رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع فى المنهى عنه قال الكمال فى حاشيته والمعتمد انه يغسل لان التثليث مامور به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتى به انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيته * وأما كلام الشيخ محيى الدين فى الخواطر فقال فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان لله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم فى قلب العبد الا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة بذواتهم وهم يسمعون ألف خاطر فى اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا أخى عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يثبتون فان وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا فى مرورهم على بابك لتتيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا الى ربهم وأطال فى ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشى عليها الى القلب وتمشى على الطريق الواحد وجوبا والثانى ندبا والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى فى كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضد ما يامره به الشيطان ما عدا طريق الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر فى حق كل الناس أم العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة أو منسوخة فى حق العامة دون الخاصة أما عند من يقول انها منسوخة فهى عامة فى حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر فى هذه الدار وذكر الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفا عن الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضى الله عنهما فان الانسان ليس فى قدرته أن يمنع قلبه عن الخواطر التى تناقض مقامه الا أن يكون معصوما أو محفوظا وانما نكر فى الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى وقال فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم أن حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل أو يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك ويسئل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشئ فى حديث النفس لان الهم بالشئ له حكم آخر فى الشرع خلاف حديث النفس ولذلك من كان يريد فى الحرم المكى الحادا بظلم فان الله أخبر أنه يذيقه من عذاب أليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذى أراده أم لم يقع وأما فى غير المسجد الحرام المكى فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك لله خاصة فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التى هى الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان فى الصلاة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب صلاة شدة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلى صلاة شدة الخوف فهو أى الشيطان مع المصلى فى حرب عظيم فيصلى من هذه الحال ولو قطع الصلاة كلها فى محاربة الشيطان فيؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور انه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة

وكذلك ذكره أيضا فى الباب الثالث وثلثمائة وقال شهد على الثقات بذلك ولم يذكر انه سمعه وهو فى بطنها حين عطست وشمتها الحاضرون كلهم صوته من جوفها (قلت) وقد تقدم فى الباب الثانى والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله بقوله

تكلم فى المهد النبى محمد
وموسى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى
يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها
وفى زمن الهادى المبارك يختم

وبنت محيى الدين قدس سره وعنا بها جمعا وذلك منهم * وقال فى الباب الاحد والثمانين وأربعمائة الاحسان هو العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير كانه فى حضرة الحق ومشاهدته فى العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله لا هو وان العبد انما هو محل لظهور ذلك العمل لا غير * وقال فى الباب الثالث والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله اعلم انه لم يرد من بعص الرسول فقد عصى الله وذلك لان طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لانها بالواسطة فلو نزل هنا الرسول كما نزله فى الطاعة لم يكن تعالى الها وهو اله فما عصى من عصى منا الا الحجاب

بباطنه

بباطنه كما شرعت بالعذر الذي له من الصلاة في ظاهره من الاعمال بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان في ذلك لم يضره وسوسته في صلاته فان كان قد جعل المصلي في نفسه انه يصلي رياء وسمعة وكان قد أخلص في أول شروعه في الصلاة فلا يبالي فان الاصل صحيح في أول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو أن يترك العبد العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم بسبب تلك الشبهة التي يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها في ثلاثة أمور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة قال وأما اذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت الى المساعدة في المحظور والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر الشيطاني الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسي ومعنوي ثم الحسي ينقسم الى قسمين لان الشياطين قسمان شيطان انسي وشيطان جني قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي وذلك ان شيطان الانس والجن اذا ألقى في قلب الانسان أمرا عاما يبعده بذلك عن الله فقد يلقي أمرا خاصا أو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقي أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا الى أمور لا يتفطن لها الجني ولا الانسي يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه أمورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الاسلوب العام الذي ألقاه اليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما أرادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا أن في قوته وفطنته ان يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه أصلا صحيحا عول عليه فلم يزل التفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء فان الشياطين ألقت اليهم أولا أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فانسبت ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان في تلك المسئلة تلميذ لهم يتعلم منهم قال وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيما في الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين أولا حب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق بين الخواطر لا يفلح في طريق أهل الله أبدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الآن بجهلهم في الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم في المبحث الثالث والعشرين في اثبات الجن زيادة على ذلك وكذلك في مبحث الولاية فراجعه والله أعلم

(المبحث الثامن والخمسون في بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان ان ما ورد في تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن أمثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن أمثلة ما قيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى أو خلقه أفعال عباده أو

وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله قال فنحن اليوم أبعد في معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه الى من دونهم سيم الينا لانا ماعصينا الا أولى أمرنا في وقتنا وهم العلماء منا باعا أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لان الواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما في الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم * وقال في الباب السابع والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة من الحياة الطيبة ان يبدل الله سيآت العبد حسنات حتى انه يود أنه لو كان أتى بسائر المعاصي الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل قال ورأيت من أهل هذا المقام في عمري كله رجلين أحدهما شيخنا أبو العباس العريني بغرب الاندلس والثاني رجل بمكة * وقال في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع قال والمراد بقولنا ان كان لك أن تأخذه على الحد الالهي الذي أباحه الشارع لك فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته إلى الله أدبا وانما يضاف الى الطبع وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثمانين وأربعمائة في حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث

عدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * أما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكرى حدوث العالم ومنكرى البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على مامر فى مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع فى كفرهم لانكارهم بعض ماعلم بمجىء الرسول به ضرورة * قال الكمال فى حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى القول بكفر أهل البدع والذنوب من أهل القبلة الى الاشعرى * وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ أبو الحسن الاشعرى قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف * قال وقد اختلفنا فى عبارات كثيرة والمشار اليه واحد قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ومن قال منا بان لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ماهو كفر فان المجسمة مثلا عبد واجسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر قال وأما المعتزلة فانهم وان اعترفوا باحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار أحكامها فهم كفار بذلك قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وأنه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع فى المواقف مايقتضى تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه ان علمه كفر لالتزامه اياه والله أعلم انتهى وقد ذكر الشيخ أبو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول أنه روى فى بعض طرق حديث ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة مانصه كلها فى الجنة الا واحدة رواها ابن النجار * قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التى هى فى النار هم الزنادقة قال القزوينى وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها فى النار الا واحدة أى فى النار ورودهم وذلك فى مرورهم على الصراط ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغى لمتدين أن يكفر أحدا من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ماداموا مسلمين يتدينون باحكام أهل الاسلام * قال وأمهات هذه الفرق الواردة فى الحديث المتقدم ست مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنى عشرة فرقة فاضرب الستة فى اثنى عشرة فما خرج فهو العدد الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به أو مخالفة الاجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى أربعة أقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لاشك فيه * الثانى تكذيب المنكرين لاصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم أيضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب فى صورة التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسل وقد علم قطعا أن معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لايمكن اثبات واحد منهما وفى ضمن دعواهم هذه نفى الرسول والمرسل جميعا تبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فانكروا الشرائع وأباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ماثم الا فرج تدفع وأرض تبلع فالحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسل ولكن اعتقدوا أن جميع ماأخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحو ذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى ذلك سد باب النبوة أصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون أن روح الاله حلت فيهم وان لله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التى ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك السابئة ادعوها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فامر على بن أبى طالب باحراقهم بالنار فصار وايصرخون فى النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع أئمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة ألحقوا القدرية بالمجوس والحلولية باهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون وينبهون على أن ذلك كفر فان أصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ماتفق رأى العلماء عليه من قتل

صدقة جارية أوعلم ينتفع به أوولد صالح يدعوله المراد بهذا العلم المذكور فى الحديث هو ماسنه من السنن الحسنة كما عليه الائمة المجتهدون والمراد بالصالح المسلم والصدقة الجارية مثل حفر الآبار ونحو ذلك * وقال فى الباب التسعين وأربعمائة فى قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون الآية اعلم ان للمقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يفعل هو به مقت نفسه عند الله أكبر المقت اذا اطلع على ماحرمه من الخير بترك الفعل ولاسيما اذا رأى غيره قد انتفع به عملا قال والناس يأخذون فى هذه الآية بغير مأخذها فيقولون ان الله مقتهم ومايحققون قوله تعالى عند الله أى تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله اذا رجعتم اليه فى الدنيا أو الآخرة وأطال فى ذلك ثم قال وملخص القول أن الحق تعالى كانه يقول ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ان الفعل لكم وماهو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم مالاتفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا أى يقاتلون من ينازع الحق فى اضافة الافعال ويقول ان الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ويضيف الافعال كلها الى الله قال فالمراد بالعندية هنا هو شهود الحق فاعلا وحده ومقته نفسه هو الرجوع عن اضافة الفعل لنفسه الاعلى وجه ما وبذلك يسعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الثانى والتسعين وأربعمائة العلم

او

أو عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدقوا الرسول فى قوله ولكنهم اخطؤا فى التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الائمة هل الخطأ فى التأويل يبلغ حد التكفير فيبلغوا التكفير أم لا فصار وا فى ذلك فرقتين الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول فى شئ أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار أو الخطأ فى التأويل وأجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم و بين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التى وسعت كل شئ لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يهدر قوادماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا جريهم بفتواهم بل أجروا عليهم أحكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم فى صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته كما ورد فى الحديث المراء فى القرآن كفر وكما ورد بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشئ قد يطلق على الشئ الآخر بنوع شبه ولا يقتضى حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبى أنت أخى أو ولدى على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن فى فتاوى الامام الكردى فى آخر ألفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه و يحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر فى الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشى أن يلعب أمناء الله أعنى علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدى اجتهاد الامام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال هذا الذى حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه وما عليه الجمهور أولى فان مناز ع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربى الله ومحمد نبيى و يؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا بالرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تأويله بانهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب فى تأويله فاخطؤا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع فى البدعة بخطئه قال أبو سليمان الخطابى رحمه الله وأول ما وقع مفارقة أهل السنة فى زمن الامام على رضى الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية * قال وقد سئل الامام على رضى الله عنه عنهم أكفار هم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أى شئ هم فقال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابى وانما لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أى الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك أى طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير المتأولين أنه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا أن الخطأ فى التأويل كفر والا فلا بد من دليل على ذلك من نص أو اجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو اجماع ولم نجد من ذلك شيأ فبقى القوم على الاسلام فان اتفق فى زمان وجود مجتهد كاملت فيه شروط الاجتهاد كالائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ فى التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد مثل ذلك فى مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزنى رحمه الله عن مسئلة فى علم العقائد فقال حتى أنظروا تثبت فانه دين الله

المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أو بغيرها أوثق من العلم الذى يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذى هو الالهام على انه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فعلمت علم الاولين والآخرين وأنت يا أخى من الآخرين بلا شك فلا تقل قد جرت واسطة انى ما جرت عليك العلم مطلقا وانما جرت عليك ان لا يأتيك الا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتامل قال وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم بن قسى وما رأيت هذا النفس لغيره * وقال فى الباب الخامس والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم أى أيها الانبياء شرعة ومنهاجا فالضمير فى منكم للانبياء عليهم السلام لا للامم اذ لو كان المراد به الامم لم يبعث قط رسول فى أمة قد بعث فيها رسول الا أن يكون مؤيدا لمن قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الامر كذلك قال وقد تكلف فى التأويل شططا من جعل الضمير فى منكم للامم والرسل جميعا فيكون الضمير راجعا الى الرسل أقرب الى الفهم وأوصل الى العلم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أى يشركون نفوسهم فى الايمان فيرون انهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا ان الله تعالى هو الذى من عليهم بالايمان هذا هو المراد بالشرك هنا فانهم فان المراد بالايمان هنا هو الايمان بالوجود لا

وكان ينكر على من يبادر الى تكفير أهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التي يقعون فيها لطائف تدق عن النظر العقلي وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان أبو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر أحد من أهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا أخي وفقني الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير أهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكأنه أخبر عن ذلك الانسان بان عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام أهل الاسلام في حياته ولا بعد مماته والخطأ في قتل مسلم أرجح في الاثم من ترك قتل ألف كافر ثم ان تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة شبهها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء في معرفة الخطاب بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة له وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور في علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن القول بتكفير أهل الاهواء والبدع يحتاج الى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه مع تعذر أن الشخص ينطق عندما كما يعرف أن به يكون قتله هذا أمر أعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما في قلب الشخص يتعذر اقامتها * الثاني أن الحكم بان ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهوى والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على أسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل أن يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه في عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في عبارة فالادب من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الاهواء والبدع لا سيما وغالب أهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عنادا وجحدا للعلماء في ذلك النظر اهـ كلام الشيخ تقي الدين السبكي ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام في غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام أحمد بن زاهر السرخسي أخص أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري يقول لما حضرت الوفاة أبا الحسن الاشعري في داري ببغداد أمر بجمع أصحابه ثم قال اشهدوا على انني لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لاني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم اهـ فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى أعلم *(خاتمة)* أخبرني شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة في التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر فافتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلي غائبا عن المجلس فلما حضر قال من أفتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقيني وجماعة نحن أفتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم في ذلك فقال الشيخ صالح أفتى بذلك والدي شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني في نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبينا بفتوى والدك ثم أخذ بيد

الرجل

التوحيد اذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون مع ثبوت الايمان (قلت) وقال بعضهم المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الاسباب انتهى فتامل وحرر * وقال في الباب الموفي خمسمائة في قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اعلم ان من جعل نفسه الها فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك أخبر ان جزاء هذا القائل أن يكون في غاية الشقاوة التي هي غاية البعد عن طريق السعادة الذي هو رد الى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فينزل في قعرها لكونه طغى الى مقام الالوهية التي لها الاستواء على العرش يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر قال واعلم انه لم يبلغنا ان أحدا وقع في هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ثم انه جعل ذلك ظنا بعد شك في قوله لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس وخمسمائة في قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون اعلم ان كل من شعر بالمكر فليس بممكور به الا في حال واحد وهو ان يشعر بمكر الله في أمر أقامه فيه ثم انه ان داوم عليه بعد علمه بانه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى وأضله الله على علم وأطال في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب السابع والعشرين وخمسمائة في قوله تعالى

الرجل ونزل به من القامة فانجبر أحد بتبعه رضي الله عنه * وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومي أفتيت مرة بقتل يهودي انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبني على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني وقال هلا كنت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا أمره وأرحت نفسك من تبعته قال المخزومي رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهري رحمه الله بقتل رجل سب أمنا عائشة وكان قد نهاه فلم ينته فلما سمع جوابه بحرونه للقتل قال باعلى صوته يازهري ما حجتك عند الله أتقتلون رجلا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبيي فكان الزهري بعد ذلك لا يزال يذكر قوله و يبكي و يقول اني أخاف من قتل ذلك الرجل أن يؤاخذني الله به يوم القيامة اه هذا الخوف في حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يجتريء أهل الافتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهموها على وجهها الغلط حجابه * وكان الامام الغزالي رحمه الله يقول من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها * وقال في كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا ما لا يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومي قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب وفي رواية عنه ولا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب وفي رواية أخرى عنه ولا أكفر أهل التاويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومي رحمه الله أراد الامام الشافعي رحمه الله باهل الاهواء أصحاب التاويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة وأراد باهل القبلة أهل التوحيد اه فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لاحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والخمسون في بيان ان جميع ملاذ الكفار في الدنيا من أكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى)

حيث يلذه مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر وقال بعض المحققين جميع ما رزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بانه يرزقه ما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتبه له أو عليه اه قالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الآخرة من نصيب فانه تعالى أخبر انه لا يضيع أجر من أحسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية ككفر الآبار للعطش واطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر بها في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور * وقال الآمدي في الابكار لا نعلم خلافا بين أصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللاشعري فيها قولان وميل القاضي أبي بكر الى الاثبات ثم أشار الى أن الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق أسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما بعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان أبو العباس السارى رضي الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين انه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي أو عدمي ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف * وقال أبو زكريا الطبيب ان اللذة أمر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بأن الانسان قد يلتذ بالشيء من غير سبق ألم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى تحصل تلك اللذة بخلاصه من ألم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم أو كنز مال فجاءه من غير خطور ذلك بالبال وألم

عليه وسلم مؤدبا له فلما فيه اشتراك لابد من ذلك فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالادب اصالة ونحن المقصودون بالتأسي به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا لقي أحدا من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ماداموا جالسين حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث معه صلى الله عليه وسلم قالوا وانما قيد تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لانه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب وأطال في ذلك (قلت) انما أمر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لان الكامل تصير عباداته روحانية لا جسمانية فرجوعه الى الكثائف من أصعب الامور عليه الآن يؤمر بذلك هكذا شان المقربين والى ذلك الاشارة بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم * وقال في الباب

التاسع والعشرين وخمسمائة لابد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل

ثم اذا حصلت فاما أن يعقبها رجوع الى الحال الاول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الالهية واما أن لا يعقبه رجوع

الشوق اليهما وقال السمرقندى فى الصحائف الحق أن الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفى المحصول ان الصواب انها لا تحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى فى الطوالع وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصص بدار المحنة وأما دار الكرامة التى هى الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول فى العقوبات فان أقل عقوبات الآخرة لا يبقى معها فى هذه الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتى أحدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم

*(المبحث الستون فى بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته
وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا على الله عز وجل
وانه لا يشترط كون الامام أفضل أهل الزمان بل يجب علينا
نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين)*

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم ما زجر الناس عما يضرهم ولا انفذت أحكامهم ولا أقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس فى كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال فى حاشيته نصب الامام واجب سمعا أى شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخى والبصرى من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة فى تعيين الائمة وأما أهل السنة فذهبوا الى أن الامام يعرف بأمور اما بنصب من يجب أن يقبل قوله كنبى أو امام أو باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبى صلى الله عليه وسلم بالاجماع أبا بكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص أبى بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل أمر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا فاجتمع الناس على امامة عثمان ثم عليا المرتضى وأجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بنى أمية وبنى مروان حتى انتقلت الخلافة الى بنى العباس وأجمع أكثر أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى أن جرى ما جرى * وأما قول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم على على رضى الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين * وقالت الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شئ ولو أوجبه على نفسه أو حرمه كما فى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما فى قوله تعالى فى الحديث القدسى انى حرمت الظلم على نفسى وذلك لان حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير وبذلك باين خلقه اذ التحجير لا يكون الا من أعلى على أدنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء أى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها الالطاف بان يفعل بعباده ما يقويهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء ومنها فعل الاصلح لهم فى الدنيا من حيث الحكمة وقولنا فى ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم فى ذلك فقالوا لا يكفى نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل

فلا يفلح بعد ذلك أبدا فيصير من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل * وقال الدنيا أبناء وللآخرة أبناء وللمجموع أبناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابنا للدنيا والآخرة انتهى ولا يخفى ان من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد الآخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم * وقال فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه اعلم ان الرجل الكامل واقف مع ما يعطيك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله قال وكان وقوع ما ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم مكان قوله لو كنت موضع يوسف لاجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ليثبت عنده براءته فلا تصحبه المنة عليه فى اخراجه من السجن والرسول يطلب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع فى نكاح زوجة من تبناه اذ كان ذلك مما يقدح فى المروءة عند العرب فلذلك أبان الله عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

ذلك

ذلك عن الاسماعلية وهم قوم منسوبون الى اسمعيل بن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تسميتهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها في بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والاروابة وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحله أكابرهم سواء وافق الشريعة أو خالفها فافهم وقد تقدم في مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو أكمل من القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم أنه لابد في العالم من واحد يرجع اليه أمر الناس فتعين للقطبية لا بأولويته فكذلك القول في مبحث الامامة هنا لا يشترط أن يكون الامام أفضل الرعية والله أعلم * واعلم أنه لا يشترط في الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق وفي كتب أصحاب امامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط أن يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط فكناني فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل أولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر في كتب الفقه هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامام على أنفس الناس وأهليهم وأموالهم ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يعم لهم الامع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فالمسالم يأمنوا على أنفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذي أوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد في الكون كما ان اله العالم واحد وكما ان القطب الغوث في العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا اه (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بحقها من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الامامة كما هو مقرر في كتب الفقه وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة في نفس الامر دون الظاهر قال وعندي أن الحاكم اذا جار أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما أمره الله أن يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا أن نخرج يدا من طاعة ولا نخص بذلك والبادون آخر ومن هنا قلنا انه انعزل في نفس الامر دون الظاهر انتهى فعلم أنه ليس الامام بمخالفة الشريعة أبدا لكن رأيت في الباب التاسع والستين وثلثمائة في الكلام على علم السياسة أن الملوك أن يعفوا عن كل شيء الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وافشاء السر والقدح في ملكهم انتهى * ورأيت في تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي ان ذلك من كلام أبي جعفر المنصور وكذلك رأيت في الاحكام السلطانية ان للوالي أن يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضي فليتأمل ذلك * وقال في علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن في الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن في الملوك والخلفاء وأخبر أن قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطفها علينا وأمرنا أن ندعو لهم لان وقوع المصلحة بهم في العامة أعظم من جورهم مع أنهم باب الله تعالى في قضاء الحوائج في أهل الارض سواء كانوا فاسقين أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى * وقال في الكلام على الامامة من صلاة الجماعة في أبواب الصلاة من الفتوحات في قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما أجاب الداعي ولقال مثل ما قال يوسف فعلم انه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعي الا تعظيم يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم وقد تقدم بسطه في الكتاب فليتأمل ويحرر (قلت) ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام لاجبت الداعي ولم أراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وان ندبت الى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله تعالى لاسيما وقد ورد أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني باداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام نحن أولى بالشك من ابراهيم حيث يتمشى على ما يتبادر الى الاذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام في الآية المذكورة قبل ان يوفقه الله من مقامه الشريف على ما هو الارفع والله أعلم * وقال في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ليس المراد بهؤلاء الملائكة هم الحفظة وانما المراد بهم ملائكة التسخير وهم

ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له وأطال في ذلك

بالفاجر هنا هو العاصي المسلم لا الكافر فما دام الامام فيمن بقية الاسلام فانما الصلاة خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى أن الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بأمر متيقن لا مظنون لانه يبعد من المؤمن الكامل اعتقاد الفسق في أحد بالظن انتهى * وقال في الكلام على الطواف من باب الحج من الفتوحات انما جوز امامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل الصلاة الا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال في خير وعبادة ما دام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل هو في طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا وأيضا فانه ما من معصية تقع من المسلم الا والايمان بأنها معصية يصحبها فالحجاج ونحوه في حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شئ فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية في الصلاة وانما هي من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت امامته مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية في قولهم بشرط أن يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجي الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته في الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا وأصل هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة فانه ما من امام الا ويقع له السهو في صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهي فيها وأطال في ذلك في الباب السابع والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد عدم القول بعصمة الائمة أيضا ما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم أن الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذي هو السلطان الباطن الا بعين الاهلية ولو أنه تعالى نظر الى السلطان الظاهر بهذا العين ما جار امام قط كما يراه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت الامامة غير مطلوبة له ثم أمره الله تعالى أن يقوم بها عصمه الله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من أعطيها يعني الامارة بغير مسألة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب أن يقال انه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى في حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع اشارة من أشار عليك بما يخالف ما أوحيناه اليك من فعل الاولى لا المكروه ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة وأنشد في ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحي والتحقيق ما ثم الا هو

الى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام في ذلك أيضا في الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان في الحديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ومن أقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة أو الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك أن الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه أنه يعرف علم الاسماء ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم * وقال في الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصوري من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين الاول الخلافة عن التعريف الالهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فأيهما أتم (فالجواب) الخلافة بغير تعريف الهي أتم في القرب المعنوي فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فان حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو

حاكم

* وقال في الباب الخامس والخمسين وخمسمائة قد أطلعني الله على جميع الاولياء المتقدمين والمتأخرين الى يوم القيامة وما منعني أن اعين للناس الاقطاب والابدال وغيرهم من أهل زماننا الا خوف الانكار عليهم وعدم التصديق لهم فأكون بذلك سببا في مقتهم على ان الله لم يكلفنا باظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها قال وقد فعل مثل هذا القشيري رحمه الله في رسالته فانه ذكر الاوائل من الرجال في أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكر من رجال الرسالة ثم انه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج أولا وصدر بها الكلام ليزيل بذلك ما في نفوس بعض الناس منه من سوء الظن به رضي الله عنه * وقال في الباب السادس والخمسين وخمسمائة كان شيخنا أبو مدين أحد الامامين ثم قطب بعد ذلك الى ان مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ويدل على امامته انه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي مختصة بالامام الواحد من الامامين والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة وهو باب جمع فيه اسرار الفتوحات كلها من أولها الى آخرها اعلم ان التنزيه يرجع لتحديد المنزه والتشبيه يرجع الى تشبيه المشبه والكمال الجمع بين المرتبتين كما ورد * وقال فيه ان

حا كم لنفسه فهو أقرب الى الصفة الالهية ممن دعدت له الخلافة بتعريف ومنشور ولكن هذا أقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته أمر الهى اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم فى العالم أو التسليم (فالجواب) هو مخير فى ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلى وان شاء سلم وترك التصريف لربه فى عباده مع التمكن منه كابى السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا أن يقترن بذلك أمر الهى كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد أمر الله فانه من الهوى الذى نهى الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان رضى الله عنه ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق تعالى فى ذلك وأما من لم يقترن بحكمه أمر الهى فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع أن ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم أن الاولياء قد يلحقون بالانبياء فى الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللرسول الحكم ثم ان استخلف فله التحكم أيضا فان كان رسولا فحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذى هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء أو تشريف (فالجواب) هو ابتلاء له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه فى الآخرة فى دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وأيضا فلو كانت تشريفا لما نسب فى التحكم الى عدل ولا الى جور ولا كان يتولى الخلافة فى العالم الا أهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وأمرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فايهما أكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة وقال اعلم أن الحق تعالى لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسى آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال فى آدم انى جاعل فى الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الاسماء كلها وقال فى داود انا جعلناك خليفة فى الارض فسماه فلما علم الله تعالى فى سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على أبيه من وجه بشريته بحسب النشأة قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وأمره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد وأطال الشيخ فى ذلك *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل فى السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذى يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر فى أحوال رعيته فقد عزل نفسه فى نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى أهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالى الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك فى التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والستون فى بيان أنه لا يموت أحد الا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنتا عشرة صورة)

اعلم ان كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت باجله وانما القاتل قطع بقتله أجل المقتول وانه لو لم يقتله

العالم علامة بدؤ ممن فهو علامة على من ماثم الا الله وخيله وما الا بسيع جهله * وقال ما نشأ الخلاف الا من عدم الانصاف * وقال كل علم أنتجه الفكر فلا يعول عليه لان التكير يسارع اليه * وقال لا ضلال الا بعد هداية كما أنه لا عزل الا بعد ولاية * وقال لا يشترط فى المجاورة الجنس لانه علم فى لبس فالله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية * وقال لولا الشبه ما كان الشبه * وقال من أعجب ما ورد أنه لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد * وقال من تعبدته الاضافات فهو صاحب آفات * وقال لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتاخر عنه شئ من محدثاته * الكثرة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة * وقال من الامر الكبار خوف النار بالنار لان الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم * وقال علوم النظر أوهام عند علوم الالهام * وقال الزمان ظرف المظروف كالمعانى مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف وقال فى التنزيه عن التشبيه فاين الراحة التى اعطتها المعرفة واين الوجود من هذه الصفة * وقال اذا استقصيت الحقوق حوسب الانسان على ما اختزنه فى الصندوق * وقال فى قوله تعالى كل من عليها فان اعلم ان ما كل كل فى كل موضع ترد فيه تكون للحصر لانها قد تاتى ويراد بها القصر مثل قوله فى الريح العقيم تدمر كل شئ بامر ربها وفى آية أخرى ما تذر من شئ أتت عليه

الاجعلته كالرميم وقد مرت على الارض وماجعلتها كالرميم * وقال الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت ولذلك يورث ماله

لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يعد أجله ينقضي الابتلاء بالسيف فان الحق تعالى أن يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الاجل المضر وبه في علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء أجله فلابد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لامحالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا الائمة أهل اسلام بلاشك ولا ينبغي حمله على اعتقاد ان الله تعالى أراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن أن يريد مثل الزمخشري وأضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا أن القاتل قطع عمر المقتول فهمامن نحو حديث بادرني عبدي فيمن قتل نفسه وهو فهم خطأ لا يصلح أن يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقي اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكانه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته ومن مشهور أدلة أهل السنة قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة أحاديث في الصحيحين وغيرهما صرحت بان بعض الطاعات تزيد في العمر كحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه * قال وعن ذلك أجوبة أصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في أوقات العمر بان يصرف عمره في الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان في طاعة وهذا جمع بين الادلة قال وأما نحو حديث الطبراني ان المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة ويقول يارب انه ظلمني وقتلني وقطع أجلي فقد تكلم الحفاظ في اسناده وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علم الله انه لو لم يقتل لكان يعطى أجلا زائدا لان معنى قولنا المقتول ميت باجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لو لم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ماذكره في شرح المقاصد اهـ (قلت) وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد وأما نقص العمر في نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا اختيارا ومبنى هذا على أن الموت وجودي بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفي الحديث أيضا يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه فيضعه الروح الامين ويأتي يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على انه عدمي ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف في ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسماني والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لابد أن يبقى بعد المذوق * وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقي وهي نص في بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى ويقول ما أنتم باسمع منهم فتأمل وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم أو اعتبارا كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم المقدرة في علم الله تعالى فقد بان لك أنه لا يموت أحد الا باجله وان معنى حديث بادرني عبدي أي لكونه قتل نفسه بغير أمري فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر المعاصي الواقعة في هذا الوجود والله أعلم * وأما معنى قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون فالمراد بقوله ثم قضى أجلا هو الاجل المقضي لكل حي يقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلك وأجل مسمى عنده

وتشكيع عياله فطلاقه يشبه تطليق الحاكم على الغائب وان كان حيا قد أبعد في المذاهب وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرار ولا ضرر وقد علم أن الشهيد بدار الخلود لاسبيل الى رجعته ولا الى ازالة من رفعته مع كونه حيا يرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الاموات وان كانوا أحياء عند ربهم فعطاؤهم عند تارفات ومالها الامراء ولا نحكم الا بما شهدناه فاستمع تنتفع * وقال الاشتراك بالاجسام من الاوهام لان الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال * وقال المال مالك وصاحبه هالك ان أمسكه أهلكه البخل وان منحه أضر به البذل وقد جبل بخالقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج * لا يحسن الا صاحب دعوى فمن ادعى فقد تعرض للبلوى * وقال ليس الوقوف خلف الباب بحجاب اذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فاذن الباب عين المطلوب * وقال من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال حاز درجة الكمال عند الارتحال * وقال انما لم يحب الخليل الآفل لانه رآه يطلب السافل وهمته كانت في الدنو لصاحب العلو * وقال اذا حققت الاصول فلا زهد الا في الفضول وأما ماتدعو الحاجة اليه فذلك المعول عليه * وقال لو تعطلت الاحوال لالتبست الأمور * وقال المباح أتم شرع عن شرع الانسان

فالمراد

فالمراد به أجل الروحانية الذي هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم أنتم تمترون يعني في البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم في كل حيوان فما وقعت المرية الا في البعث الذي هو الاجل المسمى عنده تعالى وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الرابع والسبعين ومائتين ثم قال وانما لم يجعل أجل الموت مسمى عنده لانه اذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون فاما أن يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا ويكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ممن صعق واما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا اه (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بني آدم (فالجواب) آخرهم يقبض روحه الانسان الموحد الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيي الدين في الموت هل هو عدمي أو وجودي (فالجواب) هو عنده عدمي وعبارته في الباب السابع عشر وثلثمائة اعلم ان الموت حقيقة انما هو للسلب وأما الحياة فهي دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح الا حي ولكن لما أعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هي حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهي أمره اليه وهو اليقين المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * قال الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائة واعلم ان كل محتضر يرد عليه اثنتا عشرة صورة يشهدها كلها أو بعضها لابد له من ذلك وهي صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من أسماء الافعال وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فاما الذي يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيي الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم أن صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجمل في التجلي من صورة النظر والاستدلال لما داخلهما من الشبه وكلا الصورتين لابد أن يفرح بهما العبد فان صحبه في علمه دعوى نفسية كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس في جمال صورة التجلي يكون على قدر نياتهم * وأما الذي يتجلى له عمله عند الموت فيكون في صورة حسنة أو قبيحة لابد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشاه العامل من الكمال والنقص فان كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أحسن صورة وكان براقا وحده يسري به عليه الى أعلى عليين وان كان انتقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في أقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله أجمل * وأما الذي يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه في دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل في صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب علو المشاهد * وأما الذي يتجلى له صورة مقامه فهو الذي لحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين وأما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * وأما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان انبسط في محل كان اللائق به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة

وعليه جميع الحيوان الاترى ان لهم الكشف التام في اليقظة والمنام ولهم الكتم فيما يرونه من عذاب القبر الخ * وقال كل جزء في العالم فقير الى العظيم والحقير فالكل عبيد النعم ومن النعم الامان من حلول النقم والامراض فافي ونسي والافان حال قوله صلى الله عليه وسلم نور أنى أراه وقوله انكم سترون ربكم فاثبتها لما ونفاها عنه لما علم منه * وقال ليس من شرط البيان حركة اللسان فان لسان الاحوال أفصح وميزانها في الابانة عن نفس صاحبها أرجح ومن سكت رمي بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وان جهل أمره وكثرت فيه المقالات وتطرقت اليه الاحتمالات ففتح بصمته ابواب الالسنة وعمر بالازمنة بيته جميع الامكنة ماشرف موسى عليه السلام الا بما نسب اليه من الكلام وبالكلام وجد العالم وظهر على أتم نظام وكل قول برز فهو بحسب حقيقة القائل فمنه الدائم ومنه الزائل ومنه ما يكون الا بحرف وهو لمعنى القول كظرف ومنه ما لا حرف فيه فميز ولفقدا بنت الك عن الاصول * وقال ان أردت أن تكون من الخدام فالزم الادب التزام الالف واللام (وقال) صاحب علم سر القدر لا يقول قط أنا الله وحاشاه من هذا القول حاشاه بل يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقيل * وقال الايمان برزخ بين إسلام واحسان فله من الاسلام ما يطلبه عالم الاجسام وله من الاحسان ما يشهد به المحسنين فمن آمن فقد اسلم وأحسن ومن جمع العارفين فقد

فازبالحسنيين * الاسلام صراط قويم والايمان خلق كريم والاحسان شهود القديم اذا صح الانقياد كان علامتشوق المعاد

يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو ابراهيم أو محمدا أو أى نبى كان على جميعهم أفضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبى الذى يرثه عندما يأتيه فرحابه لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤية ذلك النبى بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضر ون ذلك فيسيؤن به الظن و يعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى وهذا أمر لا يعرفه الا أهل الكشف وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذى شاركه فى المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه و يتهلل وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتتمعر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم فى أعمالهم وأحوالهم وعلومهم * وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذى كان غالبا عليه من أسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارى والمصور والرازق والمحيى وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده فى أعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له فى أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله فى تلك الاعمال كسل أو غفلة أو فتور كان فى صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهى فى غاية الحسن وتقول له انا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهى فى أقبح صورة فتقول له أنا ذكرك فيحزن و يقاس على ذلك بقية الاسماء اه (فان قلت) فما معنى قول الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا هل المراد بالغطاء الذى ينكشف غطاؤه رضى الله عنه أو غطاء غيره فانه رضى الله عنه كان كامل الايمان بلاشك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذى ينكشف هو غطاؤه هو اذلا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضى الله عنه أثبت ان ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعنى فى علم اليقين ان كان ذا علم أو فى عينه ان كان ذا عين أو فى حقه ان كان ذا علم حق لانه لا يزيد بكشف الغطاء أمرا لم يكن عنده اذلو كان كذلك لكان كشف الغطاء فى حق من هذه صفته عبثا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمى وانما هو وجودى وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت و يتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطى صاحبه سعادة فهو كايمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه ولكن هذا فى حق العامة اما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان اهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وما سوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم اه وتصريح الشيخ بأن ايمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقبول ايمان فرعون لانه انما آمن عند اليأس والله أعلم *(خاتمة)* (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة ان المراد به ان من مات الموت المعنوى بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم تألمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة وأما من وافق نفسه فى هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع تلك الآلام التى فاتته حين لم يجاهد وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه فى الحياة الدنيا فما توافى حين حياتهم عن جميع حركاتهم وارادتهم فلما ظهر عليهم الموت فى حياتهم التى لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف فى العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فما ذاقوا الا الموتة الاولى وهى التى ماتوا فى حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت

* المسلم لا يحتاج الى تأويل فهو معرس فى أحسن مقيل * وقال من مال الى الآمال اختبرته الآجال ليس بالمواتى من اشتغل بالماضى والآتى والحليم الاواه من كان مشتغلا بالله ومن كان عبدا لغير الله فما عبد الاهواء لان العدو أخذ به عن طريق هداه * وقال فى قوله تعالى حتى نعلم من علم الشئ قبل كونه فما علمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال لا تقل نحن اياه اقوله فاجره حتى يسمع كلام الله فانت الترجمان والمتكلم الرحمن فقيده كلام الله بالامكنة بكونه فى المصاحف والالسنة يقول القارئ قال الله ثم انه يتلو * الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فاذا نطقت فاشهد عين تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد * وقال فى حديث شمنى ابن آدم من اشتكى الى غير مشتكى فقد حاد عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الاذى ما شكى الحق البه فالخلق مشتكى الحق والحق مشتكى الخلق ومن شكى الى جنسه فما شكى الا الى نفسه * وقال من ذل لله فقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد

يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر رضى الله عنه أى لانه رضى الله عنه كان ميتا فى حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها اذ حقق التسليم لله تعالى جميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفسانى فكان مع الله تعالى فى حال حياته كحاله معه فى حال عدمه اهـ وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين اعلم أن من صار حكمه حكم الميت فى عدم التصرف فقد وفى مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا حد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حى فى الافعال الظاهرة ليقوم بالامر والنهى ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضى والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والستون فى بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت أو معذبة وفى فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان ان أجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم أن العلماء اختلفوا فى فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله يقول الاظهر أن الروح لا تفنى أبدا لان الاصل فى بقائها بعد الموت استمراره أى البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما قالوا ذلك فى الحور العين * وقال بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها توفية لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور لكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروى خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فمن رآها فى كشفه الصورى حال خمودها قال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها نائمة * قال والذى كشف لى أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بامر الله تعالى تحقيقا للوعد وتمييزا لصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لانه ما ثم حى ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار قال وذهب قوم الى أن الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا لان الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التى خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا تخصص عدم الاجابة المذكورة بمن صعق أى فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد اهـ (فان قلت) فما الصحيح فى عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفى رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشؤن قال العلماء وهو فى أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه فى المحل محل أصل الذنب من ذوات الاربع * وقال المزنى رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه وتأول الحديث بانه لا يبلى بأكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت اهـ ووافق المزنى على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبرانى وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه فان مات لم يدود أى لم يأكله الدود قال فى النهاية وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول فى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشئ الثابتة فى علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها فى العلم الالهى لانها معلوم علم الله عز وجل وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا وخلط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان اهـ *(خاتمة)* يستثنى من بلاء الاجساد أجساد الانبياء والشهداء فى قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت فى جسمه سريان الماء فى العود وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذى لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك فى الشيخ نور الدين الشونى شيخ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفى جدى الشيخ على رحمه الله أما الشيخ نور الدين الشونى فنزلت بعد سنة وتسعة

أشبه الاصول فالرجوع الى الفروع أولى من الوصول الى الاصول * وقال اذا أراد الحق تعالى بعبده أن يقطع أمله أشهده أجله واذا بدل الله سيآت عبده حسنات يود أنه لو كان أتى بقراب الارض خطايا أو حمل ذنوب جميع البرايا لما يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ففاز هذا فى الدنيا باتباع الهوى وفى الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيبدو للمذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس فى الدنيا بهذا لا يشعرون فحسنوا يا اخوانى ظنكم بربكم تفوزوا بقربكم * وقال الاخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم وأولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد فى تمهيد السبل * ما جنح الى الرخص الا من يقع فى الغصص من سلك هنا ما توعر تيسر له فى آخرته ما تعسر فما أثقل ظهرك سوى وزرك فهنا تحط الاثقال أثقال الاعمال والاقوال فاحذر من الابتداع فى حال الاتباع * وقال التخلق بالاسماء الالهية على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك أن يظهر مثل هذا عنك قبل أن تشهد مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ انظر * وقال موافقة الامثال من شأن الرجال ومن الزم نفسه بمحال فهو شديد المحال فان الرباط ملازمة والملازمة فى الالهيات

أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك أني سمعت قائلا يقول من أراد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول أبا هريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للامام علي رضي الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هاهو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت أتطلب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينتشر من جهة جبهة الشيخ نور الدين الى أصابع رجليه نخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشيء مثل هذه الرؤيا وان صح منامك يا ولدي لا يبلى لي جسد فكان الامر كما ذكرناه وأما جدي رضي الله عنه فكان يبالغ في الورع ويقول من أحكم أكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام أحد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام أحد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لاكلها من زرع الناس وترك آخر عمره أكل العسل النحل لما أخبره أهل برشوم الصغرى ان نحل بلده يعدي البحر ويأكل زهر فوا كههم فلما مات دفنوا والدي بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه هكذا أخبرني الذي دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والستون في بيان ان الارواح مخلوقة وانها من أمر الله تعالى كما ورد وكل من خاض في معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن)

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فامسك عنها أدبا ولا يعبر عنها بأكثر من موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود واليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبي وابن عطية وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضي أبو بكر الباقلاني ويدل للاول وصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ قاله السهروردي وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج عنه وهذا رأي الفلاسفة وهو كلام ساقط والذي ظهر لي أن العبد يتقدر بأنه يطلع على كنه الروح لا يستطيع أن يعبر عنها بعبارة تؤدي السامع الى معرفة كنهها الا ان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول أحدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر في الذات فاننا اذا كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم وفي كلام الامام علي رضي الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أي لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كأنه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده في حد ولا حقيقة اهـ قال الكمال بن أبي شريف في حاشيته فان قيل كيف خاض الناس في معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين * الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدم في كتبهم من وصفه بذلك * الثاني ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليط وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح أمر مشترك بين روح الانسان

مقاومة وقال جنات النعيم لاصحاب العلوم وجنة الفردوس لاصحاب الفهوم وجنة المأوى لاهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لاهل الكرامة * وقال الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال الادوام الحال انظر في وجود الخلق تجده عن ارادة الحق والارادة انحراف بلا خلاف فاين الاعتدال والاصل ميال فما ثم الا ميل عن ميل لطالب النيل لو كان ثم اعتدال ما هوى انسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا لا يصح في العين لو كان ثم اعتدال لكان في الوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفه من قال بالاستواء والزوال قال بالانحراف والاعتدال وله ما سكن في الليل والنهار وما ثم ساكن في الاغيار لا في البصائر ولا في الابصار الا تراه جعله عبرة لاولي الابصار فانظر واعتبر * وقال الحق في الاعتدال فمن جار أو عدل فقد مال لكن ان مال لك فقد أفضل وان مال عليك فقد أبخس ٣ * وقال انما اشترك الزوجان في الالتحام لانه نظام التوالد فان لم والا فالاولى التباعد اذ التباعد فيه التنزيه والانتظام فيه التشبيه وانما حمدناه فيمن تولد عنه به وقربناه من قال انه وحد فقد ألحد اذ الاحدية لله لا تكون بتوحيد أحد ولم يكن له كفوا أحد بما في تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وحده وحدما وحد من العالم من ذي روح وجسم وجسد ثم

و بين جبريل وملك آخر يقال له الروح و يقال أيضا الصنف من الملائكة والقرآن ولعيسى بن مريم فلو أنه صلى الله عليه وسلم كان أجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم وأذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معانى الروح اه كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار انما كانت الروح من أمر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كونى فكانت كما قال فى عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالى الى أن معنى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى أى من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ما قاله الغزالى رحمه الله وذلك انا نقول كل ما أوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر أى قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكل ما أوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذى وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة اه وقال فى الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم أن اليهود لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من أين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ما جاء فى الجواب من قوله من أمر ربى ولم يقل هو كذا وقد سمى الله تعالى الوحى روحا فى قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا اه (فان قلت) فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفى عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أى قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة فى الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى فى المداد الذى فى الدواة جميع ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب أو الرسام فيقول فى هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فاذا جاء وقت الكتابة أو الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من امر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما أوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنهه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء اه * وقال فى الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهى من حيث النفخ الالهى غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعلولة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقها لا يقال مذمومة فان أفعاله كلها محمودة اه وقال فى الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى فى آدم ونفخت فيه من روحى بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم انك شريف الاصل فاياك ان تفعل ما يخالف أصلك من أفعال الاراذل اه وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هى خاضعة لباريها على الدوام اه * وقال فى الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة فى جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ما هو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان فى نفسه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الاغلب وهو وجود الابوين والذى ربيه هو له بمنزلة أبويه * وقال الشيخ فى الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم أن لكل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها

ان ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول وشرائع ما فيه جناح واما ما تولد عن نكاح الشبه فى العقول والاشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت اليك بالمفتاح * وقال لما دعا الله تعالى الارواح من هياكلها بعثا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وافشاء السر فهو مذموم وان كان صدقا فلذلك قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم أى هل أذن لهم فى افشائه أم لا فما كل صدق حق واعلم انه لو كان نسبتنا اليه حقا ما ذم أحد خلقا ولو ذمه لكفر ولو كان ما استتر تعالى المعروف بانه غير معروف والحق الذى يقال ما قبح وذم فمنا وما حسن وحمد فما خرج عنا * وقال العارف مسود الوجه فى الدنيا والآخرة لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فان وجه الشئ كونه وذاته وعينه * وقال فى قوله وقل رب زدنى علما الانسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه يوما انه قنع فان قنع فقد جهل وأساء الادب ومن هنا كان العارف لا زهد قط فى الطلب وما أراد منك بذلك الادوام الافتقار فى الليل والنهار فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ولا يتقبل الحق من العباد الاجابة عليهم جاد فمنه بدا الجود واليه يعود فيا من يطلب القدم أنت عدم فقل لربك انما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك وفى

وهى كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة والموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروح نهار وح تسبيح لا روح تدبير وأطال فى ذلك ثم قال وما ثم أعرف بالله تعالى من أرواح الصور التى لاحظ لها فى التدبير وهى أرواح الجماد ودونها فى الرتبة أرواح النبات ودونها فى الرتبة أرواح الحيوان ودونهم أرواح المتمردين من الانس أما الصالحون فهم أعلى من معرفة أرواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لاحظ للروح السعيدة فى الشقاء فى الدنيا والآخرة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين فى أشخاص نوع الانسان وان روح زيد هى روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ما هو الامر عليه وشبهتهم فى ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلى الصورى فى جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الالهى الذى كان منتشرا غير معين اذ لم يكن ثم من يعينه وهى جسم العالم به ضمن جسمه أجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء أنه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح فى العالم هى عين الروح الاخرى وأطال فى ذلك ثم قال ولا يخفى أن من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله أعلم *(خاتمة)* فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهد من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد أقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل ابن عبد الله التسترى وأبى يزيد البسطامى واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف فى الظهور من أخذ الله الميثاق على الذرية وهم فى صلب آدم قالوا ولم نزل نراعى تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية فى تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب أو جنبا لوجه أو جنبا لظهر يكونون فى هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والستون فى بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض)

فاما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان فى قبره أو فى بطون الوحوش أو الطيور أو مهاب الريح بعد أن أحرق وذرى فى الريح قال الجلال المحلى رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من العاصين فقط فيرد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقى منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع فى مقدور الله عز وجل قال الكمال فى حاشيته وقول أهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيخص بالعذاب من أكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له وانما أوقعهم فى التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره أتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة لجزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لان أحوال البرزخ لا تقاس باحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد أشياء لا يشاهدها اليقظان الذى هو فى جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم فى ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا قال الجلال المحلى رحمه الله ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة قطعية ودليل استثنائها ظنى لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلى السابق فيرد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقى منه اشارة

عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألناك (١٢٤) من الشهادة تنقصنا من العبادة * وقال لا يؤثر الحرص فى القدر الا اذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الامر من القائل من قصرت همته عن طلب المزيد فليس من كمل العبيد فلا تستكثر ما وهبك الحق فانه لو وهبك كل ما دخل فى الوجود لكان قليلا بالنظر الى ما دخل فى خزائن الجود فاياك والزهد فى المواهب فانه سوء أدب مع الواهب فانه ما وهبك الا ما خلق لك * وقال لما علم الاكابر ان الامور كلها فى يديه اعتمدوا منه عليه فعلوا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحاجات وزالت الفاقات لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة ولاحت الاسرار وزال كل شئ عنده بمقدار فذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلا بد من الاعتماد فى العباد لان العبودية تطالب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة * وقال ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هنالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة * وقال كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شئ خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس فى غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون * وقال الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جيل ولا قبيل الا وهو مالك للقطمير والنقير والفتيل فاكثر الناس

المعلاف

الخلاف في ذلك فان الحليمي يقول ترد الروح الى جسده كابن جرير الطبري وامام الحرمين يقولان ترد الروح الحسابي منه وقولنا أول المبحث خلافا لبعض المعتزلة والروافض المراد بالروافض الجهمية وحجتهم في انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شئ زمانا لم يقع فلو أنه تحرك العذاب أو غيره لتحرك ذلك الشئ عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه و يسألانه ومن هنا أنكروا تسبيح الجمادات أيضا (والجواب) أن العقل عاجز عن ادراك هذه الاشياء بمجرده وقد ورد تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الخالق يعني لضعف العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم أيها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة في ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين أي مرة في القبر ومرة في القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب في الحياة والعذاب في القبر وقوله في الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أي في البرزخ بدليل قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفي حديث القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا أفناه عدوه لان الروح ملكية اهـ وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا عادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس بشئ لما صح في أبي داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد وأما انكار الجهمية و بعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود لقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وان تأتي نافية ومنه قوله تعالى ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وان منكم الا واردها ان أردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان الاستثناء من النفي اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا في تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكي في شرحه لعقيدة الامام الماتريدي أبي منصور رحمه الله المختار أن كل شئ يسبح ربه نطقا وأنه ليس في العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وفي صحيح البخاري انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم مرفوعا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت أن هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالمقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازي وأكثر المعتزلة الى أن الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود * وقال بعضهم ان كل حي ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت في حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم في الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين اشارة الى أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق في مبحث الايمان مزيد كلام في حياة الجماد فراجعه والله أعلم اهـ كلام المتكلمين وكان الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يجيئان الا متشكلين لكل انسان بشكل عمله وعلمه واعتقاده فهما بوابان للبرزخ لا يدخل أحد البرزخ الا وعرض عليهما أو يمران عليه فيسألان العبد بمفرده وحده اليه كله وما بقي منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان أو كفر أو شك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول في هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق في الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذي كان يدعيه مفرده لته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول

تا لمولهذا تنبهوا بالتافه ليس في الكثير فزيادة الا في عالم الشهادة فوأما في عالم الغيب فما في التساوي عزيب من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل ومن لم يأته غرضه طال في الدنيا مرضه * قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا منادمته * وقال لا يرضى بالقليل الا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالنقير يدل على أنه كبير لا يخفى عن ذي عينين ان لله عناية بكل ما في الكونين واخراج الشئ من العدم الى الوجود برهان على أنه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناطه به تعالى الجفاء وليس برب جاف بلا خلاف واذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الامة الا من لم يجد الطول * وقال ما حال بينك وبين حقك الا عمالتك بطاقتك فان الرزق مقسوم لا ينقص ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد مع ان طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل علة وملة وما جعل القضاء يتأخر الا القضاء المقدر لو كانت العلة في الازل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الادلة البراهين لا تخطى فانها قوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذا كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فما الى علمه من سبيل من علمت به علوما وجهلته فيا عليه لانك ما علمته به فانتبه

المرتاب لا أدرى فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف أم لا الذى أعطاه الكشف أن الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة أو النطق أو ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات أن تكون هى عين الكلام كان ذاك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله * قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار لنألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا أن علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه أنه فى عذاب وشرور أو فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو أبصروا شيأ من أحوال الموتى لاخبروا بعضهم بعضا كما أشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيد كم فى الحديث لدعوت الله تعالى أن يسمعكم عذاب القبر وفى رواية أخرى لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر فهلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة أن كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى أوليائهم ليجادلونا وان الله تعالى ما أخذ باسماع الجن والانس وأبصارهم الا طلبا للستر فان المكاشف لو أفشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهى من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار أن لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عمن أرسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسئلون عنه تنكريما كما نسئل نحن عمن أرسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر فضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدى ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذى ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذى ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن فلا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت فى قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بالحس لا فى الحس كما أن جميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن فان الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية فى حضرة البرزخ الذى هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هنالك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه أيام تكليفه فى فقم الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق فى البرزخ وفى الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما قوم فرعون فيعرضون على النار فى تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها الا أنهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى * وقال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل فى قبره بعمله الذى كان يعمله فى دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البنانى التابعى الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلى وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى أن يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان أهل الاعراف بالسجدة التى يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى أحكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بهم ميزانهم فهى آخر ما يبقى من أعمال أهل التكليف قال وأما جميع من يرى فى المنام أو اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شئ محقق الا أرواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا

(وقال) الموت للمؤمن تحفة والنعش له محفة لانه ينقله من الدنيا الى محل لا فتنة فيه ولا بلوى فليس بخاسر ولا مغبون من كان أمله المنون فان فيه اللقاء الالهى والبقاء الكونى * وقال الحصاد فى القبر والبيدر فى الحشر والاختزان فى الدار الحيوان ذبح الموت وان كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة أين الرد فى الحافرة من قوله وتنشئكم فيما لا تعلمون ذبح الموت علامة للخلود فى النحوس والسعود وفى ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله * وقال ان لله تعالى رجالا يساقون الى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب * وقال من أعجب ما فى البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم وان سئلت فقل الله أعلم العالم فى أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم فى جميع المحافل فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين * وقال اذا ربط تعالى مشيئته بلو فهو ترلو شاء الله كذا وما يشاء ولو شاء لصح المشاء ولو حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع اذا تنوع الواحد فليس بواحد ولابد من أمر زائد وليس العجب عند العليم الا تنوع ارادة القديم * وقال دليل العقول قد يخالف ما صح عندها من المنقول اياك واتباع المتشابه أيها الواله فما يتبعه الا

والآخرة

والآخرة والبرزخ بخلاف أرواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس لها خروج من البرزخ فان رىء أحدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال أقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه وأطال في ذلك بنحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان للجسد عندهم حقائق وعوالم تقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقي الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق الذي تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تقديره وان من شئ يعرفه لانه لا يمكن أن ينزه البارى جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ انتهى وتقدم في مبحث الايمان ماله تعلق بحياة الجماد فراجعه وقد بان لك يا أخي مما قررناه انه لا يقدح في صحة نعيم القبر وعذابه كون أبصار أهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار *قال الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض أهل الله في كشفهم فانهم اذا اطلعوا بشئ من أحوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هي الدنيا أظهرها الله تعالى لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه من أحكام الدنيا في اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار وأين الاتساع من الاتساع ومعلوم ان القيامة ما هي الآن موجودة ولا دار ذوقت في الحياة الدنيا فما هي الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفي الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار في مقامي هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال في عرض هذا الحائط من الدار الدنيا وذكر انه رأى في النار صاحبة الهرة التي حبستها وعمرو ابن لحي الذي سيب السوائب وكان ذلك كله في صلاة الكسوف في اليقظة وفي حديث آخر مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط وتمثل الشئ ما هو عين الشئ بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال ان أهل النار اليوم في النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا (قلت) ويكفي أحدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتي في مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والستون في بيان ان جميع أشراط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة)

وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته وكل هذه الآيات تقع في المائة الاخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله ان صلحت أمتي فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون *قال بعض العارفين وأول الالف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته فمهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم أن بالالف قوة سلطان شرعه الى انتهاء الالف ثم تأخذ في ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضى ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر فهنالك يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الامام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق الى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على

الزائغ وما يترك تأويله الا العاقل البالغ فان جاءه من ربه في ذلك الشفا فهو المعبر عنه بالمصافي *وقال لو راقب الناس مولاهم في دنياهم لأمنوه في أخراهم ومن ارتفع في هذه الدار سقط وهنا وقع الغلط *وقال ذبح النفوس أعظم في الالم من الذبح المحسوس ومخالفة الآراء أعظم في الشدة من مقابلة الاعداء ومجانبة الاعراض غاية الامراض ومن فاز بمخالفة نفسه سكن حضرة قدسه *وقال السيد خادم فهو في طاعة عبده قائم السيد أحق باسم الخادم من الغير لان بيده جميع الخير يحكم في عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقي في قدسه لا تمكن من المملوك لان الملك مملوك من صحت سيادته صح تعبده وكبر والله نصبه هم لازم وغم دائم فانه لو ترك خدمة عبده انعزل وكان ممن عصى المرتبة فزل كلكم راع ومسؤل عن رعيته *وقال اذا مزحت فقل ولا تطل ومازح العجوز وذا النغير ولا تقل الا الخير كما قال الشارع يا أبا عمير ما فعل النغير وقال العجوز لا تدخل الجنة لرده تعالى عليها شبابها وان لم يكن المزح هكذا فهو أذى والاذاية من الكريم محال ولولا صلابة الدين ما كان من المازحين لانه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الابصار ألا تنظر الحروب العباد في قصة هناد حين أخرجه واستدرجه الى ان قال له أنت ربي وأنت رب العالمين فاضحكه وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما أهلكه بل أعطاه وخوله

بركة الرطلي بمصر المحروسة عن الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي على الخواص رحمهما الله تعالى * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لابد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تملأ الارض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده حسن العسكري ابن الامام على النقي بالنون ابن محمد التقي بالتاء ابن الامام على الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين ابن الامام على بن أبي طالب رضي الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضمها اذلا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية يأتيه الرجل فيقول يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهدا وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم ان المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى الى أن يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وأمناؤه أفضل الامناء قال الشيخ محيي الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء واعلم ان المهدي لا يفعل شيأ قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هنالك وأما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان أحدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة ألا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر أخوان * قال الشيخ وهؤلاء

وملكه فسرت هذه الحقيقة في كل طريقة ولو لم يصنع بنا التقسيم ما اتصف بها النبي الكريم * وقال لا تفرط في الرخاوة تكن غشاوة وهي مذمومة كالقساوة مع ان الرخاوة في الدين من الدين ولهذا امتن الله تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولهذا فضلهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله واذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون فكيف مع الشدة والغلاظة لا ينفرون الافعى يتقى ضيرها مع أنه يرجى خيرها اذهي من جملة عقاقير الترياق الذي يرد النفس اذا بلغت التراقي ومع ذلك فما قام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولي الابصار * وقال من استحيا أمات وأحيا من لا يكون الا ما يريد لا يستحي من العبيد وان استحيا في حالة فاطلب الاسم المسمى لولا التكليف ما ظهر فضل العفيف واذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف * وقال الرفيق رقيق وصحبة الرفيق الاعلى أولى وقد اختار هذا الرفيق من أبان الطريق فانه خير فاختار ورحل عنا وآثر ذلك ليلحق بالمتقدم السابق ويلحق به المتأخر اللاحق ولعلمه انه لابد من الاجتماع اختار الخروج من الضيق الى الاتساع ألا ترى يونس لما نادى ربه نجاه من الغم وكان في بطن الحوت فقذفه على ساحل اليم وأنبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن خومته فهذا الغزل

الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامته خليفة من خمس الى تسع للشك الذي وقع في وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أحوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة * قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم في مرج عكا في المأدبة الالهية التي جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل هو ممن استثنى الله في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله أو هو يموت في تلك النفخة * قال الشيخ محيي الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدي اماما في الدنيا ولم أقطع في ذلك بشئ لاني ما طلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى ان أسأله في شئ من ذات نفسي قال ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى لي واحدا من أهل الله عز وجل فدخل علي وذكر لي عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لي هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدي لا بد أن يكون تسع سنين فاني عليم بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع ما تحتاج اليه وزراؤهم وان كانوا أكثر من واحد فما يكون أكثر من تسعة فانه اليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعني في اقامة المهدي تشجيعا لخواص أصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدي في قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهي عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر والرحمة في الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج اليه في الكون في مدته خاصة * فهذه تسعة أمور لا بد أن تكون في وزراء المهدي من واحد فأكثر وأطال الشيخ في شرح هذه الامور بنحو عشرة أوراق ثم قال واعلم أن ظهور المهدي عليه السلام من اشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من أرض المشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من أصبهان وحدها سبعون ألفا مطيلسين وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا * قال الشيخ محيي الدين فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية أو أراد به كافر من الاسماء الان الالف حذفت كما حذفها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون (فان قلت) فما صورة ما يحكم به المهدي اذا خرج هل يحكم بالنصوص أو بالاجتهاد أو بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه يحكم بما ألقى اليه ملك الالهام من الشريعة وذلك أنه يلهمه الشرع المحمدي فيحكم به كما أشار اليه حديث المهدي انه يقفو أثري لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وانه معصوم في حكمه اذ لا معنى للمعصوم في الحكم الا أنه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد أخبر عن المهدي أنه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء في ذلك الحكم قال الشيخ فعلم أنه يحرم على المهدي القياس مع وجود النصوص التي منحه الله اياها على لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا اليه في ذلك فأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وأطال في ذلك ثم قال فللامام المهدي أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى أن يحدثه من الشؤن قبل وقوعها في الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة الرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع

الدقيق من اشفاق الرفيق * وقال الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظمها في مهارقه باليراع البينان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الاحلام * وقال الذكر القديم هو ذكر الحق وان نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الخلق وان كان هو كلام الحق اذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ونزاحمه بالعبد من تسنيم ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * وقال لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الامور كلها معلولة والكيفية من الله مجهولة انفرد بعلم العالم فاصله الابد من الازل حالت المثلات بأهل التفكر في المحدثات لانه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول والحق لا يدرك بالدليل فليس الى معرفته سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم في العقل الا صفة تنزيه والنقل ضم معها صفة التشبيه فعلى ماهو المعول الآخر أو الاول * وقال الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف المقت لا فتى الا علي لانه الوصي والولي الفتى من كان على قدم حذيفة في علم السر وقال ما فتى من زعم انه فتى الفتى هو الكليم ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طلبا للتعليم الفتى من لا يزال طالبا ومن الجهل هاربا * وقال الغيور سريع النفور فيخطئ أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف

وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله (فان قلت) فاذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف ألحقها فى الحكم بالمباحات فيعلم بعد التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من الرأى والقياس فى الدين اذ القياس ممن ليس بنبى حكم على الله فى دينه بما لا يعلم فانه طرد علة وما يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو أنه كان أرادها لابانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وابان بطردها واطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على أحد من الائمة بعده أن يقفوا أثره لا يخطئ الا المهدى خاصة فقد شهد له بعصمته فى خلافته وأحكامه كما شهد الدليل العقلى بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له فى عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فبى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة أنه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو وأصحابه فى نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر وأتاه فى السحر العسيلة سميت بذلك الحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى *وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد فى الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز فى العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفى ذلك رد على نمرود لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية *قال الشيخ أبو طاهر القزوينى وأصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد أجرى العادة بان كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف فبم تنكرون أن الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى الى كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها أى اليها قال وعند وقوف الشمس فى وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم ويقولون فى المثل السائر الدولاب اذا تعطل تكسر وهنالك يظهر الشمس والقمر فى وسط السماء كالغرارتين وفى رواية أخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا نازلين الى المغرب لا أنهما يغربان فى المشرق كما توهمه بعضهم وفى الحديث أنهما يطلعان من المغرب مكورتين كالغرارتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور أقل من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج (فان قيل) قد ورد فى الحديث أنهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دؤب لهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع أخرى ثم تقف هكذا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم فى مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى حين ينزل ويجتمعون عليه وأنكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى فى عيسى عليه السلام وانه لعلم للساعة قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير فى انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفى الحديث فى صفة الدجال فبينما هم فى الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين يديه مهرذبتان واضعا كفه على أجنحة ملكين

والمهرذبتان

لانا خذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تتميز الارواح والزنا لابد فى الوجود منه وقد قال لصاحبه استتر منه وصنه هذا مع انه يعلم به ويراه وقدره وامضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وان استتر عن ابناء جنسه فما تستر عمن هو أقرب اليه من نفسه* وقال الامر بين قرنين وما جعل الله لرجل فى جوفه من قلبين لكن جعل لكل قلب وجهين لانه تعالى خلق من كل زوجين اثنين فبنى الجمع على الشفع وما ثم الا وترية الحق وهذه أسرار ما عليها غبار وان عميت عنها الابصار واليها الاشارة بنعم عقبى الدار وأنت الدار وعليك المدار* وقال القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لان القرآن لا يجور والسلطان قد يجور فلا يحجبك عما قلناه أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فان ذلك انما هو من حيث ان السلطان ناطق والقرآن صامت فاعلم الفرقان تفهم القرآن *وقال الاخبار يعرب عن الاسرار والاخبار كما يشهد للمؤمن بالايمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فان شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الايمان والا لحق بالبهتان لو كان مطلق الايمان يعطى السعادة لكان المؤمن بالباطل فى أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فحاله غير عاطل* وقال قسم الشارع سبله الى ثلاثة أقسام اسلام وايمان واحسان فبدأ بالاسلام وقرنه بعمل الاجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالايمان وهو ما يشهد به الجنان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره

والمهرذ بتان بالذال المعجمة والمهملة معاحاتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع والحق أنه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه الله اليه قال أبو طاهر القزوينى واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه فى السماء الى أن ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا أن نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى وأطال فى ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم فى انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) أن الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش فى الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فيحلل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته فى هذه الخطة الغبراء وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما أغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وفى الحديث مرفوعا ان بين يدى الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفى السنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها وفى السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له أسماء بنت زيد يارسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس * قال الشيخ أبو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بأم رمن بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد أن يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله أعلم بجميع ذلك * وأما خروج الدابة التى يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من اجياد وهى دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ فى وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها فى جبين كل شخص ما هو عليه فى علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر أعطنى كذا وكذا فيغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب فى جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم أولا فى قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها فى العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها فى سائر أصحاب اللسان فهى تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها فى صحيح مسلم فى حديث الدجال حيث دلت تميما الدارى عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهى الآن فى جزيرة من البحر الذى يلى جهة الشمال وهى الجزيرة التى فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها فى وجوه الناس كلاما لانه أفاد ما أفاده الكلام ألا ترى العاقل من أهل النظر اذا أراد أن يوصل اليك ما فى نفسه لم يقتصر فى ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك افهامه واعلامك بالامر الذى فى نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة فى العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد أو رأس أو عين كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك أثر تعرف منه ما فى نفسه ويسمى هذا كلاما فصح ان رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم وأطال فى ذلك فى الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * وأما رفع القرآن فروى البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يغزى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيأ ثم يقعون فى الشعر * قال القرطبى وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * وأما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية

والبعث الا... حرالى الدار الحيوان وثلث بالاحسان وهو انزال المعنى منزلة المحسوس فى العيان وليس الاعالم الخيال * وقال الثر ولئ وان كانت عدما فهى نعوت فالزم السكوت الامر بالشئ نهى عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك الاغيار الا الاغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه فمن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التى جاءت بها الاخبار ولو انك تركت التكاليف لكنت معاندا عاصيا أو جاحدا * وقال نصرة القوى محال فكيف الحال فى قوله ان تنصروا الله ينصركم وان لم تنصروه يخذلكم واذا خذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم فى عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره الا وأعطاكم الاشتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى ويعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكليف الحق بالعبث * وقال أصدق الاخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فاذا كان العطاء ارتفع الغطاء * وقال ان الله عند لسان كل قائل وما تكلم الا اللسان والقائل فى الشاهد هو الانسان وفى الايمان الرحمن لقوله كنت سمعه الذى يسمع به ولسانه الذى يتكلم به الحديث فمن كذب العيان كان قوى الايمان ومن تردد فى الايمان تردد فى العيان فلا ايمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الايمان كان فى أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب الا القلب وأنت ترجمان الحق الى الخلق فاين الكذب عند هذا المشاهد وما ثم ناطق الا الحق الصمد الواحد * وقال

وهو سد عظيم يصل اليه السواح * وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان لسيدي ابراهيم المتبولي كل سنة سماطا عنده فوق هذا السد فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات * قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا اهـ وأحوال المقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما غرضنا في العقائد الاشارة بذكر طرف منها الاجل الايمان بها لاغير والله أعلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر أيامه كايامكم معنى يوم كجمعة أن الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة أيام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا أرباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد أن اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى في رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب في نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فاذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي عليها أهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أي للصلوات فلما قرر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها قال ولو أن ذلك اليوم الذي كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لا نصلي الظهر حتى تزول الشمس ومالم تزل الشمس لا نصلي الظهر ولو مكثنا أكثر من سنة فتحصل من هذا ان المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا أي في رأى العين لا في نفس الامر فانه في نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وان اليوم الذي كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا أو سبعة أيام * (قلت) وهذا الذي ذكره الشيخ محيي الدين خلاف مايدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا له فليتامل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد بطول المدة التي ذكرها في الحديث من جمعة أو شهر أو سنة والله أعلم بحقيقة الحال

* (المبحث السادس والستون في وجوب اعتقاد ان الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة
وبيان كيفية تهيئة الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور
واحياء من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث) *

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم أن عود الجسم بعد الاعدام بجميع أجزائه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى بعثر مافي القبور مع ماقد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي لا تقبل التاويل حتى ان ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الاجماع على كفر من أنكر البعث جوازا أو وقوعا وقد أنكرت الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا انما تعاد الارواح بمعنى أنها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه ملتذة بالكمال أو متالمة بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم بقولهم ان الجسم يعاد بجميع أجزائه الاصلية أي الباقية من أول العمر الى آخره لا ان الاجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهي ما اذا أكل انسان انسانا بحيث صار الماكول جزأ من الآكل فاذا أعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزاء التي كانت للماكول ثم صارت للآكل اما أن تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين أو يعاد في أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه الاندفاع ان المعاد هو الاجزاء الاصلية الباقية من أول العمر الى آخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء الاصلية التي كانت للماكول هي فضلة في الآكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه واذا كانت فضلة لم يجب اعادتها

الروح واسطة وهو بين الرسول البشري والحق رابطة يوحي به اليه اذا نزل بالوحي عليه وقد أمر بالادب معه حتى نهي معه لانه ماعجل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له اكتم السر حتى لا يعلمه الملك بما لك وقال اذا كان الرسول حسن الصورة فذلك اشارة الى جمال المرسل اليه وقد حصل ادراك البغية بنزول جبريل في صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان أين النار من الجنان * وقال النفث في الروع من وحي القدوس وهو عين الالهام لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الاشارة والعبارة وما ثم الا الهم وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الاول لان النفث لا يكون له مكث لحلوله انتقاله وورود مزواله * وقال من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهي حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع عن مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها كانت علما ونفعت فهما وأورثت في الفؤاد كلما دونه تجز القمم لما يؤدي اليه من دروس الطريق الامم الذي عليه جمع الامم وان كان كل دابة ماخوذا بناصيتها * وقال انما ذهب بعض أهل الكلام الى انعدام العرض لنفسه لا الاجسام ليكون الخالق خلاقا على الدوام والعالم مفتقر اليه ومعوّل في وجوده عليه وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع في الاعيان في كل زمان وما حصروا عينا من عين ولا كونا من كون وأما من يعلم أن المتحيز هو كل ماقام من الاعراض فهو جامع بين المذاهب

والاغراض وقال الطالب من الادب لانه تعالى ما أوجدك الا لتسأل فانك الفقير الاول فاسأل من كريم ولا تبخل فانه ذو فضل عميم ومن أتبع هواه لم يبلغ مناه * وقال معنى قول العارفين من وحد فقد ألحد أى مال الى الحق لان الملحد هو المائل فى لغة كل قائل * وقال الاتحاد

فى الاكل بل فى المأكول اه والله أعلم وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم أن من أنكر البعث والاعادة فى الاجسام كفر وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه منى الرجال تمخض منه الارض فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة قائمة على عجب الذنب الذى بقى من نشأة الدنيا وهو أصلها الذى لا يقبل البلاء كما مر فى مبحث الارواح ثم اذا أنشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد الشعر بالنارية التى فيه لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالارواح التى فيها فاذا نفخ اسرافيل فى الصور الذى هو الحضرة البرزخية التى ينتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التى احتوى عليها الصور فأطفأتها كما فى قول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فاذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بارواحها فاذا هم قيام ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل انسان بما كان عليه عند موته واعلم ان كل واحد ينسى حاله الذى كان عليه فى البرزخ ويتخيل أن كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه * وقال فى باب الاسرار فى قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من الوجود وان اختلفت عليها الاطوار فى الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال فى علم الله تعالى من وجود الى وجود ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشأة الآخرة ابتداء لا اعادة حقيقة اذ لو كانت اعادة حقيقة لعاد حكمها معها من التكليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هى أطوار تتوارد عليه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لما دعا الارواح من هياكلها احتنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة لوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع اه فليتأمل وقال فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة الابتداء فما هى اعادة اه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا فى الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية اه فليحرر وسيأتى أيضا عن الغزالى فى جواب السؤال الثانى من شبه المنكرين للبعث فراجعه * وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة فى قوله تعالى اذا بعثر ما فى القبور اعلم أنه اذا بعثر ما فى القبور وأخرجت الارض أثقالها لم يبق فى بطنها سوى عينها فأخرج ما كان فيها من الخلق نباتا وذلك ليفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة فان الدنيا أنبتنا فيها من الارض نباتا كما ينبت النبات شيأ بعد شئ على التدريج وقبول الزيادة فى الجرم طولا وعرضا وأما نشأة الآخرة فهى اخراج من الارض على الصورة التى يشاء الحق تعالى ان يخرجنا عليها كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا أخرجت الارض أثقالها وحدثت بانه لم يبق فيها مما اختزنته شئ جئ بالعالم الى الظلمة التى دون الحشر فالقى الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حين يقع فتمد الارض أو لامد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهى الساهرة اذ لا نوم فيها لكونها بعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها اه وقال فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم ان الناس قد اختلفوا فى صفة الاعادة بناء على اختلافهم فى الموت هل هو طلاق رجعى أو بائن وفرعوا على ذلك ما اذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية قطعا فليس له ان يكشف عليها وقال قوم حرمتها الزوجية باقية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله حال حياتها فان

لا بد منه ولا محيص لمخلوق عنه الا ترى أصحاب الاعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلا هم مع الاشرار ولا مع المصطفين الاخيار فلولا ما تفضل الحق عليهم من السجود اليه ما رجحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والحقوا بدار السرور * وقال الحال المرتحل من يكرر تلاوة ما أنزل فانتهاؤه عين ابتدائه ولكن من تكرر عنده المعنى فى تلاوته فى تلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته فى كل مرة علما وأفادته حكما فهو التالى لمن هو فى وجوده تال * وقال من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وانما كان من عرف نفسه عرف ربه لان علمها موسع ربه لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد فان الخلق مع الانفاس فى خلع ولباس ولا يشعر بذلك الا القليل من الناس الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا للدليل مدلولة فان وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط

* وقال الاحباب أرباب والمحبون نقباء الباب وانما كان المحب صاحب بلوى لانه رب دعوى ولذلك اختبر بخلاف المحبوب * وقال فى قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم أين هذا من قوله أنا سيد ولد آدم فدا الخليل كان لآدم السجود ولمحمد المقام المحمود فياليت شعرى هل

كان رجعيا فان الارواح ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بانشائها فقد ترد اليها وبختلف التأليف وقد ينشالها أجسام أخر لاهل النعيم أصفى وأحسن ولاهل العذاب بالعكس قال والحق أنها تردالى أعيان هذه الاجسام التى كانت مكلفة حتى تنعم أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد اهـ * وقال فى الباب الستين ومائتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هى والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لاخبر لها بما تنوبه النفس فى الاعمال ولا تدرى هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه فى ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضى ذلك انما تقتضى ان الفرج مثلا يقول أنا دخلت فى فرج فلانة ويقول الفم أنا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك حراما أم لا وسيأتى عبارة الشيخ أبى طاهر فى بيان شبهة المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ محيى الدين فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجوارح والنية حق للروح ولا خبر للجارحة بما تنويه النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار والايدى والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها لا علم لها بكون صاحبها تعدى حدود الله أم لا * قال الشيخ وليس فى العلوم أصعب تصورا من هذه المسئلة فان الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لاحظ لها فى الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية تجرى بحكم طبعها فى الاشياء ليس عليها مجرد تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة مجدة فمن المخالف والعاصى المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالانسان أمر آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو ذلك الحادث الذى حدث وما هو حقيقته اهـ وقد أجاب بعضهم بان الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم أو عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل وأما بيان شبهة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام أبو طاهر فى كتابه سراج العقول اعلم أن المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا أن تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجاسى الغليظ الجافى مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الا بعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهى الى التسوية وهيهات وقالوا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية لم تقصر عما كانت عليه فى الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء فى الآخرة على ما عهدوه فى الدنيا من اجراء الله العادة فى خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك فى الابتداء وأخبروا به لكانوا أشد انكارا على أنا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور فى تغييرات زوال الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك فى تخمير طينة آدم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة فى خلق الجنين هى كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار فى حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حمإ مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين فتم عدل أعضاء آدم هنالك وأعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك فى حق آدم فى أربعين صباحا التى هى مدة التخمير وتم ذلك فى خلق الجنين من أولاده فى مائة وعشرين يوما من ثلاث أربعينات وفى هذا المقام تساوى الاب والولد فى استتمام الخلقة غير أن صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى

تقوم الحلة مقام كون رسالة محمد ثم كل ملة محمد صاحب الوسيلة فى جنته ما نالها الا بدعاء أمته أين أمته منه فى الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت
له الوسيلة المدعو له ارفع بيقين من الداعى (١٣٤) فلتكن لقولنا كما صليت على ابرهيم الحافظ الواعى * وقال الشوق يزول باللقاء والاشتياق
يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق الا العشاق من يسكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق * وقال من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم فى مقام الاذلال فما له وللدلال وماله وللسؤال ان لم يكن الخادم كالميت بين يدى الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل اذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففى قلبه مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب فى جميع المذاهب * وقال اذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الاشارة بالاكمام والمشى الى خلف والى قدام والتمايل من جانب الى جانب والتفريق بين راجع وذاهب وقد أجمع الشيوخ على ان مثل هذا محروم مطرود السماع لا يتقيد بالنغمات المعهودة فى العرف اذ فى ذلك الجهل الصرف فان الكون كله سماع عند صاحب الاستماع والايقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون ما أشبه الآلة بالجارحة عند صاحب
السماع بالقلب والجارحة * وقال كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هى كرامة فاحذر من الاستدراج فى المزاج جسم
القرآن كله قال الله وما نبه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد الا ترى قوله وكلم الله موسى تكليما كيف

سلك به نهجا قويما فاثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فاذا أثر القول فما هو لذاته فافهم وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال
والاكرام كما تفرق بين الوحي والالهام في اليقظة والمنام * وقال لو تكرر شئ في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق

جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر أن تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور
هو التسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال في الجنين ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له
اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية منبئة بان هذه الاطوار أيضا تتعاور على التراب عند
النشأة الاخرى وايضاح ذلك أن الارض كفات أودعت ذرات الاموات بعد اختلاطها وتفرقها في جهات
الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة ودنت الجماعة وأراد الله تعالى أن
يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعد النشور غشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهي
الهائلة والجوائح المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ في الصور ألا ترى انه تعالى
أخبر أولا بالزلزال ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شئ عظيم كلا اذا دكت الارض
دكا دكا وقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم يذروها في مشارق الارض ومغاربها
كما قال تعالى ويوم نسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تتساحق أجزاء الارض
والجبال وتصير كالرمال كما قال تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال
والارض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت
هباء منبثا فاعله تعالى يصير ذرات الارض في هذه الدكادك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع
الشوائب والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي متهيئة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر ما في القبور
وحصل ما في الصدور فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء
الارض الغريبة يتلاشى وينعدم ألا ترى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال
أشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى
اذا جاءه الشخص لم يجده شيأ للطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع أجزاء الارض سوى ذرات بني آدم
واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين
تمطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى أمطارا متوالية كمني
الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أما ترونها تخرج صفراء
ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن آياته
أنك ترى الارض خاشعة فاذا نزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى وأطال الشيخ أبو طاهر
في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير
النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا جرت على الارض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الارواح في
لطافتها بل تصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها حانة الى أرواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين
الالف اذا فارقه الفه دليل على ان الله تعالى اذا أراد أمرا لم يحتج الى آلات ووسائط وأصول وروابط وانما
يقول له كن فيكون وقد أرى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة واحيائها مثل هذه الجملة حتى رآها
عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من
ذلك للعلم عنده اه وأما بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته
وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر ينفخ فينفخ فيه فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا
الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا أيضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر أنه ذو ثقب بعدد كل انسان
ثقبة فيها روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى احداهما

وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به بناؤها من قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما عتق الطلاق الرجعي رحمة بالجاهل الغبي لو قلنا في الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فانه نكاح جديد فذهب أهل الاسرار أن لا تكرار مع ثبوت العادة والاعيان بالاعادة * وقال ما من آية في القرآن الا هي أكبر من أختها وان تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم في القدر من الوالد ولكن في الشاهد لا في الغائب الا في موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وان كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الوالد عند كل أحد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فانه مذهب فاسد فرحم الله أبا حنيفة ووقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب * وقال حكم وحي النائم المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان وهو بمنزلة الصاحب في الاستماع عند أهل الاتباع لكن لا ينبغي له أن يتخذ ذلك شرعا يتعبده
وان كان يحمده وهذه فائدة سرجها متوقد من شجرة مباركة من تشاجر الاسماء ويكفيك هذا الايماء * وقال السفر قطعة من العذاب لما
يتضمنه من فراق الاحباب * وقال انما كان المسافر فردا شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة

والثلاثة مركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الامان غالبا في السفر لما عليهم من الحفظ التثليث من أجل الحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وانما كفر بقوله ثالث ثلاثة فلو قال ثالث اثنين لاصاب الحق وزال المين ما ظنك باثنين الله ثالثهما يريد أن الله تعالى حافظهما يعني في الغار في زمان هجرة الدار * وقال البقاء لا يصح على شان واحد انما في المحدثات من طلب الزائد اذ الامر شؤن فلا يزال يقول للاشياء كن فتكون الوجود كله نصب وتعب ولهذا قال فاذا فرغت فانصب فما فرغ الا اشتغل ولا تعي منه عمل الا استعمل وقد كان في العمل صاحب راحة لانه استراحه اذا كان الرحمن كل يوم في شان فما ظنك بالاكوان فما قال بان العدم شر الا من جهل الامر فليس الشر الا العدم الذي ما فيه عين ولا يجوز على المتصف به كون وليس هذا الا المحال الذي هو شر محض على كل حال بخلاف العدم الذي يتضمن الاعيان * وقال الشطح فخ فمن شطح بحق فما شطح وهذا من أعظم الملح الا أنه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصا بعض الناس من باب سد الذريعة لما فيه من نطق المخلوق بالفاظ شنيعة لا تجيزها الشريعة فمن تقوى في فتح الفتح لم يظهر عليه شئ من الشطح ألا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين في انفاذ الامر أنا سيد ولد آدم ولا فخر فانظر الى أدبه في تحليه كيف تادب مع أبيه وما ذكر غير اخوته * وقال ما أصعق الكليم الا الذي دك الجبل بقرعها العظيم وما أفاق الكليم من صعقته الا لما بقي عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي يكون

الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما أربعون عاما على الاصح وقيل أربعون يوما وقد يسمى الصور أيضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي الحديث أنه يقول فيه أيتها الاعضاء المتشتتة والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم أول مرة قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على ان الصور شئ على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء في الخبر دائرة رأس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل تحت العرش والصور في فيه نافذ بجميع أطباق السموات الى تخوم الارضين وفيه ثقوب بعدد أرواح الخلق في كل ثقب روح محتبسة فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعق كل من في السموات ومن في الارض من كل ذي روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق في الدنيا مرة فجوزي بها ثم بين النفختين يامر الله تعالى عزرائيل أن يقبض روح جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود أربعين سنة فلا يبقى في الكون حي الا الحي الذي لا يموت ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فاشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور محبس الله تعالى فيه أرواح الموتى وهو البرزخ الاكبر رأسه الى عليين وأسفله الى سجين وما ورد في الاحاديث من مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الانبياء في جنات عدن تصعد مرة وتنحدر أخرى وتكون في اللحد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء في الفردوس وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر في قناديل معلقة تحت العرش وأرواح أطفال المسلمين في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين في الجنان وليس لها ماوى يخدمون أهل الجنة وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة في الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يرضى الخصماء وأرواح الفساق المصرين تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في بئر برهوت وأرواح الكفار في سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقي هذه الارواح كلها في أماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح في الصور في هذه المواضع التي ورد الحديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور فانه يضبطها الى يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يشهدون ذلك عيانا في عصرنا هذا ومثاله أن يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم في ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض في الاحاديث فكل من تامل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ في القبور الى يوم يبعثون وبرزخ في الصور فبرزخ القبور محتبس أجسادهم وبرزخ الصور محتبس أرواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ معرب لان أصله برزه وهو المكان المرتفع وسمي به القبر لارتفاعه عن الارض ولذلك سمي به الصور لارتفاعه الى العرش * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وانما سمي الصور صورا والصور أي ميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك القرن يكون مائلا فكان الصور بانحنائه تطوق بالعالم كله وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة كالسور جمع سورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان موكلا بحفظ كل روح بصورتها فكان صوره مكمن الصور للارواح على ما هي عليها في الدنيا كما ذكروا ان لها صورة الانسان * قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح لطائف كالرياح وانما تدخل في تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها أولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي نفخ جبريل و حففه باذني قالت الدهرية النفخ شئ واحد فكيف يميت مرة ويحيي أخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهي تطم الاجساد وتصم الآذان

بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد بهدتها وتفارقها الارواح بشدتها وأما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها قال الشاعر

منك صلاحي وفسادي معا * كالنفخ يطفي النار والمذكي

فاذا عرفت يا أخي صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت أن ذرات الاجساد المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بما لطفها الله به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل * ان الحوادث صيقل الاحرار * وأنها صارت اذ ذاك أرض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول أرواحها كالارض الطيبة المهياة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها اذ ذاك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال في مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق في الدار ديار ألقى الله الروح الى اسرافيل أولا فيحييه كما مر وذلك قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ثم يأمره أن ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أي يخرجون من الارض متخلصين متسللين من ذراتهم من غرائب أجزاء الارض قال أهل اللغة والنسل العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتمايزها من سائر أجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات سائر الاجساد الى حجر المغناطيس الاتراها كيف تلتصق به خالصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة قال الشيخ أبو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التي غفلت عن ذكر ربها حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها حوسبت وفرغت نسال الله أن يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول * وأما عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهي قريبة من عبارة الشيخ أبي طاهر فانه ذكر في الباب الثالث والستين ما نصه اعلم ان الصور والناقور اللذين ذكرهما الله تعالى في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التي ننتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو قال قرن من نور ألقمه اسرافيل فاخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شيء في الاكوان أوسع منه وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه وقوله ان الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه فامر العبدان يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحي منه ويلزم الادب معه في صلاته مع أنه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد أساء الادب ولولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال له اعبد الله كأنك تراه أي تبصره قال الشيخ ومعلوم أن الدليل العقلي يمنع من كأن فانه يخيل بدليله التشبيه وأما البصر فما أدرك شيأ سوى الجدار فعلمنا أن الشارع ما أراد انحصار الحق تعالى في جهة القبلة وانما العبد هو الذي يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم أن الحق تعالى لا يحويه الجهات

أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الامر واكتم * وقال من كان جميع أمرك بيديه فانت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه لم يرد خبرا بالصفات لما فيها من الآفات بخلاف الاسماء ألا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان ... وقفا ولفظ الموقف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفا أن الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله الى صفاته والحق باجماع كل واحد ليس بامر زائد * وقال لولا الاغيار ما كانت الاسرار السر ما كان بينك وبينه وأخفى من السر ما ستر عنك عينه وقال ما أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب ممن بعيد عمن هو أقرب من حبل الوريد الى جميع العبيد وقال الاتصال ليس من مقامات الرجال كيف يتصل به أجنبي لا يقول بهذا الاغبي نفى الكتاب المنزل المثلية وانما الاعمال بالنية * وقال ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لا دواء لدائه ولا طبيب يسعى في شفائه من فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فاثبتك باعادة الضمير اليك ليدل عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد وأما القائلون بالحلول فهم أهل الجهل والفضول فانهم أثبتوا حالا ومحلا وعينوا حراما وحلا فمن فصل فنعم ما فعل ومن وصل فقد شهد على نفسه بانه فصل والشيء الواحد لا تصل نفسه الا اذ تجزأ والواحد لا يصح فيه انقسام الا بامر زائد على ذاته وما ثم الا مصنوعاته (قلت) فكذب والله من افترى على الشيخ رحمه الله بانه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم * وقال لو

فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصور ولهذا كان الخيال أوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى أن سعة القرن انما هى فى الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله أهل النظر فانهم جعلوا أضيق ما فيه المركز واعلاه الفلك الاعلى الذى لا افلاك فوقه وان الصور يحوى صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو الاعلى كما هو فى الحيوان وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فاول ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذى يلى رأس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال أوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون للعارف اتساع فى العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا أراد أن ينتقل الى العلم باحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا وعلومه تنقص فاذا تم عمله ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك أضيق ما فى القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذى يظهر منه فى رأس الحيوان اذا أنبته الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله الا واحدا ثم انشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد قال ولا يخفى أيضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد أودعها صورا جسدية فى مجموع هذا القرن النورى فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيقى قال ومن الصور هنالك ما هى مقيدة ومنها ما هى مطلقة كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى ذلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها فانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط أبدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فعلم أن كل من فى البرزخ محبوس فى صور أعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى اهـ * وأما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله أن الفلاسفة أنكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها وأضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى أصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد حدث منها انسان لا آخر لا ذلك الانسان الاول فان الموجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسىء بل انسان آخر مشارك فى مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وقوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشئ لا يكون عين ذلك الشئ هذا ما أورده ابن سينا فى كتابه فى المعاد وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصور معانيه المودعة فيه وهذا منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى

انقطع الاصل لانقطاع النسل التواصل سبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح * وقال ان نظرت بغير عينه فقد فزت بعظيم بينه وبينه وفضله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من أسماء الاضداد كالقرء فى الطهر والحيض المعتاد * وقال ليس من الملة القول بالعلة اذ الحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون انا علة لانه تعالى قد كان ولا أنا فلماذا العنا من كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله لو فارقه ما كان دليلا ولا كان الآخر عليلا ما قال بالعلة الا من جهل ما تعطيه الادلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس الى تحقيقه سبيل فان أحكام الحق فى عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل * وقال ما أظهر الشتاء والقيظ الا تنفس جهنم من الغيظ فغيظها علينا فى العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضا فاقرضها الله فينا قرضا فنرجو أن يكون ما يصيب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها يحول فى القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها فى الدنيا بالجود عنه فى الاخرى فتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى فالادباء الاعلام يعتقدون القضا ويحاسبون نفوسهم على ما مضى * وقال لا يستلزم من الايمان بالفوقية للحق تعالى الجهة ولا الزام الشبه الجهة ما وردت والفوقية قد ثبتت فانظر ماذا ترى وكن مع أهل السنة من الورى * وقال التلوين دليل على التمكين نزل فى سورة الرحمن كل يوم هو فى شان انما كان الثلث الآخر من الليل فيه البركة لان فيه الحركة فلا يصغى لقول من قال كل يوم تلون * غير هذا بك أحسن * وقال جميع ما فى الوجود أفعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش * وقال

شبحا

شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى المختصة به من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا بمجموعها ولا بتفاريقها على الانفراد لاعقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به انسان ألا ترى أنه يضاف بعضه الى بعض فى الخطاب فيقال له نفسك وروحك جسدك قلبك علمك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع أعضائه فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا فمن كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد أضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن أن يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول وأما قولهم ان مثل الشئ لا يكون حقيقة ذلك الشئ تمسكا بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم فمعناه على أن نبدلكم والمثل قد يزاد فى الكلام تأكيدا كقوله ليس كمثله شئ والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد صرح بذلك أبو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه
ولم أقل مثلك أعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

وهذا المعنى شائع فى العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله أعلم (السؤال الثانى) وهو الضيلم الذى ضل فيه كثير من الناس وهو الذى نقلناه أوائل المبحث عن الجلال المحلى وعن الكمال فى حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو أنهم قالوا المعاد من الانسان ماهو ان قلتم اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب أن يبعث المجدوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وان أعيد اليه جميع أجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء واحد بعينه يدا ورأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء وكذلك اذا أكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق روحان بانسان واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فاسلم فكيف تكون يده فى النار وهو فى الجنة اقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وأيضا فان الغالب على ظاهر الارض أجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها أشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد فى أبدانهم من ذلك أجساد فكيف يكون مادة واحدة وأصل واحد حاصلة لصور أناسى كثيرة هذه شبهتهم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا وقد حكى الغزالى هذا السؤال وكأنه قد سلم المسئلة وصرح فى فتاويه وغيرها بانه لا يجب أن يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل أى جسد كان جائز وأهمل هذا السؤال جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف أن المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه أن تعلم يا أخى أن الذرة التى قبضها عزرائيل عليه السلام من الارض أولا فى كل انسان باقية لا تتبدل البتة وهى الجزء القائم منه الذى أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه فى القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح اليه والحياة له وسائر أجزائه صمت وهو الذى يتعلق به الروح عند النفخ فى الصور على مادلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان فى الدنيا هذا شئ لا يخالفه عقل ولا شرع (وأما قولهم) المعاد من الانسان ماهو وهل هو أجزاؤه عند الموت أم الاجزاء التى فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته فى أيام حياته كما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعنى قلفا والاغرل الاقلف الذى لم يختتن ثم انه يجوز أن يزاد فى أجساد أهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد فى أجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفى الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا فى عرض سبعة أذرع وقد جاء فى صفة أهل النار ان سن أحدهم مثل

ان الله لا يمل حتى تملوا فان تملوا أو تملوا فقيد نفسه تعالى فى عقدكم فقال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم تنبيه لكم على الادب وتحريجا لكم عن الريب * وقال من نظر الى ظله علم أن حكمه فى الحركة والسكون من أصله فتحركه بحركته لا بتحريكه فاياك والابتداع * وقال من قام بالحق صدق فى كل ما نطق من قام بالسيف وان عدل صاحب حيف واذا كان الاصل معلول فصاحبه مخذول لانه أصل فاسد يحرم العبد الفوائد * وقال الطريق سائقة وقائدة اما الى شقاوة أو سعادة فاعرف الطريق وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق * وقال لا تكثر الورادا الا على باب الاجواد فان البخيل بابه مغلق والجواد جواده مطلق اذا فنى الكريم عن شهود جوده فى حال جوده فهو الدليل على صحة وجده ووجوده فانه ما أعطى للخلق الا ما كان لهم فى خزائن الحق ومع هذا فله الاجر فى استعماله فى هذا الامر ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد اذ المنة أذى فاعلم ذا * وقال لا يتعدى قط حكيم مارتبه العليم فما حكم به الولى فى الخلق يمضيه له الحق وان رده الحاكم الجائر فلا يلتفت الى رده فانه من صدق وعده وهو لا يخلف الميعاد فلا بد من رد أهل الالحاد * وقال قد كان الحق ولا شئ معه فهو السابق وهو الذى يصلى علينا فهو اللاحق تارة يتجلى فى اسمه الاول وتارة فى اسمه الآخر وقال من كان سهل القياد خيف عليه الفساد ولكنه أمن من العناد ما يسعد المنقاد الا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الاخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم * وقال من كانت همته عالية لم يظهر لها منه تأثير فى هذه الدار الفانية فانها تفنى بفنائها او ترحل عن فنائها * وقال المشكور

قد عكر به فان من أوصل حقا الى مستحقه فقد أدى اليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بذل ولا فضل وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها
من المكر * وقال عطاء الله كله بذل وان كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وان تجافا المؤمن قد باع نفسه
من الله والمبيع لمن اشتراه
وحق الله أحق لكن
الدعوى أوقعت العبد فى
البلوى ابدأ بنفسك مقدما
لها على أبناء جنسك * وقال
من رأى الكون عينا
مستقلة فهو صاحب علة
ما قال بالعلل الا القائل بان
العالم لم يزل وأنى للعالم
بالقدم وماله فى الوجود
الوجوبى قدم لو ثبت
للعالم القدم لاستحال عليه
العدم والعدم ممكن بل
واقع عند العالم الجامع
لكن أكثر العبيد فى لبس
من خلق جديد فما عرف
تجدد الاعيان الا أهل
الحسبان وأثبت ذلك
الاشعرى فى العرض
وتخيل الفيلسوف فيه انه
صاحب مرض لجهله بسواد
الزنجى وصفرة الذهب
* وقال الوقت سيف ومنه
الخوف كل الخوف زمانك
حالك وفى اقامتك ارتحالك
فسيرك ياهذا كسير سفينة
بقوم جلوس والقلوع تطير
وقال لو كتم العبد سر الما
قيل له لقد جئت شيا امرا
ولا نكرا ولو ترك السر
مخزونا ما كان الكليم مغلوبا
ان هى الا فتنتك من شدة
الشوق عن ذوق * وقال
العذاب الحاضر تعلق
الخاطر من يئس استراح
وخرج من القيد وراح
الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضدية بعد الانس بالانس لا يكون الا للمفتون والكتاب
المكنون لا يمسه الا المطهرون * وقال انما حرمت الخمرة فى هذه الدار لانها تبدى الاسرار وترفع الاستار فحرمت فى الدنيا القوة سلطانها وهى

جبل أحد وهذا كله جائز فى العقل وورد به الشرع وأما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هى المعادة يجب ان يبعث المجدوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا فى الجواب قبله ان المعاد أكمل حالة كان عليها فى عمره أجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة فكل جزء أنشأه الله أول مرة فيه أيام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والاعتلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثانى مرة فلو أعيدت هى أيضا فى الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وثانى مرة وعلى هذا صح ان المعادات فى الآخرة هى المنشأة فى الدنيا أول مرة وهى أكمل الاجزاء المبدعة التى خص بها كل شخص هذا الذى دل عليه مضمون الآية (وأما قولهم) ان أعيد اليه جميع أجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لا يلزم ان يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لان الذرة التى هى الاصل وأخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع أشكال اعضائه فى علم الله تعالى وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التى هى النملة الصغيرة وهى مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل أن يكون لتلك الذرة أعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر فى الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون اجزاء الذرة الاولى التى شكل الانسان فيها مقدر فى علم الله بجميع أعضائه وهى بعينها باقية منبسطة فى جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط القوله تعالى وتقلبك فى الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الرأس رأس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية التى هى على غاية اللطافة والاجزاء الغذائية التى هى الدم وغيره تجرى من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهى تبقى على ما كانت وتقرب منه أيضا الاسفنجة وهى شئ كالغيم هش متخلخل لطيف خفيف اذا طرح فى الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جفف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان أجزاء الذرة فى كل شخص باقية على هيأتها بالنص الوارد فى قوله وتقلبك فى الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص وأصل تلك الاجزاء الاصلية فى الخلقة هو العجب وهو أصل الذنب وسمى به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الاحياء فى الحشر (وأما قولهم) اذا أكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه اجراء الله العادة كما أخبر فى قوله وتقلبك فى الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتى الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بها أينما كانت فانها وان استحالت فى رأى العين وتفرقت فهى فى علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض أم بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذى نقص منه يرده اليه كما رده فى الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا فى الدنيا (وأما قولهم) اذا قطعت يد كافر فأسلم كيف تكون يده فى النار وهو فى الجنة أقطع وكذلك القول فى عكسه (فالجواب) أما اليد المقطوعة فحكمها تابع للعملة فى الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كأبعاض الآباء حكما قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى فعلى هذا يد الكافر ما دامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت

قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للعملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا للايمان الجلة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه (وأما قولهم) غذاء الانسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة اذا صارت أجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) أن ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي عليها مدار البدن كله كما بيناه من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت في رأي العين وتأتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هي الاجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذا قطعت وآمن هو لو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى في الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيي الدين فيه أوائل المبحث * قال الشيخ أبو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة أجزائه في الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا حالا بعد حال أليس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو في هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبدلة هناك كما لا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى أن ترد جميع الاجزاء التي تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه سبحانه يلطفها ولا يلزمها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام في هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة في أن الله تعالى يقبض أرواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لابد الآباد فهلا استدام حياتهم أبدا من غير موت (فالجواب) لو أنه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى أحكم الحاكمين ولكنه أماتهم في دار الفناء ليبقيهم بقاء الابد في دار البقاء من وجوه منها ان رقعة هذه الخطة الغبراء التي هي الربع المسكون من الارض بالنسبة الى أجساد بني آدم جميعا صغيرة لا سيما القدر المعمور ومنها فكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها وأثمارها بأقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تمت خلقتهم فقال تعالى اني كلما آتي بقوم أميت آخرين ومنها أن القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كما رواه تعالى في البرزخين انشاءات خفية لاجسادهم وأرواحهم يصيرها بها قابلة للبقاء الابدي ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها أنه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان الوصل اذا استدام خفي وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال * قال الشيخ أبو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول فارقت من ربوة الى بعض المقابر فرأيتها مد البصر فخطر بقلبي ماهذه الاطلال والاحجار فهتف بي هاتف يقول

قشور بيض طار عنها فراخها * وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على أثره قائلا يقول

بلى يجعل الله القشور زهوادبا * من الذر بيضا لا كرامة للقيض
فترجع عنها الطائرات أوامنا * من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

قال وبالجملة فمحصول علم البدء والاعادة أن يعلم أن الارض التي خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها

لذة للشاربين حيث كانت لكنها في الدنيا محرمه وفي الآخرة مكرمة وهي ألذ أنهار الجنان ولها مقام الاحسان * وقال لا يقطع العبد على ربه بأمر لانه يفعل ما يريد وما عصى الا بعلمه وما حول الا بحكمه وكذلك حكم من أطاعه الى قيام الساعة * وقال ليس لاهل الجنان عقل يعرف انما هو شهوة وهو يتصرف العقل في أهل النار مقيلة وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف فاذا زال التكليف تأخر العقل * وقال الحق نزوله سرى الى السماء التي تلى الورى فيسامرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالاذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند أرباب العقول المخلوق ضعيف ولولا المصالح مانزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فان الله ما كلف نفسا الا ما آتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع في أحكامه المباح وجعله سببا للنفوس الى السراح والاستراح ما قال في الدين برفع الحرج الامن على منهج الشارع درج دين الله يسر فما عازجه عسر ومن شدد على هذه الامة بعث يوم القيامة في ظلمة * وقال ما العجب الامن قوله اليه يرجع الامر كله كيف قيل يرجع اليه وهو ما برح لديه ولم تزل في يديه ستور مسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من أكثر الجهات * وقال اذا لم القلب شهود الحق فهو حينئذ ضعيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل عليه وفي العموم على النازل لا المنزل عليه فلا يعجبنك نزلوا الناس منازلهم لاننا لو عاملنا الحق بهذه

من ذرات ذر بتمر وحا يختصه بها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قيل معناه قدر له روحا ثم لما أخرجها من صلب ادم قرن كل ذرة بروحها وأخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد أرواحهم الى خزانة الغيب ثم أخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشئها بالاغذية كما يشاء و ينقلها فى أطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم و يردهم الى بطون الارض ثم انه يرد اليهم فى القبور أرواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب و ترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فأنكروا السؤال و ربما يتحرك جميع الجسد و يتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقوتها وذلك يكون للانبياء وللاولياء كما جاء فى الاخبار ثم ان الانسان مادام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوى وتزاور الهامى وان صارت هى فى الصورة رفاتا فالاخبار وردت بان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار هكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد المعاد فى النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى فينفقها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات و يجنها بالامطار الشبيهة بمنى الرجال كما جاء فى الاخبار فتهيأت حينئذ لقبول أرواحها وكانت أرواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ فى الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكانها الى أجسادها التى فارقتها بالنفخ أسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم فى هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف فى مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والستون فى بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام فى سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وأما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيى الدين والحكمة فى ذلك ان المتقى كان جليسه فى دار الدنيا أسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذى يعطى الرحمة والانس واللطف والامان مما كان يخاف منه و يتقى ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامى قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح أبو يزيد لانه كان جليسه الاسماء من حيث ما هى دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك أنكر ما لم يعطه مشهده فهو شبيه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل فى طلبه علم الكيفية فى احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم أن للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب ان يعرف باى طريق يحيى الله الموتى فافهم فلو ان أبا يزيد كان يعلم أن المتقى لم يكن جليسا للاسم الرحمن فى أيام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار ما تعجب من ذلك فيحشر المتقى الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذى كان عليه فى دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقى انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضى الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم فى كل حال بخلاف العامة من أهل الله فانهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم اهـ (فان قلت) فكم يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا * فاول حشر كان لهم فى الدنيا فهو حشرهم

المعاملة لما يصح بيننا وبينه مواصلة * وقال حقيق على الخلق أن لا يعبدوا الا ما عبده ومن الحق أوفوا بعهدى أوف بعهدكم فالكل من عند كم دليلى الله أكبر الى تحوله يوم القيامة فى الصور وقال لا تسكن الا السهل ان أردت أن تكون من الاهل لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده فى خراب بلادهم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما دونه ولا حواها ولكنها نكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقال ذهب بعض الاماثل ان العالم بجملته أبدا نازل يطلب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهى اليه فكان ينبغى من أول حركة أن يعتمد عليه لانه جل وعز أن تقطع دونه المفازات الحال يحيل العلم به فاين تذهبون يقول العارف لابى يزيد الذى تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام * وقال كلما خبثت السريرة عميت البصيرة و يرفع الالتباس بتفاضل الناس * وقال ما من شخص الا و يخاطبه الحق من قلبه و يحدثه من لبه وهو لا يعرفه انما يقول خطر لى كذا وكذا ولا يدرى ذلك من اين لجهله بالعين فما فاز أهل الله الا بشهوده لا بوجوده مع أن شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباط عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر * وقال الجنين فى كبد الى ان يولد هو فى ظلمة غمه مادام فى بطن امه ولما علم انه فى امر مريج اراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة التى كان عليها اول مرة فالشقى هو الشقى فى بطن امه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد فى بطن امه لما خصه به من علمه فلقد رايت من شمت امه وهو فى بطنها حين عطست وحمدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو فى بطن امه فلا يحجبنك

قوله تعالى والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ فان ذلك مثل من رد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ فلا يلزم من العالم
حضوره دائما مع علمه وهكذا حال الجنين اذا خرج من بطن أمه * وقال العجب كل العجب من رؤية الحق فى القدم أعيانا لها حالها

فى الصورة التى أخذ عليهم الميثاق فيها * الثانى حشرهم من تلك الصورة لى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم فى الصورة التى تنتقل الروح اليها بعد الموت الرابع حشرهم فى الصورة التى يسئلون فيها فى قبورهم وهى الصورة التى انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عيانا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التى سئلوا فيها الى الصورة التى يمكثون فيها فى البرزخ فيكون أحدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التى كان فارقها فى دار الدنيا ان كان بقى عليه سؤال لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر فى الصورة التى يدخل بها الجنة أو النار فان الناس اذا دخلوا الجنة أو النار حشروا فى صور لا نهاية لها قال وأهل النار كلهم مسؤلون بخلاف أهل الجنة فان منهم من لا يسئل اذا دخل أهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية حشروا فى صور لا تصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا فى صور تصلح للجنة * واعلم ان فى كل صورة ينسى الانسان الصورة التى كان عليها ويرجع أمره الى حكم الصورة التى انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأى صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها داره والصورة فى السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة فى ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان فى سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به أهل الجنة خاصة فى الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس فى موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون فى ثلاثة مواطن فى أخذ الميثاق وفى البرزخ بين الدنيا والآخرة وفى البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمع يعم أبدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار بأهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد ذلك أبدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين أى لان الاولين والآخرين تجتمع فى ذلك اليوم لا يتخلف أحد منهم فى الارض ولا فى الاصلاب فيكون ملكه تعالى فى ذلك اليوم أعظم وأظهر من غيره من الايام التى حضر فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى أعلم * وأما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة * قال الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل فى السموات والارض يوم القيامة فهو فى الصور لا فى الاعيان وان كانت الاعيان أيضا صورا قال ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذى يقع التجلى عليه للفصل والقضاء فى جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما فى جوفه الى الآخرة لكن فى صور غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب فى جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب أرضها والاطلس سقفها وبينهما أى الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة فى فلاة فيحاء قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هناك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما يرى الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيها من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من أهل النار الذين هم أهلها * قال الشيخ واعلم انه ما دام الانسان الكامل موجودا فى الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذى يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهى يومئذ واهية أى ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف

العدم ثم اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا فى الاعيان بعد وجودهم أنظار وحقق ما أنهيك عليه واستر أوجد الله فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الامور التى لا وجود لها فى عينها قبل كونها ويرى الساعة فى مجلاها والحق يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت فتوجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فان تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق * وقال فى قوله يا أيها النبى اتق الله اعلم أن من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الامة بتأديب رسولها التبليغ باستعمال ذلك الادب الى تحصيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه فابحث عليه * وقال قال تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا فاخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهى برية هذه مسئلة صعبة المرتقى لا تنال الا باللقا اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فمنعت واحدة ما أجازت الاخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحد منهم ما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبل بل كل واحد ينصر ما قام فى غرضه وهو عين مرضه الا الطبقة العليا فانهم علموا الامور فى الدنيا ولم يروا أمرا فى الدنيا مؤلما الا وهو جزاء ما هو ابتداء يقول الطبيب اذا تألم المريض ما قصدت الا نفعه بما أمرته به من الادوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أى باب يدخل عليهم

صلب فاذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سباحتها لا تزول فى النار بل تنتثر فتكون على غير النظام التى كانت عليه فى الدنيا حال سيرها وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة ان المراد بمدها انما هو امتداد الجبال وتصييرها أرضا فانه فى يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلى الحق تعالى اذ كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها فى الجو اذا انبسط زاد فى وسع الارض ولهذا جاء فى الخبر ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير أن يزاد فيه شئ لم يكن فى عينه وانما كان فيه تقبض ونتو فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتو الذى كان فيه فزاد فى سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من سطحها الى القاع منها كما يكون فى الجلد نتوء فلذلك لا ترى فى الارض عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما فى الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده وأطال فى ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة (فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى أن ينزلوا منازلهم من الجنة أو النار ذكره الشيخ فى الباب العشرين وثلثمائة * وقال فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم أن يوم هذه الامة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفى فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم فتعمر الداران باهلهما وذلك يكون فى يوم السبت فيكون نهاره أبديا لاهل الجنة ويكون ليله أبديا لاهل النار وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما أثر فيهما مزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه فى الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والستون فى بيان أن الحوض والصراط والميزان حق)

قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف وانما ذكر أهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد أهل الزيغ وهو مشهور عن أكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم أهل السنة لا امتناع فان الذى أقدر الطير على السير فى الهواء قادر على أن يمشى الانسان على الصراط قال وقد أجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بأن كونه أدق من الشعرة انما هو ضرب مثل للامر الخفى الغامض والمعنى أن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصى وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة أمر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر فى قيام الناس والملائكة على جنبى الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى * وانبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشكلان بشاكلة الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة فى الافعال والاقوال والعقائد يكون المشى على الصراط هنالك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هنالك ونقص شربه من الحوض فالمشى حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هنالك فان الصراط المنصوب المشروع هنا معنى هو الذى ينصب هنالك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال

المرض ألمك هذا انما هو جزاء لما ألمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته * وقال صدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذى لا يبلغه تنزيه نزلت الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ماجاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات لحننا والقرآن كلام الله لا كلامنا فما التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكيانى وهو اللفظ بلا ريب فاين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فحقق ولا تنطق * وقال لما أقام الشارع العصمة مقام الحرس لم يحتج صلى الله عليه وسلم الى العسس وطالما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بان المقدر كائن والحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا انما يشاء وما يشاء الا ما علم وما علم الا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم * وقال كيف للخلق أن يردوا دعوة الحق لولا ان صنعته ردت عليه وبضاعته ردت اليه ما أشبه ذلك بالصدى اذا ظهر بدا يتخيل المصوت انه غيره وما ثم الا أمره الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو فى نفسه لا يتبدل وهو فى عينه لا يتحول كأنه بحصره الاين ويحده الانقلاب من عين الى عين فلا يحار فيه الا النبيه ولا يتفطن الى هذا التنبيه الا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه وأما من نزه فقط أو شبه فقط فهو صاحب غلط لان التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول * وقال السيد يستخدم

تعالى

تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيي الدين والحوض في عطفة من الصراط وضرب له مثالا على الهامش وهذه صورته ٧ قال واعلم أن نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشي أحد في نور أحد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وهو واحد في نفسه قال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم دون شمائلهم لان المؤمن السعيد كتابه بيمينه فلا شمال له انتهى * وقال في الباب الثامن وثلثمائة اعلم أن الصراط الذي تسلك عليه ويثبت الله تعالى أقدامك عليه حتى توصلك الى الجنة صراط الهدى الذي أنشأته لنفسك في دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه الدار بحكم المعنى لا تشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم أوله في الموقف وآخره في المرج الذي على باب الجنة فتعرف أول ما تشاهده أنه صنعتك وبناؤك بجوارحك وتعلم أنه قد كان في الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك في طولك وعرضك ونوع ظلك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها الى لهب الجهالة ويضرم فيها نارها اه وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة * اعلم أنه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذي هو خارج سور الجنة التي يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمادبة تكون في المرج وهي درمكة بيضاء نقية يأكل منها جميع أهل المادبة ويقرم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع وأغصان الجنة على السور اه وقال في الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف وقد غابت الجسور في جهنم مقدار ألف عام ولهب جهنم يحاذيها بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعني على تلك الجسور وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسئل العبد عن الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثاني فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى الجسر السادس فيسئل عن الطهر من الحدث فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر في واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء * وقال أيضا في الباب الرابع والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التي على جنبتي الصراط انما هي صور أعمال بني آدم فتمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هي أعمالكم ترد عليكم اه وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول الصراط صراطان أحدهما في الدنيا وهو الاسلام فهو علي ولكن ينقلب في الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو في الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ أوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكي خوفا من بعثك قال أي وربي انه بعثني على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد وبين الله في عين الاستقامة في الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر وبين السخاء والبخل وبين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والجمود ولهذه الخصال وأمثالها طرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هي المعبر عنها بالدقة والحدة واليها الاشارة بقوله

العبد بجملة والعبد يستغدم سيده بحاله ولسان الحال أصح من لسان المقال اذ الاحكام التي تتضمنها الاقوال انما تعرف بقرائن الاحوال والاصطلاح قد لا يكون له في كل باب مفتاح * وقال مقاومة الاقدار الحق والمصابرة فيها فيها رائحة النزاع للاقدار فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فان أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع لولا الفرح الالهي ما تاب التائب ولولا التبشبش الرباني ما اتصف آتي المسجد بالذاهب * وقال لما أراد الحق تعالى المناجاة في مسجد الجماعات أمر باعلان الاذان لاصحاب الآذان فمن أجاب الداعي فهو صاحب السمع الواعي وما للاحدية في النداء أثر ولا في شجرتها ثمر فانه أكبر مفاضلة ولا اله الا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة والحيعلتان مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والاذان له دليل على عدم نجوم الرشد فان رعاة الاوقات عارفون بالميقات فالاذان لا يكون الا لمن هو مشغول بالاكوان وما ثم الا مشتغل لانه بالاصالة منفعل وان كان الفاعل منفعلا له منفعل فهو فضل منه ومنه ادعوني أستجب لكم * وقال على قدر دعوى الايمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس في أمان الا في أكدار الحيوان * وقال الايثار ليس هو من صفة علماء الاسرار لان ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فان الايثار فالامر امانة فادها والاسلب عنك اسمها * وقال ليس العجب ممن سار سبيلا انما العجب ممن اتخذه مستخلفه وكيلا ولولا التوحيد ورد بذلك الامر الرباني لورده الادب الكياني ما أجهل أكثر الناس بمواطن الادب وهو الذي أداهم الى العطب وقد يكون ترك الادب أدبا كما

تعالى فاستقم كما أمرت وأما الصراط الثاني فهو الاخروي الحسي وهو في الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور في الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك في الدنيا صعب عليه وزلت قدمه وطال ندمه فمثل هذا الصراط الامثال محسوس لذلك الصراط المعنوي وبالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضاة الله تعالى وبطئهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بعدد ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه في دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها وأما ما جاء في الحبو والزحف على الصراط انما هو اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات وأما الزالون والزالات فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا أجمعين * وأما الميزان فاثبته جمهور أهل السنة وأنكرته المعتزلة قال الغزالي والقرطبي ولا يكون الميزان في حق كل أحد لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غير أن يكون دخولهم في حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته الى أن ينقضي حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيي الدين ويكون ميزان كل شخص بشاكلة ما كان الشخص عليه في دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لاي جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعني بالميل الى المعاصي والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة باليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى أن موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثل الاعمال سواء فانها في الدنيا اعراض وفي الآخرة تكون أشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم في الموت انه يؤتى به في صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا الا ان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شيء بمثله انتهى وعبارة الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في عقيدته * اعلم أنه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه في وجود دائرته قد وضع دفعة واحدة وكل أحد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها رفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته الى أن ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلي قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بهما مقادير الاعمال بان توزن صحفها * قال الشيخ محيي الدين وآخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك ورد والحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) فلم لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أبدا بخلاف

التوحيد مع معاصى أهل الاسلام وايضاح ذلك أن العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها او يعادلها فى الكفة الاخرى * قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب السجلات التسعة والتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة والتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ اه قال الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة من الفتوحات فى معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون اعلم أن ميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنة فى ظاهره وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه فهو الشقى وذلك لانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم أن الكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات أو الذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فان هذا ليس فى كفة الخير شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضرورى الذى ليس له فيه تعمل * قال الشيخ ولو أن الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الاعمال وأما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بان يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة الاخرى كما أشار اليه حديث يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فلهذا كانت كفة عمل هذا الذى ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة اعلاها العلو كما أن الشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله تعالى فامه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعة صاحبها وهى الموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وليست الا ما تعطيهم أوزارهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم * وحاصل ذلك أن وزن الاعمال بعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وأن وزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل اه * وقال فى الباب الاحد وثلثمائة فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان انما وضع الله تعالى الميزان ليوزن به الثقلان وقوله أن لا تطغوا فى الميزان أى بالافراط والتفريط من أجل الخسران وأقيموا الوزن بالقسط أى مثل اعتدال نشأة الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان أى لا تفرطوا بترجيح أحدى الكفتين الا بالفضل * ثم لا يخفى أن الميزان الذى يوزن به الاعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددى وهو قوله تعالى بحسبان وبين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون الا فى القبان فلذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه فى حق السعداء وأما من خفت موازينه فى حق الاشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من خفت كفة سيآته فهو كذا فعلم أن ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيآت بالثقل أيضا اذا رجحت

يكون ترك السبب سببا ومن قال برفع الاسباب فلا بد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولى الالباب * وقال لا تبلغ الاعاجم مع اعتلائها فى مقامات امبلغ الاعراب دليلنا الخليل العراب الاعلم ابهام والاعراب بانه الكلام المختص الاعجاز بالقرآن وان كانت جميع الكتب كلام الرحمن * وقال المنزلة الرفيعة فى التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وقل رب زدنى علما * وقال المشاورة وان نبهت على ضعف الرأى فهى من الرأى لا يطلع على مراتب العقول الا أصحاب المشاورة فانها أجمع للهم والفكر * وقال لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوى البصير والاعمى * وقال باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وان خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت واعلام بما تمسكت عليك بالصفوف الاول فانها تشاهد الازل واياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو ورا فما ترى * وقال اذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وقل رب زدنى علما ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطى ما لا يعطى القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم * وقال لا تعجب ممن وصف الجواد بالعطاء ولكن اعجب ممن وصفه بالامساك وأعجب منه من وصف الحق بما لا يليق به مع انه ما أطلق الالسنة عليه بذلك الا هو * وقال اياك وخضراء الدمن وهى الجارية الحسناء فى منبت السوء فان الله تعالى يقول يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وهو ما يزينه الشيطان من الاعمال فان كان لها توجه الى الحق فالمعدن خبيث جاء ابليس الى عيسى عليه السلام فقال له قل لا اله

على الحسنات فلما لم يصفها لا بالخفة فقط عرفنا أن هذا الميزان على شكل القبان اهـ وقال فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتى يوم القيامة بأعمال بنى آدم صورا قائمة مع كونها اعراضا كون الحق تعالى قادرا على ايجاد المحال وكون الانسان يشهد من نفسه قدرة خياله على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل فى المنام فى صورة مع ان ذلك محال فى جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال لمن لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا فاذا كان الخيال رتبته هذا مع أنه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال فى الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال تصور الموت مع كونه نسبة فى صورة كبش أملح أى فى غاية الوضوح اذ الاملح الابيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا المحال المقدور فأين حكم العقل وفساد تأويله وأطال فى ذلك * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى الباب الثلاثين من كتابه سراج العقول اعلم أنه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك العدل الذى لا يظلم الناس شيأ ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجازى كل امرئ بما كسب نصب تعالى ميزانا فى القيامة عدلا يوزن به سيآت عبيده وحسناتهم اظهارا لعدله قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أى وان كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى مالكم من اله غيره وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كأنه قسم الخردلة ثمانية وأربعين جزأ مثلا هى حباتها كما أن الدرهم ثمانية وأربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية وأربعين جزأ من خردلة واحدة وفى الحديث مرفوعا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا الاعمال قبل ان توزنوا يعنى ان توزن أعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم أى كالوا لهم أو وزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى أوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيآت فى ميزان له لسان وكفتان كل كفة كأطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة قال حذيفة رضى الله عنه وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فأما المؤمن فيؤتى بعمله فى أحسن صورة فيوضع فى كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيآته فتنقل الى الجنة ويعرف بذلك وهو المفلح فى قوله فأولئك هم المفلحون وأما الكافر فيؤتى بعمله فى أقبح صورة فيوضع فى ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع فى النار فيقال له الحق بعملك وفى الحديث مرفوعا ان لله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتى الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك بأرفع صوته ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفى الحديث ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر أينجو أم يزل وعند تطاير الكتب فى الايمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر أيثقل أم يخف فهذه وأمثالها من الآيات والاخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وانما يتلجلج فى صدور المنكرين له كيفية وزن الاعمال لكونها أعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان أيضا لولا يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس فى هذه المسئلة عشواء * وخلاصة المسئلة أن يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشياء انما هو ظهور مقاديرها وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبان لمعرفة أثقال الاحمال والاسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ههنا المقصود بوزن الاعمال فى القيامة هو ظهور مقاديرها لتقابل بأمثالها من الجزاء ثوابا كان أم عقابا ونحن نرى فى الدنيا آلات وضعت لعرفان مقادير المعانى فى الاشياء كالعروض جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه وكالجبر الذى يرفعه الاقوياء من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التى خلقها الله تعالى فى أعضائهم وليست هى بمنفصلة عنهم كذلك لا يبعد ان يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الاعمال التى هى أعراض فيعرف بها مقادير الحسنات والسيآت

الا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال أقولها لا لقولك فما قال لا اله الا الله التى أمره بها ابليس فهذه جارية حسناء فى منبت سوء * وقال ما عصى آدم الا بالاخذ بالتاويل ولا عصى ابليس الا بالاخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخالف فان قست تعديت الحدود وان وقفت مع الظاهر فاتك علم كثير فقس مع الظاهر فى التكليف وقس ما عداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الامة فان ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم * وقال لو أخذوا بالظاهر فى كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضربهم الا التاويل فاحذروا من غائلته فان المكلف مخاطب بالسنة فصاح ولكن العيب والسقم من الفهم * وقال اذا أيه الله بك فى يا أيها الذين آمنوا ولكن أنت ذلك المسؤيه به فان أخبرك فافهم واعتبر وان أمرك أونهاك فامتثل وما ثم قسم رابع انما هو خبر أو أمر أونهى * وقال أنزله تعالى فى خطابه اياك منزلة الام من الشفقة ان لم يمكنك الترقى الى أعلى من أمك فانه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول ما يورده عليك فانه ما خاطبك الا لينفعك * وقال لا تجعل زمامك الا بيد ربك اختيارا لا اضطرارا فان ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لان ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار * وقال عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه واياك والنسب الطينى فانه غير معتبر كما أشار اليه على بن أبى طالب القبر وانى بقوله الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والام حواء ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء الى آخر ما قال * وقال لخشية الناس وهيبتهم منك على قدر

والسيآت لاصحابها فيجازون بمقادير هامن غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا فقد علمت ان ذلك جائز فى العقل وورد به الشرع فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل علم ذلك الى الله عز وجل كنظائره والله تعالى أعلم * فعلم أنه ينبغى لكل من خاف من يوم الحساب ان يكثر من الاعمال الصالحة ولا يعل وذلك ليعطى منها الخصامه يوم القيامة فان الظالم اذا لم يكن معه شئ يعطيه لاخصامه طرح على ظهره من سيآت خصمه ثم قذف به فى النار فوالله ماخلقنا الا لامر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا ينبغى لاحد أن يستكثر قط أعماله فى عينه فان أعمال أمثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يحصل منها فى الميزان الاخروى مثقال ذرة لعدم الاخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة آمين آمين آمين

(خاتمة) فى بيان عجز العقول عن ادراك كثير مما غاب عنها من أمور الآخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات الى استقرار الخلق فى الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى ما لا نهاية له وليس مع الخلق الآن الا الايمان بذلك على علم الله فيه اللهم الا أن يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رضى الله عنه واعلم رحمك الله أن تصور العقل لاحوال القيامة وما غاب منها عسر جدا ولكن ينبغى للعاقل ان يعلم ان الله تعالى جعل آدم وذريته خلائف فى الارض وعمارها بهم قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض وقال تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ثم انه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة آتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم وقد خلقهم الله تعالى فى الدنيا للآخرة فاعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما الى تدبير معاشهم فى الدنيا وتهيئة أسباب معادهم حسب ماجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما ان العقول عاجزة عن معرفة الله عز وجل حق المعرفة لكونه تعالى غيبا عنها فكذلك ماغاب عنها من أحوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال الملكين فى القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة وأوصاف الجنة والنار بحقائقها ورؤية الله عز وجل فى غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التى تستغرق فيها النفوس لا سيما لذة النظر الى وجه الله الكريم وألم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل بمجرده لا يستقل بدركه اذ العقل انما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الاوامر والنواهى فى دار التكليف ويعرف بها صالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس والامور الاخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن أمور الآخرة الا على طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام فكان غاية النطق أنه أخبرنا بها على الجملة ايجابا للايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك أو استحالته فاذا أخبرنا بها الصادق بجملة واستجازها العقل مرسلة وجب الايمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن أن يتشوف للطمع فى درك حقائقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما كان البصر عن سماع الصوت مردودا اللهم الا ان يكاشف بعض الاولياء من أحوال الآخرة بشئ فى حال غيبته عن الخلق وشهوده للحق فانه فى ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لانه حينئذ يشاهد أمورا لا تتسع لها ظروف الحروف ولا تنتهى اليها العقول كما قال الشاعر

وان قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ أبو طاهر ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التى درج عليها المتقدمون مكلفين عقولهم ماليس فى وسعها طمعا فى أن ينالوا ما لا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال وان من هذا القبيل قراءة

خشيتك لله بظهر الغيب سواء فاياك ان تطلب من الناس ان يهابوك مع وقوعك فى الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك * وقال لا تجعل لبيتك الذى هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل اليك من غيث السماء شئ والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت الا أضعفها جدار وذلك لان الخراب يسرع اليها فتبقى فى حفظ الله لا فى حفظ البيت * وقال مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالاصغاء الى ما يقول فكن سامعا لا متكلما (قلت) وقد من الله على فى هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها حين أكون سامعا وأما اذا كنت أنا التالى فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندى الآن نعيم قط فى دار الدنيا ألذ عندى من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال * وقال كل ما سوى الله معلول والمعلول مراض ضرورة فلازمه الطبيب فرض لازم * وقال كل عمل عملته من أعمال أهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لان التوحيد يرجح على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات * وقال احذر ان تقول كما قال العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

* فانك أنت أنت وهو هو وانظر هل قدر من قال ذلك ان يجعل العين واحدة لا والله ما قدر لانه جهل والجهل لا يستطاع ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك * وقال اذا سمعت القرآن فاسمعه بسمع نفسك لا بسمع الحق فى مقام المحبة لك فان الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من مزلات الاقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين * وقال لا سجود الا عن قيام ولا قيام للسكون فان القيوم يقة لله وحده قال وما عرفنا نقصان مقام سهل بن عبد الله الا من قوله بسجود قلبه وما أخبر

أنهم آمنوا ساجداً كما هو الامر عليه وانما أخبر انه يسجد ولا سجود الا عن شهود قيام قبل ذلك كما مر * وقال انما كان كل حزب بما لديهم فرحون لجهلهم بما لهم ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له أن يحزن * وقال كلام الحادث محدث وكلام الله الحدوث والقدم فله عموم الصفة لانه له الاحاطة وحدوث ورود علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة * وقال لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث اذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة * وقال في حديث أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق الى آخره ان كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل واذا قصد بالخلق كل ما سوى الله فما هو العماء قال وهي مسئلة في غاية الخفاء * وقال باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا * وقال لا قدم على التساوي درجة وارم على عيسى درجة على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساوات * وقال الدنيا والآخرة أختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الاختين وجوز الجمع بين الضرتين وما هما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الاحسان الى احدى الاختين بالنكاح اضرار بالاخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم * وقال من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب ان لا يقبله ميزان الا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها * وقال خزائن الله تعالى صدور الفقراء وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فاذا نطقوا أغنوا السامعين

أهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولا شك أنها بخلاف كتابة أهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التي لا تقرأ كأنها خط الملائكة ومن ذلك أيضاً ما يخلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها على حالة لا توجد في الدنيا كما وردت به الاخبار الصحيحة في ثواب الاعمال وتلك الادراكات بلذاتها لا تضاهي شيأ من الادراكات التي تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت تشاكلها في الجنسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا باسمائه أصل كبير في هذا الباب قال الشيخ أبو طاهر فلعدم تلك الادراكات في الدنيا لا نجد في أنفسنا لذة النظر الى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة في الجنة كما لا يجد الصبي في صباه لذة الجماع لانه لم يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فانكروا أمور الآخرة واذ قد صح لك أن العقل لا يطلع على كنه حقائق الاشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى أسرارها علمت ان غايته انه يقيس ما لم يره على ما رآه بادنى شبه يكون بينهما وقد جاءت الشرائع باشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن اذا حكم العقل بجوازها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر في الآخرة وكالوجود والقدم في صفات الله تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرائع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزماً ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردوها الى علم سر القدر المنهي عن الخوض فيه وقالوا اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه الى عقائدهم سبيلاً لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من أزمانه صلى الله عليه وسلم التي هي زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فلما أن درج القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث في عقد القلوب وجال في الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الآراء وكثرت مقالات أهل الاهواء كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم الله تعالى اذ ألفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الامصار ودعوا اليها الاغبياء من الناس فشاعت البدع وفشا البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما قال تعالى في حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام يعني في أوله ثم لا يخفى عليك يا أخي أن المعتقدين اليوم وان صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيراً ما يختلج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه أهل الاباطيل ولا يجدون أحداً من الائمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت أحدهم على رجز بين ضلالة عن تجسيم وتشبيه وتعطيل وأمور منكرة ولا يجسر أن يسأل أحداً عنها ولا يجد أحداً يشفي الغليل بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذي دعا المحققين من المتكلمين الى ايراد أمثلة كثيرة في مضايق المشكلات وكشف ما أمكنهم من المعضلات وتكرير العبارات في جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة يحتاج اليها من يطالع مثل هذا الكتاب فامعن يا أخي النظر فيها يسهل عليك فهم كثير من آيات الصفات وتعقل أشياء كثيرة من محالات العقول

(المبحث التاسع والستون في بيان أن تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق)

لورود النصوص به لكن لا يخفى أن الناس يتفاوتون في ذلك فاما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره فاما الذين يأخذون كتبهم

ان كانت أعين أفهامهم غير مطموسة ✽ وقال في الكلام بعد الموت هل هو بحرف أو صوت اعلم ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة
التي ترى نفسك فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وان اقتضت الصوت بلا حرف كان وان اقتضت الاشارة أو

كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم وأما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قاله الشيخ محيي الدين قال لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام في ظاهره ليحفظ دمه وأهله وماله وهو في باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد الا الله ✽ وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا بترك العمل به فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه بعضهم فان هذا حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي تيقن أنه لن يرجع وهذا هو الذي يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاق الحديث قال وليس أولئك الا الائمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم ✽ قال الشيخ محيي الدين ثم لا يخفى أن هذه الكتب التي كتبتها الحفظة في الدنيا خاصة بأعمال المكلفين وأقوالهم وليس فيها شيء من عقائدهم الا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فان الملائكة لا تكتب من أقوالهم الا ما تلفظوا به اهـ ✽ وقال الامام الغزالي رحمه الله في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم أن الملكين يوكلان بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان أحد الملكين يهديه والآخر يقومه ورتبة الهادي أعلى من رتبة المقوم وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم أعوان الملك الاعظم الذي هو صاحب القلم عند أكثر المحققين قال ثم ان الملكين يكتبان الحسنات والسيآت كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا لانهما انما يكتبان في صحف مطهرة مطوية في سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا اذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا يدركه أبصارنا في عالمنا هذا ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند النزع لقوله فكشفنا عنك غطاءك ومرة في القيامة على رؤس الاشهاد قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هنالك طائرة من الهواء وهو قوله طائره في عنقه على أحد التفاسير ثم اذا قرأ كل أحد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب أعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطوطا بيضا وصاحب السيآت يجد كتابه خطوطا سودا ✽ قال الشيخ أبو طاهر القزويني وأصحاب الكتب يومئذ اذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بالهام من الله تعالى فنسألك اللهم أن تؤتينا كتابنا بأيماننا وتدخلنا جنتك بأعمالنا ولا تفضحنا يا أرحم الراحمين ✽ وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فيالها من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل وفي الحديث من نوقش الحساب عذب ✽ قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الاعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام في حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله الانبياء وسؤاله لغيرهم فان سؤاله للرسل يكون على تقرير النعم على طريق المباسطة وأما سؤاله لغيرهم فيكون في أمور رقيقة نسأل الله اللطف وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا أو بسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه

النظرة أو ما كان فهو ذلك وان اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان فان جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال وان رأيت نفسك في صورة انسان حزت جميع المراتب في الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور وقالوا انما جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم الا أن علاقة تدبير الهيكل باقية في النوم والموت لا علاقة له في التدبير ✽ وقال اذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع في محبته فانه منك أشد تبرأ ✽ وقال اذا كنا نجهل ما سبق لنا في علم الله فلا ثقة لنا بحال فيالها من مصيبة ✽ وقال اياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فانك لما تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو ما أنزل الله لا ما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية ✽ وقال اذا قرأت مثل ما أوتي رسل الله فان اقطع نفسك على الجلالة كان والا فاقصد ذلك ثم ابتدئ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ✽ وقال احذر ان تفي بعهدك ليفي الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فان من وفى بعهده ليفي الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيأ فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد ✽ وقال اذا ناجيت ربك فلا تناجه الا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاما فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له اجابة فيقطعن ذلك فانه مزلة قدم (قلت) فلا يليق وضع الاحزاب التي

وسلم لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة مع أن هذا كان عقب الجوع كما دل عليه سياق الحديث فقد شارك هؤلاء الانبياء فى سؤال تقرير النعيم فى هذه القصة وفارقوهم فى سؤال التوبيخ والتقريع (فان قيل) فما سبب شهادة الاعضاء على صاحبها ولم لم يكن يشهد على نفسه بلسانه (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السبعين من الفتوحات أن سبب شهادة الاعضاء قبح تلك الذنوب فيستحى العبد بين يدى الله عز وجل أن ينطق بها أو ينكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد اعضاؤه ثم يقبل الله شهادتها العدالتها الاصلية من أصل الفطرة والاصل العدالة والجرح طارئ وينقدح من هذا سؤال وهو اذا كانت الاعضاء كلها تشهد وهى عدول مزكاة وماثم الاعضاء فمن المعذب انار يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الاعضاء انما هو لتلذذها بفعل مانهيت عنه فى دار الدنيا وكان بعضهم يقول فى حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن فى حسابهم ان الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ماتعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم انتهى فليتأمل * وقال فى الباب الثامن وتسعين ومائتين من الفتوحات اذا أخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم كقوله ياعبدى فعلت كذا وكذا فى وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم * وقال فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة اعلم أن كل مسلم استحيا من الله تعالى فى الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلابد أن يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير فى خدمة الله تعالى وماثم غير هذين الطريقين قال وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن ان يقول له عبدى ما كان الذى وقع منك فى دار الدنيا الا بقضائى وقدرى لانك موضع جريان أحكامى فيأنس العبد بهذا القول أشد الانس ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لاساء الادب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعالى فى غاية الحسن ومن جانب العبد فى غاية القبح فليس له أن يقول يارب كيف تقدر على المعاصى ثم تؤاخذنى وأما الحق تعالى فاذا قال للعبد أنت موضع جريان أحكامى فهو فى غاية الفضل والاحسان لان فيه اقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وازالة خجله ورفع وجله * قال الشيخ محيي الدين ولما ورد على هذا التعريف الالهى فى واقعة من الوقائع الشريفة لم يسعنى وجودى من الفرح حيث أطلعنى على مثل ذلك انتهى * وقال فى آخر الباب الثامن والثمانين وثلثمائة انما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أى معين علمه عندنا لان الصبر يعم جميع الاعمال اذ هو حبس النفس على فعل الاعمال المكروهة فلهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الاعمال تأخذها انتهى *(خاتمة)* قال فى الباب التسعين من الفتوحات فى قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا اعلم أنه لا ينبغى للعبد أن يقرض الله عز وجل لاجل مضاعفة الاجر يوم القيامة وانما ينبغى له أن يقرض ربه عز وجل امتثالا لامره تعالى حيث أمره بالاحسان الى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه لنا ألا تراه تعالى قد سأل نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق أى الذى بعثه به لعباده اذ الالف واللام فى الحق للعهد أى رب احكم بالحق المعهود الذى بعثتنى به وعلى هذا تجرى أحوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله تعالى يوم القيامة فلينظر الى حكم الشرائع فى الدنيا من غير زيادة ولا نقصان فكن ياأخى على بصيرة من شرعك فانه عين الحق الذى اليه مآلك يوم الدين انتهى * وقال فى الباب الاحد وخمسين وخمسمائة فى قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين اعلم أن الحق تعالى اذا حكم يوم القيامة فى الامور بنفسه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه هو دون رسوله والمؤمنين على حسب ما يراه فى العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما

يقرؤها المريدون الا من الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أخذت حزب البحر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بعد حرف والله أعلم * وقال الزم ذكر الاسم المركب وهو الرحمن الرحيم فانه كبعلبك ورامهرمز وقال خطاب الله بضمير المواجهة تجديد وبضمير الغائب تحديد ولابد منهما * وقال لما أخبرنا الحق تعالى أنه ينزل الى سماء الدنيا الا ليفتح لنا باب التواضع بالنزول الى من هو دوننا فى زعمنا * وقال انظر بعقلك فى سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها الى التحت الا وهى مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين * وقال لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الامر على ما هو عليه لكنها أبدا تطلب أمرا غاب عنها فكان طلبها عين حجابها فلذلك قال تعالى وماقدروا الله حق قدره لشغلها بطلب الباطن الذى غاب عنها والله ما بطن عنها الا ما ليس لها قدم فى معرفته فخاطبنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن الا ليعلمنا ان الذى نطلبه فى الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا فى التفكر فيه * وقال اذا أخبرك الحق تعالى فى أمور فانظر الى ما قدم منها فى الذكر فاعمل به فانه ما قدمه حتى تهتم به فكأنه نبهك على الاخذ به ابدؤا بما بدأ الله به لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة * وقال عطايا الحق كلها نعم وان أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض وذلك مرض ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زورا فلا علم مع ثبوت الحكم مع ان الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لان الله ما حكم الا بما علم وقد براه

برامر رسوله صلى الله عليه وسلم فى العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون يعنى الائمة المجتهدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا و جمع الرسول والمؤمنين معه تعالى فى الحكم بما يرونه مع أن كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالاصالة وقد قال بعض المحققين اذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقى فى جميع أحكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض أحكام القضاة بالبطلان انظر انتهى *(قلت)* انما صح لنا وصف بعض الاحكام بالبطلان عملا منا بالشريعة التى تعبدنا الله تعالى بالعمل بها فى هذه الدار دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يامرنا بالحكم بما فى هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها الشريعة لا لمخالفتها لها فى نفس الامر كما قاله المحققون والله أعلم

(المبحث السبعون فى بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا أحد يتقدم عليه)

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع زاد فى رواية ولا فخر قال العلماء وانما خص يوم القيامة بالسيادة لانه يوم ظهورها لكل أحد كقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه فى الدنيا وسيادته فانها لا تخلو من منازع * قال الشيخ محيى الدين وانما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبى بعد نبى فى ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسى نفسى فاراد اعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر فى مكاننا مستريحين حتى تاتى نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول أنا لها أنا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه الى نبى بعد نبى بخلاف من بلغه ذلك ودام معه الى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الامة وانما قال فى آخر الحديث ولا فخر أى لا افتخر بكونى سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لى من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع فازكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لعرض صحيح وكذلك تزكية جميع الائمة لانفسهم لا يكون الا لغرض صحيح فانهم منزهون من رؤية فخر نفوسهم على أحد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال حتى يرى نفسه انهم ليست باهل ان تنالها رحمة الله عز وجل * قال الجلال السيوطى وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات * أولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تعجيل حساب الخلائق واراحتهم من طول ذلك الموقف وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم * ثانيها فى ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووى وهى مختصة به وتردد فى ذلك الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد والشيخ تقى الدين السبكى وقالا لم يرد فى ذلك شئ وكان الشيخ محيى الدين يقول فى معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد أنه لم يكن فى حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقدمر ذلك عن غيره أيضا * ثالثها فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووى فى كون هذه مختصة به قال السبكى لانه لم يرد فى ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته * رابعها فى اخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقتهم و ينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضى عياض فى ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فهى خاصة به ليست لاحد من الانبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه فى ذلك غيره * خامسها فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها وجوز الامام النووى رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم * سادسها فى جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات كما ذكره القزوينى فى العروة الوثقى * سابعها فيمن خلد من الكفار فى النار ان يخفف عنهم العذاب فى أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد ذلك فى الصحيحين فى حق

شرع الحاكم أن يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غاية ظن وعند الله علم فافهم * وقال الخلافة حكم زائد على الرسالة فان الرسالة تبليغ والخلافة حكم بقهر * وقال اذا بلاك الحق تعالى بضر فاساله فى رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وما سماك صابرا الا من حيث حبسك الشكوى عن الخلق لا عن الحق فافهم وما قص الله عليك قول أيوب مسنى الضر الا لتهتدى بهداه واذا كان يقال لسيد البشر فبهداهم اقتده فما ظنك بغيره * وقال لا تقل قط ان الحق تعالى وصف نفسه بما هو لك مما لا يجوز عليه كالنزول والاتيان والضحك ونحو ذلك هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وان اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة اذ الممنوع انما هو نسبتها الى الحق على حد نسبتها الى العبد * وقال لا يلزم من الفوق اثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كما مر * وقال فى حديث ان أحدكم لا يرى ربه حتى يموت أى يراه بعد موته لا فى حال موته كما توهمه بعضهم فما نفى الشارع الا رؤية الله فى الحياة الدنيا لا غير * وقال انما قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولم يقل اذا قرأت الفرقان فاستعذ لان القرآن جمع فهو يدعو ابليس الى الحضور بخلاف الفرقان فانه يطرده * وقال من استفهمك فقد أقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن * وقال فى حديث والله أغير منى ومن غيرته حرم الفواحش أى جعلها حراما محرما كما حرم مكة

أبى طالب وكما ذكره ابن دحيـة فى حق أبى لهب من أنه يخفف عنه العذاب فى كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسـلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به * قال الجلال السيوطى ولا يرد علينا شفاعته صـلى الله عليه وسـلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعته فى المؤمنين وفى البرزخ وكلامنا انما هو فى شفاعاته صـلى الله عليه وسـلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر * ثامنها فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا وهذه الثلاث الاخيرة ذكرها بعضهم وأضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذى وصححه قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وسبعين وثلثمائة واعلم أن الشـفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون فى فتح باب الشفاعة للناس فيشفع فى كل شافع أن يشفع فاذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شـفاعاتهم ما شاء ورد منها ما شاء قال ويبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم فى قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين فى ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما أراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم ويرفع الشقاء عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشـفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهى أى شفاعة الحق مراتب أسماء الهية لا شـفاعة محققة لان الله تعالى يقول سبقت رحمتى غضبى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقى أرحم الراحمين فدل بالمفهوم أنه لم يشفع فيتولى بنفسه اخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار الى الجنة وملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما ملأ الله الجنة برضاه ورحمته * وقال فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم ان لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم لله عز وجل فقط قال وهؤلاء هم الذين شـهدوا مع شهادة الله والملائكة أنه لا اله الا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الاخلاق من العصاة قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذى جعله الله لهم وآخرهم شـفاعة التسعة عشر التى على جهنم وأما شـفاعة النبيين فتكون فى المؤمنين خاصـة والمؤمنون قسمان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالحر الى الامم والخبره ومتعلق الايمان والقسم الثانى مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه وأهل الدار التى نشأ فيها فالشافع فى هذا المؤمنون الذين هم فوقه فى الدرجة بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بانفسهم ونجوا بشفاعة محمد صـلى الله عليه وسـلم ثم ان الشـفعاء كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين اه * وقال فى الباب السابع والسـبعين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسـلم سحقا سحقا فى حق قوم ارتدوا على أدبارهم بعده صـلى الله عليه وسـلم انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك طلبا لموافقة الحق تعالى فى غضبه عليهم اذ العالم بالامر لا يزيد عـلى حكم ما يقضى به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف فى المسئلة ويشفع فيمن كادت تهوى به الريح فى مكان سحيق فهى شفاعة فيمن ارتد عن فعل شئ من فروض الاسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين اه * وقال فى الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله عليه وسـلم صاحب المقام المحمود فى الشفاعة يوم القيامة بين يدى الله عز وجل لانه أوتى جوامع الكلم فيحمده فى ذلك المقام الاولون والآخرون ويرجع الى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صـلى الله عليه وسـلم عامة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمـل يصح أن يشرع كذا لا يصح أن يخرج عن شـفاعته أحـد وأطال فى ذلك ثم قال فى الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدى الله عز وجل من غير أن يتقدمه اذن من الله عز وجل فى ذلك السجود لان السجود فى ذلك اليوم هو المأمور بالتكون فى عين جسم محمد صلى الله عليه وسـلم اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التى ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم

محمد

وغـيرها فمن وقع فيها فقد اثم من جهة انتهاك حرمتها قال وقد تخيل الناس أن ذلك اهانة بالفواحش وليس كذلك وانما هو تعظيم لها من حيث انها شعائر الله وحرماته ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه فتحريم الوقوع فى المحرمات مثل تحريم التفكر فى ذات الله فان تحـريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتامل فى معناه * وقال فى قول على رضى الله تعالى عنه ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحـد ومطلع اعلم ان الظاهر من الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما تسـلك عليه الصورة والحد منها ما يميزها عن غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصـول اليـه وأهـل الكشف يميزون بين هذه المراتب * وقال من ليس كمثـله شئ ما هو ذو حياة ولا موت فان من خلق المـوت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولا هما انه هو الحى ما هو ذو حياة قال وكذلك له تعالى الاسماء ما له الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها فى الكتاب والسـنة قال تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فتنزه عن الصفة لا عن الاسم * وقال الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسـل حجبة بين الملك والرعايا فبعد ذلك والله اسنادنا والمقصود من الرواية علو الاسـناد وكما قل رجاله عـلا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال أدعو الى الله على بصـيرة فنزل جبريل أنا ومن اتبعنى فزال الرسول ومنه قال أبو يزيد حدثنى قلبى عن ربى فعنه أخذ هذا قوله يا أيها المنكر * وقال الاحكام تختلف باختلاف الاسماء فان قلت فى حكمة انم الخمر بالخمر حرمت هذا حكم الاسم * وقال كريم الكريم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعفو ويصفح لان

محمد صلى الله عليه وسلم بين يدى الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فى ذلك اليوم الاعظم ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم ثم اعلم ان فتوة أولياء الله تعالى اذا أذن لهم فى الشفاعة أن يبدؤا بالشفاعة فيمن آذاهم فى دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى فى الآخرة عند الله تعالى من التقريب واجابة السؤال وقد كان فى دار الدنيا يجهل ذلك وهنالك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذى حصل لهم من أولياء الله تعالى فى ذلك اليوم العظيم قال وانما لم يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن أحسن اليهم واعتقدهم فى دار الدنيا لان المحسن مطمئن بما قدم من الاحسان فعين احسانه يكفيه ويكون شفيعاله عند الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان اهـ (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح فى دار الدنيا عن كل من سبه أو ذمه أو أنكر عليه ليوافى القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أو أنكر عليهم من أهل الله عز وجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو أنكر عليه والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والسبعون فى بيان أن الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام)

كما تقدم بسطه فى المبحث الثانى من الكتاب فى حدوث العالم وذكرنا هنالك ان خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان أعمال كل مكلف تأتى على حسب ما سبق له فى دار الجنة والنار وزعم أكثر المعتزلة انهما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أنهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين وقصة آدم وحواء واسكانهما الجنة واخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن فى قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها كحديث لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواه البخارى وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة والنار فى عدة أحاديث وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف فهما بمثابة سور الدار الذى بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران ويبنى حتى ينتهى البناء لانهما انما يبنيان من أعمال المكلفين من خير أو شر فمن نظر الى السور من خارج قال انهما فارغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقى من أعمال المكلفين فى هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الحديث فان القيعان هى التى لا بناء فيها ولا شجر وفى الحديث أيضا من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة فى الجنة اهـ وقال الخريطى ليست الجنة التى أخرج منها آدم هى الجنة الكبرى المدخرة فى علم الله تعالى فان تلك لا يصح فيها معصية لآدم ولا ابايه لابليس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التى لا حجاب فيها ومعلوم أن المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هى جنة البرزخ التى هى فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال وجنة البرزخ هى التى ترى فى دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا ذكر أنه رأى عمرو بن لحى الذى سيب السوائب وذكر أنه رأى المرأة التى حبست الهرة حتى

لعفو والصفح كرم واستعمالهما كرم الكريم وكذلك يقال فى اساءة الاساءة فان المسىء من أتى بما يسوء وان كان جزاء الا انه هذا الاسم مقصور حكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدبا أدبنا به الحق * وقال الاسلام والايمان قدمنا الاحسان مع أن الايمان له التقدم والاسلام تالٍ والا لم يقبل * وقال أيضا الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر فى التخيل فلا بد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن انقاد طوعا وليس ذلك الا لمن أحس بان الحق آخذ بناصيته فان لم يحس فما انقاد الا كرها والاحسان ان ترى انه يراك على المشاهدة * وقال ما أجهل من قال ان الله لا يخلق بالآلة وهو يقرأ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكيف بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا ان السيف آلة لك وأنت والسيف آلة له * وقال الاولى أن يقال الخلق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم * وقال التسبيح تجريح لان المنزه لا ينزه الا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فانه وجود فليس فى الحق نقص حقيقة ينزه عنه وايضاح ذلك ان التقديس الذاتى يطلب التبرى من تنزيه المنزهين فانهم ما نزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز ان يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال فى ذلك * وقال من قتله أعداء الله ما مات بل جمع له بين الحياتين فان الله تعالى اعتنى بيحيى وهو صغير اوسلط عليه الجبار فقتله كبيرا وما حماه منه ولا يضره وذلك لان الصغير اعتنى به رحمة به لضعفه فاذا كبر وكل الى نفسه فان بقى فى كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وان ادعى القوة المجعولة

ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى الى الآن وانما هم محبوسون فى البرزخ هكذا قالا فليتامل ويحرر وقد حبب لى أن أبسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لانه مما جهل محط رحال الاولين والآخرين فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيي الدين فى الباب السادس والعشرين ومائة اعلم ان الدنيا أكمل نشاة من الآخرة لان الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما فى الدنيا الا فى موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الاعراف الى السجود فيسجدون فترجح بتلك السجدة ميزانهم وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد أمرنا بالاحسان الى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الا قليل من الناس ومعلوم أن الدنيا هى أمنا التى ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد فى الحديث ومن لعن أمه فهو عاق لها بلا شك وليتامل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها فى قولها لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفى الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بانها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشر وتحذرهم منه وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهى تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما أنزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا فواعجبا منا كيف لم نتبع أخلاق أمنا ولا وقفنا عند حد ودربنا كما وقفت أمنا فينبغى لكل عبد أن يراقب حال أمه فان الطفل لا يفتح عينه الا على أمه ولا يبصر الا هى ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا ومن أخلاق الدنيا أنه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها الى الآخرة لانها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم ومن عقوقنا لها أننا ننسب الشرور والانكاد اليها والحال أنها أحوالنا ماهى أحوالها والشرائع ماهو فعل المكلف لا فعلها ماهى ومن أشد ما عليها ماهى أيضا نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع أنهم ما عملوا ذلك الا فى الدنيا وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا أجر المصيبة التى فى أولادها ومن أولادها اهـ * ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول اعلم يا أخى ان جهنم من أعظم المخلوقات وهى سجن الله تعالى فى الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الآبدين ودهر الداهرين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهى مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحر على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها عناه وهواء محرق لا جمرة لها سوى بنى آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون فاثبت أن الجن لهبها * قال الشيخ محيي الدين فى الباب الحادى والستين من الفتوحات اعلم أن الله تعالى يحدث فى جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها قال وقد أوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها فى الصورة على صورة الجاموس قال وهكذا رأيتها فى كشفى ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطنعون فيها المقامع قال وكذلك رآها أبو الحكم بن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت لبعضهم صورة حية فتخيل أن تلك الصورة هى التى خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك قال الشيخ محيي الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل فى الثور وكان الشمس والقمر فى القوس وكان سائر الدرارى فى الجدى فكان فيها لاجل ذلك الحر والبرد وانما كان فيها الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلى قوله فى صحيح مسلم جعت فلم تطعمنى ومرضت فلم تعدنى وظمئت فلم تسقنى فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين

وأسى ضعفه الذى كان له فى صغره أضاعه الله فى كبره ترد الضعف اليه وتامل الصغير كيف يقبل ويضم الى الصدر مع استقذار بدنه وثيابه ويشتهى والده حمله والكبير يستقذر (١٥٦) ولا يقبل ويتمنى أهله موته * وقال فى قوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا والتمنى من العمل فمن تمنى أنه لو كان له مال تصدق به أعطاه الله ثواب من أنفق ذلك المال من غير كد ولا نصب * وقال لولا عرف طيب أنفاس الاحبة ما فاح المسك لمستنشق وما عرف مقدار طيب الانفاس وما تعطيه من المعارف الالهية الا البهائم الا تراها تشم بعضها بعضا عند اللقاء ولا تمر بشئ الا وتميل برؤيتها اليه تشمه * وقال اذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يغنى ولا يندك جبل هيكله فاعلموا انه محبوب ولكن له علامة وهو أنه اذا كان حاله لا يراه خلق الاصعق الا أن يكون مثله فما ثبت لتجلى الحق تعالى الا من أيده الحق وأما من يغشى عليه فى حاله ويتغير عن هيئته التى كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يغنى فاعلموا أنه غير محبوب وما عنده من الحق شمة (قلت) المراد بالواردات الاحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى وخر موسى صعقا مع انه محبوب باجماع فافهم * وقال فى قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اعلم ان المراد باطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل والنهار وما بين الابتداء والانتهاء كما ان الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح وجميع آناء الليل وأطراف النهار ولم يتعرض لذكر النهار فى هذا الحكم لانه قال ان لك فى النهار سبحا طويلا أى فراغا فالنهار لك والليل وأطراف

وجميع ما يخلق الله فيهما من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيهما من الجن والانس متى دخلوها وأما اذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ملتذون يسبحون الله لا يفترون وأطال في ذلك ثم قال ومن أعجب ما ورد ينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم كبراء الصحابة أن ذلك الحجر هو ذلك المنافق وأنه من حين ولد يهوي في نار جهنم بأعماله في علم الله وان لم يكن مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله اياها انما هو ليعتبر وا فانظر وا ما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سألت الله تعالى أن يطلعني على جهنم وأهلها فأطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا أنه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب منعنا أن نتعدى مقام الادب معه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت أهلها يتخاصمون مع أئمة الضلال الذين أضلوهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام أرباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب ادحاض حجج بعضهم بعضا فانا كلما أرى خصام أرباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ أتذكر خصام أهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتأديب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الائمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم * قال ولما أطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ما شاء الله ان أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور نارا وكل عمل يتطور نعيما وعلمت أن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم حقيقة وانما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك

النار منك وبالاعمال توقدها * كما بأجعها في الحال تطفيها
فانت بالطبع منها هارب أبدا * وأنت في كل حال منك تنشيها

الى آخر ما قال اه قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه أن يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ولعل قوله نزلت أي طلعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله أعلم فعلم أن جهنم انما هي دار سكنى لاهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن رؤية الله عز وجل فلا يفتح لاهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار (فان قلت) فما حد جهنم (فالجواب) ان حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك كله يزيد في جهنم اتساعا عما هي الآن عليه حيث لا مخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت أي أججت نارا من سجرت التنور اذا أوقدته قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم أحب الى من البحر قال الشيخ محيي

النهار ومن كان مشتغلا بالله في الليل وأطراف النهار كان الله له في النهار لانه استعداد للتفرغ للحق في الليل والاطراف * وقال الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه كما ان من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل * وقال جمال صورتك في الآخرة يكون على قدر خواطرك المحمودة في الشريعة هنا وقبح صورتك في الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة فاجهد في نفسك قبل أن لا ينفعك الندم * وقال مرتبتك عند الله في التعظيم على قدر تعظيمه في قلبك وحيائك منه فان اعتنيت به اعتنى بك وان استحييت منه استحيا منك وان لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك فان شئت أرجح وان شئت اخسر لا تلم الا نفسك * وقال العلم يقتضي العمل فمن قال ان العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جدا من اجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين فربما يقال لو كانوا عالمين ما خالفوا وهم عالمون بلا شك بان الله تعالى حد لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعديها فعلمهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وما هم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين فالعاصي الامن ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم انه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمله فانه دقيق * وقال الامر الالهي لا يخالف الارادة الالهية أبدا لانها داخلة في حد موحقيقته وانما جاء الالتباس في تسميتهم صيغة الامر أمرا وليست بامر لمن تامل فان الصيغة مرادة بلا شك وهذه الصيغ

الدين وأهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الآن يتأجج نارا (فان قلت) فمن أشد الخلق كلهم عذابا فى النار (فالجواب) أشدهم عذابا ابليس لانه هو الذى سن الشرك وكل معصية (فان قلت) ان ابليس مخلوق من النار فكيف جعل الله تعالى عذابه بما خلق منه (فالجواب) ان الله تعالى على كل شئ قدير ألا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فاحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته (فان قلت) فقد ورد أنه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه أم من داخله (فالجواب) لا يأتيه الزمهرير الا من ذاته لانه أحد أركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان فى دار الدنيا فيتألم بها فيأمره الطبيب بالفصد فلولا أنه فصد لمات وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من أركانه حتى الماء والهواء (فان قلت) فكم عدد دركات النار (فالجواب) عددها مائة درك لانها فى مقابلة درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون ولهم من الغضب الالهى الحال بهم آلام مخصوصة (فان قلت) فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها (فالجواب) هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات وترجع الاربعة أقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها الى الجنة أبدا القسم الاول المتكبرون عن أمر الله كفرعون والنمرود وأبى لهب وأضرابهم الثانى المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها آخر الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الآلهة جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من أهل هذه الاقسام الثلاثة للقهر الذى حكم عليهم لخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهو فى أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث فهؤلاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وانس اه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين أنه يقول بقبول ايمان فرعون ولو أنه كان يقول به ما صرح هنا بانه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبدا الآبدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة الى ذلك فى الخطبة واما انه كان تبع فيه القاضى أبا بكر الباقلانى فانه قائل بقبول ايمان فرعون لان الله تعالى حكى عنه انه قال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك وتقدم انعقاد اجماع الائمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك أن تنقل عن الشيخ محيى الدين أنه يقول بقبول ايمان فرعون وتخرق الاجماع لا سيما والفتوحات من أواخر مؤلفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل فى النار دركات اختصاص نظير ما فى الجنة من درجات الاختصاص التى ليست هى فى مقابلة عمل (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ليس فى النار دركات اختصاص الهى ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا انه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها الا باعمالهم التى عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فانهم ينعمون فيها باعمالهم وبغير أعمالهم فى جنات الاختصاص اذ الجنات ثلاثة جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتى بيانها فى الكلام على الجنة ان شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله انه ما نزل أهل النار الا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الائمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فانهم هم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فما نزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود من جملة أعمالهم بخلاف أهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق باعمالهم كما فى الكفار ويزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص (فان قلت) فمن أين جاء تقسيم أهل النار الى أربعة أقسام (فالجواب) لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه

هى التى وردت على السنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله الا بهذا الاعتبار قال وبهذا علمنا ان النهى لآدم عن قرب الشجرة انما كان بصيغة لغة الملك الذى أوحى اليه به فما وقع العصيان الا لصيغة المترجم عن أمر الله بلغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فانه دقيق * وقال أخسر الاخسرين شاهد يشهد على نفسه كما ان أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو فى العارفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فاشقوا نفوسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الامر على ما هو عليه لذبوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذى هو المعصية فان الجوارح لا تعرف اذا شهدت الا الفعل خاصة وأما الحكم فلا فلو شهدوا بالفعل فقط لكان أقل فضيحة واستر ممن شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فافهم * وقال فى حديث ان أصحاب الجد محبوسون انما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذى هو الفقر مع أن العبد كلما أنفق أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق فزاده حجابا ولو أنهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغذاء بمضاعفة الحق لهم ما أنفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم الا ما فيه قوامهم لا غير * وقال لما انتقل العلم من الكون اليه بظاهر قوله حتى نعلم سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسربه العالم بالله ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهرى الله أعلم فالالهى علم والمحدث بعلم فاحمد الله الذى علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن العلم المستفاد للعليم بهم الحديث على هذا والقديم ياتينا

وان عاندت فافهم قوله ولنبلونكم حتى نعلم وعاحكم على نفسه فاحكم كذلك فانه من آيات الصفات وان سئلت عن كيف ذلك فقل الله أعلم
وقال الذي يظهر لي أن الحق تعالى انما قال مثل ذلك امتحانا لعباده ليتبين لهم مقامهم والايمان هل يغلب ايمانهم على عقلهم

يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي المتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي المعطل من خلفه (فان قلت) فما الحكمة في الاتيان من هذه الجهات المخصوصة (فالجواب) الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فانما جاءه من بين يديه لان المشرك رأى بين عينيه جهة غيبته فاثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله في الوهيته شيئا يراه ويشاهده وأما المتكبر فانما جاءه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر للقوة التي اختص بها من نفسه وأما المنافق فانما جاءه من جهة شماله التي هي الجانب الاضعف لان المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال في العادة أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله وأما المعطل فانما جاءه من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه الجهات * قال الشيخ ولهذه الطوائف الاربعة من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة أقسام التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات وبها أظهر الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل شخص عما أضمر في نفسه من ايمان أو كفر أو كذب أو صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده بما تلفظوا به (فان قلت) فما أسماء أبواب جهنم وما الطوائف الذين يدخلون منها (فالجواب) أما أسماؤها فباب الجحيم وباب سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية سميت هذه الابواب بصفات ما وراءها مما أعدت له وأما تعيين الطوائف الداخلين من كل باب فهي مبينة في القرآن قال تعالى في أهل الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين وقال في أهل سقر ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في أهل السعير وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال في أهل الحطمة ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده الى آخر النسق وقال في أهل لظى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى وقال في أهل جهنم وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وقال في أهل الهاوية وأما من خفت موازينه فامه هاوية وقد نظم هذه الابواب على الترتيب سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله فقال

جهنم واللظى والحطام بينهما * ثم السعير وكل الهون في سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * تهوي بهم أبدا سحقا لمنحدر

(فان قلت) فأين تكون جهنم اذا أتى الحق تعالى يوم القيامة في ظلل من الغمام كما يليق بجلاله (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين من الفتوحات ان جهنم تكون على الجنبة اليسرى لان اتيانه تعالى انكشاف حجاب كما يقال أتى الملك وخرج على عسكره فشاهدوه وقد سمى الله تعالى نفسه ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذي يجتمع فيه الخلائق أجمعون فاله من يوم ثم ان الملائكة الذين نزلوا من السموات تصطف سبع صفوف محيطة بالخلائق أجمعين فاذا أبصر الناس جهنم ولها زفير وتغيظ يفرون بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر لانه ما ثم جمع أكبر منه قط ولا يسلم من ذلك الفزع الا الطائفة الذين قال تعالى فيهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فهؤلاء هم الآمنون على أنفسهم غير ان النبيين منهم يفزعون على أممهم خوفا عليهم للشفقة التي جبلهم الله تعالى عليها وكذلك كل داع الى الله تعالى من كمل ورثتهم فيقولون كلهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم قال وينصب الله تعالى للآمنين منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مستبشرين وذلك قبل مجئ الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فاذا فر

فيؤمنوا بذلك من غير توقف أم يغلب حكم عقلهم على ايمانهم فيخسروا والله أعلم * وقال الذ: احكم ليس لاخيها والام لا تتكلم على بنتها ومن اتبع المتشابه فقد ضل وزاغ وما على الرسول الا البلاغ والله أعلم * وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة وهو آخر الابواب اعلم ان يد الله التي هي القوة مع الجماعة وما غابت قط جماعة الا عند افتراقهم وكذلك جماعة القائمين بالدين لا يغلبون قط في أمر قاموا فيه وكل من عارضهم خذل فاذا تفرقوا غلبوا وكذلك جماعة أعضاء الانسان اذا اجتمعت لا يغلبها قط شيطان فاذا تفرقت غلبت * وقال اذا اشعرت قلبك ذكر الله دائما في كل حال فلابد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف واذا جاءك الكشف جاء الحياء يصحبه دليلنا على ذلك استحياؤك من جارك وممن ترى له حقا وأطال في ذلك * وقال في حديث من هم بحسنة ولم يعملها فانا أكتبها له حسنة ثم ما لم يعملها ما هنا ظرفية فكل زمان يمر على العبد وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله يكتب له حسنة بلغت تلك الازمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حدث نفسه بعمل تلك الحسنة حسنة قال وكذلك القول اذا حدث نفسه بعمل سيئة فان ما فيها ظرفية كما قلنا في الحسنة سواء من انه يكتب عليه سيئة ما دام يحدث نفسه بعملها بالغا ذلك الزمان ما بلغ ثم ان العبد

الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السموات صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة ودعت الملل الى المحشر وتناديهم أنبياؤهم لرجعوا ارجعوا فينادي بعضهم بعضا وذلك قوله تعالى انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم يقع النداء من قبل الحق جل وعلا * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله فلا أدرى أذلك من نداء الحق تعالى بنفسه أو هو نداء عن أمره يقول فى ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أولى بالكرم ثم ينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادي ثانيا أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي ثالثا أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاذا أمر بهذه الطوائف الثلاث الى الجنة خرج عنق من النار له عينان ولسان بليغ فصيح فاذا أشرف على الخلائق الذين فى الموقف قال يا أهل الموقف انى وكلت اليوم منكم بثلاث كما قال فى النداء الاول بالنسبة الى أهل الجنة كما مر * قال الشيخ وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب لهول ذلك المطلع قال ثم اذا أشرف ذلك العنق من النار على الناس قال انى وكلت بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فاذا لم يترك منهم أحدا نادى ثانيا انى وكلت بكل من آذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم انه ينادي ثالثا انى وكلت بكل من ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط أهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون الصور فى الكنائس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال أتعبدون ما تنحتون فانهم كانوا ينحتون لهم الاشجار والاحجار ليعبدوها من دون الله عز وجل فهؤلاء هم المراد بالمصورين فى الحديث فيلتقطهم من بين الصفوف فاذا أخذهم الله تعالى عن آخرهم وبقى الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد أولئك من عبادتها فيسئلون عنها لينفخوا فيها أرواحا يحيونها بها وليسوا بنافخين كما فى البخارى انتهى (قلت) ولا يخفى حرمة التصوير للحيوانات وان لم تعبد والله أعلم وقد ذكرنا حديث مواقف القيامة الخمسين موقفا كل موقف منها ألف عام فى أواخر كتابنا المنهج المبين فراجعه ترى ما تشيب منه الرؤس وتذوب منه الاكباد مما نحن فى غفلة عنه الآن فنسئل الله الموت على الاسلام آمين (فان قلت) ان طعام أهل الجنة فى مأدبتهم التى فى المرج زيادة كبد الحوت فما طعام أهل النار قبل دخول النار (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان طعامهم فى مأدبتهم المذكورة طحال الثور الذى هو بيت الاوساخ المجتمعة من سائر البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد ليعطى ذلك الطحال لاهل النار فيأكلونه ومعلوم ان الثور حيوان ترابى طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور أهل النار أشد مناسبة فيما فى الطحال من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون انما يورثهم الاكل منه سقما ومرضا بخلاف مادبة أهل الجنة فانها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحرى مائى من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيوانى الذى به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة عليهم فى النعيم المقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى (فان قلت) فما سبب اماتة الله تعالى فى العصاة الموحدين فى جهنم دون الكفار (فالجواب) سببها اكرام الله تعالى للجوارح التى كانت تسبح بحمده وتطيعه وانما وقعت فى المخالفات من حيث انها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة للسوء فلوقوعها فى المعاصى عذبت ولتوحيدها لله تعالى أخرجت لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم ان جوارح العصاة اذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بالم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبدا ليذوقوا العذاب وذلك لان معصيتهم بالكفر مستصحبة لا تفارقهم ولو أنهم كانوا بقوا أبد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا فى النار من حيث نيتهم * وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم اذا عصوا يعقبهم الندم

اذا عمل الحسنة التى حدثته بها نفسه أو السيئة التى حدث بها نفسه فان الله يكتب الحسنة بعشر والسيئة بواحدة عملا بالعدل فى الثانية والفضل فى الاولى * وقال أعلى المشاهد فى السماع من الحق بالقلب ان تحضر بقلبك مع روح محمد صلى الله عليه وسلم فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان خطابه لنبيه ليس كخطابه اياك وحدك لان حضرة الربوبية ربما يسمع العبد فيها ما لا يقال فتكون فى ذلك تبعا لنبيك فان قال فقل وان كتم فاكتم وما من حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبى أو ولى الا وكلمة الحضرة مصروفة اليه * وقال أكابر الرجال اغناهم العيان عن الايمان لقوتهم على تحمل الامانة ولو ضعفوا لحجبوا بالايمان عن العيان ومن هنا كفر الناس من افشى أسرار الحضرة ونعم ما فعلوا * وقال من كمل فى مقام العرفان شاهد الاسم الذى بيده الختم الالهى الذى يختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات والولاية أن يدخلها كون بعد أن شهدت جمال الحق الاعلى وجب الخدمة والامر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب ثم ان ما وقع بعد ذلك الختم من تعلق الخاطر بجارية مثلا فانما ذلك بحكم الطبع لا بمنزلة السر الربانى المختوم عليه الذى هو بيت * قال وأما أسرار العامة فقد ختم عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لمحبة الله فهى تخبط عشواء * وقال عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق اذا تجلى بخلاف معتقدك فى الآخرة فان كل من لا معرفة له * وايضاح بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقر بما كان ينكره اولا وهذه الحقيقة هى التى تردّ المنافقين فى نفاقهم بالمرائين

* وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الموفى ثلثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث طبيعته طائع لله خائف من عذابه ومامن جارحة يرسلها العبد فى معصية الا وهى تناديه لا تفعل لا ترسلنى فيما حرمه الله عليك فانى شاهدة عليك وتتبرأ الى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة فى العبد بهذه المثابة تنادى اخوانها الا تفعلوا معصية انتهى (فان قلت) ان الله تعالى قد جعل الكى بالنار فى هذه الدار وقاية ودفعا لالم أشد من النار فهل يكون احراق الموحدين فى النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق (فالجواب) نعم احراق الموحدين فى النار دفعا لما هو أشد منه وهو غضب الله السرمدى فما سكن الغضب الالهى الا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الانسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه وهذا من رحمة الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم مت مسلما ولا تبالى بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع فكانت النار لاصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكى بالنار فى الدنيا ولذلك ورد أنهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون فى نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكى بالنار الى العافية ذكره الشيخ فى الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصى عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا فى قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الى آخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدون لان الله تعالى لما عاقبهم فى الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل ما جعلها فى الحدود فى حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهذا لا يكون الا للكفار اذ العذاب العظيم هو الذى يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فان الله تعالى يميتهم فى النار اماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فاذا لم يحسوا بالعذاب فى موتهم ليس لهم حظ فى العذاب العظيم لانهم محرقون بالنار مثل الجمرات ثم ان النار تفعل بواسطة الجمرات التى طورت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تقع النار تحت القدر فى انضاج ما فيه ولولا انضاجه ما ساغ أكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التى هى تحت أرض الجنة وانها انما جعلت لتؤثر فى فواكه الجنة النضج والاصلاح فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها فى النار فتفعل فى الاشياء هنالك على ما كانت تفعله هنا فلا ألا ترى ان أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار وأشجار الجنة كلها مغروسة فى تلك التربة المسكية كما يقتضى نبات هذه الدار الدنيا جعل الله بل تحتملها فيه من الحرارة الطبيعية لانه معفن والحرارة تعطى التعفين فى الاجسام القابلة للتعفين اه (فان قلت) فهل لاهل النار ان يتبوؤا من النار حيث شاؤا كاهل الجنة أم هم محبوسون فى أماكنهم لا يبرحون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والأربعين وثلثمائة ان أهل النار لا يتبوؤن وانما هم محبوسون فى أماكنهم لا يبرحون وايضاح ذلك انهم لو كان لهم التبوؤ حيث شاؤا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فان العذاب المستصحب أهون من العذاب المجدد ولو كانوا ينتقلون من مكان الى مكان لكانوا يذوقون فى كل مكان ينتقلون اليه عذابا جديدا الى حصول الانضاج وذلك أشد العذاب (فان قلت) فما الدليل على عدم تبوؤ أهل النار من القرآن (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أى سجنا لان المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوؤ فى النار كما مكر بهم فى دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب فى بيت الوالى مثلا يحس بالالم أولا فاذا تخدرت أعضاؤه غاب عن الاحساس بالالم فهذا الجزاء اليسير من عدم الاحساس هو من الرحمة التى سبقت الغضب فى أهل النار فى بعض الاوقات (فان قلت) فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة (فالجواب) نعم يتزاورون لكن لا يتزاور الا أهل

فى ريائهم ومن جرى مجراهم * وقال فى قوله تعالى ومكر الله والله خير الماكرين المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فمكرهم هو العائد عليهم فالمكر مسالك يخرج عليها فاهم * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب ألا كل شئ ما خلا الله باطل اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ان ماسوى الله باطل من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم قال وهذا من بعض الوجوه التى يمتاز الحق تعالى به من كونه موجودا عن وجود خلقه مع انه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه اشتراك بوجه من الوجوه * وقال لما كان الانسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود حقيقة بتلك الحقيقة ينظر الى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة فمتى ما أوقفك الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة انا معك بكليتى ليس أنا غيرك وانا معك بالذات فاذا سمع ذلك اصطفاك واعطاك جميع ما فى قوته من الخواص والاسرار وهذا لا يتحقق به الا من ذاق تجلى معية الحق مع كل شئ * وقال ما استكبر مخلوق على آخر الا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها الذل وخضع * وقال كل من قيده الظرف فهو محصور فى قيد الاين محبوس فى ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا من عنده فما له من نور من ذاته * وقال اذا عوين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل

كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاورالصرورون مثلا لبعضهم بعضا والمقرورون لبعضهم بعضا فلا يزور مقرورمحرورا ولا عكسه وأطال فى عذاب أهل الثنوية والتثليث فى الباب الثالث والأربعين وثلثمائة (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البيهقى أمتى أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب وان عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفى رواية أخرى عذاب أمتى فى دنياها واذا كانوا كذلك فان العصابة الذين يدخلون النار من الموحدين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين وثلثمائة أن المراد بقوله ليس عليها فى الآخرة عذاب أى مسرمد بدليل الاحاديث الصحيحة الواردة فى دخول طائفة من هذه الامة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم اماتتهم فى النار كما رآنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لان النفوس المتألمة هى الموحدة المؤمنة والايمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب الى غير نهاية فماتوا وصار واحما الاوهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به اذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فاذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وانهم ان دخلوا النار فانما ذلك تحقيق للكلمة الالهية فلا يبقى فى النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة فى عمره ومات على ذلك اه (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فى أهل النار حين ذاقوا العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع انهم قالوا فى محل يصدق به الكذوب ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل (فالجواب) انما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل بلسان الحالة التى هى حالتهم لظنهم انها تدوم معهم اذا رجعوا الى الدنيا وهى لا تدوم فانهم اذا رجعوا الى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين وهو عملهم بعمل الاشقياء لا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء * وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ان الله تعالى خلق الانسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انهم لا يرجعون الى الدنيا الابتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين الابلسان النشأة التى هم فيها لتخيلهم ان ذلك العلم والذوق الذى حصل عندهم فى النار يبقى عليهم ولو أنه بقى معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذا ردوا الى الدنيا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى فى القيامة بانعم أهل الدنيا فيغمس فى النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم أنه رأى فى الدنيا نعيما ولكن حجبه شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد فى صاحب البؤس اذا غمس فى الجنة غمسة فيقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بانفاذ الوعيد فى حق طائفة منهم ولكن غير معينة لانها لو تعينت العقوبة لواحد منهم فى دار الدنيا وأنه هو الذى ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا اه (فان قلت) فمن أكثر عصاة الموحدين مكثا فى النار (فالجواب) قد ذكر الشيخ فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه ان الله تعالى لم يطلعنى على مدة أكثر العصاة مكثا فى جهنم قال وانما استروحنا من قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ان آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما نحن من كمال الخمسين ألفا على يقين فهذه هى مدة اقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال وكل ذلك فى يوم القيامة وليس السرمد الا لاهل النار الذين هم أهلها فاذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين فى النار أبدا فرحم الله عبدا أطلعه الله على مدة اقامة العصاة فى النار على التحديد فالحقه بهذا الكتاب فانى انما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وجىء يومئذ بجهنم لم تأت بنفسها لاهلها عند الميقات (فالجواب) انما لم يصفها الحق تعالى بالمجىء من ذاتها مع علمها بما هى عليه من أسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى

وأعزمن أن يشهد على وجه الاحاطة * وقال احذران تدعى الوصلة وجمع الشمل فانى أخاف عليك أن يكون جعلك بك لا به فتكون فى عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك قال (١٦٣) وعلامة صحة الوصلة بمشاهدة الحق أنك اذا عكست مرآة قابلك الى الكون عرفت جميع ما فى ضمائر الخلق ويصدقك الناس على ذلك الكشف * وقال من كان يأخذ معرفته للحق من الحروف فهو جاهل به فان الحروف التى أخذ عنها معرفته تحجبه قال وهذا من الذين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أخذ من الحرف فهو من الكون الى الكون يتردد بداية ونهاية وان كان لهذا أجر الاجتهاد والدرس فالاجر كون أيضا فما خرج هذا من رق الكون ووثاق الحرف * وقال من كان من أهل الكمال فهو محجوب عن غيب الاكوان حتى انه لا يعرف ما فى جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونها بين يديه جهلا بها لا غفلة عنها ولا نسيانا وذلك لما حققه الحق به من حقائق الوصال قال سيد هذا المقام أنتم أعرف بمصالح دنياكم * وقال اياكم ان تعترضوا على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الاطلاق فان لهم القدم الراسخ فى الغيوب وان كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون الى الله على بصيرة لصدقهم فى الاتباع بوقوفهم على حد ما ورد وأهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غدا فليسوا على بصيرة اذ البصيرة لا يرتفع حكمها الابورود أمر جديد من الشارع * وقال من الاولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من

عليه

عليه من العلم برحمة الله التي وسعت كل شيء فنعتها الرحمة الكامنة فيها أسرع المبادرة للاتيان فانها ما وقعت عينها الاعلى مسبح لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جيء بهم بالعلم الذي لا يدخلها اما أنعم الله تعالى عليه مما لم يكن يعلمه وليعلم أيضا من يدخلها بانه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية كما جذب المغناطيس الحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام انا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش اهـ (فان قلت) فهل لاهل النار حظ من النعيم في وقت من الاوقات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب العشرين من الفتوحات نعم لاهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما أن خلاصهم من شدة العذاب توقعه لانه لا أمان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فعلم ان أشد العذاب على أهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته (فان قلت) فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم (فالجواب) ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي ينعمون به في النار ويستريحون به في بعض الاوقات ثم ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله واخوانه ثم اذا استيقظ لا يرى شيئا كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا ما يسوءه فيعذب في منامه أيضا فيرى أنه في بؤس وضر وعقرب وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (فان قلت) قد بلغنا ان ابليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه (فالجواب) ليس ذلك تخفيفا للعذاب وانما ذلك للاحاطة والشمول فهو ملء النار فلا يعذب أحد فيها الا وابليس مشارك له في عذابه لانه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فكونه لا يدخل أحد النار الا بواسطته هو سر مستقره في النار في الطبقة الرابعة فليس ذلك تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر (فان قلت) فهل تكون أقسام أهل النار الاربعة السابقة أول المبحث أيضا في الجن كما هي في الانس (فالجواب) ليس في الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وانما هم كفار فقط ويؤيد ذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين فالحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذي يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان الله تعالى هو المسيح ابن مريم كافر وليس بمشرك (فان قلت) فهل قول ابليس اني أخاف الله رب العالمين توحيد فان كان توحيدا فلم يسعد به (فالجواب) هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل في هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات في الآخرة سواء وقد انعقد اجماع الملل كلها على كفره وأنه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لانه لو صح اسلامه حقيقة لم تجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولا بد لكل عاص من واسطة فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصي ثم بتقدير ان قوله اني أخاف الله رب العالمين توحيد فنحن على يقين من استدامته ذلك الى الممات لان الله تعالى أخبر عنه ان يخطب لاهل النار في النار * وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول ابليس اني أخاف الله هل هو توحيد فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس أشقى الاشقياء وهو أول شقي من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد

يطلع على الاقدار قبل نزولها الى الارض فان القضاء يدور في الجو من مقعر فلك القمر الى الارض ثلاث سنين وحينئذ ينزل وهذا المقام يسميه القوم فهم الفهم * وقال الكامل لا يقول اللهم لا تفضح سرائرنا الا مستو سريرته وعلانيته وانما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال قال ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع المالقي الكفيف الاندلسي انه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشي المبتلى يقول اللهم لا تفضح لنا سريرة فقال له الشيخ يا محمد ولاي شيء تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك مع الله فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ * وقال اذا جعلك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير في الوجود واذا جعلك بك فرقك عنه فقمت في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وذلك مقام الخلافة فاختر أي الجعلين شئت قال ولا يخفى ان جعلك بك أعلى من جعلك به لان جعلك بك يكون الحق مشهودك وفي جعلك به بين غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم * وقال احذر من لذة الاحوال فانها سموم قاتلة وحجب مانعة فانما أي الاحوال تسيدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلط عليهم بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فانه أشرف مقام لانه لا يزيدك الا معرفة بنقائصك قال والاحوال كالبروق فكما لا تفوتك فكذلك لا تفوتها أنت فانما انتاجها الاوراد وكل من طلب ما لا بد له منه فهو جاهل وما اتخذ الله من ولي جاهل * وقال العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيخرج من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون

شرعي يقبل منه اهـ ذكره في الباب التاسع من الفتوحات وذكر في الباب الرابع والستين ان النار بذاتها لاتقبل خلود موحد فيها بأي وجه كان توحيده وابليس مخلد في النار بالاجماع وفي صحيح مسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة فلم يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات في النار أحد ممن عمل عملا مشروعا من حيث ماهو مشروع بلسان نبي ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين (فان قلت) فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقهما في سبيل الله (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السبعين انما خص الله تعالى الكي بهذه الاعضاء الثلاثة لان صاحب المال اذا رأى السائل مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه بانه يسأله من ماله فتكوى جبهته بما منعه ثم ان الغني يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ماعنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل أنه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فيكوى بها ظهره هذا حكم مانع زكاة الفضة والذهب في النار اهـ (فان قلت) فلم كانت أبواب جهنم سبعة (فالجواب) لانها على عدد أعضاء التكليف الظاهرة سواء وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وما ذكره سبحانه وتعالى من أبواب النار الا السبعة التي يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذي لا يدخل منه أحد فهو في السور باطنه فيه الرحمة لاقرار العبد بوجود الله وباعترافه بعبوديته له وظاهره من قبله العذاب بالنار التي تطلع على الافئدة (فان قلت) فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة (فالجواب) انما لم تحرق الاعضاء الباطنة لان ايمان عصاة الموحدين يمنع من تخلص النار الى قلوبهم فانظر يا أخي عناية التوحيد والايمان باهله فان الجوارح اذا أحرقت غابت فلا تحس بعد ذلك بالم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تأتيه الشفاعة فاذا بعثه الله من تلك النومة وجد ايمانه على باب النار ينتظره فاذا غمس في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة (فان قلت) ان النار جاءت في القرآن مطلقة ومقيدة يعني مضافة فهل في ذلك خصوصية (فالجواب) نعم لذلك خصوصية وهي ان نار جهنم لها نضج الجلود وحرق الاجسام لانها نتائج أعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل باهل الجزية من تعذيبهم باخراج أموالهم من يدهم قهرا وصغارا وفي ذلك عذاب نفوسهم أيضا وأما نار الله فهي مجسدة لانها نتائج أعمال معنوية باطنة وهو قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هي باطن الانسان فهي تظهر في فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة والعبد منشئ النار في الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه باعماله وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما حكم أرض الموقف اذا لم يبق فيها أحد هل تصير من الجنة أو من النار (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان أرض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها في جهنم وان كان فيها زمهرير وذلك لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى أسفل سافلين كما مر فهي تهوي على السموات والارض على صورة ما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فبالحرور على المحرورين وبالزمهرير على المقرورين (فان قلت) اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فاين نورها وجهنم سوداء مظلمة (فالجواب) أن نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكما كانوا في الدنيا عميا عن ادراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما ان نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ماوصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت

فيؤلمه عنده صمم عن سماع نداء الحق فاذا نودي من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك * وقال اياك أن تدعي معرفة ذات خالقك فانك في المرتبة الثانية من الوجود وان فنيت فما عرف الواحد تعالى الا هو وجل معنى التوحيد عن الذوق وما ثم منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد * وقال لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل * وقال اجتمعت روحي بالحلاج فقلت له لم تركت بيتك يخرب فتبسم وقال لما استطالت عليه أيدي الاكوان حين أخليته وخلفت هرون في قومي استضعفوه لغيبتي فاجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت رددت اليه بعد الفناء فاشرفت عليه وقد حلت به المثلات فانفته نفسي وقلت لا أعمر بيتا تحكمت فيه يد الاكوان فانقبضت عن دخوله فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل * وقال ولما اصطدم رجل بجمل ابن عطاء قال ابن عطاء جل الله فقال الجمل جل الله عن اجلالك هذا فانه كما تطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من أسفل وفي الحديث لو دليتم بحبل لهبط على الله قال فكان الجمل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه * وقال التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه الا الحق فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق لا يكون معه علم ولا هم ولا اختيار ولا شئ والعاقل لا يدخل دارا الا يعرف فيها فرجا (فان كان فيها مهوى ومهالك فيهلك لا يعرف الدار الا بانيها وقد بنالك الحق تعالى دارا له لتعمرها به ما أنت بنيتها أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم

(فان قلت) قد بلغنا ان منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها ولا تنقص لكن ليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص كما مر أوائل المبحث وانما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار أعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام على النار في رسالة الكلام على الدارين فراجعها والله أعلم (فان قلت) فهل يتوالد أهل النار كأهل الجنة وشأن أهل الجنة (فالجواب) لا توالد في النار والله أعلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى ان عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة لانها على شكل الباب الذي اذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر وتقدم أن الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا * قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار اهـ (قلت) فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه كان يقول ان أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس في كتاب الفصوص والفتوحات المكية ان الشيخ قائل بان أهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع اليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني فاخبرني بانهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه في الخطبة فان الشيخ من كمل العارفين باجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيأ من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده في الشيخ الا من عزل عنه عقله فاياك يا أخي أن تصدق من يضيف شيأ من العقائد الزائغة الى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد ان أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهم لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال ومرادنا باهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار بالنصوص قال لان النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لانها خلقت من الغضب السرمدي قال وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى * وفي لواقح الانوار التي جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته اعلم يا أخي ان جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الاسرار من الفتوحات فقال اياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ انه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فان ذلك خطأ انتهى وقد رجع بحمد الله تعالى على يدي جماعة كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا الى الله تعالى بعد أن كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين (وأما الكلام على الجنة وأهلها) فنذكر لك يا أخي منه نبذة صالحة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الامام أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول في الباب الخامس والثلاثين منه اعلم أن الجنة أوسع من السموات والارض وذلك قوله

نحن الخالقون فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويسلك فيك * وقال كم ماش على الارض والارض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله وكم داع لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ورفقت الحكمة ونفذ الامر فلا زيادة ولا نقصان لا راد لامره ولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب وسقط في الايدي وتلاشت الاعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور وأهلك الكون السالخ والخالع يسلخ من هذا ويخلع على هذا * وقال أكثر من قول لا اله الا الله فانها كلمة الاسلام وهي أفضل الذكر لما تحتوي عليه من زيادة العلم لجمعها بين النفي والاثبات * وقال اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطيئة لا يشركون بالله شيأ فان الله يتلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا وأقل أحوالك اذا جهلته ان تهمل أمره فاذا تحققت أنه عدو لله وليس الا المشرك فتبرأ فلا تعاد عباد الله بالامكان ولا بما ظهر على اللسان وانما تعاديهم بالعلم وأني لك به وأطال في ذلك ثم قال وعليك بالشفقة والرحمة لجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما نفعله معهم نعم معهم الخبر وأنت الذي ما عندك خبر * وقال احذر ان تحتقر شيأ من عملك فان الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا

تعالى وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون في معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذي هو ضد الطول ثم أشكل عليهم ان الجنة بعرضها الذي هو مثل عرض السموات والارض كيف تسعها السماء وزادوا في بيان ذلك بما يزيد اشكالا ولا يحل اشكالا والذي أراه ان معنى عرضها اظهارها لاهلها بسمواتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا بسمواتها وأرضها على أهلها وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر ظاهر لا اشكال فيه وروى الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يارسول الله أرأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الليل اذا جاء فاين يكون النهار فقال الله أعلم فقال كذلك الله يفعل ما يشاء (فان قيل) فما معنى قوله عرضها السموات والارض جعل السموات والارض عرضها (فالجواب) هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر * ووجه نوره البدر التمام * أي كنور البدر فيكون المعنى هنا كعرض السماء والارض تصديقه ما في سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض (فان قيل) فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذي هو ضد الطول (فالجواب) وجهه انه جعل حكم ذلك حكم من نظرنا الى هذه السماء أليس نرى قدر وسعها بعينه ومعلوم ان محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة الى عرض السموات نسبة هذا الوسع مثلا من السماء الى لعبة عينك وان الذي قدر على بناء الجبال والغيلة العظام على قوائمهن الصغار وقدر على بناء طلل الانسان على قدميه الصغير بن لا يعجز عن بناء الجنة بسعتها على السماء التي تصغر في جنبها اذ السماء كالعمود تحت سقف بيت واسع * قال الشيخ أبو طاهر القزويني واعلم ان سموات الجنة عدد درجها وهي مائة وأعلاها وما دلت عليه الاخبار وهو ساق العرش ففي الحديث مرفوعا الجنة مائة درجة ما بين كل درجة والاخرى ما بين السماء والارض والفردوس أعلاها ومنها تنفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما أرضها فتنتهي الى سدرة المنتهى لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السموات السبع على ما جاء في الاحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة في جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سماء الجنة وأرضها والله أعلم * قال ولا يكون في الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وانما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش وهي الانوار التي يكسى بعضها شمسنا هذه كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفي الحديث عن أبي ذر قال قلت يارسول الله أين تذهب الشمس اذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستاذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها الحديث فعلمنا بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فانما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما لو قيل لمن ليس في بلادهم زيت انا رأينا في بلاد شيئا يوضع في شئ اسم أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فانه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه الا ان رآه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما أخبر الله ورسوله أبدا * قال الشيخ أبو طاهر والآية التي أشكلت على الائمة المتقدمين الدالة على هذا المعنى وهي قوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ يريد ان السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سموات الجنة وأرضها الا ما شاء ربك من زيادة على المكث الدائم من النعم السنية والالطاف الخفية مما أعده الله فيها كما في حديث في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر الى وجهه الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع وأما قوله

لما كلفك به من العمل وسيبالو جوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فان قولك معدود من جملة أعمالك وفي الحديث ان الله عند لسان كل قائل (١٦٦) فما نهاك الله أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وان لم تعتقده فان الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فانه ما منعك الا لتصبر فيحبك فانه يحب الصابرين وما أعطاك الا لتشكر فيحبك فانه يحب الشاكرين * وقال في حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم انما قال ولجاء بقوم وما اكتفى باذهابهم لئلا تتعطل الاحكام الالهية فانه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب الا ليستغفروه فيغفر لهم * وقال الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع صلى الله عليه وسلم أولى من التسنين وأكثر أجرا وان كان ذلك بدعة حسنة فان من سن فقد كلف الامة ما يشق عليها ولو كان ذلك محمودا لكان صلى الله عليه وسلم أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فتعلم ان كل من لم يكلف الامة بأكثر مما ورد فهو حكيم الزمان فانه لا أعلى مما وضعه الكامل المكمل * وقال قم في الاسباب من غير اعتماد عليها فان الله ما أمرك من القيام في الاسباب وانما نهاك عن الركون اليها والاعتماد عليها كما أشار اليه قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني هذا الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الاسباب فان رأيت نفسك يا أخي تسكن الى الاعتماد على الاسباب فاتهم ايمانك في
وان رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب فاعلم انك مؤمن حقا وهنالك يرزقك الله من حيث لا تحتسب فنم

فى صفة أهل النار خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهى دالة أيضا على أن للكفار أرضا وسموات اذ السماء فى اللغة هو كل ما علاك وأظلك والارض كل ما تحت قدمك فارض النار الدرك الاسفل وسمواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق الى أن ينتهى الى الصخرة التى فوقها انفاير العرش فوق الجنة كما مر والله أعلم بحقيقة الحال * فعلم أيضا ان أرض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى الاماشاء ربك يعنى الاماشاء الله بعد خلودهم فيها من انواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم * قال الشيخ أبو طاهر وهذا الذى استنبطته من نظرى فى معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا فى تفسير الحسين بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو أصح ماقيل فى الآيتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف * قال ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه فى داره وكان يفيض عليهم من مباره وخيره وحبس بعض رعيته فى سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بانواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين و يقول أما فلان ففى رعايتى و جوارى يتبوأ منى فى دارى ماعشت الاماشئت له زيادة على جوارى واحسانى وخلعى عليه وأما فلان ففى سجنى ماعشت الاماشئت له من أنواع المثلات والآلام وصنوف العقوبات زيادة على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فانه نفيس (فان قيل) كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدى وكذلك العذاب السرمدى فى العقل (فالجواب) يتصور ذلك فى العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهى ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد و يتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصور مع كونه يدرك ذلك بالدليل * وقد قرب الامام الغزالى رحمه الله ذلك بقوله من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهى فليقدر ان الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة فانه تنفد تلك الحبات من المدائن كلها و يبقى الابد كما كان وقد ورد فى الحديث نحو ذلك (فان قيل) فهل اللذات الاخروية حسية أم عقلية أم خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس (فالجواب) عن ذلك هو أن تعلم يا أخى ان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والآخرة خير وأبقى فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس فى الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه حسى خيالى عقلى فيمكن أن يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات أخر زائدة على هذه المدارك يدركون بها ما أخفى لهم من قرة أعين فضلا من الله ونعمة (فان قيل) فما هى اللذة الحسية أى التى تدرك بالحس والخيالية أى التى تدرك بالخيال والعقلية أى التى تدرك بالعقل (فالجواب) أما الحسية فهى كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذى كمل عيشه * قال وأما اللذة الخيالية وهى مطلوبة فى الدنيا أيضا فان الرجل ربما يتخيل أشياء يتمناها فيلتذ بها بل ربما رأى الشئ الذى يهواه فى المنام فيلتذ به وقال بعضهم لا تكون اللذة الخيالية فى الجنة أبدا لان الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهى أكاذيب وغرور والدار الآخرة دار الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها احقاق الامور وليس فيها أباطيل ولا أكاذيب بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية بالتمنى والامنية فى الجنة من حيث ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية فيها معدومة قال وهذا القول عندى صحيح اذ اللذات الخيالية أمانى والامانى أكاذيب وأباطيل فلا يكون ذلك فى الآخرة فان كل ما يشتهيه أهل الجنة يجدونه فى الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم أمنية التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب أمور الآخرة وأما اللذة العقلية

ادعى كمال التوكل ورزقه من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل قال ومن الرزق الذى لا يحتسبه العبد ان يأكل مما فى خزائنه وتحت تصريفه وهو غير معتمد عليه لانه ليس فى حسابه ان الله يرزقه ولا بد من الذى هو حاصل عنده فما رزق هذا الامن حيث لا يحتسب قال وهذا أمر دقيق لا يشعر به الا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك * وقال احذر أن تريد فى الارض علوا أو فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فان أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها الا الحق وذلك بان يرزقك الرفعة فى قلوب الخلق وايضاح ماقلناه ان الله تعالى ما أنزلك الا من الارض فلا ينبغى لك أن تعلو على أملك واحذر ان تتزهد وتتعبد وتتكرم وفى نفسك استحلاء ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فان ذلك من ارادة العلو فى الارض * وقال اغا رغب الشارع أمته فى ترك الجدال والمراء وان كان محقا خوفا ان يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل مثلا حين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه ثم ان النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له انما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن لا لنصرة الاقوال الواهية التى قال بها امام مذهب وما علم هذا ان الله عند لسان كل قائل بل المجادل فى عين حضرة الحق وان لم يشعر واذا كنا نهينا عن رفع أصواتنا بحضرة الاكابر فكيف بحضرة الحق تعالى فافهم * وقال لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يأتى بخلق كريم يوافق مزاج كل الناس أشغلوا نفوسهم بما يرضى الله عز وجل فقط فالمؤمن يرضيه ما يرضى به الله والمنافق لا يبالى اذا سخط امنا فى ذلك لانه عدو الله * وقال عليك بمباركة جميع أصحاب الهموم والرزايا فى أنفسهم وأموالهم وأولادهم واخوانهم

فلا خلاف فى أنها ألذ الاشياء وأقواها وأسرها للنفس وأشهاها وأبسطها للروح وأحلاها اعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فانك اذا أدركت مسئلة كانت تشكل عليك رأيتك تجد فى قلبك وفى نفسك لذة لا يعادلها شئ من لذات الدنيا كما قال الامام أبو حنيفة لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الامر والولاية والامر والنهى والابتهاج بالاشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب انه ضاع له بعير فكان يقول الامن يبشرنى بوجدانه وهوله فقالوا له فما حظك اذن من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الاخوان الصادقين قال الامام الشافعى رضى الله عنه لولا محادثة الاخوان والتهجد عند السحر ما أحببت البقاء فى هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها تفاوت ولها مراتب فهى لذات غير منكرة فى الدنيا فيجب اثباتها فى الآخرة لقوله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال وعلى هذا الاصل تكون الآلام الحاصلة فى الحس والعقل فى جهنم لاهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى منها قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به فى الدنيا فقد بان لك يا أخى صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها فى الآخرة وقد سبق بسط القول فى صحة اعادة الاجسام بأرواحها وأجسامها على ما هى عليه فاذا ثبت عند الانسان على ما هو عليه اليوم فى العقل جوازا وفى الشرع وجوبا وجود اللذة والالم صحت له فى الآخرة أيضا من غير شك ولا ريب (فان قيل) فاذا أكل أهل الجنة وشربوا فاين يذهب ثفل الطعام والشراب (فالجواب) قد ثبت فى الحديث ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزوينى * قال ولقد جربنا ان من غذى باللبن والعسل لا يحتاج الى استفراغ * قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف التطويل لانهينا الكلام فى بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شاهدنا امرأة تسمى عائشة من ناحية التورر لم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الاخبار أيضا بان تركمانا أقاموا عند الملك مسعود سنين ولم يدخلوا الكنيف فقطع أنهم كانوا يأكلون أكلا ما فاذا كان هذا موجودا فى الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الاجن فكيف ينكر أحد ما أخبر به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من شرابهم العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذى لم يتغير طعمه والشراب الذى لا يتصدع عنه شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك ان أطعمة الجنة وفواكهها وأشربتها لطيفة رقيقة خالصة صافية لا يعتورها الاستحالات ولا يكون لها أثقال منكرات ولا روائح مكروهات * قال الشيخ أبو طاهر واعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشياء الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنخل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك الا لتهتدى بذلك القلوب وتستأنس به النفوس أما تصور ذلك فى العقل فمستحيل لان التصور ادراك الوهم خيال ما أدركه الحس والذى لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولو كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال ابن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شئ مما يكون فى الجنة من ثمرة وشراب وحلى وحلل يشبه ما فى الدنيا بشئ سوى ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذى عنده اه (فان قيل) فاذا سماها الله بما عندنا وهى على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك (فالجواب) أن تسميتها بما عندنا لا بد أن يكون ذلك بادنى مناسبة لتقع فى افهامنا لنعقله وأصل ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأين المشكاة من

ان أردت أن تثبت لك أخوة الايمان فان الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الانسان الواحد واحذر من الاكثار بما يصيبك من الرزايا فى هذه الدار فان الله ما ابتلاك بها الا ليمحص ذنوبك حتى تلقاه طاهرا مطهرا من الذنوب فاشكر الله على ذلك * وقال عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين انهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فان القرآن مادة كل علم فى الدنيا فلا تكن ممن يهجر تلاوته بل اتله ان استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم كما كان عليه الائمة المجتهدون وانظر فى تلاوتك يا أخى الى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فان الله ما ذكر لك ذلك وأنزله فى كتابه الا لتعمل به فاذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فانت الرجل الكامل * وقال حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حى وان مات كانت حياته أحيى وأتم من حياة الشهيد فى سبيل الله الا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيرا فان له حينئذ حياتين حياة الشهادة وحياة الذكر فالذاكر لله حى وان مات وتارك الذكر ميت وان كان فى الدنيا حيا بحياته الحيوانية وفى الحديث مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت فيخرج من ذلك ان حياة الذاكر خير من حياة الشهيد اذا لم يكن من الذاكرين وفى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا

نوره

نوره تعالى واذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى كل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ في الآخرة عيانه أعظم من سماعه والله تعالى أعلم (فان قيل) فما اللذة والرغبة في الطلح المنضود والسدر المخضود (فالجواب) قد أخبر الله تعالى ان في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض أهلها تشتهي ذلك كما تشتهي السمك القديد وتستطيب أكله في دنياها لا سيما أهل البوادي من الاعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما في الدنيا في الاسم فقط كما مر فلعل الله تعالى يخص ذلك بلذة في ذلك الموطن تفوق اللذات قال الشيخ أبو طاهر ونفي المكروه عن النفوس دليل على ماذكرناه الا تراه تعالى يقول وسدر مخضود فنفى الشوك ونفى احتمال الاذية في قطعها وفي ذلك دلالة على وجود نفي مكروهات النفوس هنالك عكس الدنيا وفي بعض التفاسير ان الطلح في القرآن هو الموز (فان قيل) فهل في الجنة نكاح (فالجواب) نعم ثبتت به الاحاديث الصحيحة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحادحا أي كثيرا وانما أراد به استغراقهم بذلك في لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع في الدنيا فقد قيل انها وهمية لا حقيقة لها (فان قيل) هل يولد لاحد في الجنة (فالجواب) نعم روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث ان المؤمن اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي وفي رواية ولكنه لا يشتهي قال الشيخ أبو طاهر وأصل هذه المسائل وأشباهها نكتة واحدة وهي ان تعلم يا أخي ان شهوات النفوس في الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولم يقل أنفسكم تشتهي كل ما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فانها غريبة اه كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله * وأما كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فقال (ان قيل) كم أقسام أهل الجنة (فالجواب) هي أربعة أقسام الرسل والاولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الادلة العقلية (فان قيل) فهل يتميز بعض هذه الاقسام عن بعضهم وبماذا يكون تميزهم (فالجواب) نعم يتميزون وذلك عند رؤية الحق جل وعلا في جنة عدن في الكثيب الابيض وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والانبياء يكونون على منابر والاولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلي يكونون على كراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم يكونون على مراتب دون الاسرة اه (فان قيل) فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هل المراد لم يكن ذلك في حسابهم وظنهم أم المراد أنهم لا يحاسبون كغيرهم (فالجواب) المراد به كما مر في مبحث الحساب ان دخول الجنة لم يكن في حسابهم ولا في ظنهم ولا تخيلوه قط فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدي الله عز وجل ذكره الشيخ في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة وقال في الباب السبعين من الفتوحات في معنى حديث البخاري من كان من أهل الصلاة دعي يعني يوم القيامة من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذي يدخل من تلك الابواب كلها من باس فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر معنى الحديث أن دعاء الله تعالى الناس الى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية في آن واحد وايضاح ذلك ان أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فاياك يا أخي ان تنكر ذلك في الثواب الاخروي في الآن الواحد وأنت تشهد ذلك في العمل من فعل وترك كغاض بصره في حال استماعه موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدق في حال ورع حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسئلة من جملة مسائل ذي النون المشهورة التي تحيلها العقول وهو ان الواحد يكون بجسمه الواحد في أماكن مختلفة في الآن الواحد

عدوكم فيضربون رقابكم وتضربون رقابهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة * وقال عليك بعلم الشريعة فان الشريعة هي سفينتك التي اذا انحرفت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤول عن اقامة حدود الله في رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف اقامة الحدود عليها الا بمعرفة شرع ربك * وقال أخلف ايعادك لا وعدك وسم اخلاف ايعادك تجاوزا حتى لا تسمى أنك تخلف ما أوعدت به وان كان شرا فان الاحكام تتبع الاسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه سمك من حيوان البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا ما قلتم ما تقول في سمك البحر قال وهذا الذي قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بانفاذ الوعيد قالوا لاستحالة الكذب على الله في خبره وما علمت المعتزلة أن مثل ذلك لا يسمى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع فحجبهم دليلهم العقلي عن علم الوضع الحكمي وهذا من قصور العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك بل الذي كان ينبغي لها النظر الى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وباي لسان خاطب وباي عرف أوقع المعاملة في تلك الامة المخصوصة قال بعض الاعراب في مكارم أخلاقه

وانى اذا أوعدته أو وعدته
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

لكن لا ينبغي أن يقال في حق الحق تعالى انه مخلف بل يقال انه غفور رحيم او زعن عبده والله أعلم بالصواب» (واختم الكتاب بجملة صالحة في الكلام على يوم القيامة وما يقع فيه وعلى الجنة والنار

اعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصا من أبواب الفتوحات المكية مشيدا بكلام بعض مشايخنا) * اعلم أن الله تعالى اذا أمر اسرافيل
أن ينفخ فى الصور بعثر مافى القبور ثم حشر الخلق من الناس والوحوش بعد ان أخرجت الارض أثقالها ولم يبق فى بطنها سوى

فاهل الكشف يعرفون هذه المسائل وأهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ماقلناه لم يتوقف فى دخول الواحد الجنة من أبوابها الثمانية فى آن واحد اذ النشأة الاخرى تعطى هذه الامور وكان نشأة الدنيا تعطى جميع شعب الايمان فى الانسان فى الزمان الواحد من غير استحالة اهـ (فان قيل) هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أو ما ثم لنا جنة سوى الحسية (فالجواب) نعم ان الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما أنه يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وايضاح ذلك ان النفس الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك (فان قلت) فم خلق الله تعالى هاتين الجنتين وهل خلقهما من مادة واحدة أم من مادتين (فالجواب) قد خلقهما الله من مادتين فاما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذى هو الاقليد ولذلك كانوا يقولون للشئ كن فيكون باذن الله تعالى وأما الجنة المعنوية التى هى روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهى والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا سماها الله تعالى الدار الحيوان لحياتها فاهلها يتنعمون فيها جسما ومعنى وقد ورد فى الحديث ان الجنة اشتاقت الى أربعة بلال وعمار وعلى وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الاسماء فان بلالا ماخوذ من أبل الرجل من دائه اذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار من العمارة أى بعمارة أهلها لها يزول ألم شوقها اليهم وأما على فهو من العلو أى يعلو على النار التى هى أختها وأطال فى ذلك ثم قال وتحقيق ذلك ان الناس فى هذه المسئلة على أربعة أقسام قسم يشتهى الجنة وتشتهيه الجنة وهم الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبى وولى كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها وهم أرباب الاحوال من رجال الله المهيمون فى جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها وهؤلاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة أقسام (فان قيل) فما عدد أنواع الجنان (فالجواب) هى ثلاثة أنواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال (فان قيل) فمن أهل هذه الجنان (فالجواب) أما جنة الاختصاص فهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما ولد أحدهم الى انقضاء ستة أعوام غالبا ويعطى الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين عقلوا وأهل التوحيد العلمى وأهل الفترات الذين لم يصل اليهم دعوة رسول من أهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهى الاماكن التى كانت معينة لاهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الاعمال فهى التى ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان أفضل من غيره فى وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم الا بجنة الاختصاص وأما فى العمل فيشاركهم غيرهم فيه (فان قلت) فاذن جنة الاختصاص الالهى لا تقبل التعبير ولا الوراثة ولا العمل (فالجواب) نعم وهو كذلك لانها انما هى فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده (فان قلت) فكم فى جنة الاعمال درجة (فالجواب) درجاتها مائة درجة لا غير كما ان النار كذلك مائة درك كما مر فى مبحث النار * قال الشيخ محيى الدين ثم ان هذه المائة درجة تكون فى كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة فى جنة وأعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهى أوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها جنة النعيم ويليها جنة المأوى

ويليها

بنهاجيء بالعالم كله الى الظلمة التى دون الحشر فالقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حين تقع فتمد الارض مد الاديم وتبسط حتى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وسميت ساهرة لانه لانوم فيها اذ لانوم لاحد بعد زوال الدنيا ثم يوضع الصراط من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذى هو خارج سور الجنة قال وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة فتكون فى المرج وهى درمكة بيضاء نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين فى أرض الحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب سور الاعراف بين الجنة والنار وقد جعله الله مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح احداهما على الاخرى واعلم ان معنى قولنا ان لكل مكلف ميزانا تخصه ان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا وهو واحد فى نفسه لا موازين متعددة هكذا أطلعنا الله عليه فى

واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائم ذاته فهو لاى جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى بالميل الى المعاصى والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى

و يليها دار السلام و يليها دار المقامة وأما الوسيلة فهى أعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر فى مبحث أفضليته على سائر الانبياء والمرسلين وانما توقف حصولها له على دعاء أمته غيرة الهية ان ينفرد أحد دون الله تعالى بالغنى المطلق * وقال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان الراحة فى الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وان كانتا ليستا بامر وجودى اذهما عبارة عن الامر الذى يلتذ به و يتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودى فكل من فى الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة النوم فان أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شئ لعدم التعب والنصب وانما راحة النوم خاصة باهل جهنم لكن فى أوقات كما تقدم فى الكلام عليها قال وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلا شك و يؤيد ذلك قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف بهذا الوصف الا من حيث قيامها بالاجسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذى يسعر بالنارية وأطال فى ذلك (فان قلت) ان الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع أنه ليس فى الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس فى الدنيا فى طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حدما كان فى الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون أنه كان لهم فى الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق خاص فى وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فاكلها دائم لا ينقطع اذ الدوام فى الاكل هو عين النعيم الذى يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس وايضاح ذلك ان الانسان اذا أكل الطعام حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا هو باكل على الحقيقة وانما هو كالجابى الجامع للمال فى خزانته والمعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا جعل فيها أى فى المعدة و رفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير و ينتقل ذلك الطعام من حال الى حال ويتغذى بها فى كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال فى هذا دائما ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم اذا دخلت الخزانة تحرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يملؤها به فلا يزال الامر هكذا دائما أبدا فهذا هو صورة الغذاء فى المتغذى فعلم ان التغذى موجود فى كل نفس دنيا وأخرى وأطال الشيخ فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اعلم ان فى هذه الآية تعيين المعين وزيادة غير معين اذ الزيادة هى كل ما لا يخطر بالبال كما أشار اليه حديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذى ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة لمجهول بمجهول وفى القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فنكر النفس ونفى العلم بما أخفى له من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادراكات وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بحديث الصور التى فى سوق الجنة هل هى برازخ أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة انها كلها برازخ وذلك ان أهل الجنة يأتون الى هذا السوق من أجل هذه الصور التى تنقلب فيها أعيان أهل الجنة فلما دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الامر الذى نص عليه الشرع ووجب به الايمان الا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلى الحق تعالى للقلوب وانه لا يكون الا بصورة الاستعدادات اذ المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوله فى الصور و يعلم عقلا انها ما تحولت

السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك قال وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها أمثلة عكس الدنيا فهى كتمثل الاعمال سواء ثم اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة فقط دون الباطنة لان الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهى الميزان الحكمى المعنوى فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شئ بمثله قال وآخر ما يوضع فى الميزان الحمد لله ولهذا ورد والحمد لله تملأ الميزان قال وانما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه ليجعل هذا الخير فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان واحد من الخلق أبدا بخلاف غير الشرك من سائر المعاصى فان الانسان ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يعادلها فى الكفة الاخرى قال وأما صاحب السجلات فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط انما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلم يثقل مع اسم الله شئ فاذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بايديهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شئ من اعتقادات قلوبهم الا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من

قط لكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل فى حكمه والبصر فى حكمه وله تعالى بنفسه علم آخر غير ما أدركه العقل والبصر انتهى (فان قلت) ماهذا الكثيب الابيض الذى يكون فى جنة عدن (فالجواب) هذا مسك أبيض تضع الملائكة عليه منابر الانبياء واسرة الاولياء ومراتب المؤمنين كما مر وجنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وهى حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وأطال فيه ثم قال واعلم انه اذا أخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم الى الطاعات فى دار الدنيا سرعة وبطأ فان من الناس السريع ومنهم البطىء ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا فى الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا يجرى اليها فلا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى والحديد لحجر المغناطيس ولو رام أحد أن ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى فى منزلته انه بلغ منتهى أمله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير أن الاعلى له نعيم لما هو فيه فى منزلته وعنده نعيم الادنى وأدنى الناس من لا نعيم له الا بمنزلة خاصة وأعلاهم الذى لا أعلى منه من له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب (فان قلت) فاذا وقع التجلى الالهى فهل هو عام لجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلى الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل (فالجواب) ليس هنالك الا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلى واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الخلق اذا رأوا ربهم جل وعلا انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلى فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما شاهده بحسب استعداده (فان قلت) فهل من عرف الحق تعالى فى الدنيا فى سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه فى الآخرة كذلك أم لا (فالجواب) نعم يرى ربه فى صورة كل اعتقاد اسلامى فما ألذها من رؤية فمثل هذا له نور كل معتقد كما ان من عرف الحق تعالى من طريق عقله فى طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم فى مبحث رؤية الله عز وجل أقسام الناظرين الى ربهم فى الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه (فان قلت) فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جمع فى ظهره من البنين (فالجواب) نعم هى لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما فعل فى مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص من العلل التى لا قوة للخلق على برئها من حيث هو انسان فكما ان شرف آدم كان باليدين ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الاسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فاعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما أعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذى فى جميع ثمرها (فان قلت) قد تقدم مذهب الشيخ أبى طاهر رحمه الله فى توالد أهل الجنة فما مذهب الشيخ محيي الدين فى ذلك (فالجواب) أن مذهبه وجود التناسل فى الجنة ووقوع التوالد من حيث الاجسام والارواح وعبارته فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا فى هذا النوع الانسانى هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف له قال بعدم انتهائه * وقال ان التوالد فى الآخرة فى هذا النوع الانسانى باق فى المثل اذ الحق تعالى لم يوجد شيأ فى العالم الذى لا أكمل منه الا وله مثال فى خزائن الجود فى كرسيه تعالى وتلك الامثال التى يحوى عليها تلك الخزائن لا تتناهى أشخاصها فالامثال فى كل نوع توجد فى كل زمان فرد فى الدنيا والآخرة لبقاء كل نوع وجد منه (فان قلت) فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها الا فى الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر

ذلك فعاقوها فى أعناقهم بايديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وابليس اولئك الائمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا قال واعلم ان الذى يعطى كتابه بيمينه هو المؤمن وأما الذى يعطى كتابه بشماله هو المنافق لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقد عقب الله عز وجل الذى يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام فى ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو فى باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد قال واما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فاذا كان يوم القيامة قيل للواحد منهم خذ كتابك من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل اليهم لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن أن لن يرجع وهذا هو الذى يقول الله عز وجل له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاقى الحديث ثم يجىء بالحوض يتدفق ماؤه عليه من الاوانى على عدد الشاربين منه لا تزيد ولا تنقص يرى فيه انبوبان انبوب ذهب وانبوب فضة وهو لزيق بالسور ومن السور ينبعث الانبوبان فيشرب منه المؤمنون الى
واعلم ان الحوض والصراط يتلوان لشاكلة العلم والعمل وهما حقيقتا الشرع فتوع علومها فالحوض علومها والصراط أفعالها فعلى مقدار

الى فواكها الجنة وما كيفية جماع الحور العين (فالجواب) صورة جميع خلق الحور العين على صورة خلق الانس مع انهن لسن باناسى وأما صورة نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المرأة الآدمية الانسانية كذلك ينكح الحور فى الزمن الفرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بنى آدم فليس للاشقياء نصيب من النكاح فى النار * قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فعلم أن الرجل منا لو أراد أن ينكح جميع ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن فى لحة واحدة من غير تقدم ولا تاخر لخرق العوائد هنالك وذلك مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهى تقطف دائما من غير فقدان مع وجود أكل وطيب طعم فاذا أفضى الرجل الى الحوراء أو الانسية كان له فى كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها أهل الدنيا الغشى عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص فى كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد فى كل دفعة وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة وهجرا طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحانى فى البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الامر كذلك دائما أبدا (فان قلت) فهل يشاهد الابوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح أم لا (فالجواب) نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك الاولاد عنهما فلا يعودون كالملائكة التى تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه أبدا (فان قلت) فهل لهؤلاء الاولاد حظ فى النعيم المحسوس (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ليس لهؤلاء الاولاد نعيم محسوس ولا معنوى وانما نعيمهم برزخى كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه فى حال نومه وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعى فلا يزال النوع الانسانى يتوالد ولكن على هذا الحكم الذى ذكرناه (فان قلت) فما صورة توالد الارواح البشرية فانه بلغنا أن لها فى الآخرة مثل ما لها فى الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النائم فى النوم (فالجواب) أن صورة توالد الارواح فى الآخرة صورة ما يرى النائم فى الدنيا انه نكح زوجته وولد له ولد فكل من أقيم فى هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه يولد له أولاد من ذلك النكاح الذى بينهما روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسى فى الاجسام والصور المحسوسات فتخرج الاولاد ملائكة كراما لابل أرواحا مطهرة فهذه صورة توالد الارواح لكن لا بد أن يكون ذلك عن تجل برزخى كتجلى الحق تعالى فى الاحوال المقيدة فان البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحالات العقلية فاذن صورة نكاح أهل الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين الله تعالى وما يخلق تعالى من صور الاعمال كما صحت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال فى ذلك فى الباب السابق (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم دون أن يقول ولكم فيها ما تريد أنفسكم (فالجواب) الحكمة فى ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والعشرين وثلثمائة انما كل مراد مشتهى اذ الارادة تعلق بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به وأما الشهوة فانها خاصة بالملذوذ ولذلك كان السعداء يأخذون الاعمال بالارادة والقصد ويأخذون النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة فى حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة فى حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الاولى (فان قيل) لم كانت الشهوات فى الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا يحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات فى هذه الدار مع ان اللذة بالشهوات فى الدار الآخرة أعظم من لذة شهوات الدنيا (فالجواب) انما كانت شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلى هنالك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات بخلاف التجلى فى هذه الدار فانما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر ومعلوم ان البواطن هى محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلى الالهى فى محل واحد أبدا فاذلك جنح العارفون والزهاد فى هذه

الاحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشى والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على نفسه بالورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه الصراط هنالك بقدر ما فرط فالصراط حقيقة انما هو هنا لا هنالك لانه لا يمشى العبد هنالك الا على الصراط الذى أنشأه بأعماله فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة أو غيرها فهو فى دار الدنيا باطن لا يشهد له صورة حسية عند العبد يوم القيامة جسرا ممدودا على جسر جهنم محسوسا أوله فى الموقف وآخره على باب الجنة كما هو عرف كل عبد اذا شاهده انه بناؤه بجوارحه وصنعته بيده قال ولا يمشى كل انسان على الصراط الا فى نور نفسه فقط لان الصراط لا نور له فى نفسه ولا يمشى أحد عليه فى نور أحد نسأل الله اللطف ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة فى الاضاءة واللون فتنصب فى تلك الارض ويؤتى بالانبياء يقومون فيقعدون عليها قد غشيتهم الانوار لا يعرفهم أحد فى رحمة الى الابد عليهم من الخلع الالهية ما تقر به أعينهم ويأتى كل انسان معه قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الالوية ذلك اليوم للسعداء والاشقياء بايدى أئمتهم الذين كانوا يدعونهم الى الحق أو الباطل وتجتمع كل أمة الى رسولها من آمن منهم ومن كفر وتحشر الافراد والانبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فانهم مع أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم وقد عين الله عز وجل فى هذه الارض بين يدى عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التى فى الجنة تسمى المقام المحمود وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة ويأتى ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن

الدار الى التقال من نيل شهوات النفوس فى هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الامر على ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعى فى الجوارح مع ان كدورات الشهوات تؤثر فى الاستعداد وتورث الحجاب وان كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا حلالا فافهم ذكره فى الباب الخامس عشر من الفتوحات (فان قيل) فكم يزور العبد مرة ربه فى كل يوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة ان زيارة كل عبد لربه فى الجنة تكون على قدر صلاته كما ان رؤيته له فى الآخرة تكون على قدر حضوره معه فى صلاته كما أن مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك الحرام والمكروهات فى دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه فى المباح تكون على حسب النية فيه فان شهد العبد ربه أو بنية صاحب التشريع فى فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب فيحضر مع ربه هنالك كما يحضر معه فى فعل المندوب وان حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ مما ذكرناه (فان قلت) فهل نبق سدرة المنتهى يكون على عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو زائد على عددهم كما هو الحكم فى فواكه الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق أن نبقها يكون على عدد نسمة السعداء وأعمالهم بل نقول ان النبق عين أعمالهم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أنه ليس فى جنة الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفى ذلك الغصن من الثمر على قدر ما فى العمل الذى هو الغصن صورته من الحركات (فان قلت) فما حكم ورقها فى الحسن وعدمه (فالجواب) حكم ورقها ان فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد فى ذلك العمل الذى الورق مظهره كما ان عدد أوراق كل غصن يكون على عدد ما فى ذلك العمل من الانفاس * قال الشيخ محيى الدين واعلم أن أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما كان أسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما كان أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكى كما كان أسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن اهـ ولم أطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم (فان قيل) فما حكمة الاكل من هذه الشجرة (فالجواب) حكمته زوال الغل من قلوب أهل الجنة فلا يزول الغل من قلب أحد منهم الا ان أكل منها والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك انها لا تنقطع فى فصول السنة أم المراد غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والتسعين ان المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر فى السؤال وهو ان الفاكهة تنقضى بانقضاء زمانها ثم تعود فى السنة الآخرة وان المراد انها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذى عندنا نحن من العلم فى قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالى يجعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شئ فنحن بلا شك فأكل من ثمر الجنة قطعا مع كون الثمرة فى موضعها من الشجرة ما زالت عنه لانها دار بقاء يتكون فيها الامور ولذلك سميت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن فى أى صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره أحد من أهله ونحن نعلم ان قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فان العقول والمعقول هنا (فان قيل) فهل يحجب أهل الجنة عن شئ منها أم هى كلها مشهودة لهم (فالجواب) ان من خصائص أهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شئ من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر ايضاحه (فان قيل) هل يتنعم أهل الجنة بالتمنى (فالجواب) نعم يتنعمون بذلك بل هو من أعظم نعيمهم فلا يتوهم أحد منهم فوق نعيمه أو يتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه (فان قيل) فما سبب اعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا

غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذى نزل بالشرائع على الرسل ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل (١٧٤) من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وانما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكرى من عاقل مهدى ثم يأتى الله عز وجل على عرشه والملائكة الثمانية تحمله فيضعونه فى تلك الارض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد عمت الهيبة الالهية قلوب أهل الموقف من انسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون الا همسا باشارة عين وخفى صوت ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعى الحق بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصا الا سجد ولا سجد رياء واتقاء الا خر على قفاه وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الاعراف لانها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى فى الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم وأما ما كان بينهم وبين الله فان الكرم الالهى قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحدا من عباده بذلك فى ذلك الوقت فهنيأ لمن لم يشهد مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب الا بينه وبين الله أو لم يقع له ذنب مطلقا ويختلف ذلك باختلاف المشاهد فى التوحيد ثم تقع الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم فى كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة فى قلوب الشفعاء فى ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين

فالجواب

(فالجواب) السبب فى ذلك نياتهم الصالحة التى كانوا عليها فى دار الدنيا وذلك ان أحدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيأ عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الالهية ولم يستوف مانواه من دوام الاعمال أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا باصحاب تلك الاعمال التى كان نواها أبد الآبدين مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى أنه يقوم من الليل فاخذالله روحه الى الصباح يكتب الله تعالى له أجر قيامه الذى نواه (فان قلت) قد بلغنا ان لنا جنة برزخية أخرى فما هى الجنة (فالجواب) قد أشار القرآن الى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك فى نحو قوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى * قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لان أماهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا هى روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومانا اليه من النعيم الروحانى فقال للحواريين حين أوصاهم بوصية وفرغ منها اذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك ملتذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب اه * قال الشيخ وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز كتابنا لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الانبياء وكانوا متمتعين متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل برارى وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان فى كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم اه (فان قيل) فما الحكمة فى كون أنهار الجنة أربعة من غير زيادة (فالجواب) انما كانت أربعة لان التجلى العالى لا يقع الا فى أربعة صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الاربعة أهل فاهل أنهار الماء هم أصحاب العلوم التى يدخلها الاراء وأصحاب أنهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو ترييبه لاصحاب الاستنباط الصحيح من الائمة المجتهدين وأصحاب أنهار الخمر هم الامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة والسلام وأصحاب أنهار العسل المصفى هم أهل العلم بالله تعالى وبشرائعه من طريق الوحى والايمان وصفاء الالهام اه (فان قلت) فما صفة التكوين الذى يعطاه أهل الجنة (فالجواب) صورته ان كل ما خطر لاحدهم تكوين شئ يكون أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة يكونون ما شاؤا بارادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة هنالك فان الذلة خاصة باهل النار وما عند أهل الجنة الا العز (فان قلت) هل الحكم الاعظم فى الجنة للاجسام أم للارواح (فالجواب) الحكم فى الجنة للارواح لا للاجسام عكس الدنيا فتنطوى أجسام أهل الجنة فى أرواحهم وتكون الارواح ظروفا للاجسام ويكون الظهور والحكم للارواح ولهذا يتحولون فى أى صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح دون الاجسام * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض أهل الكشف فقال تحشر الارواح دون الاجسام حين رأى نطور أهل الجنة كيف شاؤا وغاب عنه ما قلناه من انطواء الاجسام فى الارواح فلو حقق الكشف فى نظره لرأى الاجسام منطوية فى الارواح (فان قلت) فهل تتفاوت أجسام أهل الجنة فى الصفاء (فالجواب) نعم تتجوهر أبدانهم بحسب صفاء أعمالهم الصالحة فى دار الدنيا فكل من كان أكثر اخلاصا فى عمله وعلمه وتوحيده كان أنور وأشف (فان قلت) فاذا كان أهل الجنة ترشح أبدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم أدبار أم لا (فالجواب) لم يرد لنا فى ذلك شئ من طريق النقل والذى يظهر أنه ليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما جعل فى الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هنالك ولولا أن فرج

فليس ذلك انتقاصا ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما ذلك اظهار للمنة الالهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم * واعلم ان الشافعين فى ذلك اليوم واحد وثلاثة فالواحد أرحم الراحمين والثلاثة هم الملائكة والنبيون والمؤمنون يقول الله تعالى فى ذلك اليوم شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقى ارحم الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فارحم الراحمين يشفع فى الذين لم يعملوا خيرا قط غير توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الاخلاق وشفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فان الملائكة اذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر بل تتأخر الى أن تنقضى مدة المؤاخذات كلها ويتصفون بالرحمة وذلك عندما يرون ان غضب الله قد ارتفع عمن عصاة الموحدين وأما النبيون فيشفعون فى المؤمنين خاصة والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى أممهم وذلك هو متعلق الايمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التى نشأ فيها فالشافع فى هذا المؤمنون الذين فوقه فى الدرجة بعد ان خلصوا بشفاعة رسول الله فيهم يعنى فى الشافعين قال وصورة شفاعة أرحم الراحمين أن تشفع أسماء الجنان والرحمة واللطف عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار فهى مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه اخراج من شاء من النار الى الجنة وعلا الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته وقد اختلف

الرجل يعني ذكره يحتاج اليه في جماع ز وجته هنالك أو الولادة ان وقعت لما كان لاهل الجنة ذكر ولا فرج (فان قلت) فكم عدد درجات الجنة (فالجواب) هي على عدد شعب الايمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد أن شعب الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد الى التسع فمن اجتمع فيه شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوّأ من الجنة حيث يشاء قال الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة و يلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم الى آخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة الى آخره (فان قلت) فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع لامته ما وصلوا به الى دخول الجنة (فالجواب) نعم ما من جنة من هذه الجنان الا وهي متصلة بمقام الوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طلعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها (فان قلت) فهل درجات الجنة موازية لدركات أهل النار كما قيل (فالجواب) نعم هي موازية لها كما ذكره الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك أنه ما ثم الا أمر ونهي فان عمل العبد ما أمر به كانت له درجة وان عمل ما نهي عنه كانت له دركة موازية لتلك الدرجة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا سقط من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك فعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولي يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها لان الولي ما وصل الى ذلك الا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية وعلى ما قاله الشيخ تقي الدين السبكي وغيره ان جميع شرائع الانبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبي الانبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع (فان قلت) فما أعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة (فالجواب) ان أعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدي الله عز وجل كما ينبغي لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية في ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان في حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق * قال الشيخ محيي الدين ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام ان أهل الموقف كلهم يأخذون عنه في ذلك الموطن لانه هنالك وجه كله فيرى من جميع جهاته وله اعلام من الله تعالى في كل جهة يفهم منه ما يريد (فان قلت) ففي أي منزل يكون أصل شجرة طوبى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين من الفتوحات والشيخ ابن أبي المنصور في رسالته ان أصل شجرة طوبى في منزل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لان شجرة طوبى هي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس أين أصله حتى ان بعض من كشف له عن أحوال الجنة زعم ان أشجار الجنة أصولها في الهواء دون الارض حين لم ير الا الفرع والحال أنها مغروسة في أرض الجنة التي هي مسك أذفر وأصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم في الجنان وكل نصيب للاولياء متفرعا من نور فاطمة رضي الله عنها فان في كل فرع تدلى في بيت أو قصر أو مخدع جميع ما يطلب العبد في الجنة من ثمر وحلل وطير وحور عين وغير ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى أكلها دائم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الآية الاولى تقتضي دوام الاكل والثانية تقتضي تخصيصه بوقت دون وقت (فالجواب) ان معنى قوله تعالى أكلها دائم أي لا ينقطع عنهم شيء متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما

الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من الفتوحات ثم قال وأما عندنا وعند أصحابنا من أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فاما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فاذا دخلها أحد لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي ان يكون فيها مما يريده الساكن من الآلات التي تستعمل فيها وأطال في ذلك ثم قال فقوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين اشارة الى تعيين أماكن كل انسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الاساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أشجار الفواكه ثم القصور أو الدركات قال فان كانت الدار هي الجنة بني سورها من التوحيد وان كانت الدار هي النار بني سورها من الشرك أو الكفر أو النفاق أو التكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها في طبقاتها فلا ينتهي بناء جنة كل انسان الا بآخر عمله في دار الدنيا فاذا انتهى البناء فما بقي الا السكنى فيقال له اخرج الى دارك فقد كمل بناؤها فاذا طلعت روحه حبس في البرزخ حتى يتكامل عدد السكان لكن وتنتهي مددهم فينادي المنادي اخرجوا جميعا الى مساكنكم فمعنى أعدت على هذا التقرير أي أعدت لهم قبل دخولهم لها الا قبل خلقهم

وابعادهم ماعدا السور المتقدم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا بنى الله له بيتا فى الجنة فعلق وجود ذلك البيت على فعل ذلك الامر فدل على انه لم يكن مبنيا قبل ذلك وكذلك يؤيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك * قال وأما ما ورد فى الصحيح ان الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها ودلى فيها أشجارها فهو صحيح لان حضرة الحق لا ماضى فيها ولا آتى ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى أتى أمر الله فلله تعالى أن يخبر عن حضرته المذكورة بما شاء لانها لا تتقيد بزمان كالخلق فى مصطلحهم فى الالفاظ والله أعلم (قلت) ويحتمل ان الله تعالى خلق الجنان على ما شاء من الاوصاف التى تسمى بها جنانا من أشجار وأنهار وتراب ثم أبقى فيها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من نتائج أفعال المكلفين غير ما ينعم الله تعالى به عليهم لا فى مقابلة أعمالهم والله أعلم * قال الشيخ واعلم ان خواص المؤمنين ليس لهم بناء من أعمالهم الا فى الجنة وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم فى الجنة تارة وفى النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم * قال الشيخ فى الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه وبلغنا عن الشيخ أبى مدين امام الجماعة رضى الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله والاشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل فى داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات التى مات مصرا عليها بمعنى انه لو مات وهو مؤمن عازم على ارتكاب ذنب سنة مثلا خلد فى النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه الى أن يموت خلد فى النار قدر عمره وكل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله أعلم غير ان الذى وصل الى علمنا أطول الناس مكثا فى جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان يفرض انه لو عاش القدر المذكور لبقى على معصيته الا أن يعتقدان أحدا يريد منهم على ذلك أبدا الا بنص قال وهو كشف صحيح وكلام حرعليه حشمة انتهى * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وأصناف أهل الجنة أربع * الاول الانبياء والرسل * الثانى أتباعهم

بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم وهم الاولياء والعلماء العاملون * الثالث المؤمنون أى المصدقون بالانبياء وبما جاؤا به من الشرائع * الرابع العلماء بتوحيد الله من أنه لا اله الا هو بالادلة العقلية قال ومقام كل صنف منهم عن الآخر هنالك بالنزول ان كان نازلا فى الدرجة وبالعلو ان كان عاليا ولا حسد بين الادنى والاعلى هنالك بخلاف الدنيا قال واذا وقع التجلى الالهى للرؤية يكونون جلوسا على مراتبهم فالانبياء على المنابر والاولياء على الاسرة والعلماء بالله على الكراسى والمؤمنون المقلدون فى توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون فى جنة عدن على الكثيب الابيض قال وأما من كان موحدا من طريق النظر فى الادلة فيكون جالسا على الارض وانما نزل هذا عن الرتبة التى للمقلد فى التوحيد لانه يطرقه الشبه من تعارض الادلة والمقالات فى الله وصفاته فمن كان تقليده جزما فهو أوثق ايمانا ممن يأخذ توحيده من النظر فى الادلة يؤولها قال وانما كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت اذا دخلوها بشرى لاهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لان الحوت حيوان بحرى مائى من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذى هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن قال وخلق الله تعالى الجنة بطالع الاسد الذى هو الاقليد لانه برج ثابت فللجنات الدوام وللاسد القهر ولذلك يقول أهلها للشئ كن فلا يتخلف عن التكوين وليس فى البروج من له السطوة مثل الاسد قال وأما الجنة المعنوية التى هى كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فأجسام أهل الجنة تتلذذ بالامور الجسمانيات وأرواحهم تتلذذ بالامور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك قال ولو كانت الاجسام تتلذذ بالمعانى لكان كل حيوان من البهائم يتلذذ برؤية كل وجه جميل وليس الامر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة الا بتلذذهم احساوهم لانها دار الحيوان بل نقول هى أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول يارب ائتنى بأهلى فقد كثر حليى وعبقريى الحديث قال والناس فى الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون الى الجنة وهى لا تشتاق اليهم وأرباب الاحوال من الاولياء تشتاق اليهم الجنة وهم لا يشتاقون اليها لسكرهم بحالهم والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة لا تشتاق اليهم الجنة ولا يشتاقون اليها وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة فى الباب الخامس والستين من الفتوحات قال ومن أعظم نعيم لاهل الجنة تنعمهم بالتمنى فما يتوهم أحد منهم نعيما فوق نعيمه ويتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه بما توهمه ان توهمه معنى كان معنى وان توهمه حسا كان محسوسا فهو تمن محقق لوجود ما يتمناه قا

لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما (فان قلت) فما الفرق بين لذة أكل الدنيا وأكل الجنة (فالجواب) الفرق بينهما ان أكل الدنيا تزول لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف أكل الآخرة فلذته تدوم مدة بقائه فى البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة أخرى أعم مما قبلها وهكذا (فان قلت) فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع أنه لا شمس هناك ولا قمر كما فى دار الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان معناه مقدار البكرة والعشى بالنظر لاحوال الدنيا قال وذلك لان الحركة التى كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة فى الفلك الاطلس الذى هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيه كسباحتها الآن فى أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم فى الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا ولولا المقادير الموضوعة والموازين الحكمية التى قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم متى يكون الكسوف (فان قلت) فهل يصح فى الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به

وما جاءهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا الا من حيث نيتهم الصالحة التى كانوا نووها فى دار الدنيا وهو أن أحدهم كان يتمنى أن لو قسم الله تعالى له جميع الطاعات حتى فعلها وداوم عليها مدى الدهر فلما قصرت به العناية فى دار التكليف أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها ما تمناه فلحق بأصحاب تلك الاعمال فى الدرجات الاخروية مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد أنه من نام على نيته انه يقوم من الليل فأخذ الله بروحه الى الصباح كتب له قيام ليلة الحديث بمعناه قال ولنا جنة برزخية أشار اليها القرآن العظيم فى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال وانما كانت برزخية لانها لاهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال يوما للحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته فاذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب قال وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم أميين أهل بوارى غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان فى كتابهم جثمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم قال ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا قطعا ان التجلى العلمى لا يقع الا فى أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل فأنهار الماء لاصحاب العلوم التى تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب الذى لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيبه فهى لاصحاب (١٧٨) العلم باسرار الشرع من الائمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهى للامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهى لاهل العلم بطريق الوحى والايمان وصفاء الالهام وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والاربعين ومائة قال واعلم ان أهل الجنة يعطون فى الجنة التكوين فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائما بارادة الله تعالى وذلك لارتفاع الافتقار والذلة هنالك اذ الجنة ليست بمحل لذلك وانما محله الدنيا أو النار فيها وأطال فى ذلك قال وفاكهة الجنة كما وصفها الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أى تؤكل من غير قطع فيقطف الانسان ويأكل من غير قطع فالاكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد بأن الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو يخلف مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور حسان فاذا نظر اليها أهل الجنان فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها فلبسها وظهر بها فى ملكه ولعينه وهو يراها فى السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من فى الجنة دخل فيها وهى على حالها فى السوق ما برحت ذكره الشيخ فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات قال وأقرب شئ شبها بذلك فى الدنيا تصور الولى أى وجوده فى عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقة فى مظاهر متعددة فى رأى العين ويليه بقرب الشبه صورة ما تراه فى المرآة المقابلة لك فقد تكون فى يدك تفاحة فتراها فى المرآة لا تشك انها صورة ما فى يدك الا أن الاول أشبه والله أعلم * وقال فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة منها اعلم أن الصور التى فى سوق الجنة مباحة فكل من اشتهى صورة دخل فيها وينصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخلها ويلبسها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الامر الا من أطلعه الله من طريق كشفه على نشأة الدار الآخرة والله أعلم قال والذى أعطاه الكشف الصحيح ان أجسام أهل الجنة تنطوى فى أرواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ما كانت فى الدنيا فيكون الظهور والحكم فى الدار الآخرة للروح لا للجسم قال ولهذا يتحولون فى أى صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح قال وتتجوهر أبدان أهل الجنة بحسب صفاء أعمالهم الصالحة فى دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر اخلاصا فى عمله كان بدنه أشف وأنور قال واذا اشتهى أهل الجنة التناسل حصل فهما مع

(فالجواب) حجاب العظمة الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وانما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف أمر لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لاهل الجنة كلهم الا مزيد انكشاف لهم لا غير ولذلك قال المحققون انه تعالى يرى بلا كيف (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته (فالجواب) هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم ان الكل من الله تعالى فمن نظر الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيى الدين بن العربى فى الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات عن الشيخ أبى مدين امام الجماعة رضى الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الاشقياء النار بعدل الله وكل أحد ينزل فى داره بالاعمال ويخلد

الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عن كل دفعة ولدا وذلك لان الله تعالى قد جعل هذا النوع الانساني غير متناهي الاشخاص لشرفه عنده قال ولذة الجماع هناك تتضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافا مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجداها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة انما تكون بخروج ريح اذلامني هناك كالدنيا كما صرحت به الاحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فيلتقيان في الرحم فيتكون من حينه فيها ولدا وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولدا مصورا مع النفس الخارج مع المرأة ولا يزال هذا الامر لهم دائما كلما شاؤا قال ويشاهد هذان الابوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم ان الاولاد يذهبون فلا يعودون اليهم أبدا كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا لا يعودون اليهم وكالملائكة السبعين ألفا الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم قال ولاحظ لهؤلاء الاولاد في النعيم المحسوس ولا المعنوي انما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا قال وقد يقع مثل ذلك لبعض الاولياء في دار الدنيا فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون باجسام وصور محسوسات قال وقد وقع لنا ذلك مرات وأطال في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة (قلت) وليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما خلق في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هناك ولولا أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج اليه في جماعهم وفي ولادتهم ان وقعت لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم قال ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة الا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شئ لانهم لا ينامون ولا يعرف شئ الا بذوق ضده قال وأما أهل النار فينامون في أوقات ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم نسأل الله العافية آمين * قال الشيخ محيي الدين وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلاشك كما أشار اليه قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا فان النار ما تتصف بهذا الوصف الا من كون قيامها بالاجسام لان حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة وانما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنار ذكره في آخر الباب الخامس والستين من الفتوحات قال واعلم ان عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين من الفتوحات فاهل جنة الاختصاص الانبياء والاطفال والمجانين وأهل التوحيد العلمي ومن لم تبلغه دعوة نبي وسميت بجنة الاختصاص لانها لم تكن عن عمل سابق وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها كما ورد انه يقال للمؤمن هذا مكانك من النار قد أبدلك الله به مكانا من الجنة قال وسبب وقوع هذا القول للمؤمن ان الوجود كله يطلب الانسان وليس بعض الوجود في حقه أولى من بعض فاذا أمر الله بعبده الى الجنة بفضله وكرمه بقيت نسبته من النار تستدعي حظها وملأها وكذلك من يدخل النار تبقى نسبته في الجنة تستدعي حظها وملأها فيقال له انظر مكانك في الجنة لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلته فيزداد حسرة وندامة * قال وأما أهل جنة الاعمال فهم أهل الاعمال الصالحة فمن لم يكن له عمل صالح في دار الدنيا لا يكون له في جنة الاعمال نصيب لان الناس انما ينزلون فيها باعمالهم فقط قال تعالى في هذه الجنة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قال وهذه الجنة مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد شعب الايمان لا تزيد على عددها ولا تنقص والبضع من الواحد الى التسع فمن جمع شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء * قال وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن وهي قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سور بين جنة ويلي جنة عدن في العلو والفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة قال وكل جنة يصدق عليها اسم اخواتها المخلة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى ودار مقامة وهكذا * قال والوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة عدن وتسمى فيها دار المقامة * قال ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهود طلعة صاحبها صلى الله عليه وسلم ويتفرع منها سائر الجنات فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها * قال الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين ودرجات الجنة على عدد دركات النار لانه ما من درجة الا ويقابلها درك من النار حتى انه تعالى لما قال في أهل الجنة ولدينا

فيها بالنبات اه قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وأدب ووقار اه والله تعالى أعلم *(خاتمة)* اذا سجد أهل الاعراف السجدة التي يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة هي آخر ما بقي من حكم تكاليف الدنيا فان يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه الى أحكام الدنيا به دعي أهل الاعراف الى السجود الذي رجحت به ميزانهم وله وجه الى الآخرة به جوزوا باعمالهم قال ومامنع أهل الاعراف من الوقوع في النار حال كونهم كانوا على الجسر الا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا أخي عناية التوحيد باهله فالحمد لله رب العالمين * وليكن ذلك آخر كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه * وقد ألفته بحمد الله في دون شهر وطالعت الفتوحات على عدده باحثه فكنت أطالع على كل مبحث جميع الكتاب لاخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة

مزيد قال فى أهل النار زدناهم عذابا فوق العذاب الا انه ليس فى النار دركة اختصاص كما سيأتى وايضاح ذلك ان الامر والنهى لا يخلو العبد اما ان يعمل بهما أولا يعمل فان عمل بالامر كانت له درجة فى الجنة معينة لذلك العمل خاصة وفى موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص اذا تركه الانسان درك فى النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة فى الجنة لوقعت على خط استواء فى ذلك الدرك من النار فاذا سقط الانسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك قال واعلم ان الاعراف هو درج العمل بالامر والنهى ودرك ترك العمل بهما فما منع صاحب الاعراف من النزول الى درك تلك الاعمال السيئة الا التوحيد وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ملء الجنان فلا ولى يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم بنعمته مشارك له فيها لان الولى ما وصل الى ذلك الا باتباعه له صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به فى تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم أجر جميع الانبياء ومن تبعهم لكونه نبى الانبياء ولكل نبى أجر من تبعه من غير ان ينقص من أجرهم شئ قال وأما منزلته صلى الله عليه وسلم يوم الزور الاعظم على عين العرش ومنزلته يوم القيامة بين يدى الحكم العدل من حضرات الاسماء الالهية لتنفيذ الاوامر الالهية فكل أهل موقف يأخذون عنه فى ذلك الموطن لانه وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله تعالى يفهم عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال النعيم والانس وأما شجرة طوبى فهى فى منزل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى بحجاب مظاهر نور فاطمة الزهراء رضى الله عنها فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم فى كل جنة ونصيب كل ولى فيهما من نور ابنته فاطمة رضى الله عنها فى حجاب ذلك الفرع وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وقال فشجرة طوبى لجميع شجر الجنات (١٨٠) كلها كآدم لما ظهر فيه من البنين وذلك ان الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح زينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وأعطت من حقيقتها الثمار الجنة عين ماهى عليه كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذى فى ثمرها انتهى * قال واعلم ان جميع التفاضل الواقع فى النعيم بين الانبياء انما هو من حيث جنة الاختصاص وأما جنة الاعمال فهم فيها متساوون من حيث ان كل عامل لخير له جنة جزاء عمله ويقع بحق التفاضل بحسب المشاهد فى الاعمال وقوة الاستعداد وضعفه * قال وأما الطائفة الذين يعطيهم الله تعالى فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهم أهل التوحيد فى الافعال الذين يشهدون أعمالهم خلقا لله لا لهم حال مباشرة الاعمال فيفعلونها امتثالا لامر الله من غير أن يعينوا الهافى أنفسهم جزاء فكان جزاؤهم غير محدود وذلك لان عيونهم لم تر عملهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف قال ويعرف أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التى فى الفلك الاطلس المعبر عنها بالبروج فيعلمون بذلك حدما كان عليهم فى دار الدنيا مما يسمى بكرة وعشيا وكان لهم فى هذا الزمان فى الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص فى ذلك الوقت الخاص فلذلك قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اذ لاشمس هنالك ولا قمر قال ومعنى قوله تعالى فى الجنة أكلها دائم ان الاكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما فالدوام فى الاكل هو عين التنعم بما يكون به الغذاء للجسم فاذا أكل الانسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على الحقيقة وانما هو كالجابى الجامع للمال فى خزنته والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا اختزن ذلك فى معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال ويغذيه بها فى كل نفس فهو لا يزال فى غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم ان الخزانة اذا خلت من الاكل حرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام قال فهذا معنى قوله أكلها دائم وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فراجعه قال واعلم ان الحركة التى كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة فى الفلك الاطلس الذى هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة فى النار كلها سابحة فيها كسباحتها الآن فى أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم الآن متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين

فعلى ذلك الحساب قد طالعت فى كل يوم الفتوحات مرتين ونصفا مقدار ذلك خمسة وعشرون جزأ كل يوم وقد قدمنا فى مبحث الكرامات أنه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا وآخرا * وكان الفراغ من تأليفه فى يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط بين السورين هذا ما وجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت الى آخر الكلام تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين
وقد أنشد العالم العلامة الشيخ محمد الكرمى بمدح هذا الكتاب

يواقيت علم فى عقود عقائد * لذا صاغ معناها ففيها جواهر
وما هى الا وهبة الله للذى * حباه قديما فهى عنه مآثر
هو العبد للوهاب وتر زمانه * بعلم له فى الشرق والغرب سائر

الحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم ذلك قال واعلم ان الكثيب الذي في جنة عدن هو مسك أبيض وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها غير الخواص الا بحكم الزيارة قال وفي هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب لان أهل الكثيب أربع طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون وكل صنف منها متفاضل وان اشتركوا في المنابر مثلا قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني الخلق فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة فاذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم فان منهم البطيء ومنهم السريع ومنهم المتوسط ويجتمعون في الكثيب وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا ويجري اليها ولا ينزل الا فيها كما يجري الطفل الى الثدي لو رام أحدهم أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بغير منزلته لما استطاع بل يرى في منزلته انه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم غير ان الاعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الادنى قال وأدنى الناس منزلة مع انه ليس هناك أدنى من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة وأعلاهم الذي لا أعلى منه فمن له نعيم بالكل فعلم أن كل شخص نعيمه مقصور عليه فما أعجب هذا الحكم ثم اذا نزل الناس في الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجليا عاما كان التجلي واحدا من حيث العين وكثيرا من حيث اختلاف الصورة فاذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي فمن علمه في كل معتقد شرعي فله نور كل معتقد ومن علمه في اعتقاد خاص لم يكن له سوى نور صورة ذلك المعتقد قال واعلم أن الخلق في حال الرؤية لابد أن يفنوا عنهم فلم يقع لهم لذة في زمان رؤيتهم فان اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فافنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها قال وهذا ذوق غريب لا يعرفه الا من ذاقه فاذا ذاقه لا يقدر على انكاره (181) من نفسه قال واذا وقع لاهل الجنة رؤية الله عز وجل كان الناس فيها على أقسام فمنهم من يرى ربه بباصر العين ومنهم من يراه بكلها ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع جسده وهذه تكون للانبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم قال وليس بين الخلق وبين ربهم هنالك الا حجاب العظمة لا غير وهو أنهم يرونه بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير احاطة لقصورهم عن الاحاطة وهو حجاب العظمة قال وتشبيهه صلى الله عليه وسلم رؤيتنا الله تعالى برؤيتنا للشمس والقمر ليس المراد بها رؤيتنا لهما حال ضوئهما وانما المراد رؤيتنا لهما حال كسوفهما لان البصر عند ذلك يدرك ذات الشمس والقمر التي لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الادراك المحقق لذات الشمس ولذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك يا رسول الله فقال نور أنى أراه يعني كيف أراه ونوره شعشعاني يخطف الابصار لانه ليس من جنس النور المخلوق فالتشبيه من حيث ادراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الاحاطة فنحيط بالحق تعالى كما نحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم ثم قال فعلم ان نور الرب الذي يقع فيه التجلي يوم القيامة وفي الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ولذلك ليدركه البصر وهو في غاية الوضوح قال وأقسام الناظرين الى الحق تعالى لا تنحصر اذ الرؤية تابعة لاعتقادهم في دار الدنيا سعة وضيقا اجلالا وتعظيما وذلك ليجني كل أحد ثمرة اعتقاده فمنهم من حظه النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينتقل تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينتقل تكييفها وهكذا فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذي ركبها الله عز وجل عليه قال وهذا هو السبب في اختلاف نظر الخلق بافكارهم في المعقولات فما هؤلاء في لذة النظر مثل ما تخيل اليهم في نظرهم سواء قال واعلم ان خواص الاولياء والعلماء لا ينظرون ربهم الا في مرآة نبيهم صلى الله عليه وسلم لكونها أكمل المرايا اذ هي حاوية لجميع المرايا قال وغير الخواص من الاولياء والعلماء ينظرون في مرايا من هم على أقدامهم من الانبياء السابقين وذلك لان تجليه تعالى في معارف قلوب الانبياء أتم وأكمل من تجليه في قلوب غيرهم لا سيما في باب الايمان بما جاءت به الرسل من الصفات التي تحيلها العقول فالكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم أبدا قال ومن الاولياء من يطلعه الله تعالى على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل في نعيم الرؤية فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * قال الشيخ

يحق لمحيي الدين احياء لومه * وناصره نعم الولي وناصر

فيا ربنا أوفر جزاء لسعيه * فمنه بدا علم عظيم ووافر

ومن حاز شيئا من نفائس كتبه * له الله يعطي ما يروم ويجابر

وناظمه الكومي يدعى محمدا * عليه من الله الكريم ستائر

وأنشد الشيخ أحمد الابوصيري

لقد رحم الرحمن عبد الواهب * من الخير والاحسان هديا مفصلا

طلا وجلا كل التفاصيل اجملت * فما أحسن التفصيل اذ جاء مجملا

بعيني رأيت البدر في وسط هالة * فقل رحم الرحمن عبدا تفضلا

وجد بخط مؤلفه * يقول مؤلفه عفا الله عنه قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الاسلام بمصر وأجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه قد

رحمه الله وأما النار أعاذنا الله منها فاعلم يا أخي ان الله تعالى خلقها من تجلى قوله تعالى فى الحديث القدسى جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث وهذا من أعظم تنزل تنزل الحق تعالى به لعباده لطفا بهم ورحمة فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين قال واعلم ان عذاب أهل النار انما هو بما يكون فى النار لا بنفس النار اذ النار انما هى دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وانما عذاب أهلها بما يخلقه الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له قال ونضج الجلود فى جهنم ليس عن النار حقيقة وانما هو متولد بين النار وأهلها نشأ من مجاورتهما لان نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هى النار انظر وتأمل * قال وما فى النار من الزمهرير هو أحد أركان النار لان الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلولا أن من حقيقتها البرد ما بردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء قلت وهذا المحل يحتاج الى تأمل وتحرير وقد أطال الشيخ الكلام على النار فى الباب الحادى والستين والباب الثانى والستين من الفتوحات والله أعلم قال واعلم ان النار لا تحرق من عصاة الموحدين الا جوارحهم الظاهرة فقط لان ايمانهم يمنع من تخاصها الى قلوبهم فانظر يا أخى عناية التوحيد باهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فاذا بعثهم الله من تلك النومة وجدوا ايمانهم على باب النار ينتظرهم فاذا غمسوا فى نهر الحياة الذى على باب الجنة دخلوا الجنة فلا يبقى فى النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة قال ومحل ظهور سلطان الغضب فى جهنم انما هو اذا دخل أهلها اليها أما اذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها فى نفسها ولا فى نفس ملائكتها بل هى ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون قال وانما احتاجت النار الى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة فيها على الموحدين فتقول أتسلل شيأ فشيأ لعل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شان بطانة الخير عند الملك فاذا حق الغضب الالهى (١٨٢) على قوم غضبت لغضب الحق كما انه صلى الله عليه وسلم يقول سحقا سحقا لمن أخذ بهم ذات الشمال من أمته حين يقال له انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال أمتى أمتى أول ما رآهم وهم يسحبون الى النار * وقال فى موضع آخر انما امتنعت جهنم من الاتيان بسرعة واحتاجت الى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها على من تنتقم منه وذلك لانها ما فتحت عليها من حين خلقت الا على مسبح لله بحمده لا تعرف ما هى الاحكام التى استحق بها المكلف النار الا أن تعلم ذلك باعلام من الله تعالى فاذا جىء بهم او أمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت اليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد وذلك لان الشهوات والافعال المحرمة كانت تجذبهم الى النار ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده قال وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها صورة الجاموس وكان طعام أهلها اذا دخلوها طحال الثور الذى هو بيت الدم والاوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد اذ الثور حيوان ترابى طبعه البرد واليبس فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فبما فيه من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضا وسقما قال واعلم أن محل النار ما تحت مقعر أرض الجنة الذى هو سقف النار وبهذه النار يكون صلاح ما فى الجنة من المأكولات والفواكه كما تؤثر الشمس النضج فى فواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها فى النار تفعل فى الاشياء هنالك النضج فى العلو كما كانت تفعل النضج هنا فى السفل قال وكما هو الامر هنا كذلك ينتقل الامر هنالك بالمعنى وان اختلفت الصور والاحكام ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة فى تلك التربة المسكية فالمسك هنالك بمثابة الزبل هنا فى تعفين الارض لتطييب الثمار كما ذكره الشيخ فى الباب السادس والثمانين قال واعلم أن جميع الكواكب التى فى جهنم مظلمة الانوار لا نور لها فالقمر والشمس يطلعان ويغربان فى النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا فشمس جهنم شارقة لا مشرقة قال وانما لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما فى الدخان من الكدورة وكما كانوا فى الدنيا عميا عن ادراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عميا فى النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له قال ولا يزال هذا الامر للفريقين أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت لان القيامة تقوم يوم الجمعة وما يجىء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما فى يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران باهلهما من ذلك الوقت وتغلق جهنم

اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معانى هذا المؤلف وانه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الانصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الاوصاف وما أحسن ما قال بعضهم

ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم انتهى

ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحى الحنبلى رضى الله عنه ما لا يقدح فى معانى هذا الكتاب الا معاند مرتاب أو جاحد كذاب كما لا يسعى فى تخطئة مؤلفه الا كل عار عن علم الكتاب حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه الا كل غبى حسود أو جاهل معاند جحود أو زائغ عن السنة مارق ولاجماع أئمتها خارق اه ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى رضى الله عنه بعد كلام طويل وبالجملة فهو كتاب لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان بانه ما صنف مثله انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعى رضى الله عنه بعد مدح الكتاب وما كنا نظن أن الله تعالى يبرز فى هذا الزمان مثل هذا المؤلف

على أهلها غلقا لا فتح بعده ونرى الحلق والشياطين فيها كقطع اللحم فى القدر اذا أوقدت تحته نار فو به نسال الله العافية (قلت) وتمام استقرار أهل كل من الدارين فيهما قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم على ما سيأتى فى انتهاء الكتاب عند قول الشيخ و ينقضى بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات قال واعلم أن الفلك المكوكب مخلوق فى جوف الفلك الاطلس وما بينهما من خلق الجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها والاطلس سماؤها قال ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هنالك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما نراه الى الآخرة فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان وما بقى بعد ذلك فهو فى النار ذكره فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة فعلم ان حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب قال واعلم ان أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون و يجمعها كلها المجرمون قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى النار فهؤلاء الاربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من انس وجن قال وانما جاء تقسيمهم الى أربع طوائف من غير زيادة لان الله تعالى ذكر عن ابليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتى المشرك من بين يديه و يأتى للمتكبر من عن يمينه و يأتى للمنافق من عن شماله و يأتى للمعطل من خلفه قال وانما جاء للمشرك من بين يديه لان المشرك رأى بين يديه جهة غيبته فاثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله فى الوهية شيأ يراه و يشاهده وانما جاء للمتكبر من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التى أحس بها من نفسه وانما جاء للمنافق من جهة شماله الذى هو الجانب الاضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان فى الدرك الاسفل من النار و يعطى كتابه بشماله قال وانما جاء للمعطل من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ قال فهذه

أربع مراتب لا أربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم قال وهى منازل عذابهم فاذا ضربت الاربعة التى هى المراتب فى السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة * قال وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا منها ألف الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والايمان فى العالم فترجم بها كل شخص عما فى نفسه من ايمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به * قال وانما كان لجهنم سبعة أبواب لان أبواب الجنة كذلك سبعة وأما الباب الثامن فخاص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق فى النار و يسمى باب الجحيم فلا يفتح أبدا قال وانما كان الامر كما ذكرنا لان صورة هذه الابواب صورة الباب الذى اذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلا آخر فابواب النار اذا غلقت عين فتح أبواب الجنة (قلت) وأهل كل باب مبينون فى القرآن فاهل جهنم هم الذين كفروا بربهم وأهل السعير هم الشياطين وأهل لظى هم كل من أدبر وتولى و جمع فاوعى وأهل سقر هم كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين وأهل الجحيم كل هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم اذا تتلى عليه آيات الله قال أساطير الاولين وأهل الحطمة هم كل همازلماز جماع للمال يحسب ان ماله أخلده وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم قال واذا دخل ابليس النار يكون ملأها فانه لا يعذب أحد فيها الا وابليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه قال صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فانه ما دخل أحد النار الا بوافقته له قال وهذا سر كون مستقره فى النار فى الطبقة الرابعة فليس هو تخفيف عنه بالنسبة للدركات السفلية وانما ذلك للاحاطة والشمول قال و يكون عذابه فى النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته وتارة بالنار قال ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فاحرقه فمات قال وأهل النار من الجن هم الكفار لا غير لانه ليس فى الجن مشرك ولا معطل ولا منافق ولهذا قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك الآية فالحق تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذى يوسوس للانس بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله الحق لستره اعن النظر فى الادلة والآيات وتعبيه الى عيسى مثلا وأما شركه فباتخاذه مع الله الها آخر و يلحق به من آمن

المؤلف العظيم الشان فجزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا فى زمرته اه وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى بعد مدح الكتاب ومؤلفه واعلم ان المعتزلة وغيرهم من الفرق الاسلامية وان ذمهم علماؤنا فلا يقدح فى حقنا نقل شئ من مذاهبهم فى كتبنا فانهم على كل حال معدودون من أهل القبلة غير محكوم بكفرهم وان أخطأوا طريق الاستقامة التى عليها أئمة الشريعة ألا ترى الى الامام الزمخشرى وان جنح الى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الائمة وعلماء الامة وغالب الكتب مشحونة باقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد فى الفروع لامام من الائمة خطؤه فى فهمه عن الانتساب الى مذهبه كذلك علماء الامة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطؤهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الائمة مذاهب أهل الاعتزال كالحليمى وغيره ولم يقدح ذلك فى امامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الافهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من أهلها اه ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشى ونقلته من خطه على نسخة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين

ببعض وكفر ببعض وتأمل قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ما قال لقد أشرك لانه لم يجعل مع الله الها آخر انتهى فابحر رهذا المحل فانه دقيق قال واعلم ان أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أنه لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور مقرور محرورا وعكسه بخلاف أهل الجنة للاطلاق والسراح الذى لاهلها المشاكل للنعيم ضد ما لاهل النار من الضيق والتقييد وقال واعلم أنه ليس فى النار دركة اختصاص كما فى الجنة لان الناس انما يعذبون فى النار باعمالهم لا غير وما أخبرنا الحق تعالى قط أنه يختص بنقمته من يشاء أبدا فما نزل من نزل النار الا باعماله فقط قال ولهذا يبقى فيها أماكن خالية فيخلق الله تعالى لها خلقا يعمرونها وهو قوله تعالى فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أى حسبى حسبى قال وانما دخل زيادة العذاب على الطائفة التى قال الله تعالى فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب من جهة أنهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فلزيادة المذكورة خاصة بالائمة المضلين واضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة الا من هذه الحيثية فافهم قال وأشد العذاب على أهل النار ما يقع فى بواطنهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون فى نفوسهم لوقتها واليه الاشارة بقوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة قال واعلم أن اطول الناس مكثا فى جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحوا من خمسين ألف سنة ثم يخرج منها بالشفاعة قال وانما قلنا نحوا من خمسين ولم نقل خمسين لانا لسنا من كمال الخمسين على يقين وانما استروحنا الى ما قلناه من قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمقدار انما يكون تقريبا ولا يقطع بتحديده قال وينقضى بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات لعصاة الموحدين فلا يبقى فى النار بعد ذلك اليوم أحد ممن وحد الله تعالى ولو مرة فى عمره ومات على ذلك فيوم القيامة متصل بيوم الدنيا وليس بينهما الا ليل البرزخ وفى فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث (١٨٤) وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق تعالى للفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم وتعمر الداران باهلهما كما مر فكل منهم خالد فيما هو فيه قال وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وانما يكون النوم فيها العصاة الموحدين فقط وهذا القدر الذى يتنعمون به فى النار ويستريحون فمنهم من ينام الالف سنة ومنهم من ينام الاحد عشر ألفا ومنهم الى قريب الخمسين ألف سنة على ما مر قال وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين قال فعلم ان أهل النار الذين هم أهلها لا ينامون بطول لقوله تعالى لا يفتر عنهم يعنى العذاب وهم فيه مبلسون ذكره فى الباب العشرين من الفتوحات قال واذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم فى منامهم بالرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار وصار فى فرح وسرور وأكل وشرب وجماع ثم اذا استيقظ لا يرى شيأ كما يرى أهل الدنيا ذلك فى منامهم سواء قال ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه فى منامه ذلك فى بؤس وضر وعقوبات وفراش من شوك ونحو ذلك نسال الله العافية (قلت) فقد كذب والله وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول ان أهل النار يتلذذون بدخولهم النار وانهم لو أخرجوا منها لتعذبوا بذلك الخروج وان وجد نحو ذلك فى شئ من كتبه فهو مدسوس عليه فانى مررت على كتابه الفتوحات المكية جميعه فرأيته مشحونا بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفا وأنا أسأل بالله العظيم كل ناظر فى هذه الخاتمة اذا وجد دليلا لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلا على ضد كلامه فليكتبه كذلك فى موضعه فان كلام أهل الكشف لا يمشى كله على ظاهر المنقول على ان أكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف انما هو فى الكيفيات والعلل وأما الاحكام فلا اختلاف عندهم فيها اذ الكشف الصحيح لا يجئ قط الا مؤيدا للشريعة ولا يقبل من صاحبها ان قدر يخالفها * واعلم يا أخى أنى لم أذكر عن الشيخ رحمه الله فى هذه الخاتمة الا بعض الامور التى تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة اذا دخلوها وأهل النار اذا دخلوها والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقد جاء بحمد الله تعالى كتابا نفيسا يخضع له عنق كل منصف ترك التعصب والحمية للنفس فان الشيخ رضى الله عنه كان من أكبر الوارثين كما ذكرنا ذلك فى خطبة الكتاب وقد أخبرنى شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلى الفتوحى رحمه الله بعد أن اطلع عليه وكتب عليه وبعد حلفه بالله عز وجل أنه طول عمره ما مر على خاطره تحكم واحد مما فيه ولا مما فى الجواهر والدرر فرضى الله عن أهل الانصاف وأرجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذى بذكره تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الدرجات والصلاة والتسليم على سيد السادات ومعدن الكرامات وعلى آله وصحابته والتابعين لهم باحسان الى انقراض الساعات وبعد فقد وقف العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن محمد البرهمتوشى الحنفى على اليواقيت والجواهر فى عقائد الاكابر لسيدنا ومولانا الامام العالم العامل العلامة المحقق المدقق الفهامة خاتمة المحققين وارث علوم الانبياء والمرسلين شيخ الحقيقة والشريعة معدن السلوك والطريقة من توجه الله تاج العرفان ورفعه على أهل هذه الازمان مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للانام وابقاه تعالى لنفع العباد مدى الايام وحرسه بعينه التى لا تنام فاذا هو كتاب جل مقداره ولمعت أسراره وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت فى رياض التحقيق أزهاره ولاحت فى سماء التدقيق شموسه وأقماره وتناغت فى غياض الارشاد بلمعات الحق أطياره فاشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره فاسأل الله الكريم أن يمن على العباد

بطول حياته والمسؤل من فضله واحسانه وصدقاته ان لايخلى العبد من نظرة ودعواته وأن يمتعنا بطول بقائه وحياته آمين

*(يقول مصححه راجى غفران المساوى * محمد الزهرى الغمراوى)*

حمدا لمن غرس فى قلوب أحبابه توحيده فاثمرت أغصانه نصر الدين القويم وتشييده وانجذبت قلوبهم الى حق العقائد واطمانت أفئدتهم الى تبيين هاتيك المقاصد وصلاة وسلاما على سيدنا محمد من نور فضله استمدت الفتوحات ومن بحر علومه اغترفت جميع المخلوقات وعلى آله وأصحابه وكافة أتباعه وأحبابه أما بعد فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر القطب الربانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو لعمرى كتاب جل عن ان يصل القلم فى مدحه للغايات كيف لا وقد تضمن ثمرات ما فى الفتوحات وقد تحلى هامشه بالكبريت الاحمر فى علوم الشيخ الاكبر لمؤلفه أيضا وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى أواخر ربيع الثانى سنة ١٣١٧ هجريه على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحيه آمين

ليكون جميع ما رقمناه بأناملنا منقوشا فى نفوسنا ومحفوظا فى أرواحنا ليكون ذلك وسيلة الى العمل ببعض ما فيه من الاخلاق المحمدية والآداب الشرعية ونسال الله تعالى ان يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وأن يخاص أهلها منا بالنظر الى عوراتنا دون عوراتهم وأن لا يفضحنا بظنوننا ودعوانا ولا يواخذنى علمه علينا من عظيم زلاتنا وقبيح اراداتنا ودقيق خطراتنا وكيف لنا بذلك فى هذا الزمان الذى هو محل ظهور العجائب والاحوال الرديئة وقد استوفينا غالب الاعمال التى أهلك الله بها الامم السالفة والقرون الماضية وحلت بنا نيا تنا وتحكمت عمالنا فينا باعمالنا وقد قرب انشقاق الفجر الاخروى بقوة عسكر الظلم والضلال وقبض العلوم عن العمل بها وفيض الضلال فلا تختم الدنيا الا على حثالة كالا رتفع فى منخل التحليل الا النخالة وقد وصف بعض أهل المائة السادسة زمانه فقال قد صارت حكماء أهل زماننا ذبابا وعلماؤه ذئابا وقروده فضلاء وفهوده عقلاء وتجاره حرفية وفجاره صوفية وثعالبه زهادا وثعابينه عبادا وأتقياؤه فصاحا وأشقياؤه نصاحا وعقاربه وعاظا وخيانه حفاظا استغنوا بالفضائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطيبة بالغيبة وعن أسرار الغيوب باسرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تحجبهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى من كل خطا وزلل وقع من جوارحى الظاهرة والباطنة الى وقتى هذا عدد كل ذرة فى الوجود قال ذلك وكتبه مؤلفها العبد الفقير الى عفو ربه ومغفرته سامحه عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى عفا الله عنه وعن والديه وعن مشايخه وجميع المسلمين وكان الفراغ من تاليفه فى يوم الاحد ادى عشرى شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه من الاقوال والافعال والحمد لله رب العالمين

(فهرست الجزء الثاني من كتاب اليواقيت والجواهر)

صحيفة

صحيفة

(تمت)



